مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٧ م
صفر وشهر ربيع الأول سنة ١٣٦٦



دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً وفي جميع الأقطار ١٠٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كنوز الاجداد

- ١ -

الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى)

نشأ في بغداد وأخذ العلم عن أئمة عصره وتأدب به ناس وروى عنه الحديث بعض المشاهير وكانت محاضرته أجمل من شعره ونثره . ومن قويت فيه ملكة من الملكات قد تضعف فيه الملكات الأخرى . وتآليفه كثيرة . ساعده على التوسع في أخبار خلفاء بني العباس ووزرائهم وشعرائهم وعلى « ذكر غرائب لم تقع الى غيره وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه » كونه نادم الراضي ، وكان أولاً يعلمه ، ونادم المكتفي ، ثم المقتدر دفعة واحدة .

قالوا : « كان محظوظاً من العلم ، مجدوداً من المعرفة ، مرزوقاً من التصنيف ، حسن التأليف » و « حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، مقبول القول » كان زينة المجالس موصوفاً بظرفه البغدادي ، رغب الخلفاء في منادمته ، لسعة فضله ولطف عشرته . استبطن اخبار الناس ودوّن كل ظريف روي عنهم ، فهو الى الطرافة فيما دونه من طريف وتالد ، يحسن الغناء وسائر فنون الأدب الرفيع وكان ألعب اهل زمانه بالشطرنج ويمتاز بعلمه وفقهه وبعد نظره . وجميع ادواته هذه تجعله بين أفراد قلائل صلحوا للمنادمة من كبار هذه الأمة فهو أديب يحسن الكلام والحوار وليس سلك المنادمة بالشيء السهل لما يحتاج اليه من آداب تؤيدها حافظة وذاكرة وتزينها طلاقة لسان وفضل بيان وكانت له يد باسطة في نقد الشعر ونظر ثاقب في تقدير مراتب الشعراء الاسلاميين والجاهليين فهو نقادة راوية تقرأ امثلة من نقداته في كتاب الموشح لتلميذه المرزباني . اما فيما ينظم فلم يوفق التوفيق كله وما نشره له بعض اهل الأدب في كتبهم فانما كانت

اجادته نسبية بالقياس الى بقية شعره وما كان من النوع الذي يرضون عنه . وهو نديم متكلم لا اديب يخلد أدبه . حاول في كتابه الأوراق ان يأتي بقصائد ذات قوافٍ مستغربة فأبهم وعمى وظهر التكلف على ما قرض .

وفي الصولي شيء من الضعف ظهر من مبالغته في محامد الراضي لأجل عطاياه له ، وما كان الراضي بالخليفة التي تهوي اليه النفوس اذا جرى التنظير بينه وبين الممتازين من اسلافه ، وملكه لا يتجاوز اسوار مدينة بغداد وحكمه ايضاً غير نافذ فيها . وقد رأينا الصولي يستجدي الخليفة ويشكو الزمان والحرمان ولا يفتأ يقول فلان نخني وفلان حرمني . خلق لا يليق ان يتخلق به من يدعي انه من نسل ملوك وهو على اي حال يعاشر ملوكاً وأمراء ولا يجوع في قربهم مهما عدا عليه الزمان .

تدور موضوعات كتب الصولي على اخبار الطبقات الراقية في عصره وعلى شعرهم وادبهم وظرفهم . وكتابه « الأوراق » مثال جميل من ذلك . وكذلك أدب الكتاب « الفه فيما يحتاج اليه اعلى الكتاب درجة واقلهم منزلة » وهو هنا اذا كتب بدأ ضعفه واذا روى جود النقل فخليق به ان يدعى راوية . وما خلا الصولي من أناس يهرجوا علمه واستصغروا تآليفه ومنهم ابن النديم قال ان الصولي عوّل عند تأليفه « الأوراق » على كتاب المرثدي في الشعر والشعراء او على كتاب اشعار قريش وانه نقله نقلاً وانتحله . وزعم ابن النديم انه رأى دستور الرجل في خزانة الصولي بخط المرثدي فافتضح به .

قد يكون الصولي اقتبس اموراً كثيرة من كتاب الشعر والشعراء او شعراء قريش أو غيره لكن ما أتى به من عنده ظاهر وتعمد ابن النديم في الطعن عليه يستنتج من وصفه اياه بأنه « جماعة للكتب » ولعل ذلك أتى من تنافس الرجلين في اقتناء الأسفار ، وابن النديم ورّاق قبل كل شيء . وذكروا انه كان للصولي بيت عظيم مملوء بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان كل صف من الكتب لون : فصف أحمر وآخر اخضر وآخر اصفر وغير ذلك وكان الصولي يقول هذه الكتب كلها سماعي .

مات الصولي بالبصرة مستتراً لأنه روى خبراً في علي بن ابي طالب فطلبته الخاصة والعامة لتقتله وذلك سنة خمس وثلاثين وثلثمائة على الأرجح ٠

لعل قارئ هذا يعترض علي سلكنا الصولي في عظماء المؤلفين وهو في الواقع منهم لأنه أتى بجديد ولأنه صورة غريبة من رجال تلك الأيام فقد جاء حتى في عصره اعظم منه في الحديث واكبر منه في الأدب ولكن العبرة بمن يجمع هذه الأدوات في ثقافة ذاك العصر ويحظى في قصور الخلفاء بتلك المكانة ولا يضيع ما مرّ به من الفوائد فيقيدها ويخلفها للأجيال بعده تنتفع بها ٠ اما نقلة المؤلفين عن غيرهم ولا سيما في الحديث والفقه فأي مزية لهم اذا لم ينفردوا بأشياء لم يسبقوا اليها فما أكثر عدد هؤلاء وما أقل من جمعوا الى فقههم ادباً رفيعاً ارتاحوا اليه وأراحوا وانتفعوا به ونفعوا وكان له على الأيام صدى يتناقل فيطرب ويعجب ٠

قصة من مروياته : عن العتابي قال : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي اربعة آلاف ما بين شاعر وزائر ، وفينا فتى يحدثنا ونجتمع اليه ٠ فبينا هو ذات يوم قاعد اذ اقبل اليه غلام له كأجمل الغلمان فقال له : يا مولاي اخرجتني من بين ابويّ وزعمت ان لك وصلة بالملوك فقد صرنا الى اسوإ ما يكون من الحال وقال : ان رأيت ان تأذن لي فأنصرف الى ابويّ فعلت ، قال فاغرورقت عينا الفتى ثم قال : ائتني بدواة وقرطاس ، فأتاه بهما فقعد هجزة فكتب رقعة ، ثم عاد الى مجلسه ثم قال للغلام : انصرف الى وقت رجوعي اليك ٠ فبينا نحن كذلك اذ جاء رجل ليستأذن على الفضل ، فقام اليه الفتى فقال : توصل رقعتي هذه الى الأمير قال : وما في رقعتك قال : امدح نفسي واحث الأمير على قبولي ٠ قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فان رأيت ان تعفيني فعلت ٠ قال : قد فعلت ٠ فعاد الى مجلسه فخرج الحاجب فقام اليه فقال له مثل مقالته الأولى فاستظرفه الحاجب وقال : ان رجلاً يتصل بمثل الفضل يمدح نفسه لا يمدح الفضل عجيب ٠ فأخذ منه الرقعة ثم دخل فلوّحها للفضل ، فقرأ منها سطرين وهو مستلق

على فراشه ، ثم استوى قاعداً وتناول الرقعة فقرأها فلما فرغ من الرقعة قال للحاجب : أين صاحب الرقعة ؟ قال : أعز الله الأمير ، لا والله لا أعرفه لكثرة من بالباب . فقال الفضل انا انبذه اليك الساعة ؛ يا غلام اصعد القصر فناد : اين مادح نفسه ؟ فقام الغلام فصاح ، فقام الفتى من بيننا بغير رداء ولا حذاء ، فلما مثل بين يدي الفضل قال له : انت القائل ما فيها ؟ قال : نعم قال انشدني فأنشده الفتى يقول :

انا من بغية الأمير وكنز من كنوز الأمير ذو ارباح
كاتب حاسب خطيب بليغ ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق اخف من الريـ ـشة مما يكون تحت الجناح

الى ان قال في قصيدته انه يروي شعراً عن ابن هرمة وعلماً عن ابن سيرين وله في النحو نفاذ ، وانه قادر على منادمة الخلفاء يضطلع بالمهمات ، ويعرف ادب المجالسة ، وانه ابصر الناس بالجوارح والخيل والنساء ، وان فيه دعابة وهو غير ماجن الى آخر ما وصف به نفسه فقال له الفضل :

كاتب حاسب خطيب اديب ناصح زائد على النصاح

قال : نعم ، اصلح الله الأمير . فقال الفضل : يا غلام الكتب التي وردت من فارس ، فأتى بها ، فقال للفتى : خذها فاقرأها وأجب عنها . فجلس بين يدي الفضل يكتب ، فقال له الحاجب : اعتزل يكن اذهن لك فقال : ههنا الرأي اجمع بحيث الرغبة والرهبة . فلما فرغ من الكتب عرضها على الفضل ، فكأنما شق عن قلبه .

فقال الفضل يا غلام : بدرة بدرة بدرة فقال الفتى للغلام : اعز الله الأمير دنانير او دراهم . قال : دنانير يا غلام . فلما وضعت البدرة بين يديه قال الفضل : احملها بارك الله لك فيها قال الفتى : والله ايها الأمير ما انا بحمال ، وما للحمل خلقت ، فان رأى الأمير ان يأمر بعض غلمانه بحملها على ان الغلام لي . فأشار الفضل الى بعض الغلمان فأشار الفتى اليه مكانك . فقال : ان رأى الأمير ، أيده الله ، ان يجعل الخيار اليّ في الغلمان كما فعل بين البدرتين فعل . فقال : اختر ،

فاختار اجملهم غلاماً فقال : احمل . فلما صارت البدرة على منكب الغلام بكى الفتى ، فاستفظع الفضل ذلك وقال : ويلك استقلالاً قال : لا والله ، ابدك الله ، ولقد اكثرت ، ولكن اسفاً ان الأرض تواري مثلك ، قال الفضل : هذا أجود من الأول ، يا غلام زده كسوة وحملاناً . قال العتابي : فلقد كنت أرى ركاب الفتى تحت ركاب الفضل .

طيفور (احمد بن أبي طاهر)

٢٨٠

كان ابوه طيفور من مرو الروز من ابناء خراسان ومن اولاد الدولة ، وولد ابنه احمد في بغداد سنة اربع ومائتين واخذ الأدب والحديث عن رجال عصره وروى عنه جماعة ، وانصرف الى الرواية والأخبار . وكان لأول نشأته مؤدب صبيان ثم جلس في سوق الوراقين ، واشتهر بالشعر والكتابة ، قال فيه صاحب تاريخ بغداد انه احد البلغاء الشعراء والرواة ، من اهل الفضل المذكورين في العلم ، ووصفه المسعودي بالشاعر ، وأورد له قصيدة رثى بها يحيى بن عمر وكان ظهر بالكوفة سنة ثمان واربعين ومائتين جاء فيها :

سلام على الاسلام فهو مودّع   اذا ما مضى آل النبي فودعوا

الى ان يقول :

بني طاهر واللؤم فيكم سجية   وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواضبكم في الترك غير قواطع   ولكنها في آل احمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم   وُغلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبيين شُرّع   وفيكم رماح الترك بالقتل شُرّع
لكم مرتع في دار آل محمد   وداركم للترك والحبش مرتع

وأنشد بعض اهل الأدب قوله في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الذي قاله :

اذا ابو احمد جادت لنا يده   لم يحمد الاجودان البحر والمطر

ويختمها بقوله :

الجود منه عيان لا ارتياب به اذ جود كل جواد عنده خبر

قالوا لو استعمل الانصاف لكان هذا احسن مدح قاله متقدم ومتأخر . وليست مكانة ابن طيفور بشعره ، ولا بما روى من حديث ، فالشعر كان آلة من آلاته ، والمحدثون كثار ، ومنصرفون اليه في الليل والنهار ، ولكن ابن طيفور كان عظيماً بروايته ، فان ما تركه من كتبه يبلغ خزانة صغيرة . ولقد وصفه ابوبكر الصولي وقال فيه انه صحفي ، اي يروي الخطأ عن الصحف ولم يأخذ عن الشيوخ ، وانه حاطب ليل ، وانه يشترط في كتبه اختيار الشعر الجيد ويأتي بالرديء ، ويزعم انه يقلل فيكثر ، وفي إكثاره يسيء ، ثم يحكي الكذب ، ويخطئ في التاريخ ، وفي نسب الشعر ، هذا ما روي عنه أنه قاله فيه . ومن من المؤلفين يا تُرى خلا من نقد ؟ وهل خلا الصولي نفسه منه فارتضى النقاد تدوينه ؟ وهل كان ذوقه عالياً كما اراد اختيار شعر ونثر . والاجتهاد ما زال يختلف في الرجل الواحد ، وفي العام الواحد ، فما بالك في الرجال وفي العصور . وان راوية مكثراً مثل طيفور لا تكاد تجد كتاباً من الأمهات التي ألفت بعد عصره الا وينقل او يكثر من النقل من كتبه ، لا يقدح في مروياته ولا يسقطه بأنها من بضاعته ، ثم أي عالم خلا من لحن وتصحيف ؟ وذكروا ان بعضهم قال فيه أنه كان بليداً في علمه وانه يلحن ، وانه قال ذلك للبحتري فأقره عليه . وعرفنا انه كانت بين البحتري وطيفور أمور تراخت بها صلاتهما ، فألف طيفور كتاباً في سرقات البحتري من ابي تمام ، فبالطبع يحمى انف البحتري منه ويطعن في علمه وادبه . أما هو فقد طعن البحتري في اخلاقه طعنة نجلاء حرام رأبها على وجه الدهر ، قال فيه : مارأيت اقل وفاءً من البحتري ولا اسقط : رأيته قائماً ينشد احمد ابن الخصيب مدحاً له فيه ، فحلف عليه ليجلسن ، ثم وصله واسترضى له المنتصر ، وكان غضبان عليه ، ثم اوصل له مديحاً اليه واخذ له منه مالاً فدفعه اليه . ثم

نكب المستعين احمد بن الخصيب بعد فعله هذا بشهور ، فالمهدي به قائماً ينشده :

لابن الخصيب الويل كيف انبرى ... بإفكه المردي وإبطاله

كادَ امين الله في نفسه ... وفي مواليه وفي ماله

ورام في الملك الذي رامه ... بغشه فيه وادغاله

الى ان قال وكلها طعن في ابن الخصيب :

فهو حلال الدم والمال ان ... نظرت في ظاهر احواله

قال ابن ابي طاهر : كان ابن العلجة فقيهاً ، يفتي الخلفاء في قتل الناس ترحه الله ، ثم ختم القصيدة بقوله :

والرأي كل الرأي في قتله ... بالسيف واستصفاء أمواله

وهذا اعظم هجو يهجى به البحتري ، وقد هجاه طيفور بقصيدة أيضاً ، فلا غرو ان يسقطه البحتري ويرذل ادبه .

وقال الذين صغروا شأن طيفور في الأدب انه كان مع هذا جميل الأخلاق ظريف المعاشرة خلواً من الكهوب اي لا يتغير لونه ثابت في خلقه ، وهو الى هذا معروف بمرحه ، يبتدع النكات ويحسن التقاطها وابرازها للناس ، وكتابه بلاغات النساء نموذج من منزعه وكثرة تتبعه . والف في المزاح والمعاتبات وفي أمور فيها دعابة وأدب واقعي .

وقصيدته ليلة بات في « دير السوسن » في عودته من « سر من رأى » وقد زار بعض كتابها ومدحه فأحسن صلته ، ووهب له غلاماً رومياً حسن الوجه ، واعترافه بأنه بات والغلام يسقيه ، والراهب نديمه حتى مات سكراً ، وطلبه المغفرة عما أتى من ربه — كل هذه امور اذا صحت تصف جانباً ظاهراً من مرحه وتبذله . ومن هذه الأمور ما اقترفه في صباه ، ومنها ما أتاه في الكهولة ، وشعره لا يخلو من نكتة ، وربما قال بعض شعره من اجل نكتة فأعقبته نكبة ، كما حدث عن نفسه قال : خرجت من منزل ابي الصقر نصف النهار في تموز فقلت : ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرّد ، اذ كنت لا أقدر أصل الى منزلي بباب الشام ، فجئته فأدخلني الى حويشة له ، وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين ،

وسقاني ماءً بارداً ، وقال لي : أحدثك الى ان تنام ، فجعل يحدثني احسن حديث . فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان فقلت : قد حضرني بيتان أنشدهما ؟ فقال : ذاك اليك ، وهو يظن اني قد مدحته فأنشدته :

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق على انه منه أحرّ وأرمد
ظللت به عند المبرد قائلاً فما زلت في ألفاظه اتبرد

فقال لي: قد كان يسعك اذا لم تحمد ألا تذم، ومالك عندي جزاء إلا إخراجك ، والله لا جلست عندي بعد هذا . فأخرجني فمضيت الى منزلي بباب الشام ، فمرضت من الحر الذي نالني مدة ، فعدت باللوم على نفسي . وقد روى انه قال في المبرّد ، وحسبك من عالم محقق .

كملت في المبرّد الآداب واستقلت في عقله الألباب
غير أن الفتى كما زعم النا س دعي مصحفٌ كذاب

ربما زعم زاعم انه ليس من الانصاف ان يقرن هذا العيار من الرجال الى عظماء العلماء المعروفين في علوم الدنيا والدين فالجواب ان في الحق ان يجعل هذا الرجل في الصف الأول بين الرجال لأن أدبه اثمر ما لم يثمر غيره مثله والعبرة بمن يسدُّ ثلمة صغيرة من بناء الآداب كانت لولاه خالية ومن يجوّد فناً واحداً من فنونه بامتاع وابداع .

القاضي التنوخي

أبو علي المحسّن بن علي

٣٨٤

اخذ القاضي عن أئمة البصرة ، ونزل بغداد وتقلد القضاء زمناً طويلاً وعرف رجال السياسة في عصره ، ودرس مذاهبهم واهواءهم ، ورأى مشاكل الناس ومتاعبهم فاتسع أفقه وكثرت آدابه وتجاربه . وهو من بيت كل اهله فضلاء وادباء كان ابوه عالماً وأديباً ، وهو عالم وأديب . وكان سماعه صحيحاً ويميل للأدب والشعر والأخبار .

أتم ما بدأ به استاذه الصولي من تدوين اخبار المجتمع العباسي واقتصر الصولي على اخبار الخلفاء والوزراء والكتاب والشعراء ودون التنوخي الأخبار على اختلاف مصادرها واشكالها . وقد يروي القصة بأكثر الفاظها وان كانت مولدة او عامية لئلا يضيع من رونقها فهو من هذا النظر ناقل صحيح النقل يجوّد تصوير ماوقع بأمانة ولا يخرم شيئاً مما يبلغه عن الثقات او يرى فيه نكتة وعبرة وتسلية .

من مصنفات القاضي التنوخي «الفرج بعد الشدة» و «نشوار المحاضر» او جامع التواريخ والمستجاد من فعلات الأجواد . ألف كتاب الفرج ليفزع اليه من اناخ الدهر بمكروهه عليه فيقرأ من الأخبار فيه ما يسليه ويتعظ به . وكان سبقه الى مثل هذا الموضوع ثلاثة من المؤلفين كتبوا فيه أوراقاً اما هو فاقتصر على احسن ماروي من الأخبارمخالفاً مذهب من تقدمه في التأليف . نوّع الأخباروجعلها ابواباً وعزا مااخرجه من الكتب الثلاثة الى مؤلفيه تأدية للأمانة واستيثاقاً في الرواية وتبييناً لما أتى به من الزيادة فأوجز ، وأسقط الحشو وترك الاكثار اي انه جمع ما هب ودب أولاً ثم اسقط مااسقط وابقى ما أبقى . وحمل كتابه مع هذا من انواع الخرافات صنوفاً ، ومن الأمور النابية عن حد المعقول ضروباً ، ومن اخبار الفساق والمجان ما نقله على علاته ارادة الترويح عن النفوس وجاء بحكايات ونكات وبعضها مما دخل في كتابه نشوار المحاضرة . وفي الفرج بعد الشدة يقول الثعالبي في اليتيمة : وله كتاب الفرج بعد الشدة وناهيك بحسنه وامتاع فنه ، وماجرى من الفال بيمنه ، لا جرم انه أسير من الأمثال ، واجرى من الخيال .

ومعنى «النشوار» جرة الحيوانات المجترة استعملها بمعنى الحديث وهو حكايات منقحة منسجمة كتبت بقلم كاتب تحتذى كتاباته متى ترك التكلف ، وتكلفه كان ظاهراً في مقدمة كتابيه الفرج والنشوار . وقد قال في مقدمة النشوار ولعل قارئها ان يستضعفها اذا وجدها خارجة عن السنن المعروف في الأخبار الراتبة في الكتب وذكر اصناف الناس الذين دون اخبارهم حتى قطاع الطريق

والمتلصصين والخراب والمخربين واصحاب العصبية والسكاكين واهـل الخسارة والعيارين . ولا تكاد تخطر بالبال طبقة من طبقات الخلق الا ويعرض لذكر اخبارها فأثبت من ذلك ما سمعه منذ وعى على نفسه واعتقد اثبات كل ما سمعه من هذا الجنس مما يحث على قراءته من شعر لمتأخر من المحدثين او مجيد من الكتاب والمتأدبين او كلام منثور لرجل من اهل العصر او رسالة او كتاب بديع المعنى اوحسن النظم والنثر الى ما شاكل ذلك من مثل طري او حكمة جديدة او نادرة حديثة او فائدة قريبة المولد ليعلم ان الزمان قد ابقى من القرائح والألباب في ضروب العلوم والآداب اكثر مما كان قديمًا او مثله ، ولكن تقبل ارباب تلك الدول للأدب اظهره ونشره وزهد هؤلاء الائمة في هذا الأدب غمره وستره ، قال والا فقد خرج من اعمارنا وما قاربها من السنين من مكنون اسرار العلم ما لعله كان معتاصًا على الماضين وجرى من الحوادث الكبار والانقلابات العجيبة التي لا يوجد مثله سالفاً في اضعاف هذه السنين ما لو قيد بتأليف الكتب لأوفى على ما سلف وتقدم في علو الرتب .

وزاد ان هذه المدونات نوع لم يسبق الى كتبه لأنها مقصورة في الأكثر على ضروب من الأحاديث السابقة والسالفة في زماننا التي تظلم عندي بأن لا تكتب وهي تصلح لمن قد فرغ من اكثر العلوم واشتهى قراءة ما يدله على اخلاق اهل الازمنة وسننهم وطرائقهم وعاداتهم وان يقايس بين ما نحن فيه وما مضى ليعلم كيف ماتت الدنيا وانقلبت الأهواء وانعكست الآراء وفقدت المكارم قال : « وحقًا لو باشر حكيم من اهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه ودفعنا اليه ما شك في قيام الساعة او ان الناس بدلوا بهائم مهملة او جعلوا آلات غير مستعملة لفقد الأحرار وشدة الاعسار ولطول المتاعب وتواتر النوائب » .

وفي الكتاب ذكر معتقدات الناس واوهامهم وكثير من الشعر الرائق والنثر الفائق . ولا نغالي اذا قلنا ان كتاب النشوار افاد في الكشف عن احوال القرن

الرابع ما لا يستفاد من عشرات من الكتب ومنها ما لا يستبين منه حال العصر الذي كتبه فيه الا بشيء من الفرضيات والاستنتاجات ولو سلم «النشوار» كله وانتقل الى ابناء هذا الجيل كما كتبه مؤلفه لكان اصدق صورة عن ذاك الزمن وعدّ في فنه من الأمهات .

ومن لم يكتب له مطالعة النشوار يحتاج الى مثال منه يعطيه فكرة في جلال موضوعه وأسلوبه قال التنوخي : حدثني القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله قال حدثني مكرم بن ابي بكر عمر ابي الحسن بن مكرم القاضي قال : كنت خصيصاً بأبي الحسن علي بن عيسى (من اعظم وزراء بني العباس واعفهم واعلمهم) وربما شاورني في شيء من أمره قال : دخلت عليه يوماً وهو مغموم جداً فقدرت انه بلغه عن المقتدر امر كرهه فقلت : هل حدث شيء واومأت الى الخليفة ، فقال : ليس غمي من هذا الجنس ولكن مما اشد منه ، فقلت : ان جاز ان اقف عليه فلعلي اقول شيئاً ، فقال : نعم كتب اليّ عاملنا بالثغر ان اسارى المسلمين في بلد الروم كانوا على رفق وصيانة الى ان وُلي آنفاً مُلك الروم حدَثان فعسفا الاسارى وأجاعهم وأعرياهم وعاقباهم وطالباهم بالتنصر ، وانهم في جهد جهيد وبلاء شديد ، وليس هذا مما لي فيه صلة لأنه أمر لا يبلغه سلطاننا ولا الخليفة يطاوعني . فكنت انفق الأموال واجتهد واجهز الجيوش حتى تطرق القسطنطينية . فقلت : ايها الأمير ها هنا رأي اسهل مما وقع لك يزول به هذا . فقال : قل يا مبارك ، فقلت : إن بأنطاكية عظيماً للنصارى يقال له البطرك وببيت المقدس آخر يقال له القاتليق (الجاثليق ؟) وامرهما ينفذ على ملك الروم ، حتى أنهما ربما حرما الملك فيحرم عندهم ويحلانه فيحل ، وعند الروم ان من خالف منهم هذين كفر ، وانه لا يتم جلوس الملك ببلد الروم الا برأي هذين ، وان يكون الملك قد دخل الى بيعتها وتقرب بها . والبلدان في سلطاننا والرجلان في ذمتنا فيأمر الوزير بأن يكتب الى عاملي البلدين باحضارهما وتعريفهما ما يجري على الأسارى وان هذا خارج عن

الملة ، وانهما ان لم يزيلا هذا لم يطالب بجريرته غيرهما وينظر ما يكون الجواب .

قال فاستدعى كاتباً واملى عليه كتابين في ذلك وانفذهما في الحال ، وقال سرّيت عني قليلاً . وافترقنا فلما كان بعد شهرين وايام ، وقد أُنسيت الحديث جاءني 'فرانق [١] من جهته يطلبني فركبت وانا مشغول القلب بمعرفة السبب في ذلك حتى وصلت اليه ، فوجدته مسروراً فحين رآني قال : يا هذا احسن الله جزاءك عن نفسك ودينك وعني فقلت : ما الخبر ؟ فقال : كان رأيك في أمر الأسارى ابرك رأي واصحه وهذا رسول العامل قد ورد بالخبر (وأومأ الى رجل كان بحضرته) وقال له : خبرنا بما جرى فقال الرجل : انفذني العامل مع رسول البطرك والقاتليق برسالتهما الى قسطنطينية وكتبا الى ملكيهما : انكما قد خرجتما عن ملة المسيح بما فعلتماه بالأسارى وليس لكما ذلك فانه حرام عليكما ، ومخالف لما امرنا به المسيح من كذا وكذا وعدد اشياء من دينهما ، فاما زلتما عن هذا واستأنفتما الاحسان الى الأسارى وتركتما مطالبتهم بالتنصر والا لعناكما على هذين الكرسيين وحرمناكما . قال فمضيت مع الرسول فلما صرنا بقسطنطينية حجبت عن الملكين اياماً ، وخليا بالرسول ثم استدعياني اليهما فسلمت عليهما فقال لي ترجمانهما : يقول لك الملكان ان الذي بلغ ملك العرب من فعلنا بالأسارى كذب وتشنيع وقد أذنا في ادخالك دار البلاط لتشاهد اسارا كم فترى احوالهم بخلاف ما بلغكم وتسمع من شكرهم لنا ضد ما اتصل بكم . قال : ثم حملت الى دار البلاط فرأيت الأسارى وكأن وجوههم قد أُخرجت من القبور تشهد بالضرر وما كانوا فيه من العذاب الا أنهم مرفهون في ذلك الوقت وتأملت الى ثيابهم فاذا جميعها جُدُد فعلمت اني منعت من الوصول تلك الأيام حتى غُير زي الأسارى . وقال لي الأسرى : نحن للملكين شاكرون فعل الله بهما وصنع ، واومأوا اليّ ان الأمر كما كان بلغكم ولكنه خفف عنا وأحسن الينا بعد حصولك ها هنا . وقالوا لي : كيف

(١) الذي يدل صاحب البريد على الطريق معرب 'پروانك

عرفت حالنا ومن تنبه علينا وأنفذك بسببنا . فقلت لهم : ولي الوزارة علي بن عيسى فبلغه ذلك فأنفذ من بغداد وفعل كذا وكذا قال : فلجوا بالدعاء الى الله تعالى للوزير وسمعت امرأة منهم تقول : مرّ يا علي بن عيسى لا نسي الله لك هذا الفعل . قال : فلما سمع ذلك علي بن عيسى اجهش بالبكاء وسجد حمداً لله سبحانه وتعالى وبرّ الرسول وصرفه ، فقلت له : ايها الوزير اسمعك دائماً تتبرم بالوزارة وتتمنى الانصراف عنها في خلواتك خوفاً من آثامها فلو كنت في بيتك هل كنت تقدر ان تحصل هذا الثواب ولو أنفقت فيه اكثر مالك ولا تفعل ولا تتبرم بهذا الأمر فلعل الله يمكنك ويجري على يديك امثال هذا الفعل فتفوز بثوابه في الآخرة كما تفردت بشرف الوزارة في الدنيا .

والكتاب الثالث من تأليف القاضي التنوخي « المستجاد من فعلات الأجواد » اورد فيه مئة وخمسين قصة في كرماء الجاهلية والاسلام الى عهده التقطها من أصدق المصادر فجاءت صحيفة حكمة وادب واجتماع وأخلاق ذكر فيها من تقدموا عصره كما ذكر في النشوار من كانوا فيه او قبله بقليل ، ورسم به صورة من الكرم قلّ ان اجتمع مثلها في مصحف واحد ، جملت اطايب الشعر وأزاهير جميلة من النثر ومنها ما كان من نسجه ومنها ما نسجه من قبله فكأن هذا المؤلف العظيم احب ان يهذب الناس بحكايات جوّد ايرادها حتى تقع من نفوسهم موقعها . وها كم الآن قصة من قصصه في المستجاد وهي مما يجب على كل من يتعاطى الحكم والادارة ان يجعلها نصب عينه ودليل حكمه :

قال عبد الله بن سليمان : كنت بحضرة والدي في ديوان الخراج بسرّ من رأى وهو يتولاه اذ دخل عليه احمد بن ابي خالد [الصريفيني] الكاتب فقام له أبي من مجلسه وأقعده في صدره ، وتشاغل به ، فلم ينظر في عمل حتى نهض ، ثم قام معه وامر غلمانه بالخروج بين يديه ، فاستعظمت انا وكل من في المجلس هذا ، لأن رسم اصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لأحد

ممن يدخل اليهم، وتبين ابي ذلك في وجهي فقال لي : يا بني اذا خلونا فسلني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل .

قال : وكان أبي يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشياً الحسبانات فلما جلسنا نأكل لم أذكره الى ان كاد الطعام ينقضي، فقال لي هو مبتدئاً : يا بني شغلك الطعام عما قلت لك تذكرني به ؟ فقلت : لا، ولكن أردت ان يكون ذلك على خلوة فقال : هذا وقت خلوة ثم قال : ألست انكرت والحاضرون قيامي لأحمد بن ابي خالد في دخوله وخروجه وعما عملته معه ؟ فقلت : بلى قال : كان هذا يتقلد مصر سنين، فوليت اعمالها وصرفته عنها، وقد كانت مدته فيها طالت فتتبعته، فرأيت آثار رجل لم أر أجمل آثاراً منه، ولا أعف عن أموال السلطان والرعية، ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له، وكان الحسين الخادم المعروف بعرق الموت صاحب البريد بمصر أصدق الناس له مع هذا، وكان من أبغض الناس [الي] وأشدهم اضطراباً في اخلاقه، فلم أتعلق عليه بحجة ووجدته قد أخر رفع الحسابات لسنة متقدمة وسنته التي هو فيهـا ولم يستتمها لصرفي له عنها، ولم ينفذه الى الديوان فسمته ان يحط من الدخل ويزيد من النفقات والأرزاق، ويكسر من البقايا في كل سنة مائة الف دينار لآخذها لنفسي، فامتنع من ذلك، فاغلظت له وتوعدته، ونزلت معه الى مائة الف دينار واحدة للسنتين وحلفت له ايماناً مغلظة مؤكدة أني لا أقنع منه بأقل منها، فأقام على امتناعه وقال : لا اخون لنفسي فكيف أخون لغيري وازيل ما قام به جاهي من العفاف ؟ فحبسته وقيدته فلم يجب، وأقام مقيداً في الحبس شهوراً . وكتب عرق الموت صاحب البريد الى المتوكل، وحلف له ان اموال مصر لا تفي بنفقتي ومؤنتي، ويصف احمد بن أبي خالد ويذكر ميل الرعية اليه وعفته، فأرسل المتوكل بتوليته . فأنا ذات يوم على المائدة آكل اذ وردت علي رقعة أحمد بن ابي خالد يسألني استدعاءه لمهم يلقيه الي فلم أشك انه قد استضر بالحبس والقيد، وقد عزم على الاستجابة لمرادي، فلما غسلت يدي دعوته فاستخلاني فأخليته، فقال :

اما آن لك يا سيدي ان ترق لي مما أنا فيه من غير ذنب اليك [ولا جرم ولا قديم ذحل] ولا عداوة ؟ فقلت أنت اخترت لنفسك ذلك ، وقد سمعت يميني وليس منها مخرج ، فاستجب لما أريده منك [واخرج] فأخذ يستعطفني [ويخدمني ويخدعني] [فجاءني ضد ما قدرته فيه] فغاظني فشتمته وقلت له هذا الأمر المهم الذى ذكرت لي في رقعتك أنك أردت القاءه الي هو ان تستعطفني وتستجيرني وتخدعني ؟ فقال : يا سيدي وليس الآن عندك غير هذا ؟ فقلت : لا فقال : اذا كان ليس عندك غير هذا ، فاقرأ يا سيدي هذا ، وأخرج الي كتاباً لطيفاً مختوماً في ربع قرطاس ففضضته فاذا هو بخط المتوكل الذي أعرفه [يأمرني فيه] بالانصراف وتسليم ما أتولاه الى احمد بن ابي خالد والخروج اليه مما يلزمني ورفع الحساب اليه والامتثال لأمره وطاعته والمسير عن مصر بعد ذلك فورد علي أقبح مورد لقرب عهد الرجل بشتمي له والاساءة اليه ، وانه في الحال تحت حديدي ومكارهي ، فأمسكت مبهوتاً ، ولم ألبث ان دخل أمير مصر اذ ذاك في اصحابه وغلمانه فوكل بداري وجميع ماأملكه وأصحابي وغلماني وجهابذتي وكتابي . وجعلت ازحف من الصدر حتى صرت بين يدي احمد بن أبي خالد ، ولست استطيع القيام وهو في قيوده بعد . فدعا امير البلد بحداد فحل قيوده ، فمددت رجلاي ليوضع فيهـا القيد ، فقال لي : يا أبا أيوب ضم أقدامك ، فوثب قائماً ثم قال لي : يا أبا أيوب : أنت قريب عهد بعمالة هذا البلد ، ولا منزل لك فيه ولا صديق ، ومعك حرم وحاشية ، وليس يسعك الا هذه الدار ، وكانت دار العمالة ، وأما انا فأجد عدة مواضع [غيرها] وليس لي كبير حاشية ، ومن نكبة وقيد خرجت ، فأقم مكانك ، وخرج عني وصرف التوكيل عني وعن الدار ، واخذ كتابي واشياعي اليه ، فلما انصرف قلت لغلماني : هذا الذي أراه في النوم ؟ انظروا من وكل بنا فقالوا : ما وكل بنا احداً ، فعجبت من ذلك عجباً شديداً ، وما صليت العصر حتى عاد الي من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجهابذة مطلقين وقالوا : أخذ خطوطنا برفع الحساب ، وأمرنا بالملازمة وأطلقنا ، فازداد عجبي ، فلما كان

من غد با كرني مسلماً ورحت اليه في عشية ذلك اليوم ، فأقمت ثلاثين يوماً ان سبقني الى المجيء والا رحت اليه ، وان راح اليّ والا با كرته ، وكل يوم تجيئني هداياه [وألطافه] من الثلج والفاكهة والحيوان والحلوى والطيب ، فلما كان بعد ثلاثين يوماً جاءني فقال لي : قد عشقت مصر يا أبا ايوب ، والله ما هي طيبة الهواء ولا عذبة ، وانما تطيب لغير اهلها بالولاية فيها والاكتساب ، ولو قد رحلتَ الى بغداد وُسرّ من رأى لما اقمت الا شهراً ، ثم تتقلد أجل الأعمال ، فقلت : والله ما أقمت الا متوقعاً لأمرك في الخروج ، فقال : أعطني خط كاتبك بأن عليه القيام بالحساب ، واخرج في حفظ الله ، فأحضرت كاتبي وأخذت خطه كما أراد ، وسلمتُ الخط اليه ، فقال لي : اخرج أيّ وقت شئت ، فخرج [من غد] هو وامير مصر وقاضيها ووجوهها وأهلها وشيعوني الى ظاهر مصر . وقال لي : تقيم في اول منزل على خمسة فراسخ الى ان ازيح علة قائد يصحبك برجاله الى الرملة فان الطريق فاسد ، فاستوحشت من ذلك وقلت : هذا انما غرني حتى أخرج كل ما أملكه وجميع ما كسبت فيتمكن منه في ظاهر البلد فيقبضه ثم يردني الى الحبس والتوكيل والمطالبة ، ويحتج علي بكتاب ثان ، يذكر انه « صك » فخرجت واقمت بالمرحلة التي ذكر مستسلماً للقضاء متوقعاً للشر ، الى ان رأيت اوائل عسكره مقبل من مصر ، فقلت لعله القائد الذي يريد ان يصحبنيه او لعله يريد ان يقبض علي به ، فأمرت غلماني بمعرفة ذلك وما الخبر ؟ فقالوا : العامل احمد ابن ابن خالد قد جاء ، فلم أشك في انه قد ورد البلاء بوروده ، فخرجت من مضربي فلقيته وسلمت عليه ، فلما جلس قال : أخلونا ، فلم أشك [أنه] للقبض عليّ فطار عقلي ، وقام من كان عندي فلما لم يبق عندي احد قال : انا اعلم ان ايامك لم تطل بمصر ، ولا حظيت فيها بكبير فائدة ، وذلك الباب الذي سألتنيه في ولايتك لم استجب اليك ، وأخرت الاذن لك في الانصراف منذ اول الأمر الى الآن ، لأني تشاغلت بالفراغ لك منه ، وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات في كل سنة خمسة عشر الف دينار [تكون]

للسنتين ثلاثين الف دينار وهو يقرب ولا يظهر ، ويكون أيسر مما اردته مني في ذلك الوقت ، وقد [تشاغلت به حتى] جمعته لك ، وهذا المال على البغال ، وقد جئتك به فتقدم الى من يتسلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده ، وقلت قد والله يا سيدي فعلت ما لم تفعل البرامكة ، فأنكر ذلك مني وتقبض عنه وقبّل يدي ورجلي وقال : ههنا شيء آخر أريد أن تقبله فقلت : ما هو قال : خمسة آلاف دينار وقد استحققتها من رزقي ، فامتنعت من ذلك ، وقلت : فيما قد تفضلت به كفاية ، فحلف بالطلاق أن أقبلها منه فقبلتها ، فقال : وههنا ألطاف من هدايا مصر أحببت أن أصحبك اياها ، فانك تمضي الى كتاب الدواوين ورؤساء الحضرة فيقولون لك : وليت مصر فأين نصيبنا من هداياها ? ولم تطل أيامك فتعدّ ذلك لهم ، وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت وأخرج درجاً فيه ثبت جامع لكل شيء في الدنيا حسن طريف جليل القدر من كل جنس من ثياب دبيق وقصب وخدم وبغال ودواب وحمير وفرش وطيب حتى اقلام ومداد ما يكون قيمته مالاً كثيراً ، فأمرت بتسلمه وزدت في شكره ، فقال لي : ياسيدي أنا مغرى بحب الفرش وقد استعملت لي بيتاً ارمنياً بارمينيّة وهو عشر مصلّيات بمخادّها ومساندها ومساورها ومطارحها وبسطها وهو بطرز مذهبة قد قام عليّ بخمسة آلاف دينار على شدة احتياطي ، وقد اهديته لك ، فان أهديته الى الوزير عبدك وان أهديته الى الخليفة ملكته به ، وان أبقيته لنفسك وتجملت به كان أحب اليّ ، قال : وحمله فما رأيت مثله قط ، ولم تسمح نفسي بإهدائه لأحد ولا باستعماله فما ابتذلت منه شيئاً يا بني الا يوم اعذارك ، فاني اتخذت منه الصدر ومسانده ومخاده ، أفتلوموني يا بني على أن أقوم لهذا الرجل ? فقلت : لا والله يا أبي ؛ ولا على ما هو أكثر من القيام ، لو كان مستطاعاً . قال : فكان ابي بعد ذلك اذا صرف رجلاً عن عمل ، عامله بكل جميل ، ويقول : علمنا ابن ابي خالد أحسن الله جزاءه حسن الصرف .

محمد كرد علي

اللغة العربية

في البلاد الاسلامية غير العربية[1]

— ٢ —

في بلاد الترك والهند

أسلفتُ القول في مكانة اللغة العربية في إيران قبل أن تصير الفارسية الحديثة لغة علم ، ثم بينت كيف سايرت العربية الفارسية بعد استعمالها ، في الشعر والكتابة وكيف بقيت غالبة في التأليف .

وأبين اليوم حال اللغة العربية في بلاد الترك والهند . وليس غريباً ان يتناول الكلام بلاد الترك والهند في بحث واحد . فكلتاهما تجاور ايران ، وكلتاهما أثرت فيها العربية مباشرة وبتوسط الفارسية ، ثم العربية أثرت في الفارسية ، وهذه أثرت في التركية ، وثلاث اللغات أثرت في الاُردية . فكان القول في بلاد الترك والهند متشابهاً متشابكا .

١ — بلاد الترك

اعني تركستان الشرقية والغربية وموطن الترك العثمانيين .

فأما تركستان الغربية فهي التي سماها جغرافيو العرب ما وراء النهر وتسمى اليوم تركستان الروسية لاستيلاء الروس عليها .

وكان نهر جيحون في العصور المختلفة يعدّ حداً بينها وبين ايران . واما تركستان الشرقية فتسمى كشغر وتسمى اليوم تركستان الصينية .

وفي الاقليمين زهاء ستة ملايين يعيشون في أكثر من مليونين من الكيلات المربعة . ونهر جيحون قد عدّ في أساطير الفرس وتاريخهم حداً بين ايران وتوران ،

(١) محاضرة ألقيت في الجامعة السورية بدعوة من المجمع العلمي العربي ١٥ ايلول سنة ١٩٢٦

ودارت على ضفافه المعارك المتمادية بين الايرانيين والتورانيين ، المعارك الهائلة التي صورتها الشاهنامة . ولكنه لم يكن في الحق فاصلاً بين الأمتين اللتين تعيشان شماليه وجنوبيه على مرّ الزمان . فقد عاش الفرس شماليّ النهر منذ عصور بعيدة ، وعبر الترك النهر ، ولا سيما في العصور الاسلامية ، وانتشروا في ايران .

وفيما وراء النهر اليوم قرى كثيرة لغتها الفارسية ، ومعظم القرى التي لغتها التركية تعرف الفارسية .

ومن اللهجات الفارسية اللهجة الصغدية وهي لهجة الصغد في تركستان .

وقد قامت الدولة السامانية فيما وراء النهر وكانت حاضرتها بخارى فنشأت في عهدها الفارسية الحديثة وترعرعت في ظلالها فصارت لغة كتابة وعلم .

ولو كانت هذه البلاد خالصة للغة التركية ما كانت لغة الدولة السامانية ولغة شعرائها الفارسية دون التركية .

وأول شاعر فارسي كبير هو ابو جعفر الرودكي السمرقندي ، فقد ترعرع الشعر الفارسي اول ما ترعرع شمالي نهر جيحون .

وقد الف جار الله الزمخشري مقدمة الأدب ليعلّم أهلَ تركستان الأدب العربي فجعلها معجماً من العربية الى الفارسية . ولم يحاول تعليم اهل البلاد باللغة التركية وانما صارت التركية لغة ادبية فى بعض أقطارها في عصور متأخرة .

فاذا تعرفنا حال العربية في تركستان ومكانتها في العلم والأدب ، وقسناالیها لغة البلاد الأدبية ، وجدنا أحوالاً تشابه مابيّنا في ايران ، من احوال العربية والفارسية .

فحال الشعر الفارسي في تركستان كحاله في ايران ، ومسايرة العربية للفارسية في الشعر هنا كمسايرتها اياها هناك فلا نحتاج الى اعادة القول . وغلبة النثر العربي في ايران تقاس بها غلبته فيما وراء النهر ايضاً . وقد نشأ هناك من كتاب العربية ابو بكر الخوارزمي الكاتب المعروف (توفي سنة ٣٨٢) والعميد والد ابي الفضل ابن العميد ، والزمخشري (توفي سنة ٥٣٨) ورشيد الدين الوطواط العمريّ (توفي سنة ٥٧٣) .

واما لغة التأليف في العلم والأدب فكانت العربية الا قليلاً . وحسبنا أن نذكر اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح ، وخاله اسحق بن ابراهيم الفارابي والقفّال الشاشي (توفي سنة ٣٦٦) والخوارزمي سنة ٣١٥، وابا الريحان البيروني .

ولا بد من وقفة عند الزمخشري لنستدل على مكانة العربية ، بما ألّف فيها وبما بيّن من مكانتها في مقدمة كتابيه المفصّل ومقدمة الأدب . فالزمخشري قد عاش بين منتصف القرن الخامس الهجري ومنتصف القرن السادس في تلك البلاد ، وكان من أئمة العربية في اللغة والنحو والأدب ولم يؤثر عنه انه كتب بالفارسية او التركية .

وقال في مقدمة المفصل :

« ولعل الذين يغضون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها ، حيث لم يجعل خيرة رسله وخيرة كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج ، وزيغاً عن سواء المنهج » .

ويظهر من تضاعيف كلام الزمخشري أن هؤلاء الذين يغضون من العربية كانت كراهيتهم في صميمها للنحو لا للغة العربية نفسها . ثم قال الزمخشري عن هؤلاء :

« وبهذا اللسان (يعني العربية) مناقلتهم في العلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم وبه تقطر في القراطيس أقلامهم ، وبه تسطر الصكوك والسجلات حكامهم . فهم ملتبسون بالعربية أية سلكوا ، غير منفكين عنها أينما وجهوا ، كلٌّ عليها حيثما سيّروا . ثم انهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها ، ويدفعون خصلها ، ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها ، وينهون عن تعلمها وتعليمها ، ويمزّقون أديمها ، ويمضغون لحمها . فهم في ذلك على المثل السائر « الشعير يؤكل ويذمّ » ويدّعون الاستغناء عنها وأنهم ليسوا في شيء منها ، فان صح ذلك فما بالهم لا يطلّقون اللغة رأساً والأعراب ، ولا يقطعون بينها وبينهم الأسباب ، فيطمسوا من تفسير القرآن آثارهما وينقضوا من أصول الفقه غبارهما » الى ان يقول :

« وما لهم لم يتراطنوا في مجالس التدريس وحلق المناظرة ، ثم نظروا هل تركوا

للعلم جمالاً وأبهة ، وهل أصبحت الخاصة بالعامة مشبّهة ، وهل انقلبوا هُزْأة للساخرين وضُحكة للناظرين » .

أبان الزمخشري في هذه الكلمات عن تبرّم قوم بالعربية وبيّن أنها ، على هذا ، لغة العلم ولغة القضاء ولغة التعليم والمناظرة ولغة الأدب وان التدريس بغيرها يذهب بجمال العلم ، ويجعل الخاصة كالعامة . فلغة الخاصة العربيةُ ولغة العامة الرطانة العجمية .

وألف الزمخشري مقدمة الأدب ، وضعه على نسق كتاب الثعالبي ، فقه اللغة ، وجعله عُدّة لطالب الأدب العربي وفسر الكلمات العربية بالفارسية فتلقاه الناس بالقبول كما قال :

« لأن هذا الكتاب قد أصاب قبولاً من القلوب ، وهبّ في البلاد مهبّ الصبا والجنوب » وقال المؤلف في فاتحة الكتاب عن اللغة العربية :

« ولجلالة هذا اللسان ، وما جعل الله له من نباهة الشان ، وأن الحاجة اليه سانحة في الملة الاسلامية في أنواع علومها وفنون آدابها كان المتعاطون لاتقانه والتبحّر فيه معدودين في علماء هذه الأمة ، المذكورين في طبقات الأئمة : ومن صُنع الله لهذه الطبقة ان الملوك لم تُمطر سحائبهم ، ولا فاضت عطياتهم ومواهبهم ، على أحد فيضَها على هؤلاء من أدبائهم وخطبائهم ومترسّليهم وشعرائهم » .

ولم يخل بعد انقضاء دولة العرب عصر من الأعصار من ملك فاضل جواد يرغب فيهم ويكفلهم ويكفيهم ، ويتعصب لصناعتهم ويحرص على تنفيق بضاعتهم .

واما الذي اصطفاه الله في زماننا لنصرة الأدب ، وقذف في قلبه الرغبة في كلام العرب الأميرُ الأجل الأسفهالار بهاء الدين علاء الدولة الأمير ابو المظفر آتسز ابن خوازمشاه » اه .

وآتسز هذا احد ملوك خوارزم تولى الملك من سنة ٥٢٢ الى سنة ٥٥١ ه وقد تولى رشيد الدين الوطواط العمري الكاتب المعروف ديوانَ الرسائل لهذا الملك

ثلاثين سنة وله رسائل عربية ذائعة تدل على متانة أسلوب العربية في ذلك العصر ·

وقد عرفت محاولات للكتابة بالتركية بلهجات مختلفة منذ القرن الخامس الهجري فنظم يوسف خاص حاجب في بلاساغون وكشفر منظومة باللهجة الأيغورية اسمها قوداتفوبيليك ·

ونظم اديب احمد رباعيات سماها « عيبة الحقائق » في القرن السادس الهجري · وفي هذا القرن نظم الصوفي الكبير احمد يَسَوى ديوان الحكمة ·

وكذلك نظم بعض الأدباء من بعد غارات التتار في صحراء القفجاق وغيرها ، فنظم الشاعر قطب قصة خسرو وشيرين في القرن الثامن الهجري · ونظم في هذا القرن ايضاً الخوارزمي منظومته المسماة « محبت نامه » ·

وانشئت منظومات وكتب قليلة بلهجات مختلفة ولكنها لم تبلغ ، قبل نشوء الأدب العثماني في رعاية الدولة العثمانية ، أن تنافس العربية او الفارسية في النظم او النثر او التأليف ·

واعظم ما وعته اللغة التركية الشرقية « لغة جغتاى » منظومات علي شيرنوائي وبابرنامه وهي سيرة السلطان بابر التي كتبها بنفسه ·

فأما علي شيرنوائي فكان وزيراً او مشيراً للسلطان حسين بيقرا احد الملوك من سلالة تيمورلنك وله في العدل والبر أياد بيضاء · وله في الآداب العربية والفارسية والتركية مكانة · وقد حاول ان يذلل التركية للنظم الأدبي فنظم قصصاً خمساً من القصص المعروفة في الأدب الفارسي وتبع سنّة نظامي الشاعر في خمسته · وكتب في القياس بين التركية والفارسية كتاباً سماه « محاكمة اللغتين » بيَّن فيه فضل التركية على الفارسية في بعض الخصائص ·

وكتب في اللغة العربية معجماً جمع فيه بين سبعة من معاجم العربية وسماه « سبعة أبحر » ·

ولكن هذا الشاعر القدير سلك طريقاً وعراً كان فيها فريداً لم يسبقه مثله ولم يلحقه ، وبقيت منظوماته منقطعة النظير في لغة جغتاي ·

وعلي شير توفي سنة ٩٠٦ هـ فتاريخه يرجع الى عصر متأخر ولكن اللغة التركية الشرقية لم تكن قد مهدت للأدب فلم تجد عليها عبقرية هذا الشاعر الكبير كثيراً .

وكتب محمد ظهير الدين بابر كتابه (بابر نامه) في العصر الذي أنشأ فيه نوائي منظوماته ؛ كتبه في لغة طبيعية خالصة لا تكلف فيها ولا زينة لكنها كانت كمنظومات علي شير ، مثلاً فريداً في لغة جغتاي .

التركية العثمانية

لم تتخذ التركية الغربية لسان أدب وعلم قبل قيام الدولة العثمانية الا في الندرة . اتخذها امراء قرمان لغة ديوان في ثورتهم القصيرة الأمد ، قبيل نهاية الدولة السلجوقية وأثر فيها نظم لجلال الدين الرومي المتوفى سنه ٦٧٢ ولابنه سلطان ولد .

وكان سلاجقة الروم — أي سلاجقة آسيا الصغرى — يلقبون بالألقاب الفارسية ويزينون قصورهم بأبيات من الشاهنامة ، وهي منظومة الفرس التي تروي جلاد ايران وتوران وتنتصر للايرانيين على التورانيين اي الترك .

وكانت العربية والفارسية لغتي العلم والأدب في تلك الأقطار ايام السلاجقة .

ولما قامت الدولة العثمانية شرعت تستعمل التركية في رسائلها مع استعمال الفارسية والعربية .

وفي منشآت السلاطين — وهي الرسائل التي جمعها في القرن الحادي عشر الهجري احمد فريدون بك — نماذج من رسائل السلاطين العثمانيين باللغات الثلاث . ثم نظم شعراء باللغة التركية وكتب فيها كتاب . وتطورت الصناعتان تطورهما . فنبغ شعراء كثيرون وكتاب قليلون محاكاة للأدب الفارسي . وصيغت اوزان الشعر وقوافيه على غرار الشعر الفارسي . وقد اسلفنا القول فيه . واتخذ شعراء الترك موضوعات الشعر الفارسي وطرائقه . واكثروا من استعمال الألفاظ الفارسية والتركيبات والألفاظ العربية . حتى ليمر قاريء الشعر التركي بأبيات فارسية ليس فيها من التركية الا حرف او فعل . وبقي تسلط الفارسية واضحاً حتى عصر عبد الحق حامد واضرابه وقد توفي عبد الحق منذ بضعة عشر عاماً .

ويمكن ان يقال في صلة الأدب التركي بالأدب العربي ما قيل من قبل في الصلات بين الأدبين العربي والفارسي . إذ كان الشعر التركي ، كما قلت ، محاكاة للشعر الفارسي في الفاظه ومعانيه وموضوعاته .

وأكثرَ التركُ من تسجيل تاريخهم بلغتهم فغشيت اللغة التركية بسلسلة من كتب التاريخ قيمة . والأسلوب القديم في النثر ينوء به التكلف والزينة اللفظية .

واما التأليف في العلوم العقلية والشرعية واللغوية فقد غلبت عليه اللغة العربية شأنها في ايران وتركستان .

وحسبنا ان نذكر من المؤلفين صدر الدين القونوي (توفي سنة ٦٧١ ﻫ) والكمال بن الهمام السيوامي (توفي سنة ٨٦١) ولطف الله بن حسن التوقاتي الذي الف في موضوعات العلوم للسلطان بايزيد الثاني (توفي سنة ٩٠٠) .

واحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا وهو من اكثر المؤلفين في العلوم الشرعية واللغوية .

وعصام الدين احمد بن مصطفى المعروف باسم طاشكبري زاده وهو مؤلف الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وله مؤلفات بالعربية تزيد على الثلاثين اجلها كتاب موضوعات العلوم المسمى مفتاح السعادة (توفي سنة ٩٦٨ ﻫ) ومحيي الدين القونوي المتوفى سنة ٩٥١ ومصطفى بن شعبان صاحب الحاشية على تفسير البيضاوي (توفي ٩٦٩) وحامد القونوي صاحب الفتاوى توفي سنة ٩٨٥ والانقروي صاحب الفتاوى المتوفى ٩٩٨ ﻫ والحاج خليفة صاحب كشف الظنون المتوفى سنة ١٠٦٧

ولم يخل عصر من التأليف بالعربية في بلاد الترك العثمانيين على اختلاف اطوار العربية والتركية في التأليف على مر العصور .

ولم يخل اديب او شاعر من معرفة العربية قليلاً او كثيراً حتى عصرنا هذا .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

معجم مصطلحات امراض الجلد

المقالة التي ألقيت في المؤتمر الطبي العربي بحلب

لم يعتن الى الآن عندنا العناية اللائقة بمصطلحات امراض الجلد التي اتسعت في الأعصر الأخيرة اتساعاً كبيراً . ولم ينشر كتاب بالعربية في هذه الأمراض ، حسب ما أعلم ، سوى كتاب «الروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية» ألفه احمد بن حسن الرشيدي قبل مائة عام ونيف . اكتفى فيه مؤلفه باستعمال أسماء الأمراض الجلدية المعروفة منذ الدور العباسي كالدمل والسرطان والسعفة والقوباء والجدري والحصبة والجذام والجرب والجمرة والحمرة والحصف والنملة والكلف والنمش والثآليل ونحو ذلك ولم يزد عليها سوى القرمزية والوردية والحمى الفقاعية . أما الأمراض التي عرفها الافرنج فاكتفى بذكرها بأسمائها الفرنجية كالارتيا والاستروفولوس والآكروديفيا والمنتاكر والبتريازيس والبسوريازس والسوداميتا والكوبيروز والمولوسكوم ... الخ . ولم يسع قط لايجاد كلمات عربية لها وبقي الحال على هذا المنوال تقريباً الى الآن . وهذا ما حدا بي على شحذ الهمة لملء هذا الفراغ . فعزمت على تأليف معجم في مصطلحات أمراض الجلد .

تناولت في البدء كتاب امراض الجلد لشاتلان الفرنسي وتصفحته ثم نظرت في فهرسه وأحصيت الاسماء الواردة فيه فاذا هي (٣١٨١) اسماً فهالني الأمر فان هذا العدد الضخم من الأسماء وان يكن قسم كبير منها اسماء امراض مكررة الحقت بها صفات لتمييز انواع واشكال المرض الواحد ، الا انها تبقى جسيمة على كل حال . وخصوصاً وان كتب أسلافنا القدماء لا ذكر فيها لغير عدد نزر من امراض الجلد . فقد عددت في القانون لابن سينا ، وهو اضخمها ، خمسين مرضاً . أما الذين أتوا بعده فكلهم عالة عليه حتى داود الانطاكي فانه لم يزد على هذا

العدد من الأمراض في كتابيه « تذكرة أولي الألباب » و « النزهة المبهجة » سوى الشيلم والماشرا وهي الحمرة الفلغمونية في الوجه والرأس ، والورشكين وهو الجدري النزفي . ووجدت صالح الحلبي رئيس الأطباء باستنبول بوقته زاد في كتابه « غاية الاتقان في تدبير بدن الانسان » البليكا (تلبد الشعر) والاسكربوط (الحفر) باسميها الافرنجيين فانه كان قد أدرك أوائل النهضة الطبية في أوروبا واقتبس الطب الكيميائي لبراكلسوس على ان بين الأمراض الجلدية الخمسين في الكتب التي ذكرتها اسماء مبهمة لا يمكن معرفة الأمراض المقصودة بها ولا الاستفادة منها في الاصطلاحات بزماننا الحاضر ، كقولهم البثور الصغار والبثور الصلبة وذات الراس والغريبة والبيض وبثور الصدغ وبثور القفا فاذا طرحناها بقي لنا نحو من ٤٤ اسماً فقط . فلما رأيت ذلك كدت أرجع عن عزمي لكنني وطدت نفسي وفكرت في الاستفادة من كتب اللغة وخاصة من شرح القاموس المسمى بتاج العروس . ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟ وما يتعلق بالجلد والشعر وأمراضها من الألفاظ منبثة في اجزائه العشرة الضخمة . وأخيراً قمت بعمل ندر من قام به وهو انني قرأت تاج العروس من أوله الى آخره والتقطت منه كل ما يخص الجلد وملحقاته من اوصاف وامراض واعراض و كتبتها على حدة . وقد كلفني هذا عناء كبيراً . ثم اني جعلت اختار الألفاظ الغريبة الموافقة لمرض مرض حتى انتهيت من وضع معجمي هذا وسميته « معجم مصطلحات أمراض الجلد » وهو يحتوي كما ذكرت على (٣١٨١) اسماً ليس فيها الفاظ غير عربية او مستعربة سوى خمسة أسماء لأمراض خاصة لا تكون الا في أقطار خاصة سمتها العلماء بأسمائها المحلية وهي: بيان ، يوس ، توكيلو ، بيادرا ، كراوكراو .

كل هذه الألفاظ التي التقطتها من شرح القاموس بقي نحو من خمسة اسداسها زائداً لم احتج اليه . وهذا ما يظهر كون اللغة العربية من السعة بحيث تكفي إذا أضفنا اليها الاشتقاق والاستعارة ، لجميع مصطلحات العلوم والفنون وتزيد .

وتكون هذه الزيادة ذخيرة لاحتياجات في المستقبل توجبها الاكتشافات والاختراعات . فحقيقة لغتنا المحبوبة هذه لطمة على وجوه المتوانين الذين يصمونها بالقصور عن اداء المعاني المستحدثة ، وانما القصور في عدم معرفتهم اياها وفي قصر هممهم عن التحري والتنقيب .

ثم اني الحقت بالمعجم فصلاً فيه ايضاحات وتعليلات لبعض ما ورد فيه من الألفاظ ، رتبتها على حروف الهجاء ليطمئن اليها المراجع وهي الفاظ معلّم عليها بنجمة في أصل المعجم اذكر بعض هذه الايضاحات على سبيل الأمثلة كما يلي :

افرنجي Syphiliss — اول من ذكر الافرنجي من مؤلفي العرب هو داود الانطاكي ذكره باسم الحب الافرنجي في التذكرة (٢ — ٧١) وفي النزهة المبهجة المطبوعة في هامش التذكرة (٢ — ١٦٣) ولهذا المرض الآن اسماء كثيرة في مختلف الأقطار العربية مبارك وبلاء وتشويش وفرنجي بمصر ، مبروك على شواطئ الفرات ، بجل بالحجاز وبادية الجزيرة بين النهرين ، غرانصي بالمغرب جحكيل بالسودان ابو خصيان عند بعض عشائر الجزيرة ومنهم الجبور وكلها لا تصلح لاتخاذها مصطلحاً لهذا المرض فالمبارك والمبروك وان قيلا على سبيل التفاؤل كقولهم للديغ سليم الا انهما يخدعان جهلة الناس فيهملون التداوي ظناً منهم انه سمي بهذين الاسمين لسلامته وعدم ضرره . والتشويش لا يفيد شيئاً معيناً والزهري ليس خاصاً بهذا المرض بل يشمل القرحة والرخوة والتعقيبة والورم اللمفوي الحبيبي ومثله البلاء اما البجل فمرض الخيل القريب الشبه من افرنجي البشر وليس منه وباقي الأسماء غريبة . اما الحلاق فيلتبس في الكتابة مع جمع حلقة ويظهر انه والبجل واحد والحلاق هو وجع الحلق فلا مندوحة في تسميته بالافرنجي كما سماه داود الانطاكي .

باذشنام — سميت Lupus بالباذشنام تبعاً لابن سينا ومن أتى بعده فقد جاء في القانون (٣ — ٢٨١) الباذشنام حمرة منكرة تشبه حمرة من يبتدئ به الجذام

يظهر على الوجه وعلى الأطراف في الشتاء والبرد وربما كان معها قروح (٥١٠) . ومثله في بحر الجواهر وجاء تعريف الباذشنام في غاية البيان اتقن وا كثر انطباقاً على وصف هذا المرض في كتب امراض الجلد الحديثة قال انه حمرة في الوجه منكرة تشبه حمرة من يبتدئ به الجذام . وهو ثلاثة انواع النوع الأول يكون في الوجه حمرة فقط والثاني ان تكون تلك الحمره مع بثور صغار والثالث ان يكون متقرحاً ١٥ . ولم يذكر كونه في الأطراف ولم يخصه بالشتاء والبرد .

بطم — جاء في القانون (٣ — ٢٨٧) البطم قروح سوداوية تظهر في الساق من مادة الدوالي بعينها ١٥ . وجاء فيه أيضاً (٢ — ٤١٢) ان كثيراً من الناس الذين بهم طحال اذا عرضت لهم رياضات عنيفة انحدرت المواد الى الساقين فتبثرت وتخرج بها البثور التي تسمى البطم ١٥ . اقول اذا صرفنا النظر عن تعليلات القدماء لحصول الأمراض علمنا ان ابن سينا قصد بالبطم ecthyma فان بثرة هذا المرض شبيهة بحبة البطم وا كثر ظهورها في الساقين وبعد تقرحها تكون قمتها سوداء ثم يتكون عليها قشر اسود لذا سماها ابن سينا سوداوية لأنهم كانوا ينسبون الى السوداء كل ما يظهر اسود في الجسم وقال داود الانطاكي في النزهة المبهجة (٢ — ١٤٦) البثور والقروح هي ما بثر الجلد وطال تقريحه ونزف وجمع . ولها اسماء تارة بحسب هيئاتها فيقال البطم لما كان كحبة ... الخ ... وجاء في بحر الجواهر لمحمد بن يوسف الهروي والبطم ايضاً بثور صغار تعرض في الساق سوداوية كأنها ثمرة الطرفاء او الحبة الخضراء الكبيرة .

بلخية — هذا اسم حبة الشرق في الكتب الطبية العربية .

بنات الليل epinyctis pruriginosa — حكة وخشونة تعرض ليلاً لبرد الهواء وتكاثف المسام وتفتر نهاراً (غاية الاتقان) والقانون (٣ — ٢٩٤) .

بوغ — الذي يكون في اجواف الفقعة (تاج) يريد البزيرات التي تكون في الكمأة وهذا يطابق كلمة sport مطابقة تامة جمعه ابواغ .

تبيغ — قابلت بها الـ hyperémie جاء في التاج تبيغ به الدم هاج به وغلبه وذلك حين تظهر حمرته في البدن ·

تخزّف hyperkératose — صيرورة الجلد كالخزف من فرط تقرن البشرة استعمل ابن سينا هذه الكلمة في القانون (٣ — ٢٨٢)·

حاصة pelade — الحص ذهاب الشعر عن الرأس بحلق أو مرض والحاصة داء يتناثر منه الشعر وقال ابن الأثير هي العلة التي تحص الشعر وتذهبه (تاج) ·

حَبَر pétéchie — الحبر من اكل البراغيث جلده فبقي فيه حبر اي آثار ومن المعلوم ان المؤلفين عند تأليفهم وتعريفهم الـ pétéchie يقولون انها تشبه اثر قرص البرغوث ترجمها بعضهم بالنمش غلطاً فان النمش هو ephelides ·

دقسة الجسم demodex مركبة من كلمتين يونانيتين demos الجسم و dex دودة الخشب وهذه عربيتها دقسة جاء في التاج قال ابن دريد الدقسة بالضم دويبة صغيرة ويفتح او الصواب الفتح ·

سَحْل flanelle — ثوب لا يبرم غزله (تاج) ·

شيْرِبُنَج — هو السعفة الرطبة impetigo larvatis وباليونانية achor استعملها ابن سينا في (ق ٣ — ٢٨٧) وهي بكسر الشين واسكان الياء وضم الباء وفتح النون معربة عن الفارسية شيربنك شير اللبن وبنك اللطخة فيكون معناها لطخ اللبن وهذا يشبه تسمية اللاتين orasta lactea والفرنسيين croûtes de lait اي القشور اللبنية ·

ضباسة cretinisme — الضبيس الثقيل البدن والروح الجبان الأحمق الضعيف البدن القليل الفطنة الذي لا يهتدي لحيلة ضبس الرجل ضباسة قل خيره (التاج)

طلوعات efflorescences — طلوعات تطلق على كل خراج سواء كان خشكريشة أولاً ومنها الدبيلة والحمرة والنملة وغيرها (التذكرة ٢ — ١٣٥) ·

طليًا — بفتح فكسر فتشديد ياء قرحة شبيهة بالقوباء تخرج في جنب الانسان

فيقال للرجل انما قوبا وليست بطليا يهوتون بذلك عليه (تاج) فقوله شبيهة بالقوباء يمكننا من استعمالها مقابل rupia وما ندري لعل طليا وربيا من أصل واحد حرفت الأولى من الأخرى تحريفاً كبيراً ·

عجرة وعجيرة — المعروف أن tubercule تترجم في هذا الزمان بدرن لكن ليس الدرن الا الوسخ لا غير وأظن ان التدرن اخذت من كتاب كامل الصناعتين في البيطرة والزرطقة لأبي بكر البدر البيطار احد البياطرة باصطبل الملك الناصر محمد بن قلاوون حيث سمى احد امراض الرئة في الخيل بالتدرن فظن انه يقصد سل الرئة حين ان المفهوم من التدرن هناك هو توسخ الرئة اعني تغبرها pneumakoniase وقد آن ان نترك الغلط ونرجع الى الصواب · ان tuberculi مصغر tuber وهذه معناها باللاتينية العقدة في الشجرة ويقابلها العجرة بالعربية فتكون tubercul عجيرة فأدعو الى استعمالها ·

غُدْبة — بالضم scrofules عدلت عن داء الخنازير الى كلمة غدبة لانه لا يليق القول لمن كان مصاباً بسل العقد اللمفوية في العنق انَّ بك داء الخنازير فهذا يكون مساوياً لقولنا له انك خنزير او قد اصبحت تشبه الخنازير ان داء الخنازير ترجمة للكلمة اليونانية خويرادس المشتقة من خويروس وهو الخنوص اي ولد الخنزير اما في العربية فيسمى هذا الداء بالغدبة والجوزة والخازباز والكنفشة اخترت منها الأولى جاء في التاج الغدبة بالضم لحمة غليظة شبيهة بالغدد تكون في لهازم الانسان وغيره اما عن اللهزمة فقد قال عظم ناتئ في اللحم تحت الأذن يريد بذلك زاوية الفك الأسفل ·

غربالي — انتراكس كلمة يونانية معناها الجمرة جاء في لاروس القرن العشرين قوله انتقلت الينا هذه التسمية anthrax من الزمن الذي كانت هذه العلة لم تميز بعد من الـ charbon اي الجمرة وقد آن لنا ان ندعي الاشتراك بين المرضين بلفظ واحد وادى ان نسمي الانتراكس بالدمل الغربالي او بالغربالي مقتصراً لأنه

لا شيء سوى دماميل مجتمعة يصير لها ثقوب كثيرة كهيئة الغربال وهذا خير من تسميتها بالجمرة الحميدة ونترك الجمرة (للشاربون) دون ان نسميها جمرة خبيثة ·

فسلجة — جدير بنا ان نعرب كلمة فيزيولوجيا ونسميها فسلجة بحذف بعض حروف العلة فيها كما حذفنا بعض هذه الحروف من جيوغرافيا وقلنا جغرافيا وهذا خير من استعمالها كما هي بطولها ومن ترجمتها بعلم وظائف الأعضاء او مبحث الطبائع او علم الخلقة او علم الغرائز ·

فقعي — fongoïse نسبة الى الفقع بالفتح وبكسر وهو البيضاء الرخوة من الكمأة (تاج) اقول بين لفظتي فقع و fungus قرابة لفظية تدل على وحدة الأصل ·

فلغجوني — كدت اسميها بالحِبْن بكسر الحاء واسكان الباء فهو الـ Phlegmone بعينه لكني تركته لالتباسه كتابة بالحَبَن المحركة وهو الـ ascite جاء في التاج الحبن بالكسر خراج كالدمل وهو أيضاً ما يعتري في الجسد فيقيح ويرم ·

قبرسية - جاء في معجم لاروس الكبير ان Coreperose مأخوذة من الانكليزية Copper ومعناه النحاس ولما كان النحاس يسمى بالعربية القبرس ايضاً سميت هذا المرض بالقبرسية ·

قروت — ecchymose قرت الدم كنصر وسمع قروتا بالضم يبس بعضه على بعض او مات في الجرح ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم وقرت الدم اخضر تحت الجلد من الضرب وقرت الظفر مات فيه الدم ·

لغوي — كتبوا في النسبة الى اللغفاء لنفوي ولنفاوي ولمفاوي ولمفي ولنفي والأصح ان يقال لمفوي قياساً على دنيوي نسبة الى دنيا ·

مثّ — ورد في التاج مثّ العظم : سال ما فيه من الودك ومثّ النحي بالكسر الزق يمث مثّاً رشح وقيل نتح جاء يمثّ اذا جاء سميناً يرى على سحنته وجلده مثل الدهن قال الفرزدق :

تقول كليب حيث مثّت جلودها واخصب من مروتها كل جانب
فالمث اذاً هو seborrée ·

مدش — محركة حمرة وخشونة في الوجه وهو امدش وهي مدشاء والمدش رخاوة عصب اليد وقلة لحمها والأمدش المهزول الخفيف اللحم والأمدش الاصابع المنتشر الأشاجع الرخو القبضة والمدش الحمق المدشاء الحمقاء والذكر امدش · والمدش ظلمة العين من جوع وتشقق في الرجل هذا ما جاء في التاج نقلته مقدماً بعض عباراته على بعض حسب اطوار هذا المرض المعروف عند الافرنج بالـ Pellagre ومنها يرى القارئ المطابقة التامة في تعريف التاج للمدش لاعراض المرض المذكور ·

معروف — كلمة Cummun لها معان مختلفة فيجب ترجمتها حسب المعنى المقصود بها فمن معانيها عام شامل ، مشترك ، مباح للجميع ، مشترك النفع : واذا وصف بها حيوان او نبات او مرض يكون معناها المعروف كما اذا قيل le chien Commun الكلب المعروف الذي تعرفه الناس وتشاهده اكثر من باقي انواعه ·

منطلس — يقال بالفرنسية fruste للمرض الذي لا تظهر اعراضه الا قليلاً او لا تكاد تظهر تشبيهاً بالسكة التي قد انمحت طغراؤها وكتابتها بالاحتكاك والاستعمال ومثلها الرقم والتماثيل التي اندرس ما عليها من الكتابات والنقوش البارزة من تقادم العهد (راجع معجم لاروس الكبير) يقابل ذلك المنطلس بالعربية جاء في التاج · طلس الكتاب محاه ليفسد خطه فاذا انعم محوه وصيره من الفضول المستغني عنها وصيره طرساً فقد طرسه (بالراء) والطلس بالكسر الصحيفة كالطرس لغة فيه او الممحوة لم ينعم محوها وبه فرق الأزدي بينهما والطلاسة مشددة خرقة يمسح بها اللوح ·

ناشئة — هي أحسن كلمة تترجم بها الـ Néoplasme ·

نخب — العض والقرص يقال نخبت النملة تنخب عضت قال ابن سيدة نخبة

النملة والقملة عضتها وفي النهـاية النخب خوق الجلد (تاج) وقال عن الخوق محركة الجرب وقيل هو مثـل الجرب فيمكننا تشبيه حطاط الـ Strophulus بأثر عضة النملة والقملة وتسمية هذا المرض بالنخب ·

نخرة — النخرة و الـ necrose من اصل واحد لفظاً ومعنى فاما ان يكون اللاتين اخذوها عن العرب او اخذها العرب عن اللاتين ·

نسيج خاص — سمي عليّ بن عباس المجوسي في كتابه كامل الصناعة (١ — ٣٥٩) الـ Parenchyme جوهر العضو وسماها ابن سينا (ق ٢ — ٣٥٣) الجوهر الخاص ورجحت تسميتها بالنسيج الخاص ·

نشر — Porrigs لها معنيان باللاتينية احدهما النشر والبسط والثاني الجرب وكذلك النشر بالعربية هي البسط وهو الجرب أيضاً كذا في التاج فيظهر ان ليس هنا مجرد مصادفة بل الواحد مترجم عن الآخر في زمان قديم لا نعلمه ثم سميت Porrigs الامراض الجلدية المعروفة الآن بهذا الاسم فنسميها نحن ايضاً نشراً مجاراة ·

وَحصى — Vorus اسم لنوع من امراض الجلد كالعدة وداء الذقن وغيرهما استعمله Albet بقرب من هذا اللفظ الوحصى بالعربية فهما متناظران لفظاً ومعنى وقد جاء في التاج الوحصى البثرة تخرج في وجه الجارية المليحة فاذا حذفنا من هذه الكلمة كلمتي الجارية المليحة لأن هذه الأمراض لا تختص بالجواري ولا بالمليحات منهن بقي عندنا ان الوحصى بثور تخرج في الوجه وهذا ما اراده البير بكلمة وارس ·

وذم — محركة الفصل والزيادة والثؤلول ولحمات الزوائد تكون في رحم الناقة أمثال الثآليل (تاج) يفهم من هذا انه اراد الـ Polype وقد سماه ابن سينا بباسور الأنف اذا لم يكن له ارجل والأربيان اذا كان له ارجل (ق ٢ — ١٧٢) تشبيهاً بالحيوان البحري كثير الأرجل المسمى بجراء البحر ايضاً وبالفرنسية crevette أما أنا فأرجح الوذم ·

هرص — لا أشك في كون الهرص والـ herpés من أصل واحد ·

هلاس — مهلوس جمع مهلوسون tabétique ·

اكتفي بهذا القدر خوف الاطالة وجلب السآمة وأقول ربما رأى بعض الاخوان ان بين الألفاظ في هذا المعجم الفاظاً غير مأنوسة : وجوابي على ذلك ان الاستعمال كفيل بجعلها مأنوسة ·

اهداء الكتاب

وقد أهديت كتابي هذا الى روح «حنين بن اسحق العبادي» اكبر مترجم وواضع المصطلحات الطبية والعلمية باللغة العربية رحمه الله رحمة واسعة ·

وأخيراً أذكر اني مستعد للاتفاق مع من يشاء من الأفراد والجماعات على طبع ونشر هذا المعجم لأجل اطلاع جمهور الأطباء عليه عسى ان يكون في نشره فائدة ·

(الموصل) الدكتور داود الجلبي

شرح ديوان المتنبي لابن عَدلان

لا للعُكبريّ

لم يُرزق ديوان شاعر من شعراء العرب من الشروح ما رُزقه ديوان ابي الطيب المتنبي لأنه كان شاعر الناس لا شاعر نفسه، وكان ينظم على حسب الأهواء البشرية والطبائع الانسانية فالجادُّ والهازل والمادح والهاجي والحكيم والمستهزئ والحماسيّ والخياليّ والثائر والزاهد وغير هؤلاء من أطوار الناس يجدون طلبتهم في شعره المتين الرصين المكتنز من المعاني والمضامين المكتظّ بها أشد الاكتظاظ . قال الثعالبي في نعت شعره « وقد ألفت الكتب في تفسيره وحلّ مشكله وعويصه وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه [1] » وقال شمس الدين ابن خلكان « واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم : وقفتُ له على أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطوّلات ومختصرات ولم يُفعل هذا بديوان غيره ولا شك أنه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره السعادة التامة [2] » .

وقد ذكر له الحاجي خليفة من الشروح شرح [3] « ابي طالب سعد بن محمد الأزدي المعروف بالوحيد » المتوفى سنة (٣٨٥) ه وشرحين لأبي الفتح عثمان بن جنّي المتوفى سنة (٣٩٢) وشرحاً لكمال الدين محمد بن آدم أبي المظفر الهروي المتوفى سنة (٤١٤) وشرحاً لمشكل أبياته ألفه أبو الحسن علي بن اسماعيل النحويّ المعروف بابن سِيدة المتوفى سنة (٤٢٨) وشرحاً لأبي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الهراس الخوارزمي المتوفى سنة (٤٢٥) ولأبي العلاء المعريّ وقد توفي (٤٤٧) ولأبي الفتح

(١) يتيمة الدهر « ج ١ ص ٩١ » من طبعة الصاوي ١٩٣٤ م — ١٣٥٢ ه

(٢) وفيات الأعيان « ج ١ ص ٣٨ » من طبعة العجم (٣) ذكر اسماعيل باشا البغدادي له ثلاثة شروح لأبي عبد الله اللخمي ولابن عصفور ولابن القويم « ذيل كشف الظنون ص ٥٢٧ طبعة وكالة المعارف التركية .

محمد بن احمد المعروف بابن فورجة وكان حياً في سنة (٤٣٧) ولأبي القاسم ابراهيم بن محمد المعروف بالافليلي النحوي المتوفى سنة (٤٤١) ولعبد الله بن احمد الشاماني المتوفى سنة (٤٧٥) ولأبي الحسن علي بن احمد الواحدي المتوفى سنة (٤٦٨) ولأبي زكريا المعروف بالخطيب التبريزي المتوفى سنة (٥٠٢) ولأبي محمد عبد الله ابن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي المتوفى سنة (٥٢١) ولعبد القاهر بن عبد الله الحلبي المعروف بالوأواء المتوفى سنة (٥٥١) ولأبي البركات مبارك بن أبي الفتوح احمد المعروف بابن المستوفي الاربلي المتوفى سنة (٦٣٧) .

فهذه خمسة عشر شرحاً ذكرها مؤلف كشف الظنون في كشفه ، ولم يصل علمه الى الشروح الأخرى وقد ذكرنا ثلاثة منها في حاشية سابقة ، وبقية الشروح تحتاج الى استقراء عام لتراجم الأدباء فلعل العدد يتجاوز الأربعين .

وفي سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) اخرج بارعلي البادرناري بكلكتة من الهند شرحاً لديوان المتنبي موسوماً بالتبيان منسوباً الى أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى ببغداد سنة ٦١٦ هـ ثم أعيد طبعه ببولاق سنة ١٢٨٧ بذلك الاسم ، إلا أن مؤلف كشف الظنون لم يذكر لأبي البقاء العكبري شرحاً لديوان المتنبي وانما ذكر له تأليفاً في اعراب الديوان قال « وأبو البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري الحنبلي النحوي ، المتوفى سنة ٦٠٦ ست عشرة وستمائة ، ألف في اعرابه كتاباً » . وكان ذكر أن « التبيان » إنما هو في اعراب القرآن ليس غيره .

إن سكوت الحاجي خليفة عن نسبة شرح لديوان المتنبي لا ينفيه نفياً باتاً ولا ضعيفاً فان ابن الدبيثي محمد بن سعيد الواسطي المؤرخ المقرئ المحدث أرخ أبا البقاء العكبري وكان معاصراً له ، وقال[1] « تفقه على مذهب الإمام أبي عبد الله احمد ابن حنبل — رحمه الله ... — ... وأخذ النحو ... وسمع الحديث ... وكان جماعة لفنون من العلم والنحو واللغة العربية ، وشرح المقامات الحريرية وشعر

(١) أصول التاريخ والأدب « ج ٢٠ ص ٢١٣ » نقلاً من تاريخ بغداد لابن الدبيثي المذكور

ابي الطيب المتنبي وغير ذلك ، سمعنا منه ونعم الشيخ كان » . وقال ابن خلكان في ترجمته من الوفيات « وشرح كتاب الايضاح لأبي علي الفارسي" وديوان المتنبي وله كتاب اعراب القرآن الكريم[1] ... » . وذكر شمس الدين الذهبي تصانيفه نقلاً عن ابن النجار في تاريخه وهي « تفسير القرآن ، إعراب القرآن ، إعراب الشواذ ، متشابه القرآن ، عدد الآي ، المرام في المذهب ، ثلاثة مصنفات في الفرائض شرح الفصيح ، شرح الحماسة ، شرح المقامات ، شرح خطب ابن نباتة » . وقال : « ثم ذكر ابن النجار تصانيف كثيرة تركتها اختصاراً[2] » . وقد سرد الصفدي تآليف العكبري فعدّ بينها « شرح شعر المتنبي[3] » ، وذكر السيوطي في البغية كثيراً من مؤلفاته إلا أنه لم يذكر شرح ديوان المتنبي بل قال « وأشياء كثيرة » وذكره ابن العماد في الشذرات . وكيفما كان الأمر فإن من السهل أن يلتبس كتاب « اعراب شعر المتنبي » و « شرح شعر المتنبي » لأن الاعراب ربما يتناول المعنى والشرح ربما يتناول الاعراب ، ولكن من قرأ من القدماء في شرح العكبري ومن نقل عنه ؟ وهل اختلق طابع هذا الشرح النسبة اختلاقاً لترويج سوقه ؟ فان الأدلة ناطقة بأنه لغير ابي البقاء العكبري .

لا نظن أنّ ذا دين متين يفعل ذلك فضلاً عن المأمون في العلم والثقافة ، ويجب علينا البحث عمن نقل من هذا الديوان ، فلعل نسبته الى العكبري كانت قديمة وان عدّت سقيمة ، وقد بحثنا فوجدنا أنّ السيد علي خان المعروف بابن معصوم مؤلف سلافة العصر يقول في « باب التكرار » من كتابه الموسوم بأنوار الربيع في علم البديع بعد ايراده قول المتنبي :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ا ب (م) ن العارض الهتن ابن العارض الهتن

ماهذا نصه « قال العكبري في شرحه : سمعتُ شيخي أبا الفتح يقول إن كان هذا من العي فحديث رسول الله ﷺ أصله ، فقد قال — ع — : الكريم ابن

(١) الوفيات » ج ١ ص ٣٠٨ » من طبعة العجم (٢) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٤ ص ٢٦١ » (٣) نكت الهميان « ص ١٧٨ — ١٨٠ »

الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم[1] » .
وهذا القول نفسه وارد في الشرح المعروف بشرح العكبري إلا أنّ ابن معصوم تصرّف به بعض التصرّف فأخر لفظة « يوسف » وحذف اسم الشيخ وهو « نصر الله ابن محمد الوزير المعروف بابن الأثير الجزري[2] » . وقد توفي ابن معصوم بشيراز سنة (١١٢٠) ه وكان قد سافر الى الهند وأقام بها في كنف والده وبها تخرج على عدّة من جهابذة الأدب ، فالظاهر أنه نقل من نسخة الشرح المنسوب الى العكبريّ وبقيت بعد ذلك حتى طُبعت في سنة ١٢٦١ ه في الهند نفسها أو أنه جاء بالنسخة الى الهند وحُفظت هناك ثم أُخرجت الى الناس مطبوعة في التاريخ المذكور . وأيًا ما تكن الحال فانا لا نظن أن الذي نسب الشرح الى العكبريّ كان من الهنود لأنّ في دار الكتب الوطنية بباريس نسخة من هذا الشرح رقمها « ٣١٠٥ » من العربيات وهي غفل من اسم المؤلف أعني شارح الديوان ، وعلى هذا تكون النسخة الهندية في الأصل كهذه النسخة ولكن بائعها أو أو مُهديها أحب ان يجعل لها مؤلفاً ، فاختار لها عالماً كبيراً شهيراً هو ابو البقاء العكبري لأنه رأى في ترجمته أنه شرح شعر المتنبي .

كيف نُسب الشرح الى العكبري ؟

إن فريقًا من المؤلفين على اختلاف تآليفهم كانوا يقصرون في اثبات أسمائهم في مؤلفاتهم ، كأنهم كانوا يجهلون أنّ في التأليف حظوظاً وقسماً كسائر شؤون الدنيا ، فكانوا يكتفون بالاعتماد على تلامذتهم في حفظ اسمائهم واثباتها في تلك التآليف أو يذكرونها في اول الكتاب أو في أثنائه فإن ذهب أول الكتاب من كتبهم جُهل اسم مؤلفه ، وهذا الذهاب يكون أحياناً على يد منافس لهم او مبغض اياهم ، وكانوا جديرين ان يذهبوا في ذلك مذهب المسعوديّ عالم القرن الرابع الأوحد ، ومؤرخه الفذّ في التحقيق ، فانه كرّر اسمه في تآليفه على ما يرى

---

(١) أنوار الربيع « ص ٣٠٧ » (٢) شرح ديوان المتنبي « ج ٢ ص ٤٢١ » بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٠٨

الرأي في مروج الذهب والتنبيه والاشراف حتى ليستطيع الواجد كراسة منها ان يعرف انها من تأليفه باشارته الى اسمه في مواضع كثيرة ، أجل إن أولئك الفريق كأنهم ساعدوا الغِيَر أو العدوّ على اضاعة اسمائهم فأورثوا من بَعدَهم علماً يتيماً ، وتراثاً نهباً لعلهم كانوا — رحمهم الله — فيه من الزاهدين .

ومن تلك التآليف المضاعة أسماء مؤلفيها هذا الشرح العظيم الجسيم الذي ذكرنا قبل هذا ان احد العلماء نسبه الى ابي البقاء العكبري بعد ان وجده غفلاً ، ومما يحتمل أيضاً في هذا الأمر أنه وجد اسم المؤلف ناصلاً نِقسُه باليةً حروفه أو مأروضة أرضه ، إلا ان وجود النسخة الباريسية غُفلاً من اسم المؤلف يدل على ان الورقة الأولى من شرح الديوان قد سقطت أو قطعت وان الشارح لم يقل في أوله « قال فلان » يعني نفسه ، كما هو عادة كثير من المؤلفين المنصفين لأنفسهم لأن من ألف فقد استهدف .

ولقد كنتُ أشرتُ الى أن هذا الشرح لم يكن من تأليف أبي البقاء العكبري في مجلة الثقافة المصرية[1] ، وذهبت بي الظنون المذاهب في معرفة المؤلف ، فاتخذت لمعرفته أسلوباً يتبادر الى الذهن الأخذ به قبل غيره وهو حسبان أن الاسم مصحف من « أبي عبد الله الحسين الاربلي » فهذا الاسم قريب من « عبد الله ابن الحسين العكبري » عند التصحيف أو التصحف ، والسبب في اختياري اياه أنه كان معنياً بديوان المتنبي ، وكان من كبار أدباء الشام ، روى له قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الكناني « ٦٩٤ — ٧٦٧ » ه بواسطة ، عدّة أبيات أنشدها من نظمه بجامع دمشق وهي :

يقولون قد أُوتيتَ علماً فبثّه ... على مستحقيه تثاب وتؤجرُ
فقلت صدقتم لو أصبتُ ولم أُصبْ ... مع الجهل إلا مَن يُفاد فيكفرُ
فضنّي بعلمي عذرُه ما سمعتم ... فان شئتم لوموا وان شئتم اعذروا

(١) ج ١٧ ص ٤٩ وما بعدها .

ثم قال عز الدين الكناني « هو أبو عبد الله حسين بن ابراهيم بن الحسن بن يوسف الهذباني وقيل الكوراني الاربلي ، نزيل دمشق الصوفي ، سمع الحديث من أبي طاهر الخشوعي ، روى عنه الحافظ شرف الدين الدمياطي وغيره ، وكان أديباً فاضلاً عالماً بالمقامات والحماسة وخطب ابن نباتة و [ديوان] المتنبي ، مولده سابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسمائة . وتوفي يوم الجمعة ثالث ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة بدمشق ودُفن من الغد — رحمه الله —[1] » .

وترجمه السيوطي بأبسط من هذا قال « قال ابن رافع في تاريخ بغداد : كان أديباً فاضلاً بارعاً مشهوراً بالفضل والرواية حسَن السمت عارفاً بكلام العرب ، صاحب مُفاكهة وأخبار ومحاضرة ومعرفة جيدة باللغة ، سمع من الخشوعي وأبي اليمن الكندي وجماعة . وقال الذهبي : عُني عنايةً وافرةً بالأدب وحفظ ديوان المتنبي وخطب ابن نباتة والمقامات ، وكان يعرف هذه الكتب ويحلّ مشكلها ، تخرج به جماعة من الفضلاء ، وكان ديّناً ثقةً جليلاً ، روى عنه الشرف الفزاري واخوه والدمياطي ، مولده في يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسمائة . وتوفي يوم الجمعة ثاني ذي القعدة وقيل ذي الحجة سنة ست وخمسين وستمائة بدمشق[2] » .

وذكره ابن تغري بردي في المنهل الصافي وقال إنه وُلد باربل . والاشارة الى مولده من الأمور المهمة ، إلا انه ذكر ان وفاته كانت سنة (٦٥٣) وهو وهم منه ، وكأنه أصلحه في النجوم الزاهرة فذكر الوفاة صحيحة[3] ، وقد وُجد سماع شرف الدين الاربلي لديوان المتنبي في نسخة « ه » من الطبعة الجامعة التي أخرجها الدكتور عبد الوهاب عزام ، ولكنه ورد بصورة « شرف الدين بن الحسين بن ابراهيم الاربلي »[4] . وله ترجمة قصيرة في شذرات الذهب هي تكرار لبعض ما ذكره المؤرخون[5] .

(١) أصول التاريخ والأدب من مجموعاتنا الخطية « مج ٥ ص ٧٨ ــ ٩ » نقلاً من تعليقة الشعراء والمنشدين الموسوم بنزهة الألباء لعز الدين عبد العزيز بن جماعة الكناني .

(٢) السيوطي في « بغية الوعاة ص ٢٣١ » (٣) ج ٧ ص ٦٨ (٤) ديوان أبي الطيب المتنبي المقدمة ص (ز) بمطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٣٦٣ ه — ١٩٤٤ م

(٥) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧٤ — ٥

نفي نسبة الشرح الى العكبري

كنا نفينا نسبة شرح الديوان المذكور الى العكبري نفياً مرسلاً ، فيه شبه دليل هو خلو النسخة الباريسية من اسم المؤلف ، على أنَّ كون نسخة منه غفلاً من اسمه لا يستلزم ان لا يكون في المخطوطات نسخة أخرى أو نسخ أُخرى مكتوب عليهن اسم المؤلف ، فعدم اسم المؤلف لا يصح اتخاذه ذريعة الى نفي نسبته إلى العكبري ، ولذلك وجب علينا ان نذكر أدلة النفي مسلسلةً فنقول :

(١) قال الشارح في أول الديوان « اما بعد فاني لما اتقنتُ الديوان الذي انتشر ذكره في سائر البلدان على الشيخ الامام ابي الحرم مكي بن ريّان الماكسيني بالموصل سنة تسع وتسعين وخمسمائة وقرأته بالديار المصرية على الشيخ ابي محمد عبد المنعم بن صالح[1] التيمي النحوي ... » وابو الحرم مكي الماكسيني هذا الذي ذكره نحوي ضرير مشهور توفي بالموصل سنة « ٦٠٣ » وترجمته مثبتة في معجم الأدباء ووفيات الأعيان وتاريخ الاسلام ونكت الهميان وبغية الوعاة وغيرها من الكتب ولا سيما التي تذكر الوفيات على حسب السنين[2] ، وكان معاصراً لأبي البقاء العكبري ، ذاك في الموصل وهذا ببغداد ، ولم يكن شيخاً للعكبري في علم من العلوم ولا مسمعاً له .

والشيخ عبد المنعم بن صالح النحوي أديب مصري قال فيه الصفدي « عبد المنعم ابن صالح بن احمد بن محمد ابو محمد المصري المسكي النحوي المعروف بالاسكندراني ، كان علامة ديار مصر في النحو واكثر عن ابن برّي وروى ديوان ابن هانئ المغربي بسند غريب وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وصنف كتاب « تقويم البيان لتحرير الأوزان » في العروض ، وضعه على بقية تقويم السنة كتقويم الصحة وغيره وملكتُ منه نسخة وخطه عليها سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وكتبه بالقاهرة .. »[3]

---

(١) في الطبعة الشرقية (صباح) وهو خطأ طبعي (٢) مثل كامل ابن الأثير والجامع المختصر وذيل الروضتين وتاريخ الاسلام . (٣) أصول التاريخ والأدب (مج ٦ ص ٨٧) نقلاً من الوافي بالوفيات .

وذكره الامام العلامة زكي الدين المنذري شيخ ابن خلكان قال في وفيات سنة (٦٣٣) ما نصه «وفي ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي الشيخ الأجل الفاضل ابو محمد عبد المنعم بن أبي البقاء صالح بن احمد بن محمد النحوي المعروف بالاسكندراني بمصر، ودفن من الغد بقرب ضريح الامام الشافعي - رضي الله عنه - قرأ الأدب على العلامة ابي محمد عبد الله بن بري النحوي وانقطع اليه وبه تخرّج ثم توجه الى الاسكندرية وأقام بها مدة يقرئ العربية وسمع من ابي الثناء حماد بن هبة الله الحراني وحدّث بشيء من شعره وغير ذلك وكتب الخط الجيد، سمعتُ منه وسألته عن مولده فقال: يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة خمس واربعين وخمسمائة بمصر. وكان يقول: نحن من بني تيم من ولد أبي بكر الصديق وابي من مسكة وأمي كنانية صعبيّة من عذراء. ومسكة هذه التي ذكرها قرية بالساحل قريبة من عسقلان[1] ...» وترجمة السيوطي في بغية الوعاة وفي ترجمته فوائد أخرى[2].

فيظهر مما ذكرنا من ترجمة ابي محمد عبد المنعم الاسكندراني أنه يدخل في باب الامكان التاريخي ان يكون تلميذاً لأبي البقاء العكبري لأنه ولد سنة «٥٤٥» وتوفي سنة «٦٣٣» والعكبري ولد سنة «٥٣٨» وتوفي سنة «٦١٦» فلا يجوز العكس ثم إنه - اعني الاسكندراني - لم يدخل العراق والعكبري لم يدخل مصر، فكيف يكون شارح الديوان «ابا البقاء العكبري» وشيخه ابومحمد عبد المنعم الاسكندراني - اعني شيخ شارح الديوان - ؟ هذا من الأمور المستحيلة. ثم إننا سنورد من الأخبار ما يثبت أن الشارح كان تلميذاً لأبي البقاء.

(٢) والدليل الثاني أنا قد نقلنا فيما أسلفنا انّ شارح الديوان المنسوب خطأ الى العكبري قال في موضع من الشرح «فسمعتُ شيخي أبا الفتح نصر الله بن

---

(١) المرجع المذكور ج٢٧ ص ٣٩٥ نقلاً من «التكملة لوفيات النقلة» لزكي المنذري المذكور.
(٢) بغية الوعاة ص ٣١٥

محمد الوزير الجزري يقول : إن كان هذا عياً لحديث النبي ﷺ أصله ...[1]».

ومن الجلي ان شيخ الشارح هذا هو ابن الأثير الثالث مؤلف «المثل السائر» وغيره من التآليف الرائقة الفائقة وقد توفي سنة «٦٣٧» قال المنذري في وفيات تلك السنة «وفي احدى الجمادين توفي القاضي الأجل الفاضل ابو الفتح نصر الله بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المنعوت بالضياء المعروف بابن الأثير وله تصانيف مشهورة في النظم والنثر منها المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وغير ذلك ومولده بجزيرة ابن عمر في العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[2] ...» ، ولضياء الدين تراجم كثيرة واخبار وافرة ، فقد ذكره ابن خلكان وابن الفوطي ، وابن تغري بردي والسيوطي وغيرهم ، فكيف يكون شيخاً لأبي البقاء العكبري وقد وُلد بعد ولادة ابي البقاء بعشرين سنة ؟ وتوفي بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة ؟ بله أننا لم نرَ في سيرة العكبري اشارة الى انه اخذ عن احد ابناء الأثير الثلاثة ، فمن المحال إذن ان يكون مؤلف الشرح أبا البقاء العكبري .

(٣) والدليل الثالث قوله في شرح بيت المتنبي :

يدبر الملك من مصر الى عدنٍ إلى العراق فأرض الروم والنُوبِ

«والذي ذكره ابو الطيب لم يملكه وما تأمر فيه سوى الملك الكامل ابي المعالي محمد بن ابي بكر بن أيوب فانه ملك اليمن كله وملك مصر واعمالها والشام واعمالها وخُطب له بالموصل وهو أول اعمال العراق وكان أمره فيها ويدبرها وملك آمد وهو اول اعمال الروم[3]» . وأسلوب الشارح في ذكره سعة ملك الملك الكامل يدل انه متأخر زمانُه عن زمانِه ، وكانت وفاة الملك سنة «٦٣٥» كما في التواريخ . على أنّ قوة الدليل الثالث هذا تتوجه على كون الملك الكامل ملك مدينة «آمد»

(١) شرح ديوان المتنبي المذكور ج٢ ص٢٢١ من الطبعة الشرفية (٢) أصول التاريخ والأدب مج ٢٧ ص ٤١٠ نقلاً من التكملة لوفيات النقلة للمنذري المذكور .

(٣) شرح الديوان ج ١ ص ١٠٩

وكان احتلاله اياها سنة «٦٣٠» قال ابن تغري بردي في حوادث هذه السنة «فيها فتح الملك الكامل محمد صاحب الترجمة «آمد» وأخرج منها صاحبها الملك المسعود بن مودود بعد حصار طويل[1] ...» . فكيف يذكر العكبري حادثة وقعت بعد وفاته بأربع عشرة سنة؟ هذا شيء لا يقبله العقل مطلقاً، فالشارح إذن غير أبي البقاء العكبري .

(٤) والدليل الرابع من جنس الثالث فقد قال الشارح في شرح قول المتنبي «أنساعُها ممغوطة وخفافُها» ما هذا هو «قال الشيخ ابو محمد عبد المنعم بن صالح النحوي عند قراءتي عليه هذا الديوان، ومُذ وصلت الى هذا البيت : سألني الملك الكامل ابو المعالي محمد بن ابي بَكر بن ايوب ملك الديار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت[2] ...»، وهذه حكاية عن أمر قديم بعض القدم بالاضافة الى الشارح، فانَّ الملك الكامل ولي الملك سنة «٦١٥» أي قبل وفاة ابي البقاء العكبري بعدّة اشهر، وهذا لا يُوافق مضمون الحكاية التي حكاها الشارح فانه ذكره على كونه ملكاً من قبل الحكاية، ولتاريخه بعض القدم، وهذا يُحيل أن يكون العكبري الشارح .

(٥) والدليل الخامس هو انَّ الشارح كان بصيراً ولم يكن ضريراً مُذ كان صغيراً كأبي البقاء العكبري، فقد قال في الشرح «قال الشريف هبة الله بن علي بن محمد الشجري العلوي في الأمالي له ونقلته بخطي[3] ...» ومن المعلوم أنَّ الضرير لا يقول «ونقلته بخطي» فالشارح غير العكبري بدلالة هذا الدليل .

(٦) والدليل السادس هو أنه ورد في الشرح ما يدل على ان الشارح دخل الموصل او كان من أهلها وانحدر الى بغداد ثم ارتحل الى الكوفة طالباً للعلم او مسافراً الى بلاد الشام او بلاد الحجاز، قال في شرح قول المتنبي :

فان يكن المهدي مَن بانَ هديه   فهذا وإلاّ فالهدى ذا فما المهدي ؟

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٩   (٢) شرح الديوان ج ١ ص ١٣

(٣) شرح الديوان، نسخة باريس برقم ٣١٠٥ من العربيات ورقة ٣٣٢

ما نصه « وذهب قوم الى أنه معيّن وهو محمد بن الحسن العسكري وانه اختفى وهو صغير في سرداب دار ابيه بسُر مَن رأى والدار الآن مشهد يُزار وقد زرته في انحداري من الموصل الى بغداد[1] ... » . وقال الشارح ايضاً في قول المتنبي :

وردنا الرُهيمة في جوزه وباقيه أكثر مما مضى

« الرهيمة موضع بقرب الكوفة ... وقال بعضهم : الرُهيمة قرية عند الكوفة وهو الصحيح لأني رأيت بالكوفة جماعةً ينسبون اليها ولكنها خربت في الاربعمائة[2] ... » . ومن المعلوم ايضاً أن ابا البقاء العكبري لم يكن من اهل الموصل ولا دخلها ولا دخل الكوفة ، فكيف يكون هو الشارح لهذا الديوان ؟

(٧) والدليل السابع على نفي كون الشرح هذا للعكبري هو أنْ لمؤلفه كتابين في النحو لم يذكرا في كتب ابي البقاء العكبري ولا في كتب غيره وذلك مما يدل على أنّ شارح الديوان كان محدوداً في ذكر التاريخ لتآليفه فلم يذكرها ، قال في الكلام على « كلا » ما هو نصه « وقد استوفينا هذا بأبسط[3] منه بكتابنا الموسوم بنزهة العين في اختلاف المذهبين[4] » وقال في الكلام على مسألة أخرى وأمر آخر « وقد بيّناه في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة »[5] .

هذه هي الأدلة التي استطعنا ان نقيمها على نفي ان يكون الشرح المعروف بشرح العكبري ، من تأليف العكبري ، وهي أدلة جمعناها في اثناء تصفحنا للشرح المذكور ، ولو كان لنا متسع من الوقت وقرأناه بالترتيب والتعقيب لزادت عندنا الادلة زيادة لا نعلم مقدارها .

يتبع : (بغداد) **مصطفى جواد**

---

(١) شرح الديوان ج ١ ص ٢٧٩ من الطبعة الشرفية المذكورة . (٢) الشرح المذكور ج ١ ص ٢٨ (٣) يعني بأكثر بسطاً وشرحاً (٤) الشرح المذكور نسخة باريس المذكورة في الورقة ٦٩ (٥) النسخة الباريسية في الورقة ٣٦٩ ، ولم يذكر هذا الكتاب في كشف الظنون ولا في ذيله ، ثم ان الأول لم يذكر فيه أيضاً ، فهذا الشارح لم يكن سعيداً في مؤلفاته .

كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

- ٢ -

تتمة ما كتب عن الرسالة الأولى

قلنا في آخر المقال السابق إنه لم يبق من الكلام على الرسالة الأولى وهي رسالة (المعاد والمعاش) الا الأبحاث اللفظية وما يتخللها من الفوائد اللغوية : من ذلك ألفاظ فصيحة وتعابير طريفة وقعت في تلك الرسالة يحسن اقتباسها والعمل على إحيائها :

قوله (ص ٢) (حُمَيّا الشِّرَّة) و (حُمَيّا الحداثة) وهذا كما نقول سكر الشباب . وحُميّا كلّ شيء سورته ونشاطه وحِدّته .

وقوله (نسيجَ وحدك ، أو أوحدِياً في عصرك) . التعبير الأول مألوف معروف . أما قوله : أوحدياً في عصرك فهو بمنزلة قولنا اليوم (فريد عصرك ونادرة زمانك) .

ومن ألطف تعابيره قوله يمدح (ابا الوليد) من حيث جعل عقله يتغلّب على هواه فقال : (حكّمت وكيل الله عندك — وهو عقلك — على هواك) والحسن فيه أنه جعل العقل وكيلاً عن الخالق عز وجل أقامه في البشر يطالبهم بالكفّ عن الشرّ والاقبال على الخير . ومثل هذا التعبير في الحسن تسمية القاضي الفاضل لحمام الزّاجل بـ (ملائكة الملوك) فهي تهبط عليهم من وقت الى آخر بأخبار الأرض كما تهبط الملائكة على الأنبياء بأخبار السماء . على أن تعبير الجاحظ ربما كان أمثلَ وأفضل من الوجهة الدينية . وإن كان التعبيران سواسية من حيث حُسن الصناعة اللفظية .

قوله ص ٤ هذا الشيء لا يكاد يخفى على الغُباة (فكيف يخفى على مثلي من المتصفحين) : تصفح الشيء تأمل فيه . وتصفح الوجوه تأمل فيها متفرّساً ليتعرّف أمرها . ويستوضح سرّها . وقد أطلق الجاحظ الوصف بـ (المتصفحين) على

العلماء مريداً ما نريده اليوم بقولنا العلماء المدققين ، والعلماء المحققين ويحسن أن نستعمل (المتصفحين) في وصف علماء الآثار والتاريخ وطبائع البشر استرشاداً بقول الجاحظ نفسه في ص ٦ فقد أعاد استعمال (التصفح) قائلاً (ومعلوم أن طول دراسة الكتب والنظر فيها إنما هو تصفح عقول العالمين الخ) وهل يكون المؤرخ والاخباري والاجتماعي والعالم بالآثار الا متصفحاً لعقول البشر . متأملاً في طبائع الأمم . ولفظ (معلوم) نستعمله اليوم بكثرة حتى أصبحنا نعدّه من التعابير اللينة التي يحسن اجتنابها . ومثله قولنا (لا يخفى عليك) و (لا يخفى أن الأمر كذا وكذا) .

ويستعمل الجاحظ في كلامه كثيراً فعل (الاجترار) فيقول (إن الله تعالى طبع خلقه على حبّ اجترار المنافع) ونحن نقول اجتلاب المنافع ، واكتساب المنافع . وابلغ منهما أن يقال : احتجان المنافع .

ويستعمل ايضاً وصف (مدخول القلب) في من يُضمر السوء والحقد لآخر : من (الدَخَل) وهو الخديعة والمكر (لا تتخذوا أيمانكم دَخلاً بينكم) .

وقوله ص ١٨ (أمرٌ لا بد منه ولا مزحل عنه) اي لا محيد عنه ولا منتدح عنه . ولا متسع للفرار والخلاص منه : يقال زَحلَ عن مكانه اذا تنحى عنه وتباعد قال الشاعر :

(ومقامٍ ضيق فرّجته بلسانٍ وبيان وجدل)
(لو يقوم الفيل أو فيّاله زلّ عن مثل مقامي وزَحل)

وُصحّف في بعض الكتب (زحل) الى (رحل) بالراء المهملة والأول أصوب .

وفي ص ٢٦ يذكر أن للسلامة في هذه الحياة الدنيا قوانين تجب مراعاتها ولا عبرة بسلامةٍ تأتي بعد مغامرة أو على سبيل الاتفاق . ثم قال (وما كثر مجيء السلامات إلاّ لمن أتى الأمور من وجوهها وانما الأشياء بعوامّها) قوله (عوامها) جمع عامة اي الحالة العامة الغالبة . فالجاحظ يقول ان العبرة في الأشياء بما وقع منها في أعمّ أحوالها . وعبّر عن ذلك بقوله (الأشياء بعوامها) وهذا

مثل ما نقول اليوم (العبرة بالأعم الأغلب) ثم قال بعد ذلك (فلا تكونَنَّ لشيء مما في يدك أشدَّ ضنًّا . ولا عليه أشدَّ حدَباً) . حدَب عليه تعطف عليه . وفلان حدِبٌ على ذوي قرابته (بكسر الدال) أي شديد العطف عليهم . وقد كثر استعمال فعل (الحدَب) بين كتاب العصر حتى كأنهم استوحوه من استعمال الجاحظ له .

***

وقد وقع في رسالة (المعاد والمعاش) أغلاط هفا بها قلم الناسخ أو سها عنها ذهن الطابع من ذلك :

قوله ص ٣ (أخرجك (أي عقلك) سليمَ الدين . وافر المروءة . نقيَّ العرض . كثير البرّ . آمن الجدَة) (الجدَة) سعة الرزق ويقال أمِنَ الأسدَ إذا سلم منه : فكيف تكون سعة الرزق آمنة . ومن أيّ شيء تخاف حتى تأمن ؟ . فلعل الصواب (أمين النجدة) اي جعلك عقلك مأموناً موثوقًا في نفوس المستنجدين بك . فلا تخذلهم ولا تتخلى عن نصرتهم . وإذ ذاك تتناسب فقرة «أمين النجدة» والفقر التي تقدمتها . أو يقال إن معنى «آمن الجدة» أنَّ رزقك آمنٌ من الزوال ، ونعمتك من النقصان : لشكرك الله عليها . مذ وفقك الى إنفاقها في عمل البر واسداء الجميل . واصطناع المعروف .

وقوله ص ٣ (فلما محضتك الخبرة) محضه الودّ أخلصه . وصدَق فيه . والخبرة الاختبار . ولعل صوابه أن يكون أحد فعلين إما (مخضتك) بالخاء والضاد المعجمتين من مخض اللبن استخرجَ زبده . أي إن الاختبار أعثرنا على ما فيك من الكفاية والنجدة والنبل وسائر خصال الخير – وإما ان يكون (محصتك) اي بالحاء والصاد المهملتين : من تمحيص الذهب وهو تخليصه من الشوائب . وكذلك الاختبار فانه يُزيل عن الممدوح ما يُظنُّ أنه فيه من الشوائب والنقائص .

قوله ص ٧ يعيب الكتاب الذين يذكرون الأشياء والوقائع من دون أن

يعللوها او يبينوا أسبابها : (فهم لم يعدوا في ذلك منزلة الضنِّ بها) : (يعدوا) أي يتخطوا ويتجاوزوا . والضنّ (بالضاد) بمعنى البخل . ولعل صوابه (الظنّ) بالظاء المعجمة . اي ان هؤلاء الكتاب في سردهم الوقائع من دون أن يذكروا تعليلاً لها إنما هم يظنونها ظناً . ولا يعلمونها يقيناً . ولا معنى لقولنا (انما هم يبخلون بها) . أو يأول بأن الكتاب الذين لا يعللون الأشياء انما هم يحرصون على تدوينها بخلاً بها عن الضياع . أو انهم يبخلون بها على غيرهم لئلا يفهمها . ويستفيد منها . وكله تكلف ما عدا الذي قلناه أولاً .

قوله ص ٧ (فألفت لك كتابي هذا اليك) (لك) اي لأجلك فلا حاجة لقوله (اليك) . اذ ليس المراد بالكتاب الألوكة والرسالة التي يقال فيها بعثت بكتابي أو رسالتي أو ألوكتي إليك .

وقوله : حتى تستمال بذلك قلوب الناس (وتُؤنس بعد الوحشة وتسكن بعد النفار) صوابه (وتأنس) .

قوله ص ٨ في وصف كتابه الذي ألفه لأبي الوليد وقد بين فيه العلل وكشف عن الأسباب . وقد أطال في وصف ما توخاه فيه من الإجادة والإحكام ثم قال : فإن أحسنتُ في ذلك (كان عمرك — وان قصُرَتْ أيامه — طويلاً . وفارقتَ ما لا بد لك من فراقه محموداً إن شاء الله) لعل صوابه : كان عمري أنا وفارقتُ ما لا بدّ لي من فراقه أنا : على معنى أن الناس بعد موت الجاحظ يذكرونه ويُثنون عليه . فهو طويل العمر بالذكر والثناء . وان كان قصيره بالأيام والسنين ثم إذا فارق الناس بالموت فارقهم محموداً مثنياً عليه بما اصطنعه من الابداع في ذلك الكتاب . اما اذا كان الأصل هو الصواب وان الجاحظ يخاطب أبا الوليد بقوله : (وان قصُرَتْ أيام عمرك) فيكون قد أراد بمضمون كلامه ما أراده الشاعر بقوله :

(ومن دَرَى أخبار من قبله أضاف أعماراً الى عمره)

ولكن هل يحسن ان يفجأ الجاحظ (ابا الوليد) بمثل هذا الخطاب الذي يذكّره بقصر ايام عمره . واين هو من بداعة الاستدراك في قول القائل :

(إنّ الثمانين وبُلِّغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان)

وقوله في ص ١٠ (ولم تتلقّنه بقوة) ضمير تتلقنه يرجع الى الغِنَى . والتلقين إنما يستعمل في الألفاظ والأقوال . والغنى وبسطة العيش ليسا مما يُلقَّن تلقيناً . فصوابه (ولم تتلقّه) من التلقي . أو الأصوب (ولم تبلُغْه) من البلوغ .

وقوله في ص ١٣ يجب أن يأخذ الوالي رعيته بالرغبة أو الرهبة ولا يحسبن أن احداً من دون رهبة أو رغبة (يصلح له ضميره أو يصحّ له) الأولى في هذا المقام ان تكون (ينصح له) مكان (يصح له) الا اذا كان تعبير (صحّ فلان لفلان) بمعنى أخلص له — معهوداً في زمنهم .

وقوله ص ١٧ (التواني يوجب التضييع . والجدّ يوجب رخاء الأعمال) (الرخاء) في اللغة سعة العيش . ولا معنى له هنا . فلعل صوابه (وفاء الأعمال) اي تمامها واكتمالها . يقال : وفى الدرهمُ والكيلُ وريشُ جناح الطائر — كل ذلك إذا بلغ حدَّه من الكمال والتمام .

قوله ص ٢١ يصف الخصال التي يحسن بالمرء ان يستظهر بها على عدوّه (وأشرفها أن تأخذ عليه بالفضل وتبتدئه بالحسنى) فقوله تأخذ عليه بالفضل تعبير غير معهود فلعل (عليه) محرف من (علّته) اي سوء حالته المعاشية . أو هو محرف من (عيلته) بمعنى فقره وخصاصته . وفعل (الأخذ) هنا بمعنى المعاملة : ألا تسمعهم يقولون : أخذه باللين والرفق . وأخذه بالشدة والعنف . ويكون معنى الجملة هنا أن تُعامل فقر عدوك وخصاصته ورقة حاله بفضلك وإحسانك . وقد تفنن الجاحظ في وصف طرائق الاستظهار على العدوّ وختمها بقوله (ولستَ مستظهراً على عدوك بمثل طهارتك من الأدناس وبراءتك من المعايب) وما قاله الجاحظ نظمه الشاعر بقوله :

(إذا ما رمتَ إرغام الأعادي بلا سيفٍ يُسَلُّ ولا سنان)
(فزد في مكرماتك فهي أعدى على الأعداء من نُوَبِ الزمان)

قوله ص ٢٢ يصف الانتفاع بالأصحاب والأعوان وانهم اجناس : لا يصلح أحدهم لما يصلح له الآخر من الخدم . وسدِّ الثلم . والقيام بالمهات قال : وقد قيل في الحكمة : (إن الخلالَ تنفع حيث لا ينفع السيف) ظن الناسخ أو الطابع (ان الخلال) جمع خلة بمعنى الخصلة فقال (تنفع) بتاء المضارعة وصوابه (ينفع) بالياء لرجوع ضميره الى (الخلال) وهو لفظٌ مفرد بمعنى العود الذي تُخلَّل به الأسنان من بقايا الطعام : فللسيف الصقيل موضع . ولهذا العود الضئيل موضع . لا يصلح أحدهما أن يقوم فيه . مقام أخيه . على أن إرادة (الخلال) بمعنى الخصال ممكنة على حدِّ ما ورد في الاثر (يُنال باللطف ما لا ينال بالعنف) غير أن المعنى الأول أبلغ وأقوم .

قوله في ص ٢٧ (فان اعتقاده (أي اعتقاد الصديق الوفي) أنفسُ العقدة) ومعنى اعتقاده اقتناؤه واتخاذُه عُقدَةً اي قنية : فالعقدة والقنية ما يُقتنى من الضياع والعقارات . وجمع العقدة عُقَدٌ فقوله (أنفس العقدَة) صوابه (أنفس العقد) .

قوله في ص ٢٨ يذكر أن اللئيم إذا أساء اليه من تحته من الضعفاء غضب واستطال . وان أساء اليه من فوقه من الأقوياء (أغضى وسمَّى ذلك حُزناً) صوابه (حَزْماً) بالميم .

قوله في ص ٣١ ينصح للمرء ان لا يكثر من معاتبة صديقه ثم قال (عاتبه في ما تشتركان في نفعه وضرِّه . وذلك في الَهنات) (الَهنات) جمع هَنة ويكنى بها عن توافه الأمور ومحقراتها . ولا أظن الجاحظ يعني هذا بدليل قوله بعد (وتجافَ للصديق عن بعض غفلاته) فكيف يأمره بمعاتبته في توافه الأمور ثم يأمره بمسامحته في بعض غفلاته . فالَهنات محرّفة عن (المهمات) أي انما تصلح معاتبتك لصديقك في المهمات التي تشتركان في نفعها وضرها .

وقوله يوصي بأن لا يتذلَّل المرء لصديقٍ له رفعته الدنيا الى المناصب ولا يرجحه (على نظرائه في الحفظ والإكرام) لعل صواب (الحفظ) (الحَفد) وهو الإسراع في الخدمة ومنه الحفيد : أي عامل صديقك بعد وزارته كما كنتَ تعامله قبلها .

وقوله ص ٣٢ (فلا تستقبلها بالتضجّع وتغبين الرأي) أي لا تستقبل الشدائد إذا نزلت بك بالتضجع : وهو القعود عنها والاستسلام لها . والتقصير في تداركها . وقوله (تغبين الرأي) لا معنى له وصوابه (تفييل الرأي) وهو ضعفه وعجزه ومنه قولهم فلان فائل الرأي .

وقوله ص ٨٤ يوصي أن لا يجعل المرء أمواله كلها في عقارٍ واحد ولا في حيّزٍ واحد (وقد قال بعض الحكماء فرّقوا المنية واطلبوا الأرباح بكل شِعب) قوله (المنية) خطأ صوابه القنية .

وقال بعد ذلك في أن من سياسة الرعية العفو عنهم أحياناً ثم قال في تحديد معنى العفو (والعفو ما بُلغ به الاستصلاح واكتُفي به من البسط) يريد أن حدّ العفو هو القدر الذي يُستصلح به العاصي ويُستغني به عن عقوبته . فكلمة (البسط) محرّفة عن كلمة أخرى بمعنى العقوبة . أو أنه اطلق لفظ (البسط) مريداً به بسط اليد بالعقوبة . يقول العرب (بسط الوالي يده على فلان) و (بسط الوالي العذاب على بني فلان) فالبسط يفهم منه معنى الايقاع والتنكيل والعقوبة . وللبسط معنى مولّد ينتهي إلى معنى العقوبة . فإذا قال الوالي لأعوانه : ابسطوا فلاناً المجرم كان معناه ابسطوا له بساطاً ألقوه عليه واجلدوه . أو ابسطوه هو نفسه على الأرض واجلدوه . و (البسط) بهذا المعنى مستعملٌ في اللغة العراقية الدارجة اليوم وكأن العراقيين استوحوها من استعمال أديبهم الجاحظ لها . والكلام على الرسالة الثانية من رسائل الجاحظ يأتي في العدد الآتي .

المغربي

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ — ٦٣٠ هـ)

— ٣ —

حادث الانفصال من الأيوبيين

تقلبت السياسة كثيراً بأمراء هذه الأسرة ، وتابعت الأوضاع التي تستدعي هذا التحول ، فلم تبق خالصة للأيوبيين كما كانت حالتها مع الأتابكة ، فرغبت عنهم وخلصت للدولة العباسية في المحرم سنة ٦٢٨ هـ .

قال في مرآة الزمان : « بعد موت صلاح الدين ما زال — مظفر الدين كوكبري — منتمياً الى بيت العادل ، مصافياً لهم حتى مال الأشرف[1] الى بدر الدين لؤلؤ ، وعزم على اخذ اربل منه ، فاستنجد عليه بالخليفة المستنصر ، فنهاه عنه ، فانتحى اليه ، فقدم بغداد ومعه مفاتيح اربل والقلاع ، فالتقاه الموكب ، وجلس له جلوساً عاماً في صحن السلام ، وقعد في شباك المبايعة ، وحضر ارباب الدولة وصعد على الدرج وبايع الخليفة ، وطلب منه يده ليقبلها ، فناوله اياها ، فجعل يقبلها ويبكي ويقول : « الحمد لله على هذا المقام ، ما وصل اليه غيري . » اهـ

وخاطبه الخليفة بأجمل خطاب ، وقدم الخليفة الخيل والتحف والهدايا ، فأعطاه الخليفة أضعاف ذلك ، وخلع عليه خلع السلطنة وعاد الى اربل ، وقطع خطبة بني العادل ، واقتصر على خطبة الخليفة . » اهـ[2]

---

(١) توفي الملك الأشرف في ٤ المحرم سنة ٦٣٥ هـ .

(٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي اختصار قطب الدين اليونيني .

وفي تاريخ ابن كثير : « وفيها — في سنة ٦٢٨ هـ — دخل الملك المظفر ابو سعيد كوكبري بن زين الدين صاحب اربل الى بغداد ، ولم يكن دخلها قط ، فتلقاه الموكب وشافهه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين . وكان ذلك شرفاً له غبطه به سائر ملوك الآفاق وسألوا ان يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك ، فلم يمكّنوا لحفظ الثغور ، ورجع الى مملكته معظماً مكرماً . » اهـ[1]

وفي الحوادث الجامعة جاء التفصيل أكثر قال : « في المحرم سنة ٦٢٨ هـ وصل الى بغداد مظفر الدين ابو سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوچك صاحب اربل ، ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك ، وكان معه محيي الدين يوسف ابن الجوزي ، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي ، وكانا قد توجها اليه في السنة الخالية فخرج الى لقائه فخر الدين احمد بن مؤيد الدين القمي نائب الوزارة والأمراء كافة والقضاة والمدرسون وجميع ارباب المناصب ، فلقوه على نحو من فرسخ ، ولقيه فخر الدين ابن القمي بظاهر السور[2] واعتنقا راكبين ثم نزلا ، فقال له فخر الدين لما انتهى الى مقار العز والجلال ، ومعدن الرحمة والكرم والافضال ، لا زالت الأبواب الشريفة ملجأً للقاصدين ، والأعتاب المنيفة منهلاً للواردين ، وصولك يا مظفر الدين رسم أعلى الله المراسم الشريفة وامضاها ، وانفذ أوامرها في مشارق الأرض ومغاربها وأمضاها ، قصدك وتلقيك واحماد مساعيك اكراماً لك واحتراماً لجانبك ، فيقابل ما شملك من الانعام بتقبيل الرغام ، والدعاء الصالح الوافر الاقسام المفترض على كافة الأنام والله ولي امير المؤمنين . فقبَّل الأرض حينئذ مراراً ، ثم دخلوا جميعاً الى البلد فلما وصل باب النوبي ، ساق فخر الدين ونزل مظفر الدين وقبَّل العتبة ، وعضده الأجل نور الدين ابو الفضل بن الناقد احد حجاب المناطق بالديوان ، ثم ركب وقصد دار الوزارة فلقي مؤيد الدين القمي وجلس هناك ، وركب نائب الوزارة وولده وجميع ارباب الدولة والأمراء ، وتوجهوا نحو دار الخلافة .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ١٢٩

(٢) هو السور الممتد من شمالي قلعة بغداد ، الدائر حول بغداد حتى ينتهي الى دجلة بالباب الشرقي .

فأما مؤيد الدين وولده وخواصه ، فدخلوا من الباب القائمي بالمشرعة . وأما الولاة والأمراء فدخلوا من باب عليان وباب الحرم ، وانتهى الجميع الى تحت التاج على شاطئ دجلة ، ووقفوا تحت الدار الشاطئية ذات الشبابيك ، ثم استدعى مظفر الدين من دار الوزاره بالأمير عز الدين الب قرا الظاهري وبأحد خدم الخليفة . فحضر فرفعت الستارة فقبل الجميع الأرض ، وكان قد نصب تحت الشباك الأوسط كرسي ذو درج ، فرقى عليه نائب الوزارة وأستاذ الدار ابن الناقد ، ومظفر الدين ، وسلم مظفر الدين مشيراً بيده الى الشباك تالياً قوله تعالى ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)) فرد الخليفة عليه السلام . فقبل الأرض مراراً ثم شكر الخليفة سعيه ، فأكثر من تقبيل الأرض والدعاء فأسبلت الستارة وعدل بمظفر الدين الى حجرة ، فخلع عليه فيها ، وقلد سيفين وقدم له فرس بمركب ذهباً ومشدة[1] ، ورفع وراءه سنجقان مذهبان وخرج من الباب القائمي المعروف بباب التمر بالمشرعة ، وبه كان قد دخل ومضى والناس في خدمته الى حيث أنزل بدار شمس الدين علي بن سنقر . بدرب فراشا وأنزل جماعة من الأمراء الواصلين معه في دور في عدة محال ، وباقي عسكره في المخيم ظاهر البلد وأقيمت له ولأصحابه الاقامات الوافرة ثم سأل زيارة المشاهد والربط ببغداد فعمل له في كل مكان وليمة ، وصلى في جامع القصر جمعتين داخل الرواق الى جانب المنبر ، ثم حضر في منتصف صفر مؤيد الدين القمي نائب الوزارة وولده والجماعة الذين حضروا يوم دخوله وجرت الحال على ما تقدم شرحه ، وخاطبه الخليفة بما طابت به نفسه ، فقبل الأرض وابتهل بالدعاء وتلا قوله تعالى ((يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)) ثم أسبلت الستارة وخلع عليه في تلك الحجرة وأعطي كوسات وأعلاماً وخمسين الف دينار برسم نفقة الطريق ، وبرسم حاشيته واصحابه عشرة آلاف دينار . وخرج من هناك الى دار الوزارة وحضر جميع اصحابه فخلع عليهم بحضوره ،

(١) المشدة : مما تزين به الفرس في عنقها .

وأقام بعد ذلك اياماً ثم خرج الى مخيمه بظاهر سور سوق السلطان [١] وتوجّه الى بلده ، وكانت مدة مقامه ببغداد عشرين يوماً ، ومضى معه محيي الدين بن الجوزي ، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي ، وعادا في ربيع الأول واخبرا ان مظفر الدين حلف امراءه واعيان اهل بلده على طاعة الخليفة وتسليم البلد عند وفاته اليه . » [٢]

وفي هذا النص وفي الذي قبله جاء ان مظفر الدين كوكبري لم يكن قد دخل بغداد قط قبل هذه المرة . وهذا محلّ نظر . كان قد جاء اليها يشكو حاله الى بغداد من الجفاء الذي أصابه من مجاهد الدين قايماز ، فلم ينل قبولاً ...

وفاته :

جاء تاريخ وفاته في تواريخ عديدة . وهذا نص ما ورد في الحوادث الجامعة :

«في ٧ رمضان سنة ٦٣٠هـ ورد الخبر الى بغداد بوفاة مظفر الدين ابي سعيد كوكبري ابن زين الدين علي كوچك صاحب اربل » اهـ [٣] ولم يعين تاريخ وفاته بالضبط .

وقال في مرآة الزمان : « كانت وفاته في رمضان بقلعة اربل ، وأوصى ان يحمل الى مكة فيدفن في حرم الله تعالى . وقال استجير به ، فحمل في تابوت الى الكوفة ولم يتفق رواح الحج في هذه السنة الى مكة ، فدفن عند امير المؤمنين علي » اهـ

وهنا تعينت الوفاة في رمضان ولا شك انها قبل السابع منه .

حياته السياسية :

وهنا يهمنا الكلام في حياته السياسية . وهذه تعرف من الحوادث المارّة ، ظهرت المواهب الكبيرة منه في اربل اثناء امارته الثانية . وتأييداً لذلك نذكر النصوص التالية مقتصرين على ما يؤدي الغرض وبقدر الحاجة .

فقد جاء في مرآة الزمان : « — بعد أن عدد مناقبه قال — : ومع هذه المناقب ،

(١) باب سوق السلطان هو باب المعظم اليوم . وسوق السلطان يبتدى من الميدان وينتهي الى المستنصرية ويسمى : سوق الثلاثاء . (٢) الحوادث الجامعة ص ١٩ الى ٢٣ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٦٦

فلم يسلم من ألسنة الناس ، يقولون يصادر رئيس ديوانه ودواوينه وكتابه ويستأصلهم ولعله اطلع منهم على خيانات ، فرأى اخذ الأموال وانفاقها في أبواب البر والقربات أولى . وذكروا شيئاً آخر . ومن ذا الذي من ألسنة الناس يسلم . اللهم غفراً .»اه[1]

ومن حجّابه ابو العباس احمد بن عبد السيد الاربلي الملقب صلاح الدين ، من بيت كبير باربل . كان حاجباً عنده فتغير عليه واعتقله مدة فلما أفرج عنه خرج من اربل قاصداً بلاد الشام ، فنال مكانة عند الأيوبيين ، وكان اديباً شاعراً . توفي في ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٣١ [2] .

ولعل سخطه على مثل هذا الحاجب مثل سخط الملك الكامل الأيوبي عليه وتفصيل الخبر في ابن خلكان ... اما الثقافة والدين والعمل الاجتماعي الصالح فهذا قد أفرد له بحث خاص ... [3]

اربل تعود للخلافة العباسية

فتح اربل :

جاء عن فتح اربل بعد وفاة الأمير مظفر الدين كوكبري ما نصه : «كان ايوب بن الكامل في آمد ، واسماعيل بن العادل في سنجار فسار كل منهما الى اربل ليأخذها لنفسه ، وجرى ما لا يليق بين الاثنين وكان سبقهما عسكر الخليفة ، فتسلَّمها ، ورجعا ، وكان قد عصى بقلعتها خادمان ، ففتحت عنوة ، وجرى بها ما لا يجوز من النهب والقتل والذل والهوان .» اه[4]

والتفصيل عن هذا الحادث لا يكفي فيه هذا الاجمال . فماذا عمل هؤلاء وكيف تمّ النزاع بينهما ، فهذا ما جاء متأخراً عن فتح اربل ، وخير من نستنطقه في هذا الموضوع ، فيتكلم بسمة الكتاب المسمى بـ (الحوادث الجامعة) . فقد تعرض للحادث بتفصيل . قال : في سابع[5] عشر شهر رمضان ، ورد الخبر الى بغداد بوفاة

(١) مرآة الزمان : المطبوع ص ٦٥٢ ج ٨ (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٨٣
(٣) ابن أبي عذيبة ج٥ ص ١٣٩ ومرآة الزمان ، وابن خلكان . (٤) مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٥٢ (٥) سياق التاريخ الآتي بعده يستوجب أن يكون : رابع عشر شهر رمضان .

مظفر الدين أبي سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوچك صاحب اربل فتقدم الخليفة بتعيين جماعة من الأمراء يكون مقدمهم الأمير ارغش الناصري الرومي ، وعلاء الدين الدكز الناصري للتوجه إلى اربل وتقدم الى ظهير الدين ابي علي الحسن ابن عبد الله عارض الجيش بالتوجه أيضاً فتوجهوا مصعدين في خامس عشر الشهر .

وفي ثالث شوال ، توجه شرف الدين ابو الفضائل اقبال الشرابي بالعسكر فوصلوا في ثالث عشر شوال ، وكان في القلعة خادمان احدهما اسمه يرنقش والآخر اسمه خالص ، كانا قد كتبا الى الخليفة والى عماد الدين زنكي صهر مظفر الدين والى بني ايوب حيث ثقل مظفر الدين في المرض يعرفانهم ذلك وقالا : من سبق الينا كانت منتنا عليه . وكتبا الى الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل ابي المعالي محمد يعلمانه بموته ويحثانه علي المجيء فلما شاهدا عساكر الخليفة سقط في أيديهما ، وعلما انه قد انتهى الى الخليفة ما فعلا فامتنعا من فتح البلد فلما رأى الشرابي انهم اغلقوا ابواب المدينة دونه ، استدعى الأمير جمال الدين قشتمر وقال له : ما لهذا الأمر سؤال واذا فعلت شيئاً لا يسع غيرك الا موافقتك فركب في الحال من غير استراحة ودار ليله أجمع حول البلد وهم على السور بالأضواء والطبول ثم قسم أبواب البلد على الأمراء وضرب هو خيمه مقابل باب عمكا واللونه اعظم الأبواب واكثر المقاتلة هناك ، ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه ، ويصل نشاب الجرخ اليه ولم يزل نهاره اجمع يرقب ما يعملون ويشاهد ما يصنعون وفي الليل يدور على العساكر ويحرض على الحراسة والحفظ ، والشرابي يراسل الخادمين المذكورين ويخوفهما عاقبة العصيان فسألا ان يؤخرا يومين فأجيبا وكان غرضهما ان يصل الملك الصالح ايوب المقدم ذكره ، فلما انقضى الأمد نفذ جمال الدين قشتمر الى احد زعمائهم وقال له : أخلفتم الوعد ، وخوفهم وحذرهم ، فردّ عليه جواباً غير مرضيّ ثم رمى وراء رسوله بالنشاب فوقع قريباً من الأطناب فقال قشتمر لجماعة من مماليكه اقربوا منهم وتحرشوا بهم فأخذوا في سبّهم ورموا بالنشاب الى جهتهم فما

زال الأمر يزداد حتى وقع الزحف على البلد وقت العصر واشتد الرمي من فوق السور بالنار وأنواع السلاح ، وكثر في الفريقين القتل والجراح وسار قشتمر حتى وقف على الخندق فاشتد القتال حينئذٍ وقوي جأش المقاتلين بوجوده فركب الشرابي في لامة حربه ووقف على نشز فأخبر قشتمر بركوبه فقصده ووقف الى جانبه ، فساعة اجتماعهما اخبرا بالنصر والفتح وتسليم القلعة ، ونهب أوباش العسكر بعض دورها ، واستولى العسكر على البلد عنوة ، وكتب الشرابي على جناح طائر الى الخليفة بصورة الحال فحصل الاستبشار بذلك ، وضربت الطبول على باب النوبي ، وافرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان وأوردوا قصائد تتضمن الهناء بهذا الفتح والنصر . فمن اورد القاضي ابو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني قصيدة أولها :

ما يثبت الملك بين الخوف والخطر   حتى يقام ويسقى من دم البشر
لكل شيء طريق يستفاد به   وليس للعز غير الصارم الذكر

ومنها :

ما فتح اربل عن بخت لذي دعة   ولا اتفاقاً كبعض النصر والظفر
لكنه كان قصد القادرين وأ(م) عال المطيعين عن قصد وعن فكر
فليسمح الأشعري اليوم لي فأنا   في فتح اربل لا ألوي على القدر

وقال اخوه عز الدين عبد الحميد[1] الكاتب قصيدة ، اتفق له فيها ان الوزير كان ترتيبه يوم سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وفتح اربل يوم سابع عشر شوال سنة ثلاثين فقال :

يا يوم سابع عشر شوال الذي   رزق السعادة اولاً واخيرا
هنئت فيه بفتح اربل مثلما   هنئت فيه وقد جلست وزيرا

وتقدم الخليفة ، باحضار الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة فكوتب

(١) راجع الوفيات ٢ : ٢٨٩ وروضات الجنات في ترجمته نقلاً عن معجز الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي مؤلف هذا الكتاب .

بالحضور فوصل من البصرة الى رابع ذي القعدة ، وحضر نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة فشافهه بولاية اربل وتقدم اليه بالتوجه اليها على فوره ، فتوجه من وقته فوصلها في تاسع عشر الشهر وحضر عند شرف الدين اقبال الشرابي في المخيم بظاهر اربل ، فخلع عليه وقلده سيفاً وأمطاه فرساً وأعطاه كوسات واعلاماً ، فركب في جمع كثير من الأمراء والأجناد ودخل الجامع فقرئ عهده به بمحضر من أهل البلد وغيرهم ، تولى قراءته ظهير الدين الحسن بن عبد الله ، وكان قد عين عليه لوزارته ، وركب الى القلعة ونزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفر الدين ، ثم خلع الشرابي على ظهير الدين الحسن بن عبد الله ثم على ظهير الدين الحسن بن المصيطنع وجعله مشرفاً عليه ، ورتب معها كاتباً الأجل ابن عبدان النصراني ثم رتب جمال الدين بن عسكر الأنباري عارضاً للجيش هناك ، وجعل عليه مشرفاً عز الدين محمد بن صدقة وخلع عليهما فلما قرر القواعد وفرغ مما يريده رحل عائداً الى بغداد والأمراء والعساكر في خدمته ، فوصل الى الخالص في عاشر ذي الحجة فنزل بقرية تعرف «بقرية ابي النجم» فخرج الخلق الكثير الى تلقيه فصلى هناك ونحر وضحى ومدّ سماطاً عظيماً ، ثم رحل في حادي عشر ذي الحجة متوجهاً الى بغداد ، فلما وصل ظاهر سوق السلطان خلع على جميع اصحابه ومن كان في خدمته من النواب والأتباع والحاشية ، وخرج اليه جميع الولاة وأرباب المناصب والأماثل والأعيان فلقوه بظاهر السور ولم يتخلف أحد من الخروج سوى الوزير ، ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند المسناة في شبارة الخليفة وقبلها وتضرع بالدعاء وبكى فخشع الحاضرون لبكائه ثم نزل فيها وانحدر الى دار الخلافة فتلقى بالاكرام ثم خلع عليه وقلّد سيفين وقدم له فرس فركبه من باب البستان ورفع وراءه سنجقان ، وأما الأمراء جميعهم فانهم دخلوا البلد وقصدوا دار الخليفة ، ودخلوا من باب الحرم بموجب مارسم لهم وجلسوا في باب الأتراك الى ان خرج راكباً فقبلوا يده ومشوا بين يده إلى باب الباتني[1] ثم ركبوا وساروا في خدمته الى داره

(١) لعله القائمي .

بالبدرية فلما نزل عن مركوبه خدموا وعادوا قاصدين دار نصير الدين نائب الوزارة فلقوه فخلع عليهم اجمعين ، وأعطى كل واحد فرساً بمركب وخمسة آلاف دينار وأنعم على من دونهم على قدر مرتبته من الألفين الى الخمسمائة ، ثم خلع على جميع المماليك الناصرية والظاهرية والمستنصرية وأعطى كلّ واحدٍ خمسين ديناراً ، ثم انعم على جميع الجند ومماليك الأمراء والعرب من ثلاثين الى خمسة عشر » اه (١)

اربل في حوزة العباسيين

من النصوص المارة تبين لنا ان اربل صارت في حوزة الدولة العباسية في ١٧ شوال سنة ٦٣٠ هـ — ١٢٣٣ م فوليها أمراء دامت في أيديهم الى ان انقرضت الدولة العباسية بالمغول وبينهم من يسمى (زعيماً) وهو اميرها ، ومن يسمى صدراً وهو الوالي ، وهؤلاء أشهر ارباب المناصب فيها :

١ — الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة . اول امير من جانب الخلافة ولي زعامتها في ١٩ ذي القعدة سنة ٦٣٠ هـ — ١٢٣٣ م (٢) .

٢ — تاج الدين علي بن الدوامي . كان قد نقل من ديوان عرض الجيش الى (صدرية ديوان اربل) ، خلع عليه وتوجه اليها سنة ٦٣٢ هـ وعاد منها في سنة ٦٣٣ هـ مفارقاً للخدمة بها . وكانت قد حدثت واقعة للمغول في تلك السنة ، اجتازوا باربل قاصدين الموصل ، فعاثوا بها اشد العيث . وقد حوصرت سنة ٦٣٤ هـ . ولما بلغهم وصول عسكر الخليفة عادوا . وهاجموها في سنة ٦٣٥ هـ ، فوجدوا استعداداً في الحراسة ، فمالوا عنها . جرى ذلك كله في أيام زعيمها باتكين .

٣ - تاج الدين محمد بن الصلايا العلوي ، أمر بالتوجه الى اربل وتجديد سورها ، وعمارة ما خرب من دورها ونفذ معه كركر الناصري ليكون مستحفظاً بقلعتها وعين الأمير بهاء الدين ايدمر الاشقر الناصري زعيماً بها . وكان زعيمها الامير شمس الدين باتكين قد فارقها في سنة ٦٣٥ هـ . وكان قد اطلق

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٥ : ٥٠ (٢) الحوادث الجامعة ص ٤٨

في ايام زعامته معظم الضمانات وأزال المكوس والضرائب ، وأسرع في اصلاح السور وحفر الخندق[1] .

٤ ــ في سنة ٦٣٧ هـ في شهر رمضان استدعى الامير بهاء الدين ايدمر الأشقر زعيم اربل الى دار الوزارة فقبض عليه وعلى جميع أصحابه ... وحبس ، ثم قبض على ابن غزالة مشرف اربل ، وفراس الواسطي كاتبها واحضر الأمير الحلي مكلباً (مكلبة) ورتب زعيماً في اربل وخلع عليه . وفي سنة ٦٣٨ هـ عزل من الامارة لضعف رأيه وسوء تصرفاته .

٥ ــ رتب عوض الأمير مكلبة آقسنقر الناصري . وكان الصدر بها تاج الدين محمد بن نصر بن الصلايا العلوي المدائني . قتله هولاكو سنة ٦٥٦ هـ . وكان كريماً جواداً فاضلاً متديناً يبالغ في عقوبة من يفسد او يشرب[2] . وبوفاته صارت اربل للمغول ودخلت في ادارتهم سنة ٦٥٦ هـ .

يتبع : (بغداد) **عباس العزاوي**

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٦٨ و ١٨٢ وهناك ترجمته .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٣٧ .

كتاب التمهيد في بيان التوحيد

في حيازة صديقنا الشيخ فوزي عطية من علماء مدينة عكاء نسخة من كتاب التمهيد في بيان التوحيد الذي لم نطلع الى الآن على انه مثّل بالطبع ولم نعرف ان له نسخة أخرى في أحدى دور الكتب العامة او الخاصة وهي نسخة حسنة في بابها تأليف الامام المهتدي ابي الشكور محمد بن عبد السيد بن شعيب السالمي اللّيثي ويظهر انّ النسخة كانت تملكها أسرة تركية اللغة وان كانت عربية الموطن لأن مدينة عَيْن تاب وهي بلد من أعمال حلب في القديم وقاعدة ولاية تركيّة اسمها « غازي عينتاب » اليوم معدودة من بلاد العرب بدليل ماقاله ياقوت الحموي عنها

عين تاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدُلوك ودلوك رستاقها وهي الآن من اعمال حلب . ويقول عن دُلوك بليدة من نواحي حلب بالعواصم ١٠ هـ .

وتناولتُ عينتاب التي غلبت على اهلها اللغة التركيّة فأنستها عروبتها فلم تقبل الانخراط في سلك سورية وجاهدت طويلاً حتى فازت ببقائها في البلاد التركية ومنحها المرحوم الغازي مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية السابق لقبه الخاص لبلائها الحسن . قلت تناولتها وخصصتها بالذكر لأنها مسقط رأسي ومنبت غرسي ومثوى عشيرتي وأهلي . ولئن شطّ بنا المزار ونأت عنا الدار الآن فالنفس تتوق الى مكان ولادتها ومحل رضاعها ومع انها اليوم عمالة تركية فهي معدودة في بلاد العرب وكانت في الأصل من اعمال حلب كما تقدم في قول ياقوت الحموي .

وهذا ما كُتب في الصفحة الأولى من الكتاب وهو من القطع الصغير :

هذا الكتاب من مواهب الملك الوهاب

الى العبد الفقير ذي الأذناب [1]

---

(١) كذا في الأصل ولا شك انه يقصد بالأذناب الذنوب .

احمد بن المهاجر من العينتاب
عفي ذنوبها يوم الحساب
بالنبي وآله والأصحاب

وتحته باللغة التركية :

بيك سكسان اوچ سنه سنده رمضان شريفك يكرمى بدنجى كه قدر كيجه سيدر صبح صادق دوغديغى وقتده ام الحبيبه دنيايه كلدى .

وتعريبها : ولدت ام الحبيبة عند بزوغ الفجر الصادق من الليلة السابعة والعشرين التي هي ليلة القدر من شهر رمضان المبارك لسنة ثلاث وثمانين والف» .

قلنا : وواضح ان ام الحبيبة هذه هي مولودة لكاتب السطور المذكورة اعلاه .

ما كُتب في الصفحة الثانية من الكتاب :

هذا الكتاب من مواهب الملك الوهاب
الى العبد الفقير ذي الأذناب [1]
يحيى بن يعقوب المهاجر من العينتاب
غفر ذنوبها يوم الحساب
بالنبي والآل
والأصحاب

وتحته خاتم نقشه : نائل ايله يحيى لي
الهى دوار بنه

«وتعريب ما في الخاتم : إلهي أنِل يحيى مراده» .

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام المهتدي ابو الشكور السالمي وهو محمد بن عبد السيد بن شعيب الليثي رحمه الله . الحمد لله ذي المنّ والآلاء والعظمة والكبرياء والجود والعطاء

(١) كذا في الأصل ولا شك انه يقصد بالأذناب الذنوب .

والهيبة والبهاء ذي الفضل والاحسان والكرم والامتنان والحجة والبرهان عظيم شأنه وسيع عفوه وأمانه صريع ذله وهوانه بالحجة على العلماء والمحجة على الأولياء ظاهر بالاثبات عند أهل العقول باطن عن الادراك بالوصل والوصول صانع العالم وهو عالمٌ به ومحدث الكون وهو حافظٌ له ومنشئ العرش وهو مستغنٍ عنه فالعلماء شهدوا بوحدانيته والأولياء اعتقدوا وأيقنوا بفردانيته والعقول حارت واحترزت عن كنه صفات جبروته وجلاله والأرواح تحيَّرت عن بيان قطعه ووصاله منزه عن خبر الأحداث والحينونة ومقدس عن ملازمة الأقدار والبينونة ليس للعالم اليه مجال ولا للّون له محل وحال ولا للعرش له واليه مآل واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله وامينه لولاء الأئمة والانصراف عن مكينه بتجلي العظمة والانكشاف شاهد بمكنون الرتب وغائب عن مضمون الريب صديقه الصديق وأمينه الوثيق وشهيده الرفيق وختنه الشقيق وآله وأمّته عدد كل ذي روح ومن في ذمّته .

وبعد فقد سألني بعض اخواني ان امهّدلهم أصول المعرفة والتوحيد مقدار مايكشف بالعبارة ويدرك بالاشارة فأجبتهم لذلك بعد ما استخرت الله تعالى في طلب الصواب هداية لأولى الألباب فاستنبطت هذا الكتاب وسميته التمهيد في بيان التوحيد وهو هداية لكل مسترشد ورشيد واستوثقت بفضل الله وبالله العون والتوفيق .

قال الامام المهتدي ابو الشكور السالمي رحمه الله اعلم بأنّ العقل شيء لطيف لم يدرك كيفيته في أوهامنا ولم يثبت عندنا من الفقهاء قول صحيح في العقل وقالت الفلاسفة بأن العقل جوهر مضيء محسن مفيد يحل في الروح ويثبت لها الحياة كالروح في الجسد فيكون للروح حياة واحوال باتصال العقل كما للجسد باتصال الروح له وهذا قول لا دليل فيه من طريق النص والقياس ولو كان العقل مجاوراً بالروح ملاقياً به مظهراً حياته مفيداً لمعانيه لكانت الأرواح قائمة موجودة قبل الأجساد باقية ثابتة بعد الوفاة والعقل لم يفد فائدة علاقات الروح كالفائدة في هذه الحالة بدليل انه ليس بذاكر لما مضى من ايامه وما كان يهزأ بأحواله وأعماله دلّ على ان هذا غير صحيح الخ .

ناسخ الكتاب المجهول

وبآخره : تمّ هذا الكتاب على يد أفقر العباد واحوجهم الى الله الملك الوهاب هذا اليوم ويوم المعاد المقصر المذنب الخطي عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات من اهل السنة والجماعات وعفا عمّن دعا له بالخير آمين آمين آمين ٠

حجم الكتاب وعدد أوراقه

وأنت ترى انه لم يذكر اسمه رحمه الله تعالى وعفا عنه وقد كُتب الكتاب بخطين متخالفين فأوّله بحبر اسود واكثره الى آخره بعناوين حمر وهو جميل الخطّ مشرق المداد بالقطع الصغير طوله ١٩ سانتيمتراً وعرضه ١٢ سانتيمتراً وعدد ورقات الكتاب ٢١٠ ورقات ويظنّ انه من خطوط المائة التاسعة او ما قبلها ٠

ما ذكره عنه صاحب كشف الظنون

والمؤسف اننا لم نهتدِ الى الزمن الذي وُجد فيه المؤلف الغزير المادة الواسع الاطلاع فان الحاج خليفة المشهور بملا كاتب جلبي مؤلف كشف الظنون والمتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ١٦٥٧ م لم يزدنا في بيانه عن المؤلِّف والمؤلَّف بسوى هذه الأسطر القليلة قال[1] :

« تمهيد في بيان التوحيد : لأبي شكور (كذا) محمد بن عبد السيد بن شعيب الكشي[2] (كذا) السالمي الحنفي اوله الحمد لله ذي المنّ والآلاء الخ وهو مختصر في أصول المعرفة في التوحيد ذكر فيه ان القول في العقل كذا وفي الروح كذا الى غير ذلك فأورد ما يجوز كشفه من علم الكلام » ٠

عبد الله مخلص

(١) كشف الظنون طبعة القسطنطينية ج ١ ص ٣٣١ ٠

(٢) الكشي بالطبع هي محرفة عن الكَشّي ٠

مخطوطات ومطبوعات

معجم القرآن

تأليف عبد الرؤوف المصري في ٦٦٠ صفحة موقعة على جزئين
وقد طبع في مطبعة بيت المقدس في القدس سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

أمنية كان يتمناها كل محبٍ للقرآن عاكف على تلاوته وفهم آياته — تحققت أو كادت تتحقق في هذا المصنف المسمى (معجم القرآن) فالتالي لكلام الله اذا أشكل عليه المراد من بعض ألفاظه أمكنه ان يرجع الى هذا المعجم الذي رُتبت فيه مفردات القرآن الغامضة بالنسبة الى الجمهور ترتيباً قاموسياً جديداً سهلاً : ذلك أن الكلمات قد رتبت فيه بحسب أول حرفٍ منها لا بحسب مادّتها الأصلية . فيجد التالي للقرآن شفاء نفسه من تفسير ما غمض عليه من كلام ربه .

ومؤلف الكتاب فاضلٌ مصريٌ مقيم في نابلس يزاول التعليم في معاهدها (على ما أظن) . وهو مشهور بكنيته (ابورزق) (خريج الأزهر والجامعة المصرية وجامعتي برلين وڤينا والمدرِّس فيهما سابقاً) فمن هذا التوصيف للمؤلف يُدرك القارئ أنه ابن بجدة ذلك العمل الذي تصدّى له .

ومفردات القرآن نوعان ألفاظ لغوية مفاهيمها معان تكفلت ببيانها تفاسير القرآن وكتب اللغة — والفاظ هي اسماء ذوات ولها مفاهيم مادية او تاريخية او طبيعية أو فنية وهي التي تكفلت بشرحها وبيان غامضها المعاجم التي تسمى (دوائر معارف) أو (مَعْلَمَات) وتسمى في اللغات الأجنبية (انسكلوبيدي) (encyclopedie) على أن تفاسير علمائنا الأقدمين شرحت هذه الألفاظ التاريخية والفنية لكنه شرح مقتضب مضطرب : اعتمدوا فيه على كلام الاولين وأساطير الأقدمين (الامرائيليات) وقد تكفل معجم (ابي رزق) بشرح الغامض من

كلا القسمين : الألفاظ اللغوية المعنوية . والألفاظ المادية والتاريخية والفنية وما اليها . ويمكننا أن نسمي هذا القسم بالكلمات (الانسكلوبيدية) وان معرفة المؤلف (ابي رزق) للعلوم العصرية تساعده على تجويد العمل في تفسير هذا القسم من الألفاظ مثل إعصار وعين حمئة . وعرش بلقيس والهدهد ويأجوج ومأجوج والسدّ الذي بناه ذو القرنين وناقة صالح وحُوارها . وبقرة بني اسرائيل وأخبارها الى غير ذلك . ولعل المؤلف يضع لنا معجماً (دائرة معارف) خاصة بأمثال هذه الأشياء التاريخية والطبيعية والفنية الواردة في القرآن فيسهب في شرحها وبيان المراد منها . وبيان ما اذا كانت واقعية حقيقية او هي من قبيل الامثال والدلالات الرمزية . على نمط ما فعله الدكتور بوست في كتابه (قاموس الكتاب المقدس) .

وقد جمع معجم (ابي رزق) المُهدى الينا بين الاختصار والفائدة : فهو أحق من غيره من المختصرات بقولنا (مختصر مفيد) وقد رأينا المؤلف يقتصر أحياناً في تفسير الكلمة القرآنية على القول المشهور من أقوال المفسرين . مثال ذلك آية (إذا الشمس كورت) فسّر التكوير فقال (لُفّت وذَهبَ ضوءها : من التكوير وهو اللّيّ واللفّ ومنه تكوير العمامة) اقتصر المؤلف على هذا وفيه الكفاية لعمري . ولم يتعرض لقول آخر في تفسير (كُوّرت) مثل أنها من فعل (كوّره) إذا أعماه . وهي معربة ومشتقة من كلمة (كُور) التركية التي معناها أعمى العين . فالشمس يومَ القيامة يكوّرها الله . اي يُعميها ويذهب بنورها ذهاباً كذهاب نور العين العمياء . وهو قول لبعض العلماء لم يُعوّل عليه المؤلف وقد أحسن . غير أنا رأيناه أحياناً يتسامح ويترك الدقة في تحديد المعنى المراد من الكلمة القرآنية مثال ذلك :

قوله في تفسير (واستَغْشَوْا ثيابهم) : (جعلوا ثيابهم غاشيةً أى غطاءً على آذانهم لئلا يسمعوا دعوةَ الحق) وما قاله حسن غير أن الأحسن منه أن يقول في تفسير (استَغْشَوْا) تغطّوا بها فلم يعودوا يسمعون ولا يرون : لأن الثوب الذي يلبسه الانسان إذا تغطى به إنما يلقيه على رأسه ووجهه وما يليهما

فيشمل ذلك الأذنين كما يشمل غيرهما من الحواس المجتمعة في الرأس فقول المؤلف (اي غطاء على آذانهم) تخصيص الآذان بالذكر لا دقة فيه . من حيث يوهم ان هذا هو معنى الاستغشاء في اللغة العربية .

وقوله أيضاً في تفسير (العهن المنفوش) : (إن الجبال في شدة سيرها تكون خفيفة كخفة الصوف المندوف المتطاير الأجزاء) . وفي هذا التفسير نظر لأن وجه الشبه منصبٌّ على كلمة (المنفوش) أي المتفرق الأجزاء المتطاير . فكان الأوجه ان يقول : إن الجبال من شدة سيرها وسرعة حركتها تصبح متفرقة الأجزاء . متناثرةً في الفضاء . كالمنفوش من الصوف .

وقوله في تفسير (جاثمين) من قوله تعالى (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال (أي ميتين وهم قعود ، مصعوقين : من جَثَمَ الرجل إذا كان لا حراك به ولا كلام له) ففي تفسيره الجثوم بعدم الحركة وعدم الكلام تسامح شديد . والا فان معنى (الجثوم) في اللغة مجرد القعود والتلبد على الارض . أما الموت وعدم الحركة وعدم الكلام فهي مفهومة من الآية بدلالة السياق لا بدلالة جاثمين .

وهناك أشياء من هذا القبيل قد تغتفر للمؤلف الفاضل في جانب ما أسداه الى التالين لكلام الله مذ سهّل عليهم فهم ما يتلون ويقرأون أحسن الله اليه كما أحسن اليهم . وأثابه خيراً لقاء جميل سعيه وصادق نيته .

المغربي

الاسلام على مفترق الطرق

تأليف ليوبولد ڤايس . نقله الى العربية الدكتور عمر فروخ . وقدم له الدكتور مصطفى خالدي ونشرته (دار العلم للملايين) في بيروت .

وطبع فيها سنة ١٩٤٦ م في ١١٦ صفحة

حجم الكتاب صغير . لكنّ غرضه شريف ومغزاه كبير . وخلاصة موضوعه كما يفهم من اسمه وكلام مؤلفه أن المسلمين اليوم بين طريقين . وهم واقفون على

مفترقها: إما أن يميلوا ذات اليمين الى الطريق الذي شرعه لهم دينهم فينجوا ويفلحوا . وإما أن يميلوا ذات الشمال ويسلكوا طريقاً أنهجته لهم المدنية الأوربية فيضلوا ويخسروا .

أتظن أيها القارئ أن الذي عالج هذا الموضوع وأودعه الكتاب المذكور هو عالم من علماء الاسلام المتشددين فيه أو من الذين قضوا حياتهم في خدمته ودراسته وحض الناس على العمل بشعائره وتعاليمه ؟ كلا . وانما هو رجل نمسوي أسلم وعكف على دراسة القرآن والسنة وتاريخ الاسلام وسيرة محمد عليه الصلاة والسلام وقارن بين ذلك كله وبين مدنية اوروبا الحديثة . ثم ألقى بنظرة على المسلمين في هذه الأزمنة المتأخرة بعد أن اختبر ما ظهر وما خفي من أحوالهم الاجتماعية والأخلاقية . فحكم أنهم على مفترق الطرق . وأن عليهم ان يعملوا بأوامر دينهم . لينقذوا أنفسهم ومستقبلهم .

والعمل بالدين في رأيه ليس باتباع أوامر القرآن وتعاليمه وحده بل باتباع سنة النبي (ﷺ) أيضاً . وإذ كان العمل بالسنة النبوية موضع أخذ ورد بين فضلاء هذا العصر من المسلمين الذين يرون أن العمل بالقرآن وحده هو كفيل النجاح وسبيل الاصلاح — لما رأى أخونا النمسوي ذلك خص معظم صفحات كتابه بمناقشة هؤلاء وبأن السنة لا بد منها (مع القرآن) في فهم الاسلام الصحيح .

ويفهم من غضون كلام المؤلف في نصرة السنّة النبوية ، وضرورة العمل بها مع القرآن — أن مراده بها سيرة النبي (ﷺ) الشخصية . وطريقته العملية التي سلكها (ﷺ) في حياته . والتبشير بديانته : فالمؤلف يقول : ان سيرة النبي (ﷺ) هي التي تفسر لنا القرآن ، وتوحي الى النفوس أسرار تعاليمه إيحاء صحيحاً .

أقول : واذا كان هذا هو مراد الأخ المسلم الجديد بالسنة النبوية فلا يبقى خلاف بينه وبين الذين يعولون في إنهاض المسلمين ولم شعثهم على القرآن

وحده : لأن هؤلاء إنما يريدون بالقرآن الوحي الإلهي مع ما وافقه وواخاه من السنة النبوية الثابتة الصحيحة المنقولة الينا نقلاً لا شبهة فيه . فدراسة سيرة النبيّ (ﷺ) ومساعيه العملية والاقتداء به في تطبيق احكام الاسلام وفهم تعاليم القرآن — هو أمر مسلَّم عند جميع رجال الاصلاح الاسلامي .

ولم يبق بعد هذه المقدمة إلاّ أن نذكر للقارئ خلاصةً من ترجمة أخينا النمسوي وننقل اليه عن لسانه السبب الذي جعله ينحو هذا النحو في مصنَّفه وفي خدمته لدينه الجديد .

ترك النمسة بلاده سنة ١٩٢٢ م موليًا وجهه شطر الشرق الاسلامي بصفته مراسلاً لصحف أوروبا . فرأى في الحياة الدينية الاسلامية التي يحياها المسلمون الخلَّص هدوءًا لم يعهده في الحياة الأوربية المسيحية . فحبّب ذلك اليه دين الاسلام وزينّه في قلبه . لكنه رأى معظم المسلمين غير عاملين بقوانين تلك الحياة التي أوحاها اليهم الاسلام فجعل يناقش من كان يجتمع بهم من علماء الاسلام في سبب هذه الظاهرة في المجتمع الاسلامي . حتى إذا كان في بلاد الأفغان (سنة ١٩٢٥ م) ناقش حاكماً شاباً افغانياً . فقال له الحاكم : (ولكنك مسلم غير أنك لا تعرف ذلك من نفسك) فأثرت هذه الكلمة في نفس المؤلف أيّما تأثير . وعاد الى اوروبا سنة ١٩٢٦ م مأخوذاً بسحر جمال الاسلام فأسلم . وبعد ان درس كل ما يجب عليه أن يدرسه من لغة القرآن وتعاليم الاسلام وشؤون المسلمين وقضى خمسَ سنوات في الحجاز ونجد والمدينة المنوّرة وخالط ثمّ رجالاً من أقطار اسلامية مختلفة وقارن بين وجهات نظرهم — بعد هذا كله ألف كتابه في الموضوع الذي وصفناه في صدر المقال . وأحسب أن وصفنا هذا كافٍ في تقريظ الكتاب وفي حمل الذين يهمهم موضوعه على اقتنائه والاستفادة من مضامينه .

وانا لنشكر مؤلفه الفاضل على ما بذله من الجهد في تحرّي الحق وندعو له بالتوفيق . كما نشكر لكلٍ من الفاضلين مترجم الكتاب وواضع مقدّمته عنايتهما أجزل الله ثوابهما .

المغربي

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

تاريخ حكماء الاسلام

تأليف ظهير الدين البيهقي

عني بنشر هذا الكتاب الأستاذ العلاّمة محمد كرد علي بك رئيس مجمعنا العلميّ العربي ، وقد صدّره بكلام على مؤلفه ظهير الدين البيهقي المولود سنة ٤٩٩ في قصبة من نواحي بيهق من أعمال نيسابور عاصمة خراسان .

ذكر الأستاذ في ترجمة المؤلف الوافية ما اتصل به من نسب ظهير الدين وثقافته وكتبه في الدين والأدب والتاريخ والحكمة وأورد شيئاً من شعره وأشار الى مذهبه فقد كانت ثقافة البيهقي تجمع بين علم الآخرة والدنيا ، وقد وجد في تاريخ حكماء الاسلام برهاناً من جملة البراهين على ان المدنية الاسلامية وحدة لا تجزأ وان كل قطر متمم للأقطار الأخرى فاذا كانت خراسان اختصت برجال الحكمة فان الأقطار السائرة أخرجت رجالاً في فروع العلم ، واذا امتازت دمشق بمؤرخيها وشعرائها ومحدثيها فان بغداد امتازت بفقهائها ومؤدبيها وندمائها فتاريخ حكماء الاسلام في نظر الأستاذ العلاّمة قد رسم ناحية جميلة من نواحي التفكير الاسلامي في زمن يكاد يكون خاتمة سمو العقل ومبدأ تراجع العلم في الاسلام .

☆ ☆ ☆

اذا أراد القارئ ان يبحث في تاريخ حكماء الاسلام عن تراجم كاملة على نحو تراجم كتّاب الغرب فانه لا يظفر بشيء من ذلك ولكن الكتاب لا يخلو من فوائد لا تقل عن فوائد كل التراجم ، من هذه الفوائد الحكم المبعثرة في تضاعيف الكتاب وقد حاولت ان أختار طائفة منها لتثبيتها في هذه الكلمة فأدركتني الحيرة في الاختيار فما كنت أفرغ من حكمة حتى اهتدي الى اختها وقد جمعت هذه الحكم مذاهب في الفلسفة والأخلاق والآداب والطب والمعاملة ونحو ذلك . بحيث اذا اتبع الانسان معظمها في حياته عاش معافىً في بدنه سامياً في نفسه رفيعاً في عقله .

شفيق جبري

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

ديوان ابن عنين

شرف الدين ابي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين الانصاري الدمشقي

عني الأستاذ خليل بك مردم بك بنشر ديوان ابن عنين المولود في دمشق سنة ٥٤٩ وقد صدّر هذا الديوان بترجمة للشاعر شافية أوجز فيها الكلام على ابن عنين من النواحي كلها فقد تكلم على وطنيته وقوميته وأشار الى غمزه ولمزه وعبثه برجال الدولة وسخريته بهم وصوّر خفة روحه و كثرة دعابته وبراعة فكاهته وحضور نكتته كما صوّر مجونه وظرافتـه وتهكمه وتوقد ذهنـه وذكاء قلبـه ولم يغفل عن توضيح فنه ٠

لقد أمعن ابن عنين في الهجاء الذي أقذع فيه وأفحش على رأي الأستاذ خليل بك وتعدّى حدود المروءة والأدب ولم يكد يسلم من لسانه أحد حتى هجا نفسه وأباه واجترأ على التعرض لصلاح الدين والملك العادل والملك الأشرف والملك المنصور من الأيوبيين في عنفوان سلطانهم واقبال دولتهم اما الوزراء والأمراء والقضاة والحكام فقد شنّ عليهم حرباً لا هوادة فيها ٠

لست أريد في هذه الكلمة المختصرة أن أقول شيئاً في شعر ابن عنين أكثر مما قاله الاستاذ خليل بك فتكاد تكون الصورة التي عرضها علينا في الترجمة متكاملة الخطوط والألوان ولكني أريد أن اكون من انصار ابن عنين في نقده لرجال الدولة لا في الفاحشه في الهجاء ولا ريب في ان شعره اشتمل على كثير من الهجاء مما يبرز عن ظل الأدب وتضيق به الصدور ولكنا اذا تجاوزنا اقذاعه في القول في بعض المواطن وجدنا ان شعره لا يخلو من نقد لرجال الدولة على مختلف طبقاتهم فاذا كنا نضجر من ابن عنين في هجائه في بعض الأحيان فانا نحمد له جرأته على نقد رجال الدولة فإن الذين يتقلدون جلائل الأعمال يحتاجون الى سعة الصدور فما ينبغي لهم ان يغيظهم تهجين أمورهم وتقبيح سياستهم

واذا التمسوا السلامة من ألسن الناس لزمهم أن يلبدوا في دورهم وان يقطعوا كل صلةٍ لهم بالمصالح العامة فكل رجل من رجال الدولة مستهدف للنقد ولشيء أشد من النقد والزمان وحده هو الذي ينصف ويفرق بين خطأ الناقدين وبين صوابهم اما الذين يتطاولون لمناصب الدولة ولا تتسع صدورهم اسهام الناس فهؤلاء لا يفهمون معنى الحرية ولا ينبغي لهم ان يكونوا من رجال الدولة في حالٍ من الأحوال ٠

ش٠ج

رحلات في ديار الشام

احمد سامح الخالدي

لخَّص الأستاذ أحمد سامح الخالدي أربع رحلات رحلها شيوخ الصوفية عبد الغني النابلسي ومصطفى البكري الصديقي ومصطفى أسعد الدمياطي في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري في شبه جزيرة سيناء وفلسطين ودمشق وقسم من لبنان وقبرص ٠

وقد نبهنا المؤلف في المقدمة على ان هذه الرحلات لا تشبه رحلات المقدسي او ابن جبير او ابن بطوطة على أنها لا تخلو من إعلامنا بشيء من حالة البلاد والأمن في القرن الثاني عشر وبشيء من بعض رجاله ومشاهده ومعاهده ، فلم يكن الأمن مستتباً في خارج المدن الكبرى فكان الشيوخ الذين ألفوا هذه الرحلات يدفعون الرعب عن قلوبهم بقراءة الأوراد ٠

لم يكن الوصف في الرحلات الأربع موضوعياً على نحو ما أشار اليه المؤلف وانما كانت غاية أصحابها الزيارة والتبرك فلم ينصرف ذهنهم الا الى الأماكن المقدسة وقبور الصحابة والتابعين والأقطاب حتى أنهم اجتنبوا الاتصال بالناس ما خلا رجال الطرائق ، فكانوا يقضون أكثر أوقاتهم في التعبد وقراءة الأوراد والاجتماع الى الأقطاب والمتصوفين ٠

ولئن خلت هذه الرحلات من الفوائد التي تشتمل عليها الرحلات عادةً مثل وصف المدن وأهلها وعاداتهم وأوضاعهم وأشباه هذا كله أو من الآثار الأدبية فانها لا تخلو من طابع خاص فالشيخ مصطفى البكري الصديقي ذكر في رحلته انه لما وصل الى جينين ذات القلعة والحصن وبلغه ان في جهتها الغربية قطّاع طرقٍ قال: فما تركنا الحصن مع المشيئة حتى ذكرنا اسمه اللطيف ستة عشر ألفاً وستمائة وأربعين مرّة ، وكان يفعل ذلك في بعض المراحل المخيفة .

انا لا نجد مثل هذه النزعة في اية رحلة كانت . ش. ج

الظرفاء والشحاذون

في بغداد وباريس

صلاح الدين المنجد

صوّر المؤلف في هذا الكتاب طبقتين من طبقات المجتمع العباسي وهما طبقة الظرفاء وطبقة الشحاذين وقايس بين هاتين الطبقتين وبين أمثالها من الفرنسيين .

واذا أردنا أن نعرف كيف خاض في مثل هذا الموضوع الطريف فلنسمع ما قاله الأستاذ احمد حسن الزيات في بعض مقدمة الكتاب :

« لقد كان الأستاذ المنجد براً بفنه وأدبه وعربيته وقوميته حين اتجه الى الحضارة الاسلامية في عصرها الذهبي يجلو صورها الاجتماعية الطريفة في مجلاه المعروف بصفاء الذوق وأناقة الأسلوب وحسن الاختيار وجمال العرض ودقة الموازنة وصحة الحكم ... »

لم يغلُ الأستاذ الزيات في كلامه فقد لجأ المؤلف الى موضوع وعر المسلك وما أشك في انه قد أصابه منه شيء غير قليل من الجهد والبلاء ولكنه قد وصل بعد هذا الجهد وهذا البلاء الى عاقبة محمودة فأطلعنا على سيرة الظرفاء الخواص

منهم والعوام وعرض علينا ملابسهم وخواتيمهم وطيبهم وموائدهم ومطاعمهم ومساويكهم ومجالس شرابهم ، ولقد فعل الفعل نفسه في عرض سيرة المتظرفات ولئن كان لا يستطيع أن يصف ملابس الظرفاء والمتظرفات وصفاً دقيقاً لبعد العهد عنها على نحو ما أقرّ بذلك فانه استطاع أن يصف عناية الظرفاء باختيار أجود الثياب وانتقاء الأزياء المنسجمة والألوان المتوافقة والأجزاء المتطابقة .

ولم يكن عرضه لسيرة الشحّاذين أقلّ حسناً من عرضه لسيرة الظرفاء .

ففي الكتاب شيء يعجب وموضوع يغري ونهج يروق .

ش . ج

وابل وطل

نظم ابراهيم يعقوب عوبديا — بغداد

هذه قصائد في موضوعات وطنية واجتماعية ونفسية وغيرها نظمها ابراهيم يعقوب عوبديا من بغداد واهداها الى حضرة صاحب الجلالة فيصل الثاني ملك العراق .

اذا وجدت في هذا الشعر شيئاً يحمد صاحبه عليه فهو خلوه من هذه التراكيب والخيالات الأعجمية التي أولع بها بعض شعراء هذا العصر فأصبح شعرهم حائراً ، لا هو من شعر العرب ولا هو من شعر الغرب ولقد يحاول فريق من الشعراء الانطلاق من قيود الماضي ولقد انطلق من هذه القيود قبلهم شعراء كثيرون من شعراء العرب ولكنهم لم يخرجوا عن روح اللغة وخصائص البيان وانما خاضوا في موضوعات حديثة لم يخض فيها من تقدمهم فجاء شعرهم عصرياً في معانيه عربياً في مبانيه فالشاعر الذي يستطيع في هذا العصر ان يتغنى بوطنه وان يطلق قريحته في موضوعات شتى دون أن يحيد عن روح اللغة وعبقريتها انما هو شاعر محمود الأثر .

ش . ج

حروف من نار

عمر أبو قوس

هذا ديوان شعر جمع فيه صاحبه قصائد مختلفة الموضوعات ، تجلّت في بعضها روح شعرية معقولة مثل القصيدة التي قيلت في رثاء الملك فيصل الأول وتجلّت في بعضها الآخر روح قومية متسعة مثل القصيدة التي جاءت فيها هذه الأبيات:

وما العيد الا وحدة عربيـة ترف بهـا أعلامهـا وبنودها
فطالعهـا صنعاء والبحر دونهـا وطوروس من أقصى الشمال حدودها
وجيش كموج البحر يزخر هائجاً تضيق به مصر العلى وصعيدها
تضمد جرحاه أوانس يعرب وتنجـده يوم اللقاء أسودهـا

ش . ج

المحرّر

أصدرت نقابة محرري الصحف اللبنانية كتاباً سمته : المحرر ، جمع فيه نقيبهم السيد سليم أبو جمرة ثمرات أقلام المحررين تقديراً لتضحياتهم وتعظيماً لمجهوداتهم وتخليداً لنقابتهم ، والمقالات المجموعة موضوعاتهـا مختلفة : وطنية واجتماعيـة وأدبية وغير ذلك .

وفي خاتمة الكتاب كلمة للأستاذ جبران تويني نقيب جمعية أصحاب الصحف بيّن فيها منزلة المحرر في الجريدة فهو روح الجريدة .

ش . ج

جنكيز خان — امبراطور الناس كلهم

لمؤلفه هارولد لامب . عربه عن الانكليزية اللواء بهاء الدين نوري .

طبع في بغداد عام ١٩٤٦ يدخل في ٣٠٣ صفحات من القطع المتوسط

سيرة طاغية التتر وسلطانهم الأعظم . حديث طفل نبت في الصحاري القاحلة ،

وترعرع بين رعاة وغزاة دأبهم السلب والقتل بدافع الفاقة والجهل . ففي مثل هذه البيئة الفاسدة لمع نجم طاغية الدهر جنكيز خان ، الذي جمع حوله بدهائه وشجاعته ، كلمة قبائل مشردة ، فوحد كلمتهم ، ونظم شؤونهم ، وجيش منهم جيوشاً جرارة من اصبر خلق الله على القتال ، لا تعرف الهزيمة ولم تقهر في معركة . خرج بهذه الجيوش من بادية الصين الى ان بلغ بها ما لا يمكن ان يبلغه جيش مثله ، مهما برعت قادته وتوفر عتاده . بسط جنكيز خان سلطانه في مدة ربع قرن على اوسع مملكة سادها انسان ، تمتد من المحيط الهادي الى حدود ارمينيا والعراق الى قلب روسيا فحدود البلغار ، او كما قال : « استطاع هذا الرحالة الذي كان يصطاد الضواري ، ويرعى الأغنام ، ان يحطم جيوش ثلاث امبراطوريات . الا ان هذا الوحشي الذي لم يعش بمدينة ما ، وهو أمي لم يتعلم الكتابة والقراءة ، وضع اسس قوانين لخمسين شعباً من الشعوب » .

واكثر ما يصفه هذا الكتاب هي غزوات هذا الجبار وانتصاراته العسكرية التي هي اروع ما يعرف عنه . ويجعله المؤلف بحق في طليعة القواد العظام الذين خلدهم التاريخ . فهو يفضله على نابليون الذي : « تخلى عن جيش كامل في مصر ، كما ترك بقية جيش آخر في ثلوج روسيا ، واخيراً حار في امره وانخزل في كارثة (واترلو) . لقد هدموا امبراطوريته على مسمع منه ، ومزقوا شريعته وقوانينه » . واما جنكيز خان فقد خلف ملكاً موطد الأركان معزز الجانب . ويرى ايضاً انه يفوق الاسكندر المقدوني ، وان تشابها في انتصاراتهما غير انهما يختلفان في تدابيرهما ومصير ملكهما . فبينما تنهار امبراطورية الاسكندر بعد وفاته وتتمزق وحدتها فيتقاسمها قواده نرى كيف استطاع جنكيز خان ان يحتفظ بجميع فتوحاته وان يورثها ابناءه واحفاده من بعده دون منازع او منافس .

اراد المؤلف ان ينتصر لجنكيز خان فاتهم من كتبوا عنه بأنهم خدعوا بالأساطير التي لفقها اعداؤه « فصوروه ضرباً من القوة الوحشية المجسمة او كارثة

انبعثت من الصحراء بين عهد وآخر لتقضي على المدنيات السالفة» . وبزعمه لو عرفه الناس لقدروه او كما يقول : «للتعرف على هذا المرء علينا ان نقترب منه وهو بين رجاله ، وعلى وجه الأرض كما كانت قبل سبعة عصور . وليس لنا ان نقيسة بمقاييس المدنية العصرية . بل علينا ان نمحصه باعتبارات عالم قاحل يسكنه الصيادون والرحل الممتطون الجياد العادون وراء الوعل والغزال» .

لقد اجمع مؤرخو عصره على عظمة غزوات جنكيز خان ووفوه حقه ، كما اجمعوا على استنكار فظائعه وجرائمه . فقد خرب البلاد واباد العباد وقضى على المدنيات . ولم ير الشرق شراً اشد من شره ، ولن يغفر لهذا السفاح عدوانه الذي كان من أهم العوامل في انحطاط الشرق وتأخره .

والكتاب بجملته طريف الموضوع وهو اقرب الى القصة منه الى كتب التاريخ : فيه اخبار حروب وغزوات ومغامرات تثير الاعجاب مما حملت احد جنود العرب على أن ينقل لنا اخبار بطولة هذا الرجل الذي قال عنه ابن السبكي في طبقاته انه : «كان من اعقل الناس واخبرهم بالحروب ووضع له شرعاً اخترعه ، وديناً ابتدعه» .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧ م

١ السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع) دمشق
٢ الدكتور أسعد الحكيم 〃
٣ الأمير جعفر الحسني 〃
٤ الدكتور جميل الخاني 〃
٥ 〃 جميل صليبا 〃
٦ 〃 حسني سبح 〃
٧ السيد خليل مردم بك (أمين السر العام) 〃
٨ 〃 سليم الجندي 〃
٩ 〃 شفيق جبري 〃
١٠ 〃 عارف النكدي 〃
١١ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس) 〃
١٢ السيد عز الدين التنوخي 〃
١٣ 〃 فارس الخوري 〃
١٤ 〃 محسن الأمين 〃
١٥ 〃 محمد البزم 〃
١٦ الشيخ محمد بهجة البيطار 〃
١٧ الدكتور مرشد خاطر 〃
١٨ الأمير مصطفى الشهابي 〃
١٩ السيد معروف الأرناؤوط 〃
٢٠ 〃 هنري لاوست 〃
٢١ الشيخ راغب الطباخ حلب
٢٢ 〃 عبد الحميد الجابري 〃
٢٣ 〃 عبد الحميد الكيالي 〃
٢٤ الدكتور عبد الرحمن الكيالي حلب
٢٥ الشيخ محمد زين العابدين 〃
٢٦ البطريرك مار اغناطيوس افرام حمص
٢٧ الشيخ سعيد العرفي دير الزور
٢٨ 〃 ابراهيم منذر بيروت
٢٩ السيد أنيس المقدسي 〃
٣٠ 〃 بشارة الخوري 〃
٣١ 〃 بولس الخولي 〃
٣٢ الشيخ فؤاد الخطيب 〃
٣٣ الفيكونت فيليب دي طرازي 〃
٣٤ الدكتور نقولا فياض 〃
٣٥ السيد عيسى اسكندر المعلوف زحلة
٣٦ الشيخ احمد رضا جبل عاملة
٣٧ 〃 سليمان ظاهر 〃 〃
٣٨ السيد ادوار مرقص اللاذقية
٣٩ 〃 محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) 〃
٤٠ 〃 عبد الله مخلص القدس
٤١ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي 〃
٤٢ محمد الشريقي باشا عمان
٤٣ الشيخ رضا الشبيبي بغداد
٤٤ طه باشا الهاشمي 〃
٤٥ السيد عباس العزاوي 〃

٤٦ الشيخ كاظم الدجيلي بغداد
٤٧ 〃 محمد بهجة الاثري 〃
٤٨ الدكتور داود الچلبي الموصل
٤٩ السيد ابراهيم عبد القادر المازني القاهرة
٥٠ احمد أمين بك 〃
٥١ السيد احمد حسن الزيات 〃
٥٢ أحمد لطفي السيد باشا 〃
٥٣ انطون الجميل باشا 〃
٥٤ السيد خليل ثابت 〃
٥٥ خليل مطران بك 〃
٥٦ السيد خير الدين الزركلي 〃
٥٧ الدكتور طه حسين بك 〃
٥٨ السيد عباس محمود العقاد 〃
٥٩ الدكتور عبد الوهاب عزام 〃
٦٠ الشيخ محمد الخضر حسين 〃
٦١ السيد محمد لطفي جمعة 〃
٦٢ الشيخ مصطفى عبد الرازق 〃
٦٣ الأمير يوسف كمال 〃
٦٤ السيد عبد الحميد العبادي اسكندرية
٦٥ حسن حسني عبد الوهاب باشا تونس
٦٦ السيد عبد الحي الكتاني فاس
٦٧ 〃 عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهند
٦٨ 〃 عباس إقبال طهران
٦٩ 〃 مارسه تونس
٧٠ 〃 ماسه الجزائر
٧١ السيد محمد الحجوي مراكش

٧٢ السيد كي بوليفيا
٧٣ 〃 بوفا باريز
٧٤ 〃 دوسو 〃
٧٥ 〃 كولان 〃
٧٦ 〃 ماسينيون 〃
٧٧ 〃 آسين بلاسيوس (مجريط) اسبانية
٧٨ 〃 لويس (لشبونة) البرتغال
٧٩ 〃 هيس سويسرا
٨٠ 〃 أراندونك هولاندة
٨١ 〃 هوتسما 〃
٨٢ 〃 كرينكو انكلترا
٨٣ 〃 جيب (٠١٠٥ر) 〃
٨٤ 〃 بروكلمن المانية
٨٥ 〃 هارتمان (ريشار) 〃
٨٦ 〃 سترستين السويد
٨٧ 〃 استروب الدانيمارك
٨٨ 〃 موجيك فينا
٨٩ 〃 ماهلر بودابست
٩٠ 〃 موزل تشيكوسلوفاكية
٩١ 〃 كوفالسكي بولونية
٩٢ 〃 كراتشكوفسكي لينغراد
٩٣ 〃 كرسيكو فنلاندة
٩٤ 〃 فيليب حتي اميركة
٩٥ 〃 هرزفلد 〃
٩٦ 〃 سعيد ابوجمرة البرازيل

اعضاء المجمع العلمي الراحلون

١ الشيخ طاهر الجزائري دمشق
٢ 〃 سليم البخاري 〃
٣ السيد مسعود الكواكبي 〃
٤ 〃 مالنجو 〃
٥ 〃 الياس قدسي 〃
٦ 〃 أنيس سلوم 〃
٧ 〃 جميل العظم 〃
٨ 〃 سليم عنحوري 〃
٩ 〃 عبد الله رعد 〃
١٠ 〃 رشيد بقدونس 〃
١١ الشيخ عبد القادر المبارك 〃
١٢ السيد أديب التقي 〃
١٣ 〃 حسن بيهم بيروت
١٤ الأب لويس شيخو 〃
١٥ الشيخ عبد الله البستاني 〃
١٦ السيد جبر ضومط 〃
١٧ 〃 عبد الباسط فتح الله 〃
١٨ الشيخ عبد الرحمن سلام 〃
١٩ 〃 مصطفى الغلاييني 〃
٢٠ السيد عمر الفاخوري 〃
٢١ 〃 أمين الريحاني لبنان
٢٢ الأمير شكيب ارسلان 〃
٢٣ السيد جرجي يني طرابلس الشام
٢٤ الشيخ سليمان أحمد اللاذقية
٢٥ الدكتور صالح قنباز حماة
٢٦ الأب جرجس شلحت حلب
٢٧ 〃 جرجس منش 〃
٢٨ السيد قسطاكي الحمصي 〃
٢٩ الشيخ كامل الغزي 〃
٣٠ السيد ميخائيل الصقال 〃
٣١ الشيخ بدر الدين النعساني 〃
٣٢ السيد نخلة زريق القدس
٣٣ الشيخ خليل الخالدي 〃
٣٤ 〃 سعيد الكرمي طول كرم
٣٥ السيد محمود شكري الآلوسي بغداد
٣٦ 〃 جميل صدقي الزهاوي 〃
٣٧ 〃 معروف الرصافي 〃
٣٨ 〃 طه الراوي 〃
٣٩ الاب انستاس ماري الكرملي 〃
٤٠ الشيخ أحمد الاسكندري القاهرة
٤١ احمد زكي باشا 〃
٤٢ احمد شوقي بك 〃
٤٣ السيد اسعد خليل داغر 〃
٤٤ حافظ ابراهيم بك 〃

٤٥	السيد محمد رشيد رضا	القاهرة
٤٦	السيد مصطفى صادق الرافعي	〃
٤٧	احمد كمال باشا	〃
٤٨	احمد تيمور باشا	〃
٤٩	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥٠	الدكتور يعقوب صروف	〃
٥١	السيد اوجينيو غريفيني	〃
٥٢	〃 رفيق العظم	〃
٥٣	〃 داود بركات	〃
٥٤	الدكتور أمين المعلوف	〃
٥٥	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٥٦	الدكتور احمد عيسى بك	〃
٥٧	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٥٨	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
٥٩	السيد رينه باسه	
٦٠	〃 ميشو بللير	طنجة
٦١	〃 زكي مغامز	الاستانة
٦٢	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٦٣	السيد فران	باريز
٦٤	السيد كليمان هوار	باريز
٦٥	〃 جويدي	إيطاليا
٦٦	〃 نللينو	〃
٦٧	〃 هومل	المانيا
٦٨	〃 ساخاو	〃
٦٩	〃 هوروفيتز	〃
٧٠	〃 مارتين هارتمان	〃
٧١	〃 ميتفوخ	〃
٧٢	〃 مونته	سويسرا
٧٣	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٧٤	〃 مرجليوث	انكلترا
٧٥	〃 بفن	〃
٧٦	〃 براون	〃
٧٧	〃 بوهل	الدانيمارك
٧٨	〃 بدرسن	〃
٧٩	〃 أغناطيوس غولدصيهر	بودابست
٨٠	الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	زنجان
٨١	السيد ماكدونالد	أميركا

الأمير شكيب أرسلان



عظيم من عظماء الشرق والمسلمين ، وحجة العرب وامامهم في اللغة والتاريخ والسياسة غير مدافع . واميرهم في البيان والكتابة والخطابة غير منازع . كان — رحمه الله — اذا حدثك في اللغة ، خيل اليك انه رجل اعطى اللغة نفسه ، فأعطته اللغة نفسها ، وغير كثير على مثله ان يبلغ في علم انقطع له ، واختص به ؛ مبلغ الأمير من اللغة . فاذا هو انتقل الى التاريخ ، رأيت منه في هذا العجب العجاب ، معرفة احاطة بأخبار الأولين وحوادث المعاصرين ، وفتوحات العرب والمسلمين ، يسير بك من الجزيرة الى مصر فالمغرب فقلب اوروبة الى أقصى الهند وتخوم الصين ، فيسير على هدى وتثبت ومعرفة وتحقيق ؛ وله اطلاع على تواريخ الدول والشعوب قد لا يقل كثيراً عن اطلاعه على تاريخ بلاده وقومه ، وتنتقل من التاريخ الى السياسة فاذا هو البحر يدرك اغوارها ، ولا يُدرك فيهـا غوره : لا تقع الواقعة إلا نظر في خفاياها فعرف نتائجها من مقدماتها . فحذّر وبصّر ، فاذا انجلت الغياهب وانكشفت الحجب ، كان الرأي ما رآه ، والقول ما قاله [1] .

---

(١) كتب عنه الأستاذ مصطفى السباعي في جريدة المنار النشرة الـ ١١٧ ما يأتي :

اجتمعت بالأمير في القاهرة وقد سمرنا ليلة في دار جريدة الشورى ، عند العربي المجاهد الأستاذ محمد علي الطاهر فرأينا مؤرخ اليمن الشيخ عبد الواسع اليمني يعرض على الأمير كتاباً له في تاريخ اليمن ، وفيه بحوث تتعلق بالفقه عرضاً . فسمعت الأمير ـ رحمه الله ـ يصحح —

يتناول هذه العلوم التي يتناولها : محدثاً او خاطباً او كاتباً ، ببيانه العذب السائغ ، وحجته الدامغة ، وصراحته العارية الواضحة لا غمغمة ولا مواربة .

وفيه يقول شاعر القطرين خليل مطران في مقدمة ديوان الأمير :

« في هذا المفترق الأول من السبل التي يواجه بها المرء مستقبله - آثر الأمير الترسل ، ومضى فيه متدفقاً تدفق الينبوع الصافي مجلجلاً أحياناً جلجلة السيل الكثير الشعاب . وما زال حفظه الله منذ خمس واربعين سنة [1] يتحف قراء العربية في مشارق الأرض ومغاربها بكتب قيمة يقتبسون من انوارها هدى ، او يفيدون من مختلف الآراء المنبثة فيها ما يهيئ لهم من امرهم رشداً ، الى رسائل متنوعة يجتنون محاسن اغراسها وازاهرها ، ويجتنون ما يغذي العقول ويفكه القلوب من اطايب ثمارها ؛ الى فصول ومقالات تنشرها المجلات الدورية والصحف اليومية في كل قطر ، فما ينقضي يوم من ايام تلك البرهة الا وله في كل منها قلائد تزهى بها صفحاتها ، او فرائد تزهو بها انهارها ، ولو تفرغت طائفة من حملة الأقلام جم عديدها ، فياضة قرائحها فيما يشاء الله من مسائل السياسة والاجتماع والأدب ، ومباحث التاريخ والأخلاق ، لكتابة ما كتب من تلك الفصول والمقالات ، لتعذر عليها ان تأتي مجتمعة ، بما أتى به ذلك العلم الفرد » .

وفوق هذا ما قال فيه ابو السامي مصطفى الرافعي في عبارة جليلة ، آسف انها لا تحضرني الآن .

— للشيخ اليمني بعض ما أورده في الفقه ، وبعض تراجم أوردها في كتابه ، وكل ذلك من ذاكرته دون أن يرجع الى كتاب .

وحدثنا صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى الزرقا عن والده علامة حلب ، وشيخ مشايخها الشيخ أحمد الزرقا عليه - رحمة الله - انه دخل مرة على علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي - رحمه الله - فوجده يقرأ مؤلفاً له في التوحيد على شاب تلوح عليه سيما الامارة والنجابة . والشيخ القاسمي يصغي بانتباه الى ملاحظات هذا الشاب فيصححها كما يرى دون اعتراض . فسأل الشيخ الزرقا عن الشاب ، فقيل له : انه الأمير شكيب ارسلان .

(١) كتب الخليل هذا سنة ١٩٣٦ . أما الواقع فان الأمير - رحمه الله - ظل يكتب ويخطب ويؤلف ستين سنة كاملة من السن السابعة عشرة الى السابعة والسبعين .

هذا هو الرجل الذي فقده وطنه ، ورزئت به أمته ، وهما اكثر ما يكونان حاجة الى علمه الناضج ، ولسانه الناطق ، ورأيه الخمير ، وخبرته الواسعة في شؤون العرب . والمسلمين ، وفي مطامع الغربيين المستعمرين .

مولده ونشأته : ولد رحمه الله في الشويفات سنة ١٨٦٩ من بيت امارة ، سادوا في الاسلام ، وملكوا في الجاهلية : يتصل نسبهم بالملك المنذر بن النعمان : الشهير بأبي قابوس في ثبت صحيح مسجّل . فهو عربيّ النبعة والنزعة ، عربي اللسان والبيان .

دراسته : درس هو وأخوه الشاعر العربي الفحل : الأمير نسيب دراستهما الأولية ، على شيخ من اهل الشويفات هو مرعي شاهين سلمان ، وأقرأهما في عين عنوب — وقد ذهبوا يصطافون فيها على جاري عادتهم — الشيخ أسعد فيصل كتاب الله ، فحفظا جانباً منه ، ثم عادوا الى الشويفات فدخل هو وأخوه مدرسة للأمريكان في حارة العمروسية : تعلما فيها مدة ، وقرأا في جملة ما قرأا الجغرافية والحساب ومبادئ الانكليزية ، وسنة ١٨٧٩ دخلا مدرسة الحكمة ببيروت ، وهي المعروفة الى اليوم بمدرسة المطران ، وكانت مشهورة باللغة العربية ، وظلا فيها الى سنة ١٨٨٦ ، وسنة ٨٨٧ انتقلا الى المدرسة السلطانية وحضرا دروس مجلة الأحكام العدلية ، على الشيخ محمد عبده المصري ، وجعلا يلازمانه في مجالسه الخاصة ، ويزورانه في بيته ببيروت ، وكانت قد انعقدت صداقة أكيدة بينه وبين ابيهما الأمير حمّود رحمه الله .

كانت دراسة الأمير في المدارس محدودة ؛ غير أن دراساته الخاصة ، ومطالعاته العامة كانت لا حدّ لها ، فقد كان يقضي الساعات الطوال دارساً منقباً ، باحثاً مراجعاً . جَلَد لا ملل معه ، وصبر لا نفاد له ، يقوم من الساعة السابعة فيجلس الى مائدة الكتابة والمطالعة الى الساعة الواحدة ، فاذا تغدّى استراح الى الساعة الثالثة ثم استأنف عمله الى الساعة الخامسة ؛ ويقضي ثلاث ساعات في شرب الشاي وقراءة الجرائد ، والتنزه ماشياً ، ثم يعود الى العمل ثلاث ساعات في الليل .

هـذا الدأب مضافاً اليه ما وهبه الله من ذكاء ، بوّأه من العلم هذه المنزلة الرفيعة التي لا يتعلق بها درك ، وقد جمع الى معرفة اللغة العربية — وهو فيها المفرد العلم — اللغة الفرنسية والتركية ، ثم الألمانية فالانكليزية .

وقد أفاد كثيراً من صحبته لزعيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني ، ولرجل مصر الشيخ محمد عبده .

وظائفه : تولى من الأعمال الحكومية مديرية الشويفات ـ وتعرف بالغرب الأقصى ـ[1] ؛ ثم عين قائم مقام للشوف ، في أواخر مدة نعوم باشا المتصرف الخامس في لبنان ؛ إلا انه لم يطل عهده في القائم مقامية فعزله مظفر باشا لسياسة شخصية ليس هنا موضع ذكرها ، ثم أعاده يوسف باشا المتصرف السابع ؛ غير انه لم يتحمله طويلاً ، لما كان عليه من الصراحة وحدة المزاج في شبابه ، والاستنكاف عن تنفيذ كثير من الأوامر الجائرة التي كان يتلقاها من مرجعه .

ثم انتخب مبعوثاً عن حوران في مجلس المبعوثات ، الى ان انتهت الحرب العالمية الأولى ، وفصلت الشام عن السلطنة العثمانية .

ولقد أرادوه في عهد من عهود الانتداب على ان يتولى رئاسة المجمع العلمي أو رئاسة الجامعة السورية فرفض[2] .

مؤلفاته : أما مؤلفاته المطبوعة فأذكر منها :

١ — الباكورة ، وهي ديوان شعره وطبع مرتين .

(١) ولعله من المضحك ، أن يتولى الأمير ـ رحمه الله ـ ولو في عهد شبابه مديرية ، بل قائم القامية التي تولاها فيما بعد ، غير أن الوضع النظامي الذي انتقل اليه لبنان بعد سنة ١٨٦٠ ؛ الغى حكم الاقطاع وقسم لبنان قائممقاميتين ، ثم مديريات ، ورأى المتصرفون الأولون أن يجعلوا من كل اقطاع مديرية . وان يحتفظوا لكل عشيرة اقطاعية باقطاعها السابق مديرية لها . فكان تولي المديرية معناه الاحتفاظ بتراث تاريخي قديم .

(٢) حدثني بذلك الأستاذ شفيق جبري : وكان رئيساً لديوان المعارف وقد كتب هو اليه بذلك فأبى .

٢ — رسائل الصابي نقحها وصححها وعلق عليها .

٣ — ابن سراج وفي ذيله مختصر تاريخ الأندلس .

٤ — الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية وهو تاريخ عام شامل يقع في ثمانية اجزاء[1].

٥ — حاضر العالم الاسلامي في أربعة اجزاء .

٦ — الارتسامات اللطاف .

٧ — غزوات العرب في فرنسة وشمالي ايطالية وفي سويسرة ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الاسبانية .

٨ — لماذا تأخر المسلمون .

٩ — حسن المساعي في تاريخ الامام الاوزاعي .

١٠ — روض الشقيق : ديوان اخيه الأمير نسيب .

١١ — السيد رشيد رضا .

١٢ — شوقي .

١٣ — اناطول فرانس في مباذله .

١٤ — ابن خلدون .

١٥ — مجلات « التاسيون آداب الأمة العربية » وهي المجلة التي أنشأها باللغة الفرنسية للدفاع عن القضية العربية .

ومن المخطوط :

١ — تاريخ لبنان وعندي نسخة منه .

٢ — اصلاح العامية .

٣ — الجزء الثاني من رسائل الصابي

(١) وصف فيه جغرافية الجزيرة الأندلسية بحالها الحاضرة ، وبما كانت عليه أيام العرب . وزينه بصور وخرائط لأكثر المدن والمباني ، ورجع الى الأسماء العربية التي كانت مستعملة للأماكن والبقاع قبل ان عادت البلاد الى الاسبانيول ، وقد حصل على أطلس اقرطبة ايام العرب . وعرّف بالعلماء والأدباء الذين خرجوا في كل بلدة من تلك البلاد .

٤ — كتيب عن البلاشفة .

٥ — رحلة الى المانية .

٦ — مذكراته .

الى غير ذلك من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة التي لا تحضرني الآن اسماؤها .

رحلاته : جال الفقيد في الشام من أقصى حدوده الشمالية الى أقصى حدوده الجنوبية ، ورحل الى مصر والأستانة ، وفيها تعرف الى السيد جمال الدين الافغاني واتصل به وأخذ عنه ؛ وعرف كثيراً من الأقطار العثمانية في آسية واوربة وقصد الى طرابلس الغرب مجاهداً على رأس طائفة من جماعته المتطوعة ، وزار الحجاز في الحرب العامة الأولى وبعدها ، وكان في جملة الوفد الذي قصد الى الحجاز ثم اليمن لاصلاح ذات البين بين صاحب الحجاز وصاحب اليمن ، وطوّف في القسم الأكبر من اوروبة : فرنسة والمانية وايطالية ولندرة ودول البلقان ولا سيما يوغوسلافية ، وساح في اسبانية فشاهد منها : برشلونة وسرقسطة ، ومجريط ، وطليطلة ، وقرطبة ، وغرناطة ، ورندة ، ومالقة ، ومرسية ، وبلنسية ، وميورقة ، وغيرها ؛ وزار طنجة من المغرب ، واقام برهة طويلة من الدهر في سويسرة : لوزان ثم جنيف ، وزار امريكة الشمالية ، فتلقته جاليتها بكل حفاوة واكرام ، وعرفه كما عرف هو — العالم الاسلامي عامة ، والعالم العربي خاصةً .

سياسته : اما سياسته فقد كانت عربية اسلامية : استمسك بالدولة العثمانية بكل جوانحه ومن كل قلبه ، وانفض الناس عنها ، فظل مخلصاً لها الى ان قام الكماليون ، ودكّوا الخلافة ، واعلنوا انهم نفضوا عنهم الاسلام وخرجوا منه ، فانقلب عليهم ، ونفض يده منهم .

ولم تكن تلم ببلد اسلامي ، أو بلد عربيّ ، ملمة استُصرخ لها او لم يستصرخ ، إلا كان سريعاً الى الدفاع عنه ، بقلمه وبلسانه ، دفاع اصدق الوطنيين عن كرائم وطنه .

فلقد اقض مضجع فرنسة ونغص عليها اساليبها الاستعمارية في الشام : سورية ولبنان ، وفي المغرب ولا سيا يوم اصدرت الظهير البربري . وحمل حملاته الداوية عليه . وأقلق ايطالية وزعيمها موسوليني حتى حمله على التخفيف عن عرب طرابلس والسماح لثمانين الف منهم بالرجوع الى وطنهم .

وهو من السابقين الأولين في تنبيه العرب خاصة والمسلمين والشرقيين عامة الى ما يبيته لهم الاستعمار والمستعمرون من أساليب ، وما ينصبون لهم من شباك وفخاخ . يذكر هذا ويعززه بالوقائع والأرقام .

وكانت سياسته في كل عهوده ، سياسة صريحة صادقة بعيدة عن المصانعة والزلفى ، نخلقت له خصوماً ما بالى بهم ، ولا عدل الى رئاء او دهان ؛ وكان الى جانب هذا : راجح الرأي ، صحيح الحكم ، منصفاً حتى من نفسه ، معترفاً بالفضل لذوي الفضل ، واضعاً نفسه دون قدرها ، رافعاً الناس فوق أقدارهم ؛

اباؤه وصبره : وكان في عمله العلمي والسياسي جلداً جباراً احتمل النفي والغربة ، ماضعف له عزم ، ولا لانت له قناة ، ولا رضيت له نفسه بما رآه لا يجملُ بها .

راجعه شقيقه النسيب ، وكثير من أقربائه واصدقائه في الرجوع الى البلاد ، وضرب له شقيقه مثلاً الشيخ محمد عبده ، وقد رضي بالاقامة بمصر تحت احتلال الانكليز . فأبى الاباء كله ، على حبه لوطنه ، وحنينه اليه ، ورغبته في رؤية أمه واشقائه واقربائه واصدقائه واخصائه ، « ورغم ما أصابه من آلام الغربة ، ومن نغصة البعد عن الأوطان ، التي هواها طبيعي ، والشوق اليها مبرح » والخوف الشديد من ان يموت في ديار الهجرة فيدفن في غير بلده .

أما جلده على العمل وقدرته عليه ، فقد كان بحسبه التآليف التي وضعها واشرنا الى بعضها ، على أنه كان فوق ذلك ، يكتب في الشهر الواحد ما لا يقل عن عشر مقالات يتألف منها في السنة لو هي جمعت ١٢٠ مقالاً اي ٣٠٠ — ٤٠٠ صفحة على أقل تقدير . وكان يرد عليه في الشهر مالا يقل عن ٢٠٠ مكتوب ؛ كان يجيب عنها كلها ، وكان لا يرى لنفسه مندوحة عن الجواب ، لأن رد

الجواب كان في رأيه — كرد السلام، ويرى في عدم الجواب نقصاً في المروءة ، فكان لذلك يكتب في السنة بين جواب وخطاب ما يزيد على ٢٠٠ رسالة ، وهو عمل ندر في الناس من يستطيعه .

بل هو قد كتب في سبيل الكتاب المعروف الذي زوّر عليه ، الفين وخمس مئة صفحة، بين رسائل ومقالات ، شغلته مدة شهرين وتزيد .

شعره : اشتهر نثر الأمير فعرفه الناس، فأصبحوا لا يحتاجون الى من ينوّه لهم بشيء منه ، على انه يحسن بنا ان نورد هنا شيئاً من شعره في مناسبات وطنية .

فما قاله في حرب طرابلس الغرب ، يومْ اقامت جمعية الهلال الأحمر حفلة بمصر لجمع الاعانات والمساعدات :

مواطن اخوان تملوا من الردى	كؤوساً تساقيها بملء الحلاقِم
دفاعاً عن الأوطان ان دفاعها	لدى كل قوم كان اولى المكارم
تهيهم فيهـا العدو مهاجما	فجاء دبيب اللص في ليل قاتم
ولين في اقباله من إهابه	وهل يخدع الانسان لين الاراقم
فثاروا وما كانت زعانف رومة	من العرب اكفاء الليوث الضراغم
ونعم سقاط الموت هم كلما بدت	بروق المواطي في رعود الغماغم
وحسبك منهم كل قوم نمتهمُ	ارومة قحطان ونبعة هاشم
وكم وقفوا يستنصفون عدوهم	وهزوا من الاملاك جذع المراحم
فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا	لدى الصارم البتار صدق التراجم
فلم يك مثل السيف كاليوم قاضياً	ولا العهد مثل الآن احلام حالم
وما طال نوم السيف الا تنبهت	عيون الدواهي منه عن جفن نائم
اخلايَ سوق للمنايا مقامة	تباع حفافيهـا غوالي الجماجم
فهل لكم في سوق بر ورحمة	تنالون فيها باقيات المغانم
غياثاً لمظلوم ونصراً لصارخ	وضمداً لمجروح وقوتاً لصائم

ومن قوله :

فياوطني لا تترك الحزم لحظةً بعصر احيطت بالزحام مناهله
وكن يقظاً لا تستنم لمكيدة ولا لكلام يشبه الحق باطله
وكيد على الأتراك قيل مصوب ولكن اصيد الأمتين حبائله
تذكر قديم الأمر تعلم حديثه فكل حديث قد نمته اوائله
اذا غالت الجلى أخاك فانه لقد غالك الأمر الذي هوغائله
ولو لم يفدنا عبرة خطب غيرنا لهان ولكن عندنا من نسائله
سيعلم قومي انني لا اغشهم ومهما استطال الليل فالصبح واصله

وقال في حطين وبحيرتها ويوم صلاح الدين :

يا يوم حطين كم حططت من الـ إفرنج شأناً ما كان ينكسر
هبوا من الغرب كالجراد فلم يكن لشرق بردهم قدرُ
واستفتحوا القدس والبلاد ولم يعص عليهم بدو ولا حضرُ
وهددوا المسجد الحرام وكم دعا ملب فيه ومعتمر
وكاد يبكي الميزاب فيه دماً ورق مما أصابنا الحجر
ونابت المسلمين داهية دهماء قد عمهم بها الذعر
فكل كف اصابها شلل وكل عزم اصابه خور
وكل جمع ناواهم انقلبت فرسانه وهي للظبى جزَر
وحوصرت جلق ولو اخذت لم تبق مدن لنا ولا مدَر
وقيل دار الاسلام قد حصرت وحفّ باقي بلاده الخطر
ما زال ملء القلوب رعبهم ولم يكن نافعاً لها الحذر

* * *

يوم تلاقى الجمعان والتظت الهيـ ـجاء حتى كأنها سقرُ
يوم تلاقى الجمعان وانتصب المـ ـيزان رهن انحرافه الظفرُ
الشرق والغرب بعد طول وغى تواقفا والبراز مختصرُ
ثلاثةً والنزال بينهما نزال من بعد يومه العصرُ

فأمطرتهم قسيّ جيش صلا ح الدين نبلاً من دونه المطر
ودّوا وقد ابصروه عارضهم لو سترتهم من دونه حُفَر
كأنما قومنا وقد ثبتوا شمّ حصون لها القنا جُدُر
كأنما قومنا وقد وثبوا زعازع للغصون تهتصر
ذاق العدى من سلاف طعمهم كأساً بغير العنقود تختمر
لما بدا الأمر غير ما حسبوا والناس من فوق صبرهم صبروا
ولّوا ظبي يوسف ظهورهمُ تأخذ منها فوق الذي تذر
قاصمة الظهر للفرنج غدت وقعه قرنى حطين مذ ظهروا
كأن عليا حطين مبتدأ وكل فتح من بعده خبر

أخلاقه: وأما أخلاقه، فأخلاق الأنبياء المرسلين: صفاء قلب، ونقاء ضمير؛ لا ضغينة معها ولا حسد، أساء اليه كثيرون واجتهدوا في الاضرار به، فعفى عنهم عفو الكريم المقتدر أحياءً؛ ورثاهم رثاء الواله المتفجع أمواتاً، بل هو قد قابل اساءة كثير منهم بالاحسان اليهم.

وكان صادق الود لاخوانه، كثير البر اليهم، والعطف عليهم، ينزلهم من نفسه منزلة الأشقاء. بل كان لا يرد قاصداً يطلب اليه معونة مادية كانت ام معنوية، حتى اضاع كثيراً من ماله في سبيل قصاده واخوانه.

كان الأمير الأرسلاني ـ رحمه الله ـ اذا عزّى اخوانه استشهد لهم احياناً بقول البديع: «الموت أمر عظم حتى هان وخشن حتى لان».

وخطب هذه الأمة بأميرها وامامها، عظم حتى مايهون، وخشن حتى ما يلين، إلاّ ان يمن الله عليها بخليفة له من بعده، يسد مسده، وهو ما لا يكاد يكون، في المئات من السنين.

رحم الله أبا غالب رحمة واسعة، وأحسن اليه بعد مماته، على قدر ما أحسن الى هذه الأمة وهذا الوطن في حياته، وانا لله وانا اليه راجعون.

عارف النكدي

فهرس الجزء الأول والثاني من المجلد الثاني والعشرين

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء



آذار ونيسان سنة ١٩٤٧ شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة ١٣٦٦

كنوز الأجداد

— ٢ —

ابن حزم

(ابو محمد علي ٤٥٦)

كان جده الأعلى أول من أسلم ، وكان مولى يزيد بن أبي سفيان الأموي ، وأصل أهله من فارس ، وجده الخامس خلف أول من دخل الأندلس من آبائه ، وسكن أول أمره في قرية مَنْت لِيشَم من اقليم الزاوية في عمل أونبه من كورة لَبْلة غرب الأندلس . وسكن أبوه قرطبة ووزر للمنصور محمد بن أبي عامر .

ولد علي سنة ٣٨٤ في قصر ما عرف فيه الا النعيم والنعم في صباه وتولى النساء تربيته وربي في حجورهن ونشأ بين أيديهن ولم يعرف غيرهن ، ولا جالس الرجال الا وهو في حد الشباب وحين تبقل وجهه ، وهن علّمنه القرآن ، وروّينه كثيراً من الأشعار ، ودرّبنه في الخط » فكانت ثقافته أرقى ثقافة يثقفها ابناء العظماء ، وما كانت المظاهر الخلابة التي شاهدها في قصر أبيه لتحول دون رغبته

في التناغي بالعلم والغرام بالأدب وما كان ذاك الثراء ليبطره فيشغل نفسه بما لا يجدي عليه في حياته . وناقش مرة أحد علماء الأندلس فقال له هذا : ان اكثر مطالعاته كانت على سراج الحراس فأجابه عليّ أن أكثر مطالعاته كانت على منابر الذهب والفضة ، يريد أن الغنى أمنع لطلب العلم من الفقر .

ولما تغلب البربر على قرطبة وعليّ في الخامسة عشرة في عمره انتقل أبوه من دورهم الحدثة بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة الى دورهم القديمة في الجانب الغربي ، ثم انتهب البربر دورهم في الجانب الغربي هذا ونزلوا فيها فخرج عن قرطبة وسكن المَرِيَّة . وقال ابن حزم انهم شُغلوا « بالنكبات وباعتداء ارباب دولة هشام المؤيد ، وامتحنا بالاعتقال والترقيب والاغرام الفادح والاستتار وأرزمت الفتنة والقت باعها وعمت الناس وخصّتنا » ثم نكبه صاحبُ المرية بدعوى انه يسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية فاعتقل أشهراً ، ثم أُخرج على جهة التغريب ، ثم صار الى حصن القصر ولقي صاحبه التُّجيبي فأقام عنده شهوراً « في خير دار اقامة وبين خير أهل وجيران » ثم ركب البحر قاصداً بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد وسكن بها وتولى له الوزارة ثم تولاها لهشام المعتمد بالله .

هذه بالاجمال سيرة ابن حزم السياسية الى العقد الثالث من عمره . ولما رأى ما رأى من تقلقل الدول في الأندلس وعزفت نفسه عن أمور « الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك » أقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والانتفاع بدروس أجلّ رجال عصره .

نبغ ابن حزم في الأدب والفلسفة والطب والحديث والفقه والتاريخ وكان أصولياً نظاراً كاتباً شاعراً يرتجل الشعر ويبتده الخطب ويضع الكتب وكان « أجمعَ أهل الأندلس قاطبةً لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار » « وكان

شافعياً أولاً ثم صار ظاهرياً على مذهب داود بن علي بن خلف الاصفهاني ومن قال بقوله من اهل الظاهر ونفاة القياس » وناضل عن مذهبه الجديد فنال منه فقهاء الأندلس ، وكان اكثرهم يميل الى القول بمذهب مالك ولولا ان حال صاحب المرية دون تحاملهم عليه لأوردوه حتفه واكتفوا بأن احرقوا بعض كتبه في احدى ساحات اشبيلية وحرموا النظر فيما كتب ، ولولا ان حمل بعض تلاميذه كتبه الى الشرق لما انتشرت في الآفاق . اما هو فظل على كثرة معانديه يقرأ ويقرئ ويدرس في بلده حتى مضى لسبيله .

وفي احراق ابن عباد كتبه قال ابن حزم :

فان تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل ان انزل ويدفن في قبري
دعوني من احراق رق وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا في المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من ستر

ومما عدوه عليه انه كانت « له مجالس مع اولي المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام » اي انه كان يجتمع الى غير السواد الأعظم ، وعابوا عليه انه خالف ارسطو في بعض آرائه ، كأن الاجتماع بالمخالف والنقد على صاحب الرأي من الكبائر . والذي ينتقد عليه في الحقيقة انحاؤه على بعض الأئمة ومغالاته في رد كل من خالف مذهبه من فرق الاسلام ، يستعمل لهجة قاسية حتى قالوا انه كان يصك معارضه في علمه صك الجندل وينشقه متلقنه انتشاق الخردل . قالوا وكان مما يزيد في شنآنه تشيعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم بالشرق والأندلس واعتقاد صحة امامتهم وانحرافه عمن سواهم من قريش .

قال عن نفسه معتذراً عما يبدو في كلامه من الشدة على من لم يتبع مذهبه انه كانت به علة شديدة أصابته فولدت عليه ربواً في الطحال شديداً فولّد ذلك عليه من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق أمراً جاشت به نفسه .

وقال انه انتفع بمحك اهل الجهل منفعة عظيمة وهي انه توقد طبعه واحتدم خاطره وحمي فكره وتهيج نشاطه فكان ذلك سبباً الى تواليف عظيمة النفع ولولا استثارتهم ساكنه واقتداحهم كامنه ما انبعثت لتلك التواليف .

وقال عن نفسه انه جُبل على طبيعتين لا يهنؤه معهما عيش ابداً وهما وفاء لا يشوبه تلون ، قد استوت فيه الحضرة والمغيب والباطن والظاهر ، وعزة نفس لا تقر على الضيم مهتمة لأقل ما يرد عليها من تغير المعارف مؤثرة للموت عليه . فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو الى نفسها وقال واني لأُجفى فاحتمل واستعمل الأناة الطويلة والتلوّم الذي لا يكاد يطيقه أحد ، فاذا أفرط الأمر وحميت نفسي تصبرت وفي القلب ما فيه .

وقال غاظني أهل الجهل مرتين من عمري احداهما بكلامهم فيما لا يحسنونه ايام جهلي ، والثانية بسكوتهم عن الكلام بحضرتي ، فهم ابداً ساكتون عما ينفعهم ناطقون فيما يضرهم . وسرَّني اهل العلم مرتين من عمري احداهما بتعليمي ايام جهلي والثانية بمذاكرتي ايام علمي .

كان ابن حزم يعرف كيف يحاج المخالفين له ويبذهم ، لأنه كان أرقى منهم كما ظهر ، مع ما أوتيه من بلاغة اللسان وبلاغة القلم ، وحضور الذهن ، ووفرة المادة ، وشدة الاخلاص والصدق ، ولما ضاق به مخالفوه ذرعاً لجأوا الى السلطان فما استطاعوا ان يذلوه وهو العزيز ولا ان ينتقصوه وهو الكامل ، ولا ان يجهلوه وهو العالم وكيف يصلون الى غاياتهم منه وهو الذي انتشرت في الأقطار كتبه في حياته وما وسع حتى اعداؤه في رأيه ان ينكروا فضله العظيم .

ألف تآليف كثيرة بلغت نحو أربعمائة مصنف تدخل في ثمانين الف ورقة فكان اكثر علماء الاسلام تآليف بعد ابن جرير الطبري .

وانت ايها القارئ العزيز اذا احببت ان تقرأ نمطاً عجيباً من رد ابن حزم على مخالفيه وكيف يزيف اقوالهم ويشتد في حوارهم طالع « الفصل في الملل

والأهواء والنحل » واذا شئت ان تطلع على الحكم فيما اختلف فيه الناس من أصول الأحكام في الدين فطالع كتابه الجامع « لإحكام في أصول الأحكام » واذا سمت بك همتك الى التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف وتصحيح الدلائل المؤدية الى معرفة الحق مما تنازع الناس فيه ، والاشراف على احكام القرآن والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله وتمييزها مما لم يصح والوقوف على الثقات من رواة الأخبار وتمييزهم من غيرهم والتنبيه على فساد القياس وتناقضه وتناقض القائلين به فليكن تصفحك لكتابه « المحلّى » واذا جنحت الى تعرف حكمة العشق يطلعك بمجالس في الحب وعلم النفس على تحليل ارواح النساء والرجال وكشف اسرار الجنسين . وفي كل أولئك تدرك مبلغ ابن حزم من حرية القول وبعد التفكير وتتبين درجة أدبه على ما لا يخطر ببالك صدور مثله عن مثله فاقرأ كتابه البارع « طوق الحمامة في الألفة والألاف » يثبت لك من هذا ان ابن حزم لا يقول بالتقية وهو القائل : « ولا انسك نسكاً أعجمياً ، ومن أدى الفرائض المأمور بها واجتنب المحارم المنهي عنها ، ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الاحسان ، ودعني مما سوى ذلك » ، ومن أحب ان يقرأ فلسفته في الأخلاق وما يصلح الجماعات والمجتمعات فليقرأ كتابه « مداواة النفوس » وهذا كتاب كله زبدة يجزيء قارئه عن كثير مما كتب في موضوعه ويبين درجته من الحكمة .

ذاك بعض كتبه التي تخطتها حملات خصومه فسلمت وانك لتقرأ اسناده في الشريعة فتدهش لما ترى من احاطته بأطراف كل موضوع خاض عبابه كأن مسائل الدين صفحة واحدة ماثلة امام عينه استظهرها في الصغر واستخرج ايام نضج عقله وعلمه كل ما فيهــا من دقائق الحقائق . فكان بهذا حقاً من أعظم علماء الاسلام لم يجيء في بابه بضعة رجال من عياره .

ابن حزم إمام في كل شأن في الدين والحكمة والأخلاق والأدب والتاريخ وفي كل ما اتقن من علم وتمثله وألف فيه . فهو جد عظيم يملك عليك نفسك

وانت تنظر فيما شرح او بسط وحاور وجادل ، يتعاظمك بسلطان علمه فتكبره وتكبر أدبه ، ويعجبك بشدة غيرته على بث دعوته ، ويسوءك ان يسيء اليه معاصروه وهو الذي كان كله احساناً . ومن « طوق الحمامة » تعرف اي اديب هو ومن « المحلى » تدرك اي عالم ديني هو وتنادي لا تبالي هكذا فليكن العلماء . ناهيك من رجل ينشأ على الفضائل الموهوبة والمكسوبة ولم يلهه ترف القصور عن الاستغراق في معالجة صعاب المسائل . ولما علم تقصيره في بعض الفروع الشرعية وهو في نحو الثلاثين من عمره عاد فقعد مقعد المتعلم بين ايدي العلماء يحصل ما فاته وما برح يتلقى عن الشيوخ حتى بلغ درجة الاجتهاد وأعتام بها من مرتبة لا ينالها في قطره وعصره الا من استحقها الاستحقاق كله ، خصوصاً وهو بين ظهراني خصماء غير رحماء واعداء ارديا ، يحسدونه على نعمته ونعمة آبائه وعلى علمه وعلى مكانته ورجاحته .

ابن حِبّان البستي

(ابو حاتم محمد ٣٥٤)

عربيٌّ اتصل نسبه بالياس بن مضر نشأ في بُست مدينة بين سجستان وغزنين وهراة لا يعرف عن نشأته الا ما قالوه من أنه كان مكثراً من الحديث بالرحلة والشيوخ وانه سمع الحديث من خلائق في خراسان والعراق والحجاز والشام ومصر والجزيرة وغيرها وقال في بعض كتبه : ولعلنا كتبنا عن الف شيخ ما بين الشاش والاسكندرية .

ولي قضاء سمرقند ثم قضاء نسا وغيرها ثم صرف من القضاء بدعوى انه زعم ان النبوات علم وعمل وانه صنف لأبي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة . وقال بعضهم ان له أوهاماً أنكرت عليه وأنه طُعن عليه بهفوة منه بدرت ولها محل لو قيلت . وقيل ان الخليفة قتله بدعوى انه يعرف بعض العلوم الرياضية وهو في الثمانين من عمره ! وقيل مات حتف أنفه . والأرجح ان كتابه في

القرامطة حمل افكاراً لا يرضاها السلطان فنقموا منه ما كتب ، فكان مقتله سياسياً .

كان البستي عالماً بالمتون والأسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ، وصحيحه فيه أصحُّ من سنن ابن ماجة وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته لأنه أدرك الأئمة والعلماء والأسانيد العالية وكان وعاءً من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ، عارفاً بالطب والنجوم والكلام ، عاقلاً ألمعياً وكاتباً لوذعياً .

وذكر العارفون ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واصفوها مصنفات ابي حاتم وهي في الحديث ومناقب الأئمة ، والعلوم وأنواعها ، والهداية الى علم السنن . وقد سبّلها ووقفها وجمعها في دار رسمها بها جعلها لأصحابه ، وبنى مسكناً للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة وجعل لهم جرايات يستنفقونها دارّةً . وأوصى وصيّة ان يبذل كتبه لمن يريد نسخ شيء منها من غير أن يخرجها من دارها . وتشتت كتبه مع « تطاول الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيث والفساد على تلك البلاد وجهل اهلها ، فلم تعاوَر بالنسخ » ضاع أصلها ولم يكثر فرعها .

لم نعرف ان كان طبع لابن حبان شيء من كتبه المحررة في العلم الذي اشتهر به في القاصية والدانية ، وغاية ما طبع له كتاب « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » وهو كتاب بديع قسمه الى زهاء خمسين مطلباً ، ابتدأ كل مطلب بحديث وأتبعه بما قصد بيانه ، ووشاه بشواهد كثيرة من الشعر وغيره ، بحيث يستفيد منه الكبير والصغير ، ويتأدب به الأمير والأجير ويغني غناءه في تربية الرجال والنساء ، ببيان معجب وتنسيق جاءت معه فصوله ذات حجم واحد متوازية الفائدة آخذة من الحسن والاحسان بأوفر نصيب .

ابن حبان ينقل الشعر والنثر بالرواية على أصول المحدثين ومنظومه طبقة يتنافس فيها ، ثم يأتي من عنده بكلام يدل على بعد غوره ولطف ادائه ، وقد يورد في بعض الفصول قصصاً ترق وتعلّم ، ويخاطب العقل وما يجدر بصاحبه عمله « لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار الى النقص ، ولا ينفع العقل الا

بالاستعمال كما لا تنفع الأعوان الا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأي الا بالانتحال كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان» .

قال أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى يكون كذي رجل وليست له نعل

ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجى يكون كذي نعل وليست له رجل

ومما حكاه قال : سمعت اسحق بن احمد القطان البغدادي بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموم مكروب فقلت : مالك يا أبا عبد الله . قال : خير . قلت ومع الخير ، قال : امتُحنت بتلك المحنة حتى ضُربت ثم عالجوني وبرأت ، إلا أنه بقي في صلبي موضع يوجعني ، هو أشد عليَّ من ذلك الضرب . قال : قلت اكشف لي عن صلبك : قال : فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط . فقلت : ليس لي بذي معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا . قال : فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بيني وبينه فضل معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس في حاجة قال : ادخل . فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معي دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي . ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً وأشدهم صبراً . قال : فقلت له : أسألك عن شيء قال : هات . فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم وضُرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة ، إلا أنه لم يمت ، وعالجوه وبرأ ، الا أن موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر . قال : فضحك ، فقلت : مالك ؟ قال الذي عالجه كان حائكاً . قلت : ايش الخبر ؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها قلت : فما الحيلة ؟ قال : يُبطُّ صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويُرمى بها ، وان تركت بلغت الى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس فدخلت

على احمد بن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا ، قال : أوتفعل ؟ قلت : نعم قال : فقام ودخل البيت ثم خرج وبيده مخدتان وعلى كتفه فوطة فوضع احداهما لي والأخرى له ثم قعد عليها وقال : استخر الله فكشفت الفوطة عن صلبه وقلت : أرني موضع الوجع قال : ضع اصبعك عليه فاني أخبرك به ، فوضعت اصبعي وقلت : ها هنا موضع الوجع ؟ قال : ههنا احمد الله على العافية فقلت : ههنا قال : هاهنا احمد الله على العافية . فقلت ها هنا قال : ها هنا اسأل الله العافية . قال : فعلمت انه موضع الوجع ، قال : فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى بططته . فأخذت القطعة الميتة ورميت بها وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله : اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ثم قال : كأني كنت معلقاً فأُحدرت . قلت : يا أبا عبد الله ان الناس اذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم . قال اني فكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ فكرهت آتي يوم القيامة وبيني وبين احد من قرابته خصومة ، وهو مني في حل .

ومن حكاياته ، وحكاياته على الأغلب ذات مغزى سياسي واجتماعي : انبأنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم بن ثوبان أن النبي ﷺ قال : « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فاذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم ، فان لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء » . سُعي به الى المهدي فبعث الى شريك فأتاه ، فقال : حدثت بها قال : نعم قال : عمن رويتها قلت : عن الأعمش قال : ويلي عليه لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار . قلت : انه كان مأموناً على ما يروى . قال : يا زنديق لأقتلنك . قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم . قال : والله لأقتلنك قلت : أو يكفي الله . قال : فخرجنا من عنده فاستقبلني الفضل بن الربيع فقال : ليس لك موضع

تهرب اليه ؟ قلت : بلى ، قال : فانه أمر بقتلك قال : فخرجت الى جبل . وخرجت يوماً اتجسس الخبر فأقبل ملاح من بغداد فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين . قلت : يا ملاح قرّب ، فقرّب . وفي هذه القصة اشارة الى ظلم العباسيين وفي أقل منها كانوا يستبيحون اهلاك الناس ولذلك ما كان ابن حبان من المرضي عنهم في بلاط بغداد على ما يظهر . وما أغناه انطواؤه على علم غزير وخير كثير . أفاد الأمة من كل وجوه الاستفادة فما نال منها الا كفر ما أسدى وغمط ما اجدى .

الراغب الاصفهاني

(الحسين بن محمد مات سنة ٣٩٩ وقيل ٤٠٢)

لاتصال العلماء والأدباء برجال السلطان وتصرفهم لهم في القضاء والعمالات او تقربهم منهم بالمنادمة والتأديب والشعر دخل كبير في استفاضة شهرتهم وتناقل آرائهم وتآليفهم . وكم من عظيم لم يتول قضاء ولا عملاً للدولة بقي على خمول لا يكاد يشعر به ولا يعرفه غير بعض ابناء حيه ومنهم على مايظهر الراغب الاصفهاني .

لم يترجم له حتى اصحاب الطبقات من أهل مذهبه وغاية ما اتصل بنا من أخباره انه كان صاحب لغة وعربية وحديث وشعر وكتابة وأخلاق وحكمة وانه عارف بعلوم الأوائل وغير ذلك وانه كان مقبولاً عند الخاصة والعامة ومن أئمة السنة شافعي المذهب وقرنوه بالغزالي وقيل ان الغزالي كان يستصحب كتابه الذريعة ويستحسنه لنفاسته وان القاضي البيضاوي اعتمد على كتابه مفردات الراغب في التفسير .

أما اين قرأ الراغب وعمن اخذ ، وكيف نبغ وكيف نفع الى غير ذلك من خصائصه وحليته ورحلته فلم نقف على شيء منه يبل الغلة وكانت اصفهان في أيامه ، عش العلماء والائمة على ما كانت نيسابور ، لم تخرج مدينة من المدن

في فارس أمثالهم في كل فن ولا سيما الحديث وحفاظه على أننا لا نعرف ان كان الراغب نشأ في تلك المدينة الجميلة ام انها موطن أسرته وهو عاش في مدينة أخرى من فارس .

وكأن لسان الحال نادى من غفلوا أو تغافلوا عن التنويه به في كتبهم : انكم ياهؤلاء اذا اهملتموني فالقدرة تعلقت بأن تناقل الناس كتبي وانتفعوا بها في مختلف الأعصار والأقطار . وهل يستغني طالب الوقوف على اسرار التنزيل عن الأخذ من كتابه « المفردات في غريب القرآن » وقد شاع بين الناس باسم « مفردات الراغب » ؟ وهل تسد حاجة المتفقه بغير كتابه « الذريعة الى مكارم الشريعة » اذا أراد الجمع بين احكام الشرع ومكارمه علماً وعملاً ؟ وهل يتم أدب المتأدب اذا لم يأخذ من كتابه « محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » الذي أطلق عليه الناس اسم « محاورات الراغب » تخفيفاً فاقترن باسمه على الدهر ؟ وهل المتعلم في غنية عن مدارسة كتابه « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » .

الراغب لا يتكلم عن نفسه ، بل ينقل في العلم والأدب — اللهم اذا حكمنا عليه بما بقي لنا من ممتع تراثه هذا ، وهو الكتب الأربعة السابقة — كلام من تقدمه ويضع الدساتير ويختط الخطط ، وقد امتاز بأن العقل يتجلى في سطور ، فهو من أعظم العلماء الذين يحسنون استخراج الآي من القرآن ويوردونه عند الاقتضاء دليلاً على ما يريدون الافاضة فيه . ومن اعظم من طبقوا الحكمة اي علم العقل على الشرع كما امتاز بتنسيق فصول كتبه وسهولة عبارتها مع بلاغتها واقتصاره في تقريره على ما يجب ان يبقى في الذهن ولا تعافه النفس لطوله ولفه ودورانه .

يقول لك الراغب في المفردات « ان اول ما يحتاج ان يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني مفردات الفاظ القرآن في كونه من اوائل المعاون لمن يريد ان يدرك معانيه

كتحصيل اللَّبِن في كونه من ادل المعاون في بناء ما يريد ان يبنيه وليس ذلك نافعاً في علوم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ...»

ويقول لك في الذريعة انه بالكتاب المكرمة يستحق الانسان ان يوصف بكونه خليفة الله تعالى المعنيّ بقوله تعالى اني جاعل في الأرض خليفة ، وبقوله تعالى ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون وبقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . وان خلافة الله عز وجل لا تصحُّ إلا بطهارة النفس كما ان اشرف العبادات لا تصح الا بطهارة الجسم .

ويقول لك في تفصيل النشأتين ان العقل ان يهتدي الا بالشرع والشرع لا يتبين الا بالعقل فالعقل كالأُس والشرع كالبناء ولن يغني أس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أس . وأيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج وان يغني الشعاع ما لم يكن بصر ولهذا قال الله تعالى لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه . وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده فان لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت قال الله تعالى «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء» والله هو الهادي وأيضاً فالشرع عقل من خارج العقل شرع من داخل وهما متعاضدان بل

متحدان ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله : صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، ولكون العقل شرعاً من داخل قال في وصف العقل « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » فسمّى العقل ديناً ولكونهما متحدين قال « نور على نور » اي نور الشرع ونور العقل ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء . فجعلهما نوراً واحداً فالشرع اذا فقد العقل عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد الشعاع » .

بينا يقول لك هذا اذا به في محاضراته اديب لا يتورع عن نقل كل ما ندعوه بالأدب الواقع أو المكشوف في جملة ما ينقل من فرائد الشعر ويتيمات النثر هو هناك اديب على أكمل وجه عرف به اديب ويقول « ومن لا يتحلى في مجلس اللهو الا بمعرفة اللغة والنحو كان من الحصر صورة ممثلة أو بهيمة مهملة ومن لا يتبع طرفاً من الفضائل المخلدة من ألسنة الأوائل كان ناقص العقل . ويبدأ كتابه بباب العقل والعلم ، فهو معلم صادق في كل ما كتب لا يحب التزمت ويبعد عن التقية ويلقنك ما يعتقد صحته وفصاحته بدون مواربة .

كتب كتابه هذا لأمير من أولئك الأمراء على ما يظهر وخاطبه بسيدنا عمر الله بمكانه مرابع الكرم ليجعل هذه المحاضرات « صيقل الفهم ومادة العلم » لأنه كان ممن سلك في زمانه طريقاً قلّ سالكوه جعل مراعاة الأدب شعاره ودثاره » .

هذه نتفة من سيرة عظيم الشرع ونابغة العقل ولم نعرفه إلا كما عرفنا اكثر العلماء ، مثلوهم لأعيننا كباراً من أول يوم وما وقفوا على بيوتهم ونشأتهم ودراستهم وشيوخهم ومعاشهم وصفاتهم وما وقع لهم من الأحداث في حياتهم مما كانوا لا يرون فيه كبير أمر وممن لا نتصور الرجال الا به .

محمد كرد علي

شرح ديوان المتنبي لابن عدلان
لا للعُكْبَرِيّ

— ٢ —

أحوال شارح الديوان

لقد استبان مما بسطناه من أدلة النفي — أعني نفي أن يكون الشرح المنسوب الى العكبري من تأليفه — أنه كان من أهل الموصل أو طالباً للعلم فيها وأنه قرأ ديوان المتنبي على عالم الموصل ابي الحرم مكي بن ريّان الماكسيني وأنه كان بصيراً لا ضريراً وينتسخ بخطه من كتب النحو والأدب وأنه انحدر من الموصل الى بغداد ورأى في طريقه بسامرا مشهد المهديّ محمد بن الحسن العسكري وأنه دخل الكوفة ثم درس بالشام على ضياء الدين نصر الله بن الأثير ، ثم بمصر على ابي محمد عبد المنعم بن صالح النحوي المتوفى سنة (٦٣٣) وقرأ عليه ديوان المتنبي . فهذه الأحوال هي التي بعثتنا على أن نحسب الشرح لشرف الدين الحسين بن ابراهيم الأربليّ ، ولكنها في الحقيقة لم تتوفر فيه لأننا لم نجد من ذكر أنه درس على الماكسيني ولا على عبد المنعم الاسكندراني ، ولا فعل كذا وكذا مما هو منسوب الى الشارح بقلمه واشارته ، فانْ سقط اسم شرف الدين من الترجيح فعلينا أن نبحث عن أدباء أوائل القرن السابع الذين تدخل في الامكان نسبة شرح الديوان الى كل واحد منهم وهم :

(١) — شهاب الدين ابو طاهر وأبو الفداء وأبو المحامد اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي القوصيّ ، المتوفى سنة « ٦٥٣ » ذكره ابن العديم الحلبي في تاريخ حلب وقال « جمع معجماً لشيوخه في مجلدات أربعة » وذكر الذهبي

أنه روى عن ابي الحرم مكي بن ريان الماكسيني المذكور قبل ذلك ولكن لم يذكر لنا أحد أنه ألَّف في النحو ولا اشتغل بديوان المتنبي إذن تسقط استجازة نسبة الشرح اليه ٠

(ب) — أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلي مؤلف « عقود الجمان في شعراء الزمان » و « ذيل معجم الشعراء » الذي للمرزباني قال الحاجي خليفة « عقود الجمان في شعراء الزمان : لأبي البركات مبارك بن أبي بكر ابن الشعار الموصلي المتوفى سنة (٦٥٤) أربع وخمسين وستمائة وهو مجلدات » ثم قال « معجم الشعراء للشيخ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ٠٠٠ وذيله أبو البركات مبارك ابن أبي بكر بن الشعار الموصلي المتوفى سنة « ٦٥٤ » أربع وخمسين وستمائة وسماه تحفة الوُزراء المذيل على كتاب معجم الشعراء [١] ٠٠٠ »

وذكره اليافعي في تاريخه ومؤلف غربال الزمان في وفيات الأعيان ، قال في وفيات سنة (٦٥٤) :

« وفيها الكمال أبو البركات المبارك بن حمدان الموصلي مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان [٢] » وزاد عليه ابن العماد أنَّ وفاته كانت بحلب [٣] ٠ ولم يُشر أحد الى أنه الف في النحو ولا في شرح شعر المتنبي ، فكيف نستجيز نسبة شرح هذا الديوان اليه ؟

شارح الديوان ابن عدلان الموصلي

لا سبيل لنا إذن سوى الرجوع الى شرح الديوان مرّة ثانية فانّ الله تعالى قد أعان على أن يُعرَف صاحبه وللعون علامات ، فقد جاء في الشرح في بيان قول المتنبي :

---

(١) والظاهر أن له « مختصر طبقات الشعراء » لابن المعتز وذيلها في خزانة الاسكوريال باسبانية ، برقم ٢٧٩ من فهرست درنبرغ - Derenbourg , Les Mss arabus de l'Escurial , 1 , 177 , no . 279

(٢) أصول التاريخ والأدب مج ٧ ص ٥٦

(٣) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٦

تتقاصر الأفهام عن ادراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا

قوله « قال ابو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان : الرواية الصحيحة « مثل » بالرفع[١] ... » . فالشارح إذن هو هذا العالم الذي أثبت اسم نفسه في آخر الشرح على التقريب ، وإذا أتى القارئ الكريم على ترجمته – على ما نحن ذاكروه – يرى أنّ الشرح لا تصحّ نسبته إلا إليه ، لما في سيرته من استلزام تلك النسبة وما في علمه من استحقاقها وسيظهر له أنه درس على أبي البقاء العكبري – كما أشرنا اليه – وهو في سلسلة اسمه (عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان ابن حمّاد بن علي الربعي الموصلي النحوي المترجم الامام العلامة) ، أحد أذكياء العالم الاسلامي بل الدنيا ، ولد بالموصل سنة (٥٨٣) أو قبلها وبها أمضى أيام الصبا ، ودرس الأدب على أبي الحرم مكي بن ريان الماكسيني النحوي المشهور وقرأ عليه ديوان المتنبي[٢] ، وارتحل الى بغداد – كما كان طلاب الأدب والحديث يفعلون – ومرّ بمدينة سامرا ، وكانت قد انتعشت في تلك الأيام كسائر مدن العراق على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي[٣] ، وأدرك ببغداد محب الدين أبا البقاء عبد الله العكبري النحويّ الذي نسب اليه شرح ديوان المتنبي المذكور ، وهمًا أو افتعالاً ، فأخذ عليه ، ومال الى الزهد والعبادة – على قول بعض المؤرخين – وكتب لنفسه فيما كتب جزءاً من كلام المشايخ والعارفين وسمع الحديث من أبي محمد عبد العزيز الجنابذي المعروف بابن الأخضر الحنبلي وعبد العزيز بن منينا وهو مشهور أيضاً ، ويحيى بن ياقوت وعلي بن محمد الموصلي وبُزْغُش عتيق ابن حمدي وجماعة ، ودرس فنون الآداب وأولع بحل المترجم والألغاز ، ثم ارتحل الى بلاد الشام ماراً بالكوفة ، ودخل حلب وكانت

---

(١) الشرح ج٢ص ٤١١ (٢) قدمنا الاشارة الى ذلك في نقلنا بعض خطبة شرح الديوان
(٣) ذكر خصب البلاد وخيرها في أيامه الأديب الكبير ابن جبير وقال فيه « وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلاً وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له ... » (رحلة ابن جبير ص ٢٠٦) من طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٨ م

ملتقى العلماء والأدباء وطلاب الحديث في أوائل القرن السابع وأجاز له العلامة الكبير تاج الدين الكندي ، وكان يلم بدمشق ثم يرجع الى حلب ، وقد رأى فيها جمال الدين ابن القفطي وياقوتاً الحموي ، قال ياقوت :

« كنا بحضرة القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ابن ابراهيم الشيباني – حرس الله مجده – وفيه [1] جماعة من أهل الفضل والأدب فقال أبو الحسن علي بن عدلان النحوي الموصلي : حضرتُ بدمشق عند محمد بن نصر بن عنين الشاعر وزير المعظم فجاءته رقعة طويلة عريضة خالية من معنى ، فارغة من فائدة فألقاها إليّ قائلاً : هل رأيت قط رقعةً أسقط أو أدبر من هذه مع طول وعرض ؟ فتناولتها فوجدتها كما قال ، وشرعتُ أخاطبه ، فأومأ إليّ بالسكوت وهو مفكر ، ثم أنشدني لنفسه :

وردَتْ منك رقعة أسأمتني وثنتْ صدري الحمول مَلولا
كنهار المصيف ثقلاً وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولا

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة وعجبوا من حسن المعنى ، فقال القاضي الأكرم : مازلت استحسن كلاماً وجدته على ظهر ديوان الأعشى في مدينة قفط في سنة « ٨٥ » [2] ، يتضمن لأبي العلاء المعري [3] يشبه ما في هذين البيتين من المقابلة ضداً بضدّ في موضعين ولعل هذين البيتين يفضلان على ذلك » .

ولقي عفيف الدين ابن عدلان شمس الدين ابن خلكان وصاحبه ، ولقي جماعة وافرة من الأدباء والشعراء ، ثم قصد الى الديار المصرية ودرس على عبد المنعم ابن صالح التيمي الاسكندراني وقرأ عليه ديوان المتنبي . وصار علامة في الادب واللغة العرب ، حاذقاً في حلّ المترجم والألغاز ، متفرداً فيه ، وألف كتاب « عقلة المجتاز في حلّ الألغاز » وكتاباً في « المترجم » صنفه للملك الأشرف

(١) كذا قال وكأنه أراد « كنا بمجلس القاضي ... وفيه ... » (٢) أي وخمسمائة فتكون السنة ٥٨٥ (٣) قال طابع المرجم التاريخي « لعله سقط : شعراً »

موسى بن العادل الأيوبي ، ولبث في القاهرة يقرئ الأدب والنحو ويسمع الحديث اسماعاً قليلاً ، حتى تصدّر بجامع الصالح بها ، وطار صيته واشتهر علمه وقصده من طلاب الحديث شرف الدين عبد المؤمن الدمياطيّ وسمع عليه ، وذكره في معجم شيوخه ، قال : قرأت على الشيخ الفاضل أبي الحسن علي بن عدلان النحويّ ، أخبرك ابو محمد عبد العزيز بن محمود الحافظ قراءةً عليه — ثم ذكر سنده بتمامه — قال رسول الله ﷺ «من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار» . قال الدمياطي أنشدنا ابن عدلان الموصلي لنفسه بالقاهرة :

حيّ عصراً مضى بدار السلام فعليه تحيتي وسلامي
أيقظتني ذكرايَ طيب ليالي(م)ه كأني قضيتها في المنام
كم حلبنا به من اللهو دراً وشربنا السرور شرب المدام
في دُجى ليلة تبسّم فيها ا(م)لهو حتى انجلى عُبوس الظلام
قصرت طولها الخلاعة فالس(م)اعة منها طالت على ألفِ عام

وروى عنه الختني وابن الظاهري ، ومن شعره أيضاً :

لا تعجبنّ اذا ما فاتك المطلبْ وعوّد النفس أن تشقى وأن تتعبْ
إن دام ذا الفقر في الدنيا فلا تعجبْ مات الكرام وما فيهم فتى أعقبْ

وألّف ابن عدلان ذلك الشرح الكريم البارع الجسيم لديوان المتنبي [1] وهو يدل على أنه كان عالماً نحريراً وأديباً كبيراً — على التحقيق لا المبالغة - وألّف أيضاً في النحو «نزهة العين في اختلاف المذهبين» و «الروضة المزهرة» وكنا ذكرنا أنه جمع لنفسه جزءاً من كلام المشايخ الصوفية . وتوفي ابن عدلان بالقاهرة يوم الجمعة بعد العصر ، وكان اليوم العاشر من شوال سنة (٦٦٦) ه

(١) سماه « التبيان في شرح الديوان » وهو مأخوذ من تسمية شيخه أبي البقاء العكبري لاعراب القرآن بالتبيان في اعراب القرآن .

ودفن من الغد بسفح المقطم ، وقيل كانت وفاته في التاسع من شوال ، قال ابن خطيب الناصرية : لعله دخل حلب أو عملها والله أعلم . قال مصطفى جواد كاتب هذه الترجمة : قد أثبتنا أنه دخل حلب والقي القفطي ويافوتاً بها .

أخبار ابن عدلان الموصلي وآثاره

إن الذي ذكر أن ابن عدلان الموصلي جمع لنفسه جزءاً من كلام المشايخ والعارفين هو كمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي قال « نقلت منه الى هذا المختصر : لاتكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين » ومن كلام الفضيل : لا يستريح قلبك حتى تبالي من أكل الدنيا (كذا) وأنشد :

لا تبخلنّ بدنيا وهي مُقبلة فليس ينقصها التبذيرُ والسرفُ

فان تولتْ فأحرى أن تجودَ بها فالحمد منها إذا ما ادبرت خلف »ا هـ .

وحكي أنّ ابن عدلان اجتمع هو وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الشهير بالجزّار المصريّ فقال أبوالحسين « عندي تفصيلة صوف عرس » . وبالغ في وصفها بالحسن، فقال ابن عدلان: أعطنيها . فلما عاد الجزار الى منزله سيّرها اليه وكتب معها :

لو أنهـا عرس لأرسلتُها فكيف بالتفصيـلة العُرسي

ولا تقل ليسَ له غيرَة فأنت مأمونٌ على عِرسي

فلما اجتمعا بعد ذلك قال ابن عدلان له : كيف تقول « وأنت مأمون على عرسي » ؟ فقال الجزار : من وجهين أحدهما أنّ لقبك « عفيف الدين » والثاني أنك من الموصل [1] . فقال العفيف : نسختَ بالكلام الثاني حكم الأول .

وقال ابن خلكان « حكى لي الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النحوي المترجم قال : سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين الآتي ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم إنْ شاء الله تعالى عن قوله :

(١) أشار بذلك إلى ما اتهم به أهل الموصل من قلة الميل الى النساء ، وهم كغيرهم في مثل هذا الأمر .

سقى الله أرض الغوطتين ولا ارتوت من الموصل الحدباء إلاّ قبورها

ولم حرمها وخصّ قبورها ؟ فقال لأجل أبي تمام . وهذا البيت من قصيدة لابن عُنين المذكور مدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بن أيوب » .

وقال ابن خلكان في ترجمة صلاح الدين الاربلي « كتب اليه شرف الدين ابن عنين الدمشقي كتاباً من دمشق الى الديار المصرية — قال لي صاحبنا عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النحوي المترجم الموصلي : إن هذا الكتاب كانَ على يديه وتضمّن الوصية عليه — وفي أوله :

أبثّك ما لقيت من الليالي فقد حصّت نوائبها جناحي

وكيف يُفيق من عَنَت الرزايا مريض ما يرى وجه الصلاح ؟ ! » .

وقال في ترجمة نجم الدين المنجنيقي « وما زلت مشغوفاً بشعره مستعذباً أسلوبه فيه واجتمعت بخلقٍ كثير من اصحابه والناقلين عنه منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين ابو الحسن علي بن عدلان المعروف بالمترجم الموصلي فانه أنشدني له شيئاً كثيراً فمن ذلك قوله :

كلفت بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح المرابطِ

وعدتُ الى نظم القريض لشقوتي فلم أخلُ في الحالين من قصد حائطِ » .

وذكر عدّة أناشيد أنشدها إياه ابن عدلان المذكور اكتفينا بأحدها .

وقال ابن أبي أُصيبعة في ترجمة مهذب الدين أبي الحسن علي بن احمد بن علي ابن هُبَل الطبيب : « وحدثني عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان [1] النحوي الموصلي قال : كان الشيخ مهذب الدين ابن هبل من بغداد وأقام بالموصل ثم بخلاط عندشاه أرمن صاحب خلاط وبقي عنده مدّةً وحصل من جهته من المال العين مبلغاً عظيماً وقبل رحيله من خلاط بعث جملة ماله من المال العين الى الموصل

(١) في الأصل « عدنان » وكذلك في فهرسته وهو خطأ

الى مجاهد الدين قيماز الزَّيني وديعةً عنده وكان ذلك نحو مائة وثلاثين الف دينار ، ثم أقام ابن هبل بماردين عند بدر الدين لؤلؤ والنظام الى ان قتلهما ناصر الدين ابن ارتق صاحب ماردين وكان بدر الدين لؤلؤ متزوجاً بأم ناصر الدين ، وعمي مهذب الدين ابن هبل بماء نزل في عينيه عن ضربة وكان عمرُه إذ ذاك خمساً وسبعين سنة ثم توجه الى الموصل وحصلت له زمانة فلزم منزله[1] بسكة ابي نجيح ، وكان يجلس على سرير ويقصده كل أحد ...» .

وكان بينه وبين ابن خلكان وآخرين مُحاجاة ومُداعاة ، وقد كتب اليه المذكور لغزاً في سوس الطعام أوله :

أيها العالم الذي فضل العا (م) لم فضلاً وسؤدداً وذكاء

وكتب اليه لغزاً في سراج أوله :

أيها العالم الذي صار حبراً ممارسا
والذي موضحاته نجتليها عرائسا

فكتب اليه عفيف الدين ابن عدلان :

أيها الحاكم الذي قام للدرس حارسا
يا ملاذي سررتني بعد أن كنتُ عابسا
شرح الصدر لغزك ال(م) مستنير الحنادسا
أنت والله وصفه لامرئٍ كان قابسا
صحف «الشرح» لفظه لا تصحفه عاكسا
فهو من مركب الرجا (م) ل إذا كان فارسا
وهو انْ زال ربعه فهو يهدي الوساوسا
جاءني بعد هجعة لم يخف فيه حارسا
فأقل عثرتي إذا كان ما قلت هاجسا

---

(١) قال في أول ترجمته إنه من بغداد وأقام بالموصل فلعله اشترى المنزل في لبثه الأولى .

وكتب ابن عدلان من دمشق الى ابن خلكان بالقاهرة لغزاً في القطائف المحشوة والمقلوة[1] :

أحاجيك يا قاضي القضاة ومن سمتْ به الهمة العليا الى المنصب العالي

ومَن قد غدا في كل فنّ مبرزاً على كل حبر كان في الزمن الخالي

وأوضح بالفكر اللطيف غوامضاً غدت نزهة ما بيننا ذات أشكال

« بمطوية طيّ القباطيّ غذّيت ألذّ غذاء ثم عُلت بجريال

وأخت لها من جنسها هائم بها جميع الورى لكن لها واحد قالي »

وقال ابن عدلان « أنشدني اسمعيل المسمول الذي ينسب الى صلاح الدين الاربلي — رحمه الله — :

وما بيت له في كل عضو عيون ليس تنكرها العقولُ

إذا بسطوه تلقاه قصيراً وان قبضوه تبصره طويلُ

فقلت : هذه شبكة صياد طيور . فأخذ يباهتُ ، فقلت : قد تركته ولا يلزمني أكثر من هذا فأخذ في المباهتة ، فقلت : هذا في خركاه[2] . فاعترف أنه هو » .

وكتب اليه ناصر الدين ابن النقيب ملغزاً في « سيف » :

يا عفيف الدين يا من رق في الفهم وجلاّ

والذي سموه في النا س علياً وهو أعلى

يا اخا الفضل الذي فيه انا القدح المُعلى

أي شيء طعمه مرّ وان كان مُحلى

وهو شيخ لا يصلي ولكم بالضرب صلى

ماله عقل وكم منه استفاد الناس عقلا

(١) وذكر أن البيتين الآخرين من اللغز لابن عنين (٢) في الأصل « جركاه » ولعل الصواب « خركاه » الذي ذكرت وهي ضرب من الخيم المدوّرة ومنهم من يسميها « الخرقاهة » قال الفيومي في ق ب « القبة من البنيان معروفة وتطلق على البيت المدوّر وهو معروف عند التركمان والأكراد ويسمى الخرقاهة » .

جفنه من غير سهد ما يذوق النوم أصلا
وهو لا يحسن قولاً وهو قد يحسن فعلا
وهو ان تعكسه « قيـ س » فصحفه وإلاّ
وهو مطبوع نحيف عندما يلقاك بسلا
ولكم بدّد جمعاً ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ ل وكم قطع وصلا
فأبن عنه بأجلى منه في اللفظ وأحلى
وابقَ في ايوان عزّ وبناء ليس يَبلى

فكتب عفيف الدين الجواب :

ناصر الدين الذي فا ق جميع الناس فضلا
والذي وافقَ في الاسـ ـم الذي وافق فعلا
والذي أشعارهُ أشـ ـهى من الحلي وأحلى
هو حلو في فم النا س وفي العينين يحلى
إن تسلني عن رفيق لك تجلى حين يجلى
هو أنثى في زمان ويرى في ذاك فحلا
يشرب الماء ولا يأ كل الاّ اللحم أكلا
والندى يؤذيه والنا ر له الف فيصلى
وهو يعمي العين لا شـ ـك متى ما كان كحلا
محرم في كل وقت ما رآه الناس حلاّ
أعجمي وفصيح جمع الوصفين كلا
وهو كالمرآة يبدي مثل رأي الشكل شكلا
ولموع برقه الخلّـ ـب لا يمطر وبلا
وعليه أبد الدهـ ـر ذباب ما تولى
وهو مثل الناس في النشـ ـأة مذ قد كان طفلا

وُيرى شرخًا وشيخًا بعد ما قد كان كهلا

سبق التصحيف ذا لشي شنف الآذان أحلى (كذا)

قلت لمـا جاءني أهـ لاً بذا اللغز وسهلا

ُلغز كالشمس قد دقـ قت معانيه وجـلا

وكتب اليه ناصر الدين ابن النقيب المذكور :

تالله ما العيد عندي ُمذ غبت عني عيدُ

وهـل يسرُّ بعيـد من أنتَ عنه بعيـدُ

إني اذا ما اجتمعنـا بعد الشتات سعيـدُ

مولاي تبـديُّ الفضـ ـل ثم أنتَ تعيـدُ

فكتب ابن عدلان الجواب :

ما ذلك اليوم عيـدٌ بل ألف عيد وعيـدُ

إنْ كان لي منك وعد فليس ُيخشى وعيـدُ [1]

فعفيف الدين ابن عدلان كان من مفاخر العالم العربيّ وأكابر علمائه وأدبائه ومن كبار مَن جمع بين ثقافات البلاد العربية الثلاث : العراق والشام ومصر فعلينا أن نمجد ذكره أحسن التمجيد لأنه كان من رُسل الثقافة العربية وفضلاء ُعلمائها وأدبائها وأذكياء العالم .

(بغداد) **مصطفى جواد**

---

(١) مراجع ترجمة ابن عدلان هي «أصول التاريخ والأدب مج ١٦ ص ١٩٣» نقلاً من المنهل الصافي ومج ١٧ ص ١٤ نقلاً من الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة ومج ٢٣ ص ١٢٥ نقلاً من الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب ، ومج ٢٤ ص ١٩٤ نقلاً من تاريخ الاسلام للذهبي ومج ٢٧ ص ٦٤ نقلاً من معجم الألقاب ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٦٣ ، ١٣٣ و ج ٢ ص ٥٠٥ من طبعة المجم ، ومعجم الأدباء ج ١ ص ٢١٤ وعيون الأنباء ج ١ ص ٣٠٤ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٥٩ والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢٦ وبغية الوعاة ص ٣٦٣ وأشار اليه الخونساري في روضات الجنات ٤٥٧ بأنه ـ أعني عفيف الدين ابن عدلان ـ غير عفيف الدين عبد الله اليافعي وذكر أن الصفدي ترجمه في الوافي بالوفيات وسماه ذيله على تاريخ ابن خلكان ونقل من ذلك الكتاب صدراً من أخباره وألغازه .

الخيل والابل في الشعر الجاهلي

من جملة الأسباب التي أعانت الإنسان على التقدم في ميدان التفكير والحضارة تقدماً سريعاً أنه استطاع أن يتفهم نفس الحيوان ، ويتعاون معه في ميدان العمل والرياضة واللهو . ولقد عرف تاريخ البشرية كثيراً من النفوس الكريمة عاشت متعلقة بالحيوان أشدّ التعلق كما عرف تاريخ الآداب العالمية عدداً حافلاً من غرر النظم والنثر في وصف الحيوانات المختلفة ومتعها الهنيّة [1] .

والأدب العربي — ولا سيما الجاهليّ منه — زاخر بوصف الحيوان الأليف وسباع البرّ . والقصائد العربية المخصوصة بالحيوانات تعدّ من أجمل الشعر وأظهره جدّةً وطرافةً وحياة . ولعلّ ما يميز الأدب العربي — ولا سيما جاهليّه — من سائر الآداب العالمية الأخرى أنه عُني بوصف الخيل والإبل عناية عجيبة ، وجعل الحديث عنهما ملء القصائد والأسماع والأحاديث . ويذهب الأستاذ المستشرق آ . ج . آربري [2] إلى أنْ ليس في آداب العالم أدب وصف الخيل والإبل ومدحها مثل ما وصف أدبُ الجاهلية ومدح . وليس شيء أدل على صحة هذا القول من أن ينظر المرء في الشعر الجاهلي : في المعلقات والمفضليات والأصمعيات والحماسة وما استُدرك في كتاب (الاختيارين) [3] وغيرها من الكتب التي حفظت في بطونها تحف الجاهلية ليراها حافلة بوصف المطايا وامتداح الجياد الكريمة والنجائب . بل كان وصف المطية ركناً ركيناً في بنيان القصيدة

---

(١) نشرت مكتبة D. G. Barnes في لندن مجموعة شعرية عنوانها (Lords of Life) تحوي غرر القصائد المقولة في وصف الخيل في الخمسين عاماً الأخيرة . (٢) أستاذ الأدب العربي والأدب الفارسي في معهد الدراسات الشرقية والافريقية بلندن . (٣) طبع السيد معظّم حسين نخبة من هذا الكتاب مشروحة وترجمها الى الانكليزية ونشرها في دهلي عام ١٣٥٦ ـ ١٩٣٨

الجاهلية • ولعل سير الخيل والإبل هو الذي أوحى الى العرب بأوزان الشعر وكان — بانتظامه ورشاقته — (ضابط الإيقاع) لأغانيهم وأشعارهم ، ولعل «كثرة الشعر الجاهلي — كما يرى سيد نوفل [١] — قد قيلت على ظهور الإبل والخيل وسط الطبيعة» •

ولم يُضعف الإسلام هذا الميل الجاهلي بل رعاه وزاد في إعزاز الخيل وأمر باتخاذها وإكرامها [٢] • والأحاديث المروية عن الرسول الكريم (ﷺ) في خلق الخيل [٣] والأساطير التي نجمت عنها [٤] تدلّ على شغف العرب بالخيل وحرصهم على أن يجعلوها عربية المنشأ والموطن والجنس والدم •

ولم يفتر الشعراء والكتاب في العصر الأموي والعصر العباسي والعصور التوالي عن وصف الخيل والإبل • وقصائد البحتري العديدة في وصف الأفراس هي من الحسن والدقة والرواء بحيث تستحق دراسة خاصة •

---

(١) راجع : شعر الطبيعة في الأدب العربي لسيد نوفل • مصر ١٩٤٥ • (٢) جاء في حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ٣٥١) أن الرسول (ص) قال : إن المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها • (٣) جاء في حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ٣٥٠) أن النبي (ص) قال : لما أراد الله أن يخلق الخيل أوحى الى ريح الجنوب إني خالق منك خلقاً فاجتمعي • فاجتمعت فأتى جبريل عليه السلام فقبض منها قبضة ثم قال الله عز وجل له : هذه قبضتي • ثم خلق منها فرساً كميتاً وقال عز وجل : خلقتك فرساً وجعلتك عربياً وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق ، والغنائم تقاد على ظهرك ، والخير معقود بناصيتك • (٤) روى الدميري (ج ١ ص ٣٥٤) عن ابن عباس أنه قال : لما أذن الله لابراهيم وإسماعيل برفع القواعد قال الله تبارك وتعالى : إني معطيكما كنزاً ادّخرته لكما • ثم أوحى الله الى اسماعيل أن اخرج الى أجياد فادعُ يأتك الكنز • فخرج الى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته وأمكنته من ناصيتها ، وذللها الله تعالى له • قال الدميري : ولو ذكرنا ما قال الناس في ذلك وشرحناه بطوله لطال • فقد تكلم الناس في ذلك كثيراً وذكروا من خواصّ الخيل ومنافعها شيئاً كثيراً ليس ذلك كله مما نلتزم صحته •

ونحن في هذا المقال إنما نحاول أن نمتحن (أولاً) العاطفة التي ألفت بين قلب العربي والحيوان ونوازن بينها وبين عواطف الأمم الأخرى التي أحبت الحيوان وأكرمته ووصفته ، لنميز المتشابه من عناصرها (أي العام الذي تشترك فيه كل النفوس البشرية) من الأصيل المميز لروح العرب ، الخاص بهم ، ونشير (ثانياً) الى الأسباب التي نظنها قد جعلت الأدب العربي يبذ كل الآداب الخصيبة الأخرى في اللهج بالخيل والإبل ووصفها وإطراء محاسنها .

لا ريب في أن منافع الحيوانات من أهم ما جعل العربي يعنى بها ويصرف اليها أكثر همه . وقد جاء في القرآن الكريم « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب ، أفلا يشكرون ؟ » وقالت العرب : إن الله لم يخلق نعماً خيراً من الإبل ، إن حملت أثقلت ، وإن سارت أبعدت ، وإن حلبت أروت ، وإن نحرت أشبعت [١] . والخيل كذلك كانوا يشربون ألبانها ويأكلون لحومها ؛ غير أنها كانت تعد — أكثر ما تعد — للحروب والغزو والكر والفر وإرهاب العدو والقنص واللهو ، وبخاصة للعدو السريع الذي يقرب بين المسافات الشاسعة القاحلة الظامئة التي كانت تفصل مضارب القبائل بعضها عن بعض ، ويجعل مواقع الغيث ومنابت الكلأ في متناول العربي حيث كان . وهذا ما حمل الشاعر الجاهلي على أن يفخر — بوجه خاص — برشاقة جواده وضمور بطنه وقوته وسرعة عدوه فيشبهه بالطائر يطير بلا جناح ، وبالكوكب المنقض وبقيد الأوابد . قال امرؤ القيس :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وقال الأخنس التغلبي يصف فرسه [٢] :

(١) نهاية الأرب للنويري ج ١٠ ص ١١٥

(٢) نخبة من كتاب الاختيارين ص ٥٥

تباعدني إذا ما شئتُ عنهم وتُدنيني إذا كرهوا اقترابي
وتُصدرني كما قد أوردتني كأني بين خافيتيْ عقاب

واقتناء الحيوانات لمنفعتها امر شائع بين الأمم وما تزال أشدّ الأمم حضارة تعنى بالخيول والهررة والكلاب وبعض الأسماك والطيور وبعض الحيوانات الأخرى لما تجنيه منها من نفع وفائدة .

غير أن هذه الأمم المتحضرة قد تعنى بالحيوانات وهي مسوقة برغبة أخرى غير اجتناء المنفعة ، رغبة اللهو والزينة والترف . وقد عرف العرب هذه العاطفة وزادوا تعلقاً بالحيوان . وقد ذكر ذلك القرآن الكريم في مواضع عدة . قال تعالى : والأنعامَ خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافعُ ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تسرحون . وأشار امرؤ القيس الى ذلك فقال :

كأني لم أركب جواداً للذّة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

والولع بالحيوان من حيث هو متعة وزينة وسبيل للهو غير الولع به ولعاً (مجارياً) . لأن هذا الضرب الأخير لا يصدر عن الصدق والحاجة وهوى النفس بل هو شغف منحرف تسميه اللغات الأوربية (Snobisme) وهو أن تمنح ودّك من لا تريد لأنك لم تجد من تريد ، وتهوى الشيء وهواك غيره . وإنما يفعل اكثر الناس ذلك ليُروا أنهم ليسوا من المقصرين المتخلفين في هذه الحياة ، وأنهم كأمثالهم في العاطفة والسلوك . فالبنت الصغيرة تمنح ودّها الشديد لقطتها أو كلبها أو لعبتها لأنها لم تجد في أهلها (المنهمكين في شؤونهم) من يبذل لها كل الودّ الذي تريد . وحبها هذا — على قوته — مموّه مزيف . والقطة والكلب واللعبة ليست في واقع الأمر ، الشيء الذي تهوى ، وانما هي عوض وبدل من الشيء الذي تهوى . هذه العاطفة المموّهة ، هذا الولع (المجاري) من أقوى العناصر المقوّمة لولع الانسان بالحيوان لدى أكثر الأمم في العصر الحاضر . فتحت كل نجم نجد من يبذل عاطفته للحيوان لأن أمراً ما حال بينه

وبين أن يذلها للانسان ٠ وشغف الصغار بالحيوانات معروف ، وحب النساء العقم أو المترملات للقطط أو الكلاب أو الطيور أو الجياد مشهور : يخصصنها بالاعتناء ، ويحدبن عليها حدب المرضعات على الفطيم ٠ وعناية الرعاة (المتفردين) وأهل البر (المتعزلين) بحيواناتهم شديدة الظهور تسترعي الأنظار ٠ وتعلق الجنود (البعيدين عن منازلهم) بخيولهم ، ومنحهم اياها الود الشديد والعاطفة المشبوبة وحزنهم عليها وغمهم إما جرحت أو قتلت يكاد يكون مضرب الأمثال [1] ٠

والولع الجاري أو (السنوبزم) من جملة البواعث التي زادت — على ما يبدو — تعلق بعض عرب الجاهلية بإبلهم وخيولهم ، ودعتهم الى أن يحرفوا اليها ما تدفق من عواطفهم الجياشة ٠ فالقارئ للغزل الجاهلي يجد أن العاشق المشبوب العاطفة ، الخافق القلب لذكر الحبيب كان يجد في النزهة في الفلاة على ظهر فرسه أو ناقته مفرجاً لضيق صدره ، ومسلاة لأحزانه ، وإمضاء لهمومه ٠ قال طرفة :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره　　بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

وقال علقمة الفحل :

فإنك لم تقطع لبانة عاشق　　بمثل بكور أو رواح مؤوب

وامرؤ القيس الذي اشتهر بوصف الخيل والإبل كان يشكو تنكر الصحاب ويتهمهم بالتغير والخيانة :

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته　　وقرت به العينان بدلت آخرا

كذلك دأبي : ما أصاحب واحداً　　من الناس الا خانني وتغيرا

وقد يفسر هذا الباعث النفسي طريقة بعض الشعراء الجاهليين في نعت الخيل والإبل بصفات المرأة أو الصديق كقول امرئ القيس :

لها ذنب مثل ذيل العروس　　تسد به فرجها من دبر

---

(١) جعل أحد الكتاب الأمريكان تعلق الجنود بجيادهم حتى أنهم لا تطيب لهم الحياة إذا ماتت موضوعاً لرواية أخرجتها دور السينما وعرضت في سورية في العام الماضي ٠

وقول عمارة بن صفوان في وصف مطيته :

مشت مشية الخرقاء مال خمارها وشمر عنهـا ذيل بُرد ومنطق

نقّاب للأصوات أذناً سميعة وتسمو بعيني فاركٍ لم تُطلّق

وقول امرئ القيس :

وخرق كجوف العير قفر مضلة قطعت بسامٍ ساهم الوجه حسّان

يُدافع أعطاف المطايا بركنه كما مال غصن ناعم بين أغصان

وقول عنترة :

فازورّ من وقع القنـا بلبانه وشكا اليّ بعبرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان ، لو علم الكلام ، مكلمي [1]

ويرى الأستاذ (آربري) أن شعراء الجاهلية كانوا في الغالب ينعتون الخيل بصفات الصاحب والصديق المحارب ويخصون الإبل بصفات النساء .

إن قراءة الشعر الجاهلي لتدلّ لا شك على أن (الولع المجاري) كان — في الجاهلية — من جملة البواعث لعطف العربي على الحيوان وتغنيه بوصفه . لكن هذا العطف الجاهلي هو من القوة والعمق بحيث يستبين للقارئ — في الوقت نفسه — أن هذا الباعث وحده عاجز عن خلق هذا العطف المتقد المتصل بل ان (المنفعة) و (اللهو) و (الزينة) و (الولع المجاري) جميعاً لا تكفي لتعليل شدة اتصال العربي بخيله وإبله ، وحبه لها ، وتلذذه بتصويرها . إن العاطفة القوية التي تستعد في القصائد المقولة في الخيل والإبل إنما تصدر — فيما نظن — عن باعث آخر غير كل ما ذكرناه ، باعثٍ أصيلٍ في نفس العربي ، فطريّ في طبعه ، لا يشاركه فيه غيره من بني الناس .

هذا السبب الأصيل الذي قد يكون أشدّ البواعث وأقواها أثراً في إذكاء

---

(١) وقال البحتري في العصر العباسي :

ملك العيون فإن بدا أعطينه نظر المحب الى الحبيب المقبل

هوى العربيّ لجواده وناقته شديد الاتصال بعصره : عصر الجاهلية ، شديد الاتصال ببيئته : صحراء الجزيرة ·

كان العربيّ في الجاهلية وثنياً لا يؤمن بانفصال النفس عن الجسد ، ولا يقسم (وحدته) الى روح خالد وجسد فانٍ يزدريه الروح ويعاديه · كان لا يؤمن بالبعث ولا يتطلع الى ما وراء القبر ، معنياً بالزمان الحاضر يسعى فيه الى التلاؤم مع بيئته الطبيعية القاسية ومجتمعه البدوي البدائي · وكانت (مثالية) الحياة في عينيه إحسان هذه الملائمة ؛ وكان يراها لا تتم الاّ بنموّ كل قواه الجسدية والنفسية جميعاً دون أن يشطر (وحدته) شطرين ودون أن يفضّل ميلاً على ميل أو غريزة على غريزة · والوازع الأخلاقي الضابط لأعماله هو التكيّف بحسب مقتضيات المحيط والساعة الحاضرة لا الحساب والعقاب في اليوم الآخر · فهو شديد البطش جبار في الحروب لأن الحروب تتطلب ذلك · وهو ناعم رقيق القلب إذا رأى المحبوب لأن الهوى يدعو الى ذلك · هذه العقلية الوثنية الصحراوية التي تعيش في الحاضر ولا تفرّق بين الروح والجسم جملته يُحسّ بالشبه بينه وبين بعض الحيوانات التي تحيط به ولا سيما الابل والخيل · فهي مثله تعيش في زمن الحال لا في زمن الاستقبال ، وحياتها متوقفة على ملاءمتها لشروط البيئة · بل إن نظره الدقيق كان يُريه أنها في كثير من الأحيان أصلح منه للحياة الطبيعية وأشدّ مقاومة وأهدى غريزة [1] : فلم يفطن قط الى أن الانسان سيد المخلوقات وأشرف الحيوانات ، وكانت نظرته الى الإبل والخيل نظرة الصاحب للصاحب والأليف للأليف لا نظرة السيد المترفع للعبد الحقير · كان يرى فيها بعض صفات الإنسان ويحبّ فيها هذه الصفات ويكرمها لأنها تملك هذه الصفات · بل كان يظن أنها نقلت إليه بعض طباعها وعاداتها ·

---

(١) وفي طبع الإبل الاهتداء بالنجم ومعرفة الطريق والنيرة والدولة والصبر على الحمل الثقيل وعلى العطش (نهاية الأرب ج ١٠ ص ١١١)

جاء في نهاية الأرب (ج ١٠ ص ١١٠) : ليس في الحيوان من يحقد حقد الجمل . فقد قالوا ان العرب إنما اكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجمال ومداومتها . وفي حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٢٠٧) أن الفرس أشبه الحيوان بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة . ومنها ما يعرف صاحبه ولا يمكّن غيره من الركوب عليه . وفي طبع الفرس الزهو والخيلاء والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ؛ ومن أخلاقه الدالة على شرف نفسه وكرمه أنه لا يأكل بقية علف غيره .

ومن طبع العقلية الوثنية الصحراوية ألاّ تجعل قيمة الشيء في ذاته بل في نفعه وجدواه . فزيدٌ من الناس صديق البدوي ما دام ينفعه أو لا يعاديه أو لا يعادي قبيلته ، وينقلب بسرعة إلى عدوّ مبين إذا ما نشبت الحرب بين القبيلتين . وأولاد البدويّ أحب خلق الله اليه ما دام قادراً على إعالتهم . فاذا خشي الفقر والجوع وعجز عن ملاءمة البيئة الخارجية والساعة الحاضرة قتلهم وهو باك حزين . وفرس الجاهلي أو ناقته من أحب الأشياء اليه . وقد يؤثرهما على نفسه وولده لكن الجوع وقسوة الصحراء والكرم العربي الأصيل كل ذلك كان يدعوه إلى نحر فرسه أو عقر ناقته . فما أقسى حياته ، وما أشدّ ضراوة قانون الصحراء : الصديق يذبح الصديق بيده ويطعم الجياع من لحمه .

ولو أن الله سبحانه وتعالى خلق العرب غلاظ الأكباد ضعفاء الحسّ لهانت عليهم هذه الحياة الوثنية الصحراوية . لكنه فطرهم على رقة الشعور ورهافة الحسّ وعمق العاطفة . ولا شك أن البدوي كان — حين ينحر مطيته — يؤمن بضرورة الأمر ويفعله راغباً ؛ لكن هذا ما كان يمنعه قط من أن يتألم ويحزن ويُحسّ إحساساً باطنياً بقسوة الحياة . ومثل هذه العواطف الغامضة العنيفة المكبوتة كانت تجد متنفساً في حبّ الحيوان — ولا سيما الإبل والخيل — وفي الأنس بها والحديث عنها حديث الإلف والحبيب ووصف أعضائها وتصوير سيرها

ونشاطها في الغور والنجد . كيف لا وهو يلمح من عواطفها وإحساساتها ما يقربها الى نفسه ويصل حياتها بحياته ويمزج شعور الإنسان بشعور الحيوان .

هذه العقلية الوثنية الصحراوية بعيدة عنا بحيث لا نستطيع تصورها ، متناقضة الوجوه بحيث نشك في أمرها ؛ لكنها على كل حال عقلية ساكن الصحراء في الجاهلية . وهي التي جعلت حبه للحيوان متميزاً من حب الأمم الأخرى له . فإن كانت الأمم الأخرى في الماضي والحاضر تحب الحيوان لتنتفع به أو لتلهو أو لتتخذه أداة للزينة والجمال أو وسيلة للتعبير عن عواطف مضغوطة سُدَّ مُتَنَفَّسُها الطبيعي لسبب من الأسباب فإن العربي الجاهلي كان يُحِبّ حيوانه وبخاصة إبله وخيله لكل هذه العوامل (بنسب متفاوتة طبعاً) ولعوامل أخرى لا تُرى إلا فيه ، ولا توجد إلا في عاطفته : ولّدتها حياته الوثنية وبيئته الصحراوية ونفسه الدقيقة الحسّ المتقدة الشعور . ولئن جعل الناس في العصر الحاضر يزدادون ولعاً بالحيوان كلما ازداد إقبالهم على سكنى المدن [1] واشتد بعدهم عن الطبيعة الحية فلقد أولع عرب الجاهلية به لأنهم عاشوا معه في قلب الطبيعة الحية : أنسوا به وأحبوه ورأوا في الخيل والإبل بعض صفاتهم فوصلوا حياتها بحياتهم وشعورها بشعورهم وحفظوا لها في شعرهم مكاناً أكرمْ به من مكان !

(لندن) خلدون الكناني

---

(١) يرى الأستاذ برتراند رسّل في كتابه الجديد (تاريخ فلسفة الغرب) أن الإنسان كان في البرية سلطان الحيوانات فلما سكن المدن صار « سلطان الآلات » والآلات جامدة صماء وهو جسم حيّ ، لذلك أحسَّ العزلة والفراغ وحنَّ الى الاتصال بالحيوان والطبيعة من جديد .

كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

— ٣ —

الرسالة الثانية من رسائله الأربع

عنوان هذه الرسالة (كتمان السرّ وحفظ اللسان) افتتحها بقوله (أما بعد فاني تصفحت أخلاقك وتدبرت اعراقك الخ) ويظهر أن المخاطب في هذه الرسالة ليس من طبقة من وجّه اليه الخطاب في الرسالة الأولى اي انه ليس من طبقة القضاة ولا من طبقة الوزراء فقد جاء في خطابه له قوله (قد ناهزتَ الكمال . وأوفيتَ على التمام .... وقاربتَ أن تلفى عديم النظير) فيكون المخاطب من اخوانه الذين يُخلص لهم الود . ويحب أن لا يفرط منهم ما يعابون به أو تلحقهم السبّة بسببه . وقد بلغ الجاحظ عن ذلك الصديق أمران نقمهما منه (وضع القول في غير موضعه . وإضاعة السر بإذاعته) وقوله (وضع القول في غير موضعه) هو ما عبّر عنه في عنوان الرسالة بحفظ اللسان فان من يحفظ لسانه لا يضع القول إلا في الموضع الذي يحسن فيه القول . فهذان الأمران من صديقه ساءه أن يعاب بهما . ويُزرَى عليه بسببهما . فرأى من دواعي الاخلاص في الود أن يمحضه النصح . ويُسرع اليه بالإيقاظ . فوضع له هذه الرسالة واصفاً فيها قبح (إفشاء الأسرار) وسوء مغبته وحسن (حفظ اللسان) وسلامة عاقبته — وصفاً يتمنى المرء معه لو أنه خُلق أخرس أبكم كي يُكفى ما وصَفَ من سوء العواقب وشر الحصائد .

قال الجاحظ : سمع بهرام في الليل صوت طائر فتتبع صوته ورماه بسهم وهو

لايراه فصرعه ولما صار بين يديه قال (والطير أيضاً لو سكت كان خيراً له) .

وقد تشعبت بالجاحظ طُرُق الكلام في تهجين الخلتين المذكورتين حتى انتهى الى الغيبة وقبح أثرها وفضيلة الإعراض عنها . فأنعم القول في أشكالها ومختلف صورها . وسائر ما له علاقة بها إلى حدّ أن سوّغ الغيبة لمن يغتاب غيره أحياناً . وجعل له العذر في ما يرتكب منها . ثم عاد فأشبعه تقريعاً على الذلّ الذي يلحقه من جرّاء الاعتذار (على أن أكثر من يُعتذر اليه ليس بقابل للعذر وان اظهر القبول : لما جرّبه من سخاء الناس بالأيمان وبعدهم من الاقرار بالذنب . . . ولا حسم لهذا الداء الا باطّراح الفضول) وعد الجاحظ من فضول الغيبة الضحك والابتسام فانهما أحياناً يقومان في الاغتياب مقام الكلام أو أشد تأثيراً واكثر إغراء وتحريضاً . وذِكرُ الله يكون أحياناً مؤكداً للغيبة محققاً لها (كما اذا رفع صوته عند غيبة أحد بقوله (لا حول ولا قوة إلا بالله) او (غفر الله لنا وله) كأنه يقول (ما تقولونه في الرجل حق فأنا ادعو الله بأن يعفو عن سيئ اعماله) .

ولما جاء دور الكلام على إفشاء الأسرار أبدع الجاحظ في تصوير قبحها . ووجوب تنزيه النفس عنها . وبالغ في التحذير — ليس بأن يملك المرء لسانه فقط — بل بأن يملك (لحظ عينيه وسحنة وجهه . وتغير لونه وتبسمه أو قطوبه) فإن كل ذلك قد يُنبه المرجّمين والمتعقبين إلى معرفة السرّ ويدلهم على حقيقة الأمر : فالأسرار قد تُفهم من الأسارير . كما تفهم من الجمل والتعابير .

وهل اقتصر الجاحظ من التحذير على هذا القدر ووقف عنده ؟ كلا ! فإنه فوق ذلك حذّر من الكتب (أي التحارير) المتبادلة بين الناس المتضمنة لأسرارهم :

(ورب كلام قد ملأ بطون الطوامير قد عُرفت جملته وما فيه الضرر منه بسحاءةٍ أو طابع أو لحظة متطلع في الكتاب أو حرفٍ تبين من ظهره . فاستيقظْ عند هذه الأحوال واستعمل سوء الظن بجميع الأنام) . والطوامير جمع طومار رقوق كانت تكتب فيها الرسائل وتُطوى على شكل خاص ثم تُسحى

بسحاءة أي تمزّق من طرفها ثم يدار القدّ الممزوق على الطومار ويشدّ به فالجاحظ يحذّر صاحب الكتاب الذي اودعه سرّه من ان تكون كيفية طي الكتاب والشد عليه بالقدّ أو الطابع اي الختم المضروب على ظهره أو حرف يتوانى من الكتابة التي في باطنه — كل ذلك يحذر منه الجاحظ لئلا يكون دالاً للمرجين ومتعقبي الأسرار على مضمون ما في الكتاب ٠

هذا ولنقبل على الرسالة فنعالج أبحاثاً لغوية حول بعض ألفاظها تارةً مستحسنين محبذين ٠ وطوراً مؤاخذين مصححين ٠

من ذلك قوله ص ٣٨ لا أعرف رجلاً يتحلى بالأدب ويديم الثخانة والزماتة الخ ٠ ثخانة الشيء غلاظته ونقول في اللغة الدارجة سما كنه وضد الثخانة اللطافة والرهافة والرشاقة ونستعمل (التخانة) احياناً (ونلفظ ثاءها المثلثة تاء) بمعنى السماجة وغلاظة الطبع ذمًا أما الجاحظ فقد استعملها مدحًا بمعنى الرزانة والوقار ٠ وهذا كالثقالة فانه غلب استعمالها بيننا في الذم مذ نقول فلان ثقيل وكان من المنتظر ان تستعمل مدحًا بمعنى الرزين الزميت الوقور وقد احتال العامة لهذا الاستعمال بتحريف (الثقيل) الى (تقيل) بالتاء المثناة ويفخمونها الى الطاء فيقولون (طقيل) ومهما يكن فإن استعمال الجاحظ للثخانة بمعنى الوقار ليس من الممكن قبوله ولا رواجه بيننا اليوم ٠

قوله ص ٣٩ القلب خزانة للأسرار (ولكل ما يعيه ذلك عن الحواسّ من خيرٍ وشرّ) الأولى اسقاط كلمة (ذلك)

وقوله (استعملَ فضول النظر فدعت الى فضول القول) مراده بالنظر التأمل في الشيء والتفكير العميق فيه ومنه قولنا اليوم (النظريّات الفلسفية) و (النظريات العلمية) وهذا النظر العقلي له أحياناً زيادات وتجاوز حد في التأملات التي لا فائدة فيها ولا خير يرجى من ورائها ٠ وهي التي سماها الجاحظ (فضولا) والفضول في الأصل جمع فضل والفضل الزيادة وقال ان هذه الفضول تؤدي الى فضول أخرى وهي فضول القول والتزيد فيه فما أشبه فضول النظر بفضول

الهذر. وقد أحسن الجاحظ في تعبير (فضول النظر) ولا بأس أن نحتذيه ونقلده فيه.

ومثل (فضول النظر) قوله (كُرْبُ الكتمان) فقد ذكر الجاحظ أن بعض الناس اذا حاول الاحتفاظ بسرّ في نفسه (اعتراه الكرب لكتمان السرّ. وغشيه لذلك سقم وكمد. يحسّ له في سويداء قلبه بمثل دبيب النمل. وحكة الجرَب. ولسع الدَبر. ووخز الأشافي) هذه الحالة النفسية في بعض الأشخاص سماها الجاحظ (كرب الكتمان) فقال في ص ٤٢ (ومما يؤكد هذا المعنى في كرب الكتمان وصعوبته) ثم أعاد هذا التعبير في ص ٤٣ وقد جعل (كرب الكتمان) رذيلة تقابل فضيلة كتمان السر كما ان التهور رذيلة تقابل فضيلة الشجاعة. والبخل رذيلة تقابل فضيلة السخاء. وذكر ابو تمام في باب (الملح) من كتابه (الحماسة) شعراً لبعض الأعراب تشاءم فيه بكرب الكتمان ونصح للناس ان يفشوا اسرارهم ولا يكابدوا عناء هذا الكرب فقال:

(لا اكتم الأسرار لكن أنمّها ولا أترك الأسرار تغلي على قلبي)
(وان قليل العقل من بات ليله تقلبه الأسرار جنباً الى جنب)

وقال الجاحظ في صدد (كرب الكتمان) ان كتمان السر يصعب على العقلاء (فضلاً عن غيرهم) فقوله (فضلاً عن غيرهم) تعبير كنا نتشاءم به ونعدل عنه الى قولنا (دَع عنك غيرهم) واذا هو فصيح وقع في كلام أمير الفصحاء ولعله اول من استعمله ثم تخاطفه الناس من بعده.

وقال في ص ٤٢ (وكان الأعمش سيء الخُلُق عَلِقاً) العلق بمنزلة قولنا ضيق الصدر كثير الضجر وهكذا الأعمش فانه كان ضجوراً لا يتحمل ثقالة الثقلاء الذين كانوا يطوفون حوله لطلب (الأحاديث والأخبار) فكان أحياناً يحلف لا يحدثهم الشهر (فاذا حلف ضاق صدره بما فيه وتطلعت الأخبار الى الخروج منه. فيقبل على شاةٍ له في منزله فيحدثها بالأخبار والفقه حتى كان بعض اصحاب الحديث يقول ليتني شاة الأعمش).

وقوله في ص ٤٢ (الزمانة والوقار) صوابه الزماتة بالتاء وهي بمعناه.

وفي ص ٤٣ يقول إن صاحب السر اذا اراد إفشاءه احياناً (استعهد جليسه واستكتمه) ومعنى استعهد فلان من فلان أن يكتب عليه عهدة أي صكاً فاستعهد منه بمنزلة قولنا اشترط عليه ولا جرم ان من يفشي سر نفسه لا ينفعه الاستعهاد ولا الاشتراط .

وقال أيضاً ان اللوم على مُفشي السر أوجب (وعمن أفضى به اليه أدلّ)
قوله (أدلّ) صوابه (أزلّ) من الزَلَل وهو الزَلَق : زلت رجله زلقت يعني ان اللوم يزلّ ويزلق ولا يعلق بالرجُل الذي أفشي اليه السر . بل ان اللوم يكون أجدر أن يزلق عنه ويسقط . فلا يكون ملوماً بالافشاء ولا مذموماً .

وقوله ص ٤٤ (لا لوم على صاحب الجناية فيه) وصوابه (الخيانة) .

وقوله ص ٤٥ (ما رَطَلَتْ بيدي قط احداً أرزن من عبد الملك) رَطَل الشيء رازه بيده مختبراً وزنه وثقله ومنه سمي الرطل رطلاً وقوله (ارزن) اي أثقل وأوقر . وهي حسنة . واحسن منها (أوزن) فلعلها محرفة منها ولا سيما انه قال من قبل (ولو ان أوزن الناس حلماً مَلَكَ لسانه عن إفشاء السر ما قدر أن يملك لحظ عينيه وتغير لونه) يعني ان السر معرَّض لأن يُفشى ولو عن طريق العين ولون الوجه فأوزن أقرب ان تكون مرادة للجاحظ من كلمة (أرزن) وما أحسن ان يقال : إن مجلة كذا في حاجة الى محرر يكون أوفى وزناً من المحرر الذي لديها ، واتفق وانا اكتب هذا ان قرأت في بعض الصحف قول الكاتب (وستَحُلُّ هذه القضية اذا بقي فلان يعمل على حلها بكل وزنه وقوته) .

ثم قال الجاحظ في الرد على من قال (ما رطلت بيدي قط الخ) ما نصه (وهذا هو الغلط البيّن والغدر الملصق) صواب (الغدْر) (العُذْر) يعني انه في قوله (ما رطلت الخ) يعتذر عذراً غير ثابت ولا مكين وانما هو مُلصق قابل للسقوط والانزلاق . و (الغدر) يمكن تأويله غير أن السياق يشهد للعذر .

قوله ص ٤٥ (فيفشو السرّ من هذه الجهات اكثر مما تُفشيه ألسن المذاييع المبذر) قوله (المبذر) صوابه (للسرّ) أما المذاييع فهي جمع (مذياع) وهو

الذي لا يكتم السر يقال (هو للأسرار مذياع . وللأمور مضياع) والمذياع نستعمله اليوم بمعنى آلة الراديو ويجوز ان تستعمل في المحدِّث بالراديو الذي يسمونه (المُذيع) على ان في هذا الاستعمال شيئاً من التسامح إذ ان المذياع وصف لمن لا يكتم السرّ وليس كل ما نسمعه من (الراديو) أسراراً يجب كتمانها .

وقال في ص ٤٧ ان اكثر من يؤتمن على الأسرار يجتهد في إفشائها (حتى ربما كان لا يبلغ في الاذاعة أن يقصد للبلاغة من الرجال المعروف بالنميمة الخ) قوله (لا يبلغ) صوابه (لا يألو) اي لا يقصر وكأن (لا يألو) كانت مكتوبة هكذا (لا يئلو) فحرفت الى (لا يبلغ) وقوله (للبلاغة) لعلها مشددة اللام لافادة المبالغة في التبليغ . لكني لم أجده والقواعد تأباه اذ ليس في اللغة بَلَغَه (ثلاثيا) بمعنى بلّغه المشدد . ثم ان الجاحظ مثّل للبلاّغة الذي تأتمنه على السر فيذيعه — بعمر بن الخطاب (رض) مذ أسلم وأراد التعجيل باذاعة خبر اسلامه فعمد الى أنمّ أهل مكة وهو (جميل بن النُحيت) فأخبره باسلامه وسأله كتمانه فأذاعه من فوره .

واتبع الجاحظ خبر عمر بقوله ان نهيك أحداً عن افشاء السر قد يكون فيه إغراء له بالافشاء قال (والنفس طيّارة متقلبة تعشق الاباحة وتغرم بالاطلاق) : قوله (طيارة) في وصف النفس الانسانية لم نسمعه من غيره أي انها تحب التنقل من حال الى حال كالطائر يطير من مكان الى آخر وقوله (الاباحة والاطلاق) أصبحنا اليوم نستعمل مكانهما كلمة (الحرية) فلا يرضى الحر لنفسه أن يتحكم فيه أحد أو يحال بينه وبين ما يريد . وأيد الجاحظ هذا المعنى بقوله (ولعل رجلاً لو قيل له لا تمسح يدك بهذا الجدار وهو لم يمسحها به قط لغريَ بأن يفعل) اي لمسحها حباً بالاباحة والاطلاق .

وقوله ص ٤٨ (الفقر وخوف الاخوان) صوابه خوف الاملاق .

وقوله وجعل الله نفس الانسان (توّاقة مشتاقة مطرفة ملاّلة) صواب (مطرفة)

طَرِفة ومعناها الرجل الذي لا يثبت على صاحب وهو مأخوذ من قولهم جَمَل طَرِف إذا كان لا يثبت على مرعى واحد ٠

وقوله ص ٥١ ان نهمة العلم والمال فيها (خروج عن العقل) الظاهر ان يكون مكان (العقل) (العدل) بدليل قوله بعد (لأن النهم تجاوز القدر)

وقال الجاحظ ليس كل خبر تتناقله الناس يصح ان يوصف بأنه سر أفشي وانما السرّ هو الرائع من الأخبار (والأشنع الأبلق) منها اي ما كان من أمور الناس ووقائعهم أشنعها اي اقبحها ٠ وقوله أبلقها اي اشهرها واندرها ٠ فسرُّ الملوك مثلاً اذا روي كان أبلق ينتشر بسرعة وتتناقله الأفواه بلهف وحرص واصل معنى البَلَق السواد والبياض في لون الخيل والفرس اذا كان بعض جسمه ابيض وبعضه اسود كان نادراً مستغرباً وكان بين الخيل منظوراً وعلى ألسنة الناس مشهورا ثم كُنّي بالأبلق عن كل ما اشتهر وذاع خبره ٠ وتحدث عنه الناس لندرته ومثل الجاحظ له بسرّ الأديان ٠ وبسرّ الملوك الذين شكا بعضهم تنقيب العوامّ عن اسرارهم فقال :

(ما يريد الناس منا ما ينام الناس عنّا)
(لو سكنّا باطن الأر ض لكانوا حيث كنا)
(إنما همهمو أن ينشروا ما قد دفنا)

وفي ص ٥٥ أفاض في تقبيح فضول الكلام وقد مر ان الفضول جمع فضل بمعنى الزيادة ثم أريد به معنى التزيد في القول والاكثار من الكلام الذي لا فائدة فيه وقد استعملت كلمة (الفضول) الجمع استعمال المفرد ككلمة (الأصول) جمع أصل التي استعملها الأتراك العثمانيون استعمال المفرد أيضاً مذ يقولون مثلاً (اصول جديد) ٠ وقرن الجاحظ كلمة الفضول بكلمة (الكُلْفة) و (التكلف) فهو يقول (ومرّ هشام ببعض أهل الكُلفة والفضول) (ولقلّت الفضول والكُلَف والغيبة) (ويتكلّف ما لا يعلم) (ولو تهيأ للمتكلفين صرامة

لازدجروا) فالعرب يعرفون (الكلفة) بمعنى (الفضول) والمتكلف بمعنى الشخص الكثير الفضول ومنه آية (قل ما اسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين) اي لا اطلب على القرآن منكم أجرة وما انا من الذين يكثرون من فضول الكلام والخوض في ما لا يعنيني او ليس لي به علم وربما قيل في تفسير الآية غير ما ذكرنا .

وفي ص ٥٦ و ٥٧ خمسة ألفاظ تُعدّ من غريب اللغة بالنسبة الى زماننا ومن الفصيح المألوف بالنسبة الى الجاحظ وزمنه :

١ — (اغتابه وتَصَبه) أي عابه وشتمه .

٢ — (لا مَرْفِق ولا ربح) أي لا منفعة .

٣ — (الكِظَّة بالمعاذير الكاذبه) اي الامتلاء والانتفاخ .

٤ — (ليس هذا الأمر من سُوس النفس الشَهْمَة) اي ليس من طبيعتها

٥ — (كثر النطَف في الناس) العيب والشر والفساد . ونَطَفه عابه .

وقال في ص ٥٧ (نعتذر اليه خوفاً من سقطته . وإبقاء لسلطانه) صواب سقطته سخطته كما قال المصحح وعندي ان صواب (إبقاء) (اتقاء) .

وقال في ص ٥٨ (أفضل العبادة الصبر) صوابه الصمت بدليل السياق .

وفي ص ٥٩ (او يعظم الجرح الصغير) صوابه الجرم .

وفي ص ٥٣ و ص ٥٩ استعمل كلمة (عين) المؤكدة مضافة لما بعدها فقال (هذا عندي عينُ المذموم) اي المذموم عينه (ولكن العجب عينَ العجب) أي العجب عينه . فلا غرو اذا استعملت (النفس) المؤكدة هذا الاستعمال فيقال مثلاً جئتك في نفس الوقت كما يقال الوقت نفسه .

وفي ص ٦٠ (بعد اجتهاد صاحبه رأيَه) صوابه إجهاد وقوله (ما اجتمع على صاحبه غمُّ الندامة) الأظهر (من غم الندامة) .

انتهى ما اليه أجرينا . وله قصدنا . في التعليق على الرسالة الثانية من رسائل الجاحظ . وسنفي القول حقه على الرسالة الثالثة في العدد القادم

المغربي

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ ـ ٦٣٠ هـ)

ـ ٩ ـ

الحياة العلمية والأدبية

لا يقتصر التاريخ على الادارة والسياسة ، وانما تتوقف حياة الشعب على معرفة أمور كثيرة من علوم وآداب وحركة فكرية وحضارة وحياة يومية ومعاشية . والآداب والعلوم عندنا قد خرجت من نطاقها المحدود . بذات لكل راغب وطالب ، وكانت بغداد من أعظم مراكز الثقافة ، ومنها في الأكثر ذاعت في الأطراف ، وشاعت بين الملأ في مواطن عظيمة لم تقل عنها مكانة .

فاض العلم حتى تسرب الى القرى الصغيرة والكبيرة . ولم تكن اربل من البلاد الكبيرة التي تعد من مواطن الثقافة المهمة ، وان كانت قد اشتهرت بعلماء أنجبتهم ، وفضلاء ربتهم ، وأكابر ثقفتهم . ولا تخلو بلدة ، أو قرية من عالم فأكثر . وما ذلك الا لأنها لا تخلو من مسجد فلا يزايلها بسببه العلم ولا يفارقها الأدب .

عدّ السمعاني وياقوت وغيرهما من اشتهر فيها بفضل وعلت مكانته في علم ، ولكن الزيادة بافراط انما كانت أيام آل بكتكين وامارتهم في اربل : فكان انتاجها في العلم والأدب كبيراً ، ونالت بسبب ذلك مكانة ممتازة بين البلدان العراقية أنجبت نوابغ فاقوا في العدد ، فكان عصرها الذي نكتب عنه وحيداً من بين العصور الأخرى ، ظهر علماء لا يحصون ، فيهم الفقيه والمتكلم ، والشاعر ،

والسياسي ، والكاتب ، والقاضي ، والمؤرخ والموسيقار ، وفي مختلف المواهب ...

ويرجع الفضل في هذا الانكشاف العلمي الى تلك الامارة (آل بكتكين) بل الى كبير هذه الأسرة مظفر الدين كوكبري ، أبلغها قمة المجد ، وولّد صلات علمية بين الأقطار الاسلامية والعربية وبين اربل ، فارتفعت منزلتها ، فكانت خدماته هذه تعلن عن نفسها ، وتنطق بالفضل ، فلا تحتاج الى دعاة لبث المحامد ، أو اطراء المناقب ، نال السمعة الطيبة ، والذكرى الجميلة .

لهج الأهلون بهذه الامارة وأحبوها ، وأخلصوا لها ، وكان عمل مظفر الدين كوكبري من بينهم أعظم وأجل ، نفع في صحة المجتمع ، وفي ثقافته ، وسعى الى ازالة فقره ، وبذل الوسع في تهذيبه ، وخصّ موسماً في الاحتفال بمولد الرسول واعادة ذكريات حياته عليه السلام في كلّ عام تردد فيه أعمال الرسول ومناقبه الجليلة التي هي أجلّ قدوة « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » وأعظم سيرة مشرفة للانسانية جمعاء .

وفي هذا الاحتفال كان الاتصال العلمي عظيم الأثر بالغاً الغاية في الثقافة ، أنفق له كوكبري بسخاء بدعوة علماء الأقطار ، وقام بأعمال خيرية اكبرها القاصي والداني ، وفكّ الأسرى ، وجاهد في سبيل الله ، وذبّ عن الوطن الاسلامي وفتح مستشفيات ودور عجزة تخلد ذكره وكلما ذُكر ذكر بتجلة واحترام .

ولا ينكر فضل أسلافه من امراء ونواب ، ولا يغمط حقهم في الخدمات الثقافية والخيرية الا انه فاقهم ، وأكسب الامارة عزاً وفخراً ، ولا تقف رغبات الأمة عند الحروب والشجاعة ولا الشئون السياسية والادارية بل تريد الرفاه والثقافة . فكان ذلك من أكبر أعماله ، قام بمقياس واسع ، أكمل به ما قام به الأمراء والنواب قبله . أدركوا رغبة الأمة ، فأفسحوا المجال ، وسهلوا طريق السير .

فاذا كان العلماء قد أدوا الحق المفروض في تبليغ العلوم وتلقينها ، فالأمراء وجهوا وسهلوا ونشطوا بما بذلوا ليكون العمل العلمي أتم واكمل ببذل المال ،

أو في تنفيذ خطط العلماء وتحقيق آمالهم العلمية . ولم يتدخلوا في شئون التعليم ، ولا في المناهج العلمية ، وانما أمدوا العلماء بما هو المفروض لهم في (بيت المال) ، ووقفوا الوقوف من أموالهم لتخلد على الدهر . لم يتدخلوا في طريق التدريس ولا مراقبته الا من طريق الحسبة . بل لم يعرف هذا التدخل الى آخر أيام هذه الامارة في كلّ البلاد الاسلامية . ولذا فاضت العلوم والآداب .

ان التنظيم العلمي كان للعلماء وبيدهم وان التوجيه المالي ، والمساعدات الكبيرة بأيدي الأمراء فلهم الفضل في الانعاش وهو اكبر ما نحتاجه . فقد نقلت نصوص تاريخية عديدة ان هـذا الأمير (كوكبري) لم يصرف المبالغ على الاهواء النفسية والملاذ ، ولا على رجال السوء بقصد الارضاء ، بل حاسب نفسه ، ونظم ماليته تنظيماً فنياً ، بل من اجل الأمثلة الشخصية حادث ثوبه ، ومناقشة زوجه له في ان يشتريه من أغلى الأقمشة وأنفسها أو من ادناها والباقي يتصدق به ، فكان من خير ما يدل على تدبير الصرف وان يعدّ خير قدوة .

واذا اضيف الى ذلك ما عمل من دار العجزة للأيتام ، وللعمي ، وللأرامل ، واتخاذ مستشفى وما ماثل من المشاريع الخيرية علمنا ان انتباه الأمم مؤخراً الى جعل هذه المشاريع حكومية يلزم ادخالها في الميزانيات أدركنا قيمة العمل ، بل أن اصل التنظيم العلمي اسلامي ، وهو حقوق العلماء في (بيت المال) ولم تسبق أمة الاسلام في هذا الحق الشرعي المقرر . والأعمال الخاصة قام بها أهل الخير ، ولم تتقيد بموارد الدولة ، فكانت وقوف المعاهد الخيرية والمدارس على طريق التأييد تعاوناً مشهوراً من أهل الخير والصلاح ...

ولعل ظهور العلم في بلد مثل اربل يرجع الى ان التنظيم كان بيد العلماء ، وان الحسبة تسيطر ، فنقل هذا التنظيم الى الدولة ، وصار الأمر بيد الحكومة ، فتدخلت سلطة الأمراء وتصرفاتهم السيئة ، فخرج العلم وادارته من أيدي العلماء الى عجرفة جهال ، أو سوء تصرف من السياسيين المتسلطين . وهذا يعدّ من اسباب

خذلان العلم وخموله عندما تدخل في شئون العلوم والآداب جهال أو سياسيون أعمتهم أغراضهم عن الصالح العام بعد ان كانت حرة فتقيدت . وفي أيام الحرية نالت المكانة بما نفع، وظهر علماء اكابر . وكان نصيب اربل منها كبيراً .

ان هذه الامارة قضت مدة طويلة من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٦٣٠ هـ قامت في خلالها بأعمال من شأنها ان وسعت نطاق العلوم والآداب، ونالت ثقة الأمة ولا يهمنا ما عملت خارج الامارة مما فعله زين الدين علي كوچك مؤسس هذه الامارة، واتابكه مجاهد بن قايماز في الموصل، ومظفر الدين كوكبري وما عمله من برّ في مكة وفي طريقها، وما سدّ به من حاجات عظيمة لفك الأسرى، وانما يهمنا العمل في اربل . ظهرت فيها اعمالهم، فأنجبت العلماء والأدباء والمؤرخين وهكذا في مختلف الثقافات، وكان لهؤلاء أثر ظاهر في المجاورين، فكانوا في ثقافتهم محلّ الاهتمام الكبير الا ان السياسة كانت مرتبطة بأتابكة الموصل من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٥٨٠ هـ . فمالوا اليها ثم كانت مع الأيوبيين من التاريخ المذكور فمالوا الى الشام وداموا الى سنة ٦٢٧ هـ . وهكذا كان اتصالهم بالخلافة بعد الاتصال السياسي ببغداد من أول سنة ٦٢٨ هـ الى آخر أيام هذه الامارة وبعدها .

وفي هذه نرى الأوضاع بارزة، وان لم يكن ثم مانع من الاتصال بمواطن الثقافة حيث كانت الا ان الاتجاه السياسي ذو دخل في الميل الكبير . ومن جهة اخرى ان العمل السياسي الصحيح جعل العلم لساناً ناطقاً يلهج بسمو الادارة .

والفضل في هذه الثقافة للمدارس وللعلماء الذين أخلصوا، فان من عرف تذبذب الحالة، واختلاط الأقوام، ثم زوال هذا التباين بتأسيس ثقافة موحدة أدرك قيمة هذه المدارس بعد ان كان الأهلون في تشوش من لغتهم، واضطراب في ثقافتهم مما أدى الى ان يقول ياقوت ان أهلها أكراد استعربوا ... وهكذا ما نقل نوشروان البغدادي من اختلاط لغتهم، وما وصلوا اليه بظهور علماء وأدباء أفاضل ملكوا زمام الأمر، وتوصلوا الى أعظم المناصب العلمية والسياسية .

المدارس في اربل

كانت المساجد أول دور العبادة والثقافة معاً ، وهي الوحيدة في بث العلوم والآداب في العالم الاسلامي ، وأول درجات التحصيل الكتاتيب ، وجاءت المدارس بعد مدة طويلة وما دخل الاسلام بلداً الا دخلته المساجد . فبذرت بذور العلم والأدب وظهر علماء اكابر تخرجوا بأساتذتها ، فكانت موطن تعلم الخير والصلاح ، بل كانت الوسيلة المهمة والأولى في التنظيم الثقافي .

اتخذت اربل بغداد قدوتها في تكوين المدارس كما أن الأقطار الأخرى سارت على هذه السيرة ، نهجت نهج بغداد في السيرة العلمية والأدبية وان أول مدرس في اربل كان ممن أخذ العلم من بغداد وتثقف على أكابر علمائها .

لم تؤسس مدرسة في اربل الا بعد تكوّن المدارس ببغداد بنحو نصف قرن من تأسيسها في بغداد . فأثمرت ثمرة يانعة ، وظهر فيها علماء أفاضل ذاع صيتهم في الأقطار .

١ — مدرسة الربض :

هذه المدرسة من تأسيس ابي العباس خضر بن نصر الاربلي المتوفى في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٦٧ هـ — ١١٧٢ م . شادها بعد رجوعه من الدرس في بغداد . فكان أول مدرس درّس في اربل . وهذه المدرسة قام بتأسيسها هذا الرجل الفاضل فخدم الثقافة في اربل ، بل كان السبب في بناء مدرسة القلعة ولا شك انه بنى هذه المدرسة في مطلع المائة السادسة أو قبلها بقليل .

درّس فيها الى تاريخ وفاته فخلفه ابن اخيه عز الدين ابو القاسم ، فقام بالتدريس مدة . ثم طوي ذكرها ، فلم يعرف من تولى التدريس بعد هؤلاء الأفاضل . ولعلها نسخت بمدرسة مظفر الدين كوكبري .

٢ — مدرسة القلعة :

عرفت بهذا الاسم لأنها أسست في أصل (قلعة اربل) ، اعني القسم الفوقاني من البلدة ، وكان بناها الأمير منصور سرفتكين نائب اربل أيام زين الدين

علي كوچك سنة ٥٢٣ هـ ، أسسها لأبي العباس الخضر بن نصر بن نصر بن عقيل بن نصر الاربلي . بنيت له هذه المدرسة بعد أن تلقن العلم ببغداد ، فرجع الى اربل ، ودرّس بهذه المدرسة ، فهو أول مدرس في اربل . كان أسس مدرسة الربض لنفسه ، ثم قام الامير سرفتكين بتأسيس هذه المدرسة ، وجعله مدرساً فيها .

وكان أبو العباس السبب في تأسيس هذه المدرسة فالأمراء يودون ان يفوقوا . ويهمنا ان نذكر مدرسي مدرسة القلعة المعروفين لنقف على درجة انتاجها . والتدريس كان مستمراً غير مقطوع ولا ممنوع وكان المدرس ابا العباس الخضر ابن نصر الأربلي . ويعد من خيرة المدرسين . وهذه المدرسة دعت نائب اربل (واليها) الى بنائها اي بناء (مدرسة القلعة) . ولا تزال الى اليوم ، فهي أقدم مدرسة في اربل ، ولا يخلو متعلم هناك من الاتصال بمدرسها ...

وأبو العباس كان عارفاً بمذهب الشافعي وبالفرائض والخلاف ، اشتغل على الكيّا الهراسي من علماء بغداد المعروفين المتوفى في أول المحرم سنة ٥٠٤ هـ — ١١١٠ م . ولا شك ان المترجم أتم تدريسه قبيل وفاته بسنين . وكذا اشتغل على ابن الشاشي المتوفى في ٢٥ شوال سنة ٥٠٧ هـ ١١١٤ م فنعلم قدم تحصيله ، وعودته الى اربل ، فأسس المدرسة في الربض حين رجوعه ، ولم يعرف بالضبط تاريخ ذلك ، ولكنه في أواخر المائة الخامسة أو أول المائة السادسة ثم قام سرفتكين ببناء مدرسة القلعة سنة ٥٣٣ هـ — ١١٣٩ م . ومن المهم أن نقول كما قال ابن خلكان : « اشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به » [١] .

ومن الأشخاص البارزين الذين تخرجوا عليه :

١ — الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الهذباني . شارح المهذب [٢] .

٢ — ابن اخيه عز الدين ابو القاسم نصر بن عقيل بن نصر .

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٦٠ . (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٤٤٣ .

وهذه المدرسة دام نفعها الى ان توفي هذا المدرس الجليل في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٦٧ هـ — ١١٧٢ م باربل ودفن في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة ، وقبره يزار .

وولي التدريس بعده ابن أخيه المذكور في المدرستين . وكان فاضلاً ولد باربل سنة ٥٣٤ هـ — ١١٣٩ م . سخط عليه الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل فأخرجه منها فانتقل الى الموصل سعى به جماعة غيّروا خاطر الملك عليه . وكان ذلك في سنة ٦٠٢ أو ٦٠٣ وقال ابن باطيش سنة ٦٠٦ هـ . وتوفي في ١٣ ربيع الآخر أو جمادى الآخرة سنة ٦١٩ هـ — ١٢٢٢ م . وكان قد سكن في رباط الشهرزوري وقرر له صاحب الموصل راتباً ولم يزل هناك حتى توفي[1] .

وظلت المدرستان الى ذلك الحين . بل ان مدرسة القلعة لا تزال قائمة الى اليوم ، وان مدرسيها (آل ملا افندي) وآخرهم ملا أفندي الصغير . كان عالماً فاضلاً وأديباً كاملاً . توفي في هذه الأيام في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٦١ هـ — ١٩٤١ م عن نحو ٨٠ سنة .

٣ — مدرسة كوكبري :

هذه المدرسة من أجلّ المدارس عظمة ، واسعة النطاق ، ويدل وضعها الحاضر على ذلك رتّب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية . وكان كل وقت يأتيها بنفسه ، ويعمل السماط بها ، ويبيت بها ، ويعمل السماع . واذا طاب خلع شيئاً من ثيابه وسير للجماعة بكرة شيئاً من الانعام . وسعة المدرسة مشهودة ومنارتها من بدائع الصنعة ، لا تزال تبين عن قدرة . وتعدّ من أقدم المآذن الموجودة .

وتقع هذه المدرسة بين تربة مظفر الدين وبين المنارة الشاخصة في ساحة كبيرة ، ولم نقف على تاريخ بناء هذه المدرسة بالضبط . وعلمنا أنّ ابن دحية

(١) كذا ص ٢٦١ .

قدم اربل سنة ٦٠٤ هـ ، فاحتفل بالمولد ، وقدم كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) . وكان مولعاً بذلك قبل هذا التاريخ ، وان تاريخ هذه المدرسة سابق لذلك ، وربما كان من حين قدومه الى اربل . ودامت هذه المدرسة الى آخر أيامه ، والى ما بعد ذلك .

ومن مدرسيها :

١ — محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان والد صاحب وفيات الأعيان . وتوفي في ليلة الاثنين ٢٢ شعبان سنة ٦١٠ هـ . كان مدرساً فيها الى حين وفاته ، والظاهر انه ولي تدريسها من تاريخ بنائها .

٢ — أبو الفضل أحمد شرف الدين الاربلي :

تولى التدريس بعد ابن خلكان المذكور . وكان وصوله اليها من الموصل في اوائل شوال سنة ٦١٠ هـ . وانتقل الى الموصل في سنة ٦١٧ هـ وفوضت اليه المدرسة القاهرية الى ان توفي يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ٦٢٢ هـ . وكانت ولادته بالموصل سنة ٥٧٥ هـ [1] . وهو من أسرة اربلية وليت التدريس في مدرسة زين الدين علي كوجك في الموصل .

ومما يلفت النظر ان بلدة صغيرة كهذه تحوي ثلاث مدارس كبيرة ولا يستغرب ان يتخرج منها جماعة من الأفاضل في فروع كثيرة ، وان تتمكن فيها الثقافة ، فنتاجها دائم مستمر بسبب هذا التنظيم العلمي ، وقد رعاها أهل البر والخير وعنوا بها بما بذلوا من موقوفات في سبيل بقاء رقبتها وعمارتها . والى أمد قريب منا كانت هذه المدارس في اربل تمد مساجدنا ومدارسنا بعلماء أفاضل ولا تزال اربل في حاجة اليها للاستقاء من معينها ، بل زادت المدارس والمعابد من ذلك الحين الى اليوم ، وهي قائمة بالمهمة بالرغم من تحول الأيام وتبدل الأوضاع ، وتوجه الثقافات ، وعدم الالتفات الى اعادة التوجيه العلمي للانتفاع منها .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٦ .

نتاج هذه المدارس أو العلماء في اربل

لا يسع المجال إحصاء المدرسين ، ولا معرفة المتخرجين ، ولا يوجد من الوثائق التي وصلت الينا ما يشعر بذلك الا ان المعروفين قد بلغوا مقادير كبيرة جداً ، وبينهم من كان أثره خارج اربل أعظم ، وهكذا ورد اربل علماء كثيرون سهلوا تمكين ثقافتها ، والارتباط بعلمائها ومن بينهم من كان يحضر المولد الشريف .

ونخطئ اذا عددنا اربل خالية من كل ثقافة قبل الامارة البكتكينية . وانما عرف علماء ذكرهم المؤرخون منهم أبو احمد القاسم بن المظفر الشهرزوري الشيباني . وابو سليمان داود بن محمد بن الحسن بن ابي خالد الاربلي ، في آخرين[١] .

ويهمنا ذكر علماء هذه الحقبة ومن ظهر بعدهم من رجال القرن أو من وايهم فكانوا من نتاج هذه المدارس ، وبهم يتعين مقدار العناية بالعلم ، ودرجة كثرة المتخرجين . ولا يهم اذا كانوا متخرجين من هذه المدارس أو أنها دعت أفرادها الى التوسع والتكمّل في الخارج فعاجوا على بغداد وغيرها . فلا شك أنهم ممن رغب في العلم لما شاهدوا من أعاظم ، وأكبروا من مكانة العلم ، فحثوا السير في الطلب سواء ظهرت مواهبهم ، وانتشر علمهم في اربل أو في خارجها . ومنهم القاضي ، والمؤرخ ، والكاتب ، والفقيه ، والرياضي أو الفيلسوف والموسيقار والأديب وأرباب مواهب عديدة سياسية واجتماعية .

فمن الاربليين :

١ — أبو العباس . مرّ .

٢ — الشيخ الفقيه ضياء الدين ابوعمرو عثمان بن عيسى الهذباني شارح المهذب[٢] .

٣ — عز الدين أبو القاسم نصير بن عقيل . وكان مدرساً . مرّ[٣] .

٤ — رضي الدين الاربلي . توفي سنة ٥٧٦ هـ[٤] .

---

(١) الانساب للسمعاني في مادة اربلي ، وياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة اربل .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٤٦٢ (٣) كذا ص ٢٦١ (٤) كذا ج ٢ ص ٦٢٦

٥ — ابنه كمال الدين ابو الفتح موسى. رياضي ، عالم فاضل في الهيئة والفلسفة وعلوم عديدة. توفي سنة ٦٣٩ . (ترجمته في الحوادث الجامعة ص ١٤٩ وفي ابن خلكان) .

٦ — ابو الفضل أحمد شرف الدين بن كمال الدين الاربلي [١] .

٧ — شرف الدين محمد بن عز الدين أبي القاسم نصر بن عقيل . شاعر وأديب وفقيه توفي سنة ٦٣٣هـ [٢] .

٨ — شيطان الشام . اربلي شاعر . وله أبيات في رثاء ابن المستوفي . توفي سنة ٦٣٨ [٣] .

٩ — أمين الدين علي بن عثمان السليماني الاربلي . شاعر [٤] .

١٠ — ابن المستوفي الاربلي . ووالده أيضاً . توفي سنة ٦٣٧ [٥] .

١١ — موفق الدين الاربلي [٦] .

١٢ — صفي الدين علي بن المبارك [٧] .

١٣ — مجد الدين محمد بن الظهير الاربلي [٨] .

١٤ — أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن مسلم الاربلي [٩] .

١٥ — العز حسن الاربلي [١٠] .

١٦ — صلاح الدين « [١١] .

١٧ — العز الحسن « [١٢] .

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٤٤ . (٢) كذا : ج ١ ص ٤٢١ . (٣) كذا : ج ١ ص ٦٣٣ . (٤) ابن أبي عذيبة ج ٥ ص ٢٩٧ . (٥) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣١ . وياقوت الحموي معجم البلدان مادة اربل . والحوادث الجامعة ص ١٣٥ . (٦) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٤ . وابن أبي عذيبة ج ٥ ص ٧٩ . (٧) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣١ .
(٨) منتخب المختار ص ١٧٦ . وتاريخ الموصل ج ٢ ص ١٢٦ . وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٩ . وتاريخ العراق ج ١ ص ٣٨٢ . (٩) منتخب المختار ص ٦٢ و ١٣٥ وهو من رجال المائة السابعة . (١٠) الفلاكة والمفلوكون . (١١) ابن خلكان ج ١ ص ٨٣ .
(١٢) الدرر الكامنة وابن الجزري وتاريخ العراق هامش ص ٤٩٠ ج ١ . وأعيان العصر ، وابن كثير .

١٨ — الزكي الاربلي [1] .

١٩ — العز عبد العزيز الاربلي [2] .

٢٠ — العز المقري « [3] .

٢١ — عز الدين ابن عثمان « [4] .

٢٢ — بهاء الدين « [5] .

٢٣ — مجد الدين موسى « [6] .

٢٤ — بدر الدين ابن قينو « [7] .

٢٥ — يونس بن حمزة « [8] .

٢٦ — ابنه محمد بن يونس « [9] .

٢٧ — بدر الدين محمد بن عبد الله الاربلي [10] .

٢٨ — بدر الدين محمد بن اسماعيل « [11] .

٢٩ — ابن خلكان [12] .

٣٠ — والده محمد بن ابراهيم ، مدرس المدرسة المظفرية في اربل [13] .

٣١ — الشيخ علي الاربلي ، صاحب المنظومة في الموسيقى [14] .

٣٢ — حسام الدين الحاجري [15]

---

(١) مختصر الدول لابن العبري وتاريخ العراق ج ١ ص ٢٥٨ والحوادث الجامعة .
(٢) تاريخ العراق ج ١ ص ٣٤٠ . (٣) تاريخ العراق ج ١ هامش ص ٣٤٠ .
(٤) تلخيص مجمع الآداب ص ٣٨ ـ ٣٩ (٥) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٣٦١ وابن أبي عذيبة ج ٥ ص ٤٠٩ ، وتاريخ مفصل ايران ص ٥٠٠ ، وتاريخ الموصل . وملحق تاريخ العراق ج ٢ ص ٤١ . (٦) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٥٠ .
(٧) الدرر الكامنة وتاريخ العراق ج ١ ص ٤٥٠ . وعقد الجمان ، والمنهل الصافي .
(٨) توفي سنة ٧١٨ هـ (تاريخ العراق ج ١ ص ٤٥٩) . (٩) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣١٧ ، وتاريخ العراق ج ٢ ص ٥٠ (١٠) مدرس مدرسة مرجان . تاريخ العراق ج ٢ ص ١٣٥ (١١) تاريخ العراق ج ١ ص ١٩٧ . (١٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ١٥٧ وطبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ١٤ . (١٣) توفي في ٢٢ شعبان سنة ٦١٠ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٤٤) . (١٤) مجلة العالم الاسلامي المجلد الأول ، والدرر الكامنة . (١٥) ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٠ .

هذا . ومن مراجعة تاريخ هؤلاء ، ومعرفة مؤلفاتهم نرى ان علماء هذه المدينة وادباءها قدموا ثروة علمية وأدبية لا تنكر .

وفي تذكرة الحفاظ جاء ذكر جملة من الاربليين ومثلها في طبقات السبكي ومؤلفات عديدة . والمتأخرون منهم كثيرون جداً . وبينهم الفقيه ، والشاعر والأديب .

والحاصل ان الثقافة فاقت في هذا العصر ، ولم تنقطع من اربل الأأنه قلّ الترغيب في العلم ولم تنل تشجيعاً في أيام المغول ومن بعدهم من التركمان الا أن مدارسها لا تزال موجودة الى آخر العهد العثماني ، وبعده . وفي أيام العثمانيين ظهر فيها شعراء في اللغة التركية من أعظمهم «غريبي الأعمى» . كان يعدّ من اكابر الشعراء بالتركية ، وكذا يعقوب بيات الاربلي [1] . فلم تنقطع الجذوة العلمية والأدبية ، بل اشتهر اربليون عديدون فاقوا ، وانتشروا في الأنحاء . ومن أكابر المدرسين المتأخرين جرجيس الاربلي أخذ عنه مشاهير علماء الموصل . ولم يكن الأدب مقصوراً على اربل وحدها بل كانت مضافاتها مثل راوندوز و كويسنجق مواطن علم ودرس . وان المدارس السيّارة كانت موجودة الى أمد قريب منا . واشتهرت أيام السلطان أبي سعيد من ملوك المغول الايلخانيين .

ولعل في هذه الأمثلة ما يكفي لمعرفة ان المدرسة الواحدة لها أثرها فكيف بالمدارس العديدة في بلد صغير .

يتبع : (بغداد) **عباس العزاوي**

---

(١) في كتابنا تاريخ الأدب التركي في العراق تعرضنا لذكر مشاهير الأدب التركي في اربل .

مخطوطات ومطبوعات

أقوالنا وأفعالنا

تأليف محمد كرد علي

عين تصل الى أعماق المجتمع فتقف على مساوئ أخلاقه وعاداته وأوضاعه فلا يفوتها شيء من خروج هذا المجتمع على نظام الحياة ، ومن استحكام مفاسد الأخلاق فيه ، كالكذب واللؤم والحسد والنفاق والبخل والتبذير وأشباه هذا كله ، فقد تصفحت هذه العين أحوال مجتمعنا نصف قرن وعاشر صاحبها من الكبار والصغار ما لم يعاشره غيره ووقف من حسنات الناس وسيئاتهم على ما لم يقف عليه الا قليل من القوم ، فكأنما لمس صور الأخلاق بيديه وسمع سخافات الناس بأذنيه وتمكن من معرفة مواطن الضعف في شيمهم وطبائعهم ، سواء أكان هذا الضعف في سياستهم أم في وطنيتهم أم في دينهم أم في تربيتهم كلها ، هذه خصائص الأستاذ العلامة رئيس مجمعنا في تأليفه : أقوالنا وأفعالنا ، فكأنه مجموعة حواس مستيقظة لتتبع الأخلاق دقائقها وجلائلها ، ظواهرها وبواطنها ولم يقتصر على تتبع حركات الأخلاق وحدها وانما استقصى في حركات العقول في أميتها ونهضتها وثقافتها ولم يكتف بتصفح أحوال الحاضر وانما تصفح أحوال الماضي فهو حجة هذا العصر في معرفة ماضي العرب والعلم بأسباب عظمتهم وضعفهم . ولم يجمد الأستاذ العلامة على ما عرفه من حاضر مجتمعنا وماضيه وانما مشى مع العصر واتصل بأطواره وامتزج عقله بعقول رجال الغرب فأخذ عن هذا الغرب ماصلح واقتبس عنه ما نفع فاذا ذكرت نهضة الشام من خمسين سنة حتى يومنا هذا فهو على رأسها وحامل لوائها .

وكيف استطاع الأستاذ أن يصور هذه الأمور كلها وأن يثبتها في الأذهان وأن يجعل هذه الأذهان طبق محاسن فنه تمشي معه أين أراد هـذا الفن ، فتتمهل اذا أراد التمهل وتسترسل اذا شاء الترسل ، انه لم يصل الى هذه المنزلة من البلاغة الاّ بعد أن اختمرت في صدره أساليب بلغاء العرب وأمراء البيان فيهم ، فالأسلوب الذي يصوّر به أخلاقنا وعاداتنا وطبائعنا وأوضاعنا كلها انما هو خلاصة اساليب عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وأمثالهم ، سهولة في غير شيء من التقعر ، وطبع دون شيء من التكلف ، وانزال الكلمة في منازلها ، واعطاء المعنى حقه من اللفظ ، واعطاء اللفظ حقه من المعنى ، فلا اسراف في التعبير ولا شحّ في التصوير ، فالصورة والآلة في فنه انما هما جسد وروح متناسبان متناسقان ، فليغرف القارئ من هذا البحر فلا خوف عليه من موجه ، مدّ الله في حياة الأستاذ ونفع العرب بخصب تآليفه .

شفيق جبري

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

المستجاد من فعلات الأجواد

من مطبوعات مجمعنا العلمي العربي بدمشق كتاب : المستجاد من فعلات الأجواد لمؤلفه القاضي أبي علي المحسّن بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ وهو صاحب نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

عني بنشر الكتاب وتحقيقه رئيس مجمعنا الأستاذ العلاّمة محمد كرد علي بك وقد اعتمد في تصحيحه على كتب التراجم ودواوين الشعر وامّهات كتب اللغة والأدب وحاول ارجاع النصوص الى ما كانت عليه يوم وضعها المؤلف وحلّل بعض الكلمات التي لحظ أنها قد تستعصي على فهم الشادي في الأدب وأوجز ما أمكن في شرحها .

وصف الأستاذ العلاّمة في المقدمة كتاب المستجاد وصفاً يقف دونه كل وصف فهو كتاب في أخبار الكرماء في الجاهلية والاسلام يتضمن أدباً واخلاقاً وتاريخاً واجتماعاً وهو صورة جميلة من أدبنا القديم مبعث حضارتنا وهو خير ما نكشف به مقاييس الأخلاق في امتنا ومعايير عاداتها ومدنيتها .

وأكبر ظن الأستاذ ان أخبار التنوخي في المستجاد ما خرجت عن قصص وقعت وربما دخل بعضها شيء من المبالغة للتأثير في النفوس والادهاش بالغرائب فقد أتانا التنوخي بنموذج من غلو العرب في الكرم الذين بلغوا فيه حداً لا يصدّق .

ولم يشأ الأستاذ العلاّمة ان يمرّ بهذا الكرم دون ابداء رأيه الحكيم فيه فهذا الجود انما هو في جملته بالنسبة الى عصرنا ضرب من التبذير يفقر صاحبه ويغري آخذه بالتفنن في الاستجداء وما كان العرب إلاّ مفرطين بكرمهم ووفائهم فمن السفه اعطاء فرد واحد مئات الألوف وهناك ألوف من الخلق يعيشون في ضنك وفاقة فكان العمال ينهبون ما تطول ايديهم اليه من مال الرعية ويجودون على من يرون المصلحة في اعطائهم .

وكيف كان الأمر فالمستجاد كما قال الأستاذ انما هو الفن الذي يقضي علينا الواجب ابداً ان نتذوقه ونتفاوضه ونرويه ونترواه لما فيه من عبقة أرواح اجدادنا ومنها ننشق الكمال في اللفظ والمعنى ونمشي على آثارهم فتنشأ شخصيتنا الجديدة .

ش . ج

تيسير الكتابة العربية

عني مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ سنة ١٩٣٨ بمسألة تيسير الكتابة العربية وجعلها صالحة لضبط النطق بألفاظ اللغة وقد ألفت من أجل هذا الموضوع لجان شتى وجرت مذاكرات ومناقشات في كل ما تقرره لجنة من هذه اللجان واستمرت هذه العناية حتى سنة ١٩٤٤ وانتهى هذا كله بوضع جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية .

وقد نشر المجمع حديثاً نصوص المذكرات والمناقشات التي دارت حول هذا الموضوع وما اتخذ في ذلك من مقررات في مؤتمر المجمع سنة ١٩٤٤ فالذي تهمه تفاصيل هذه المناقشات فليرجع الى رسالة المجمع المطبوعة في المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

وقد بينت رأيي في هذا الموضوع في مقال عنوانه : العربية اللاتينية نشرته في مجلة مجمعنا في عدد شهري تموز وآب من سنة ١٩٤٤ فما أحب الرجوع الى الكلام في هذا الباب ولكن الغريب ان اللغة العربية مرّت عليها عصور طويلة كانت في خلالها تدخل في كل موضوع من الموضوعات ، في الأدب والفلسفة والعلم وغير ذلك ، ولقد كانت تدخل في هذا كله في عصورٍ انتشر فيها اللحن واللهجة العامية في الناس فما وقع في خلد أحد ان يفكر في مسألة تيسير الكتابة أو القراءة وبقيت اللغة مستفيضة في آفاق الدنيا ولم يشكُ منها أهلها صعوبة في قراءة أو كتابةٍ ولو ظلّ سلطان العرب مستمراً حتى أوائل عصر نهضتنا من دون أن تغلب على هذا السلطان العصور التركية لما علم الا الله وحده المنزلة التي كانت تبلغ اليها لغتنا في هذا اليوم فلست أدري ما الذي يحملنا على التفكير في تيسير الكتابة أو القراءة والناس بفضل أساليب التعليم الحديثة قد حسنت قراءتهم ونطقهم بالنسبة الى الماضي ولا شك في أنهم في المستقبل يزدادون قدرة عليها بفضل انتشار هذه الأساليب ولا يستغرب اتيان يوم من الأيام تبطل فيه العامية أو تخف حتى لا يشعر الناطق أو الكاتب بشيء من الصعوبة في النطق والكتابة فنحمد الله تعالى على ان الباب الذي فتح في موضوع تيسير الكتابة قد أُغلق كما فُتح وبقيت اللغة على طبيعتها تابعة لحكم الزمن وحده ولكن هذا الباب لم يغلق دون شيء من اللمز والهمز والتهكم ظهرت آثارها على كلام أحد أعضاء المجمع واذا تعوّد الناس ان يروا مثل هذه الآثار في الصحف فانهم لم يتعودوا أن يروها في مناقشات شيوخ جلّت مقاديرهم وارتفعت منازلهم .

ش . ج

كتاب النبراس

في تاريخ خلفاء بني العباس

ألفه ابن دحية الكلبي المتوفى سنة (٦٣٣ هـ) وصححه وعلق عليه الأستاذ المحامي عباس العزاوي . وطبعته لجنة الترجمة والتأليف والنشر ببغداد . وهو يقع في ما يقرب من مئتي صفحة .

قدم المصحح الكتاب بتوطئة عرف فيها المؤلف : نسبه وعلمه ودراسته وتأليفه . وبالغ في الثناء عليه ، مبالغة يراها من تصفح الكتاب أنها فوق ما يستحقه . ودافع عنه في ما كان يؤخذ عليه . حتى انه أثنى على قدرته في البيان ، وتلاعبه في ضروب البلاغة ، وسيطرته على اللغة . وهي أمور اذا كان وقع شيء منها في الكتاب ، فهو في ما نقله المؤلف عن غيره لا في ما أنشأه هو نفسه . وتجيء بعد هذه التوطئة مقدمة موجزة للمؤلف ألم بها بفضل التاريخ ، وبالسبب الذي من أجله وضع المؤلف مؤلفه .

يبدأ هذا التاريخ ، بأبي العباس السفاح : أول الخلفاء العباسيين (١٣٢ — ١٣٦ هـ) وقد تكلم في هذا الفصل — وهو يقع في عشرين صفحة — عن ابن عباس ، وعن فضائله ، وعن مسائل في الفقه ، وفي الحديث ، وتعرض لألفاظ لغوية ، بأكثر مما تكلم عن ابي العباس السفاح . وينتهي الكتاب في خلافة الناصر لدين الله سنة (٥٧٥ هـ) .

وتراجم الخلفاء لا تزيد كثيراً على ذكر تاريخ التولية والوفاة ، او الخلع . يتخللها حوادث اكثرها تافه غير ذي بال .

ومثل هذا الكتاب اذا كان لا يفيد كثيراً في ميدان التاريخ ، فنشره ضروري لوجهين :

١ — انه تاريخ من التواريخ التي ألفت في بني العباس ، فمن حق الحكومة العراقية وهي خليفة الدولة العباسية ، ان تنشر كل ما له صلة بها وبآبائها .

٢ — قد تكون فيه بعض العظة لهؤلاء الذين يتولون الأمور في الأقطار العربية اليوم وهمهم — في مطلع دولتهم — ما كان هم أولئك المتولين — في أعقاب دولهم — الجري وراء مطامعهم وشهواتهم غير مفكرين في دين، ولا عاملين لوطن، ولا مخلصين لأمة . قائلين بواقع الأعمال، ما قاله احد ملوك فرنسة المستهزئين بلسان الحال : انا ! ومن بعدي الطوفان .

وسيقضي هؤلاء المتأخرون على دولهم الناشئة، كما قضى أولئك المتقدمون على دولهم الشائخة . ويقف واقف على قبورنا فينشد ما انشده ابن دحية (المؤلف) يوم وقف على قبور أولئك :

يا سائل الدار عن أناس ليس لهم نحوها معاد
مرت كما مرت الليالي اين جديس وأين عاد

وبعد، فانا نشكر للأستاذ العزاوي، ما عناه من جهد في تصحيح هذا الكتاب، والتعليق عليه . وان بقيت فيه هنات قل ان يسلم منها كتاب .

عارف النكدي

آراء وأحاديث

في الوطنية والقومية

مجموعة محاضرات ومقالات للأستاذ ساطع الحصري، ألقيت في أندية بغداد ونشرت في بعض الجرائد والمجلات، شرح فيها الأستاذ المربي عناصر القومية، وعوامل الوطنية؛ وناقش الآراء والأنظار التي تتصل بهذه الموضوعات، فكان من هذه المقالات والمحاضرات : (الايمان القومي) و (بين الوطنية والأمية) و (بين الوحدة الاسلامية والوحدة العربية) و (بين الماضي والمستقبل) و (بين مصر والعروبة) و (العلم للعلم أم العلم للوطن) و (العلم والوطنية) و (ردّ على تصريحات الشيخ المراغي) .

والحديث في هذه المحاضرات والمقالات مستمدّ من العلم الصحيح والخبرة الواسعة ، ولقد كان الأستاذ موفقاً كل التوفيق في ردوده على الذين يقاومون الفكرة القومية والوحدة العربية ، ولا سيما في ردّه على الشيخ المراغي والأستاذ طه حسين ، كما كان موفقاً في بحثه عن مصر ومكانها من القضية العربية ، وهو بحث نشره في جريدة البلاد في بغداد سنة ١٩٣٦ قبل ان تكون الجامعة العربية قد ولدت ، وفي هذا دليل على أن الجامعة العربية كانت حاجة في النفوس العربية المخلصة ، قبل ان تكون مظهراً حكومياً على ما هي عليه اليوم .

ولا يسع العربيّ إلا أن يثني الثناء الصادق على النزعة العربية القومية التي يؤمن بها الأستاذ الحصري ، ويعمل لها جاهداً دائباً .

ع . د

عمر فروخ : ابن طفيل وقصة حي بن يقظان

طبع في مطبعة النجمة ببيروت عام ١٩٤٦ . عدد صفحاته ١٠٠ من القطع الوسط .

الدكتور عمر فروخ دراسات كثيرة في تاريخ الأدب والفلسفة تزيد على (٢١) رسالة منها كتابه : اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية ، وكتابه : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ودراساته عن ابن خلدون والفارابي ، وابن سينا ، واخوان الصفا ، وابن باجه ، وهذه الدراسة الأخيرة عن ابن طفيل .

تشتمل هذه الدراسة الأخيرة على مقدمة وست مقالات في عصر ابن طفيل ، وترجمة حياته ، وسبيل فلسفته ، وتحليل كتاب حي بن يقظان ، وبسط فلسفة ابن طفيل ، واثره في الشرق والغرب . وهي على قصرها محيطة بكل ما في كتاب حي بن يقظان من الآراء . ومع ان المؤلف لم يطلع على كتاب المستشرق الفرنسي (ليون غوتيه) : (ابن طفيل ، حياته ومؤلفاته) ، ولا على المباحث الأخيرة التي نشرها المستشرق الاسباني (آزين بالاسيوس) ، فان النتائج العامة ،

التي وصل اليها لا تختلف كثيراً عن الحقائق التاريخية التي أثبتها هذان المستشرقان . فليس في دراسته عن ابن طفيل نقص في العناصر ولا تقصير في الاحاطة ، وانما النقص الأساسي فيها هو تسرعه في الأحكام المطلقة وعدم تقيده بالطريقة التاريخية .

أما تسرعه في الأحكام المطلقة فيظهر لنا في قوله : « ان جهودنا اليوم يجب ان تنحصر وان تتضافر على تحليل آراء فلاسفة الاسلام في الدرجة الأولى . اما انتاجنا الفلسفي فيجب ان يتأخر » .

لا شك ان جميع المفكرين يوافقون الدكتور عمر فروخ على ضرورة البحث في تاريخ الفلسفة العربية ، لان الامة التي لا تعرف ماضيها الفكري لا تدرك أبداً ما يجب ان يكون عليه مستقبلها . ومن المفكرين من يرى أيضاً ان الاقتصار على البحث في آثارنا الفلسفية القديمة لا يشق لنا سبيل الانتاج الفلسفي . وانه ينبغي لنا ، في سبيل الوصول الى ذلك ، ان نجمع بين الماضي والحاضر ، فندرس أولاً آثارنا القديمة ونترجم في الوقت نفسه آثار الفلاسفة الغربيين . أما القول بتأخير انتاجنا الفلسفي فاننا لم نفهمه ، لأننا نعتقد اننا قادرون على الابداع كغيرنا من الأمم ، ولا فائدة من تأخير انتاجنا الى مرحلة ثانية من مراحل التطور . ولو ان الأمم دعت الى تأخير انتاجها الفلسفي كما ندعو نحن اليه في كتبنا المدرسية لما استطاعت ان تنتج شيئاً . لنبدأ بالانتاج منذ الآن ولنغرس هذه الفكرة في نفوس طلابنا . فاذا نشأوا على ذلك وآمنوا بقدرتهم على الابداع استطاعوا في المستقبل ان يجاروا غيرهم من الأمم ، وهذا خير لنا وابقى من تثبيط الهمم والاقرار بالعجز .

ومما يدل أيضاً على تسرع المؤلف في احكامه قوله : « ومع ان فلسفة ابن طفيل كانت مادية الى أقصى حدود المادية فانه هو شخصياً كان ديناً تقياً » (ص ٣٨) .

ان اول ما يستنتجه القارئ من هذا الحكم المطلق ان المؤلف لم يفهم فلسفة ابن طفيل على حقيقتها . ففلسفة ابن طفيل لم تكن مادية ، بل كانت فلسفة عقلية روحية . ومن العجيب ان تشتمل هذه الفلسفة (المادية) على القول بخلود النفس واستقلالها عن الجسد ، والقول بوجود الله ووجود الجواهر الروحانية ، فالنفس عند ابن طفيل لا يدركها الفساد لأنها من ذات الله ، والله بريء من جميع معاني النقص ، وهو الكمال والحسن والبهاء ، لا يمكن ان يحدث في هذا العالم شيء إلا بأمره ، والمؤلف نفسه يصرح بذلك في بسط فلسفة ابن طفيل . فاما ان يكون حكمه هذا ناشئاً عن التباس معنى الفلسفة المادية عليه ، واما ان يكون في قوله هذا تناقض ، واما ان يكون ذلك ناشئاً عن التسرع في الحكم ، ونعتقد ان الوجه الأخير هو الأصح .

وأما عدم تقيد المؤلف بالطريقة التاريخية فيظهر لنا في كلامه عن عصر ابن طفيل . اذ ذكر لنا أولاً حالة العالم الاسلامي في الشرق والغرب ثم تبسط في الكلام عن انكلترا وفرنسة ، والنورمان في صقلية ، وعن الامبراطورية البيزنطية ، واباطرة الجرمان والنزاع البابوي . وهذا كله يدخل في باب التاريخ العام . ولو احتجنا في الكلام عن فلسفة رجل الى مثل هذا الاسهاب في وقائع التاريخ لاختلط علينا الأمر . ان مؤرخي الأفكار يكتفون في مثل هذه الحالة بالأسباب والوقائع المباشرة التي أثرت في فلسفة الرجل . أما الكلام عن وقائع لا علاقة لها به فيعدونه خروجاً عن الموضوع .

هذا بعض ما بدا لنا في نقد هذا الكتاب . وهو لا ينقص من قيمته ، لأن الكتاب يستعرض آراء ابن طفيل على ترتيب معقول ، ويحللها بطريقة منظمة وأسلوب واضح جذاب . وهو على قصر حجمه يشتمل على كل ما يجب معرفته من قصة حي بن يقظان ، فالشكر للمؤلف على أدبه وعلمه .

جميل صليبا

نظام التربية في أميركا

يشتمل على دراسة تحليلية لمجلس التعليم الأميركي • عنيت بنقله الى العربية مجلة التربية الحديثة بالجامعة الأميركية بالقاهرة • طبع بالمطبعة المصرية بمصر ، عام ١٩٤٥ • عدد صفحاته ٢٩٦ من القطع الوسط

عني باصدار هذا الكتاب مجلس التعليم الأميركي في الولايات المتحدة • ومجلس التعليم هذا يضم جماعات التعليم الوطنية ، والكليات ، والجامعات المعترف بها ، والمعاهد الصناعية والفنية ، والمدارس الثانوية ، ومجالس التعليم لحكومات الولايات ، ومجالس التعليم للمدن • وفيه أيضاً كثيرون من زعماء التربية •

والكتاب يشتمل على سبعة فصول : (١) في النظام والادارة ، (٢) ورياض الأطفال ومدارس الحضانة ، (٣) والتعليم الأولى ، (٤) والتعليم الثانوي ، (٥) والتعليم العالي ، (٦) واعداد المعلمين ، (٧) والتعليم الريفي • كتب كل فصل منها عالم من علماء التربية وأشرف على تحريرها المربي الدكتور (كندل) الأستاذ بجامعة كولومبيا •

وقد عنيت مجلة التربية الحديثة بنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية بالاشتراك مع مكتب الاستعلامات الاميركي بالقاهرة ، فعهدت في ترجمة كل فصل من فصوله الى أستاذ خاص ، فجاءت الترجمة على اختلاف أسلوبها ، واضحة بينة ، الا انها لم تخل في بعض نواحيها من الغموض والعجمة والالتباس •

وقد نبهنا الأستاذان (جون بادو) و (أمير بقطر) في التمهيد الذي صدرا به هذا الكتاب الى ان الوقوف على نظم التعليم في شتى البلدان من أحسن الوسائل لصيانة السلم ، وان كل بحث من هذا القبيل يلقي ضوءاً على أماني الأمم وتراثها ، ونتيجة اختباراتها ، ويقرب الشعوب بعضها من بعض •

واذا قارن المرء بين نظم التعليم في العالم العربي وبين نظام التربية في الولايات المتحدة تفطن لما في نظم التعليم عندنا من العيوب التي يجب اتقاؤها ، والمحاسن التي

يجب الاحتفاظ بها . فالتعليم في الولايات المتحدة متنوع الى أقصى حدود التنوع ، فلا يوجد بين النظم المحلية نظامان متماثلان تماماً ، بل ان لكل ولاية نظامها الخاص ، والشعب الأميركي يهيمن مباشرة على شؤون التعليم بحيث يشعر اولياء التلاميذ ووالدوهم ان معاهد التعليم ملك لهم ، والتربية عندهم مبنية على أساس اللامركزية . وهي مستقلة عن الدولة واذا حاول موظفو الحكومة التدخل في شؤونها قاومهم الشعب بكل عنف . والشعب الأميركي يؤمن بالتربية ويعتبرها سياسة قومية عامة ، ويريد ان تتاح فرص التعليم لجميع أفراد الشعب على اساس المساواة ، لأن الغرض الأول من الديموقراطية هو تنظيم المجتمع تنظيماً يكفل لكل عضو من أعضائه النهوض بشخصه عن طريق النشاط الذي يرمي الى الرفاهية العامة . لذلك كان لا بد للتربية من ان تعنى بالناحية الصحية والفكرية والخلقية معاً ، فتعد الطالب ليكون عضواً عاملاً في أسرته وتعلمه مهنة يكسب بها رزقه ، وتربيه تربية وطنية صحيحة ، وتعوده التمتع بأوقات الفراغ وتوفر له وسائل التسلية في المدرسة والبيئة .

ولا يتسع المجال هنا للاحاطة بكل ما تضمنه هذا الكتاب من المثل العليا والنظم والأهداف العامة والمبادئ والوسائل ، فان الاشارة الى كنوز الكتاب لا تغني عن مطالعته . وسيجد القارئ فيه ان الكمال في نظم التربية الأميركية لم يدرك بعد في أية ناحية من النواحي ، وان النظم لا تجري فيها على نمط واحد ، ولا تتشابه في مستواها في اية وحدة من وحدات التعليم كما هي الحال في بلادنا . ولهذا النظام عيوبه ومحاسنه . فعلى رجال التعليم ان يقتبسوا منه ما ينطبق على حاجاتنا القومية ، ويساعد على تعديل نظام المركزية الجامد الذي جرينا عليه حتى الآن . فاللامركزية الواسعة في التعليم لا تعني الفوضى ، كما ان المركزية الضيقة لا تدل دائماً على النظام .

ج . ص

الدكتور (كنوك) أو انتصار الطب

رواية تمثيلية هزلية ذات ثلاثة فصول • تأليف (جول رومان)
وتعريب الأستاذ ابراهيم كيلاني • طبعت بدمشق عام ١٩٤٥
عدد صفحاتها ١٠٩ من القطع الصغير •

يقول أحد الكتاب المعاصرين : « ان رواية الدكتور (كنوك) تصور لنا جنون الطب والأطباء والمرضى معاً » •

فالدكتور (كنوك) مجنون لأنه يظهر تارة بمظهر المغامر والدجال والتاجر ، وأخرى بمظهر المصلح المتفاني في خدمة الانسانية •

والمرضى مجانين لأنهم مثقلون بعبء الوساوس والأوهام محرومون من التمتع بلذة العيش تساورهم اشباح الامراض وتعشش جراثيمها في نفوسهم •

والطب نفسه جنون لأنه يقلب غايات الطبيعة فلا يقتصر على معالجة المرضى ، بل يرغم الأصحاء أنفسهم على التمسك بقواعد الصحة ، ويرهقهم بالتدابير الواقية التي تدخل الوهم الى قلوبهم وتنشر الذعر بينهم •

لقد ذكرتني قصة الدكتور (كنوك) هذه بقصة ذلك القاضي التركي الذي كان يدعو القرويين الى محكمته ، ويحكم لهم بحقوق لم يفقدوها وأموال لم يضيعوها ، ويعطيهم صكاً بذلك لقاء مبلغ من المال يدفعونه له • فكما شقّ على الدكتور (كنوك) ان يكون الناس أصحاء سالمين من المرض ، فكذلك شقّ على ذلك القاضي ان يكون الناس بعيدين عن الخصومة ، ليس عليهم دين يؤدونه او حق يطالبون به • وما اكثر المحامين والقضاة الذين يشبهون الدكتور (كنوك) • انهم لا يفتشون عن الحقيقة ، ولا يعملون على احقاق الحق ونشر العدل ، بل يريدون ان ينتصروا على زبائنهم كما انتصر الدكتور (كنوك) على سكان (سنت موريس) • فالطبيب الذي يوحي الى الناس انهم أصحاء يعمل على انكسار الطب • اما الطبيب الذي يقوم على وضع جميع الناس في أسرة المرض حباً بالتجربة والمشاهدة فيعمل على رفع منار مهنته •

في كتاب (غورجياس) لأفلاطون تحليل لآراء السفسطائيين الذين جعلوا همهم من الحياة الانتصار والتغلب ، فسلكوا في سبيل الوصول الى غاياتهم طريقة الخطابة ، وأعرضوا عن الفلسفة ، وفضلوا القوة على العدل ، والتمويه على الحقيقة ، واللذة على الفضيلة . وطريقتهم هذه لا تزال محببة الى كثيرين من الأطباء والمحامين ورجال القضاة والسياسة . فكأن الدكتور (كنوك) رمز مجرد او مثال عام ينطبق على كثيرين من سفسطائيي هذا العصر .

وطريقة (جول رومان) في رواية الدكتور (كنوك) شبيهة بطريقة (موليير) . وهي تقوم على المبالغة في وصف بعض العيوب ، وتدعو الناس من طرف خفي الى التفكير في تجنبها . ولكن (جول رومان) لا يصرح ابداً بهذه الغاية الخلقية . بل يترك للقارئ ملء الحرية في استخراج مايريده من النتائج . ولو سلك كتابنا المسرحيون هذه الطريقة لجاءت رواياتهم أوفى بالغرض . الا انهم يكثرون من الدعوة الى الفضيلة حتى تبح أصواتهم ، فيقلبون صور الفن الى فضائل خلقية جافة تمجها النفس ويعافها الذوق .

وبعد فهذه الرواية ، على صغر حجمها ، تشتمل على كثير من المزايا الفنية والادبية . وقد اجاد الأستاذ ابراهيم كيلاني في ترجمتها ، فجاءت حسنة الأسلوب ، واضحة المعاني ، وهذا وحده كفيل بأن يضمن لها رواجاً عظيماً .

ج . ص

العلويون من هم ؟ وأين هم ؟

للسيد منير الشريف . في ١٧٨ صفحة من القطع الصغير .

طبع في دمشق عام ١٩٤٦

ضمنه المؤلف نتيجة دراسة تاريخية وسياسية عن محافظة اللاذقية ، ووصف لنا طبيعتها الجغرافية ، وبحث حالتها الاقتصادية والاجتماعية . وعدد عشائر العلويين ووصف عاداتهم ومعتقداتهم . وقد عالج شؤون هذه المحافظة في ماضيها وحاضرها

ومستقبلها معالجة تنم على خبرة واسعة في شؤون هذه المنطقة ، ودعم بحثه بوثائق وأرقام استقاها المؤلف من هذه السنين العديدة التي عاشها في هذه المحافظة ومارس فيها وظائف رئيسية كثيرة كشفت له عن معلومات قيمة جمعها لنا في هذا الكتاب ·

وقد أنصف المؤلف العلويين فيما كتبه عنهم ، واصاب كبد الحقيقة في تفهم روح هؤلاء الاخوان المنعزلين في جبالهم والمنقطعين عن جوارهم ، ينسج المضللون حولهم شتى الاقاويل واعجب الأساطير · وقد صوّر لنا امراضهم الاجتماعية واوضاعهم التقليدية ووصف لها العلاج الناجع · فاذا كان المؤلف قد كشف لنا عن بعض ما يؤخذ عليهم فانه لم يهمل ميزاتهم الطيبة وصفاتهم الحسنة التي يتحلون بها مما كان يجهلها عن احوالهم كثير منا · فبدد بذلك الأوهام التي كانت عالقة في اذهان غرستها فيها الدعايات الفاسدة والأغراض الباطلة · وبين لنا كيف ان العلوي لا يقل عن سواه وطنية وعروبة مستشهداً بحوادث ووقائع تاريخية كانت مجهولة ، ساهم فيها العلويون للدفاع عن حريتهم وسيادة وطنهم · ومن الخطأ ان نأخذ المجموع بجريمة افراد ضلوا السبيل وهم نفر لا تخلو منهم محافظة بل فيها من هم اضل سبيلاً · كما ضمن المؤلف كتابه منهاجاً عمرانياً للنهوض بهذه الطائفة التي اهملتها الظروف السياسية ولإعادة الاطمئنان الى نفوس ابنائها يجدر ان يقف عليها كل من يعمل في ادارة هذه المنطقة ·

واننا لانشاطر المؤلف رأيه في جعل مقياس الوطنية على اساس وحدة العرق والجنس ، فقد أثبتت التجارب والنظريات الحديثة بأن وحدة اللغة والثقافة والمنفعة المتبادلة والكرامة المشتركة لا تقل ضمانة عن وحدة العرق في تكوين أمة ذات سيادة موحدة · ومثل الولايات المتحدة الاميركية واختلاف عناصر شعبها لهو اصدق برهان على هذا الزعم ·

واننا نشكر للمؤلف عنايته وجهوده ونرجو ممن عانوا الشؤون الادارية من موظفي الدولة ان يقتدوا بزميلهم هذا فيعالجوا امثال هذه الأبحاث المفيدة خدمة لأنفسهم وبلادهم ·

جعفر الحسني

كتاب اللغات في القرآن

مطبعة الرسالة بالقاهرة . بقطع متوسط . نحو مئة صفحة
عام — ١٣٦٥ — ١٩٤٦

يتابع الأستاذ صلاح الدين المنجد نشر جهوده العلمية من تأليف ، وترجمة ، وتحقيق مخطوطات قديمة . ومن آخر ما نشره « كتاب اللغات في القرآن » الذي رواه عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ ، المتوفى سنة (٣٨٦) بسنده الى ابن عباس الصحابي الجليل .

وهذا الكتاب من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وجده الأستاذ المنجد بها فاستنسخه ثم صححه وحققه ونشره ، بعد ان وضع له مقدمة حلل فيها هذا الكتاب ووصف المخطوطة ، وحقق شأن المؤلف ، وألحق في آخره ما تفرد بذكره السيوطي في الاتقان من ابحاث هذا الموضوع ، واضاف اليه فهارس متقنة تسهل الرجوع لمسائله .

رتب المؤلف هذا الكتاب على السور فبدأ بسورة البقرة حتى انتهى الى آخر سور القرآن . وسرد ما قيل في كل سورة من الفاظ القبائل العربية والفاظ الأمم الأخرى من آرية كالفارسية والرومية ، أو سامية كالسريانية والعبرية والحبشية والنبطية والقبطية ، وهذا الكتاب هو الوحيد الذي طبع مما افرد بهذا الموضوع ، ففيه الفاظ للقبائل غير موجودة في « الاتقان » للسيوطي .

ومما جاء في مقدمة الناشر : وهكذا نجد ان القرآن الكريم قد ضم الفاظا من معظم القبائل وهذا الأمر يومئ الى غاية سياسية ... هي توحيد العرب وجعل القرآن كتاباً تجد فيه كل قبيلة من الفاظها الخاصة بها ، ثم ايجاد لغة واحدة تكون اللغة الرسمية للعرب جميعاً ، هي تلك اللغة الكاملة التي نجدها في القرآن .

فنشكر للأستاذ المنجد جهوده القيمة وخدمته للآداب العربية آداب القرآن الكريم .

محمد أحمد دهمان

آراء وأنباء

تطور الألفاظ والتراكيب والمعاني [1]

أبقى لنا الثعالبي من أهل القرن الخامس في المضاف والمنسوب درساً مستوفى من التراكيب والاضافات التي كان بعضها شائعاً في الجاهلية والآخر حدث في الاسلام وقد خرجها في أحد وستين باباً ، فمنها ما أضيف الى اسم الله تعالى : أهل الله . بيت الله . رسول الله . كتاب الله . أرض الله . ستر الله . ناقة الله . رحمة الله . أمر الله . لعنة الله . صبغة الله . الخ . وكل شيء كما قال الجاحظ أضافه الله تعالى الى نفسه فقد عظّم شأنه وشدد أمره ، وقد فعل ذلك بالنار فقال نار الله الموقدة ومنها ما يضاف الى الأنبياء مثل سفينة نوح : عمر نوح . مقام ابراهيم ، نار ابراهيم . صحف ابراهيم . ناقة صالح . قميص يوسف ، عصا موسى . صبر أيوب . مزامير داود . خاتم سليمان . ومنها ما ينسب الى الملائكة والجن والشياطين مثل : سحر هاروت . ديك الجن . جند ابليس . قبح الشيطان . حبائل الشيطان . رؤوس الشياطين . ومنها ما يضاف الى القرون الأولى : ريح عاد . صرح هامان . كنوز قارون . سد الاسكندر . نوم اصحاب الكهف . ومنها ما يضاف الى الصحابة والتابعين مثل سيرة العمرين . درّة عمر . دهاء معاوية . فقه العبادلة . حلم الأحنف . ومنها ما يضاف الى رجالات العرب في الجاهلية والاسلام : حاتم طيء . زيد الخيل . سحبان وائل . عروة الصعاليك . سعد العشيرة . وضاح اليمن . مجنون بني عامر . أشج بني أمية . جبار بني العباس . ومنها ما ينسب الى القبائل : ايلاف قريش . تيه بني مخزوم . جود طي . أو الى

(1) ألقيت هذه الكلمة يوم افتتاح الدورة الثالثة عشرة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية في القاهرة يوم ٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٧ .

رجال مختلفين : حكمة لقمان · بلاغة قُس · عِيّ باقل · حديث خرافة · مواعيد عُرقوب · وفاء السموأل · كذب مسيلمة · طمع أشعب · ومنها ما ينسب الى العرب : تيجان العرب · نخوة العرب · كسرى العرب · ومنها ما أضيف الى الاسلام : قبة الاسلام · بيضة الاسلام · دعوة الاسلام · ومنها الى القراء والعلماء : فقه أبي حنيفة · حَاجة أبي الهذيل · أو الى ملوك الجاهلية والاسلام : سيرة ازدشير · عدل أنوشروان · ايوان كسرى · شقائق النعمان · خلافة ابن المعتز · أو الى الكتاب والوزراء في الدولة الأموية والعباسية : بلاغة عبد الحميد · بلاغة جعفر · يتيمة ابن المقفع · تيه عُمارة · أو الى البلدان : عزيز مصر · أو الى أهل الصناعات : كلب القصاب · تيه المغنّي · رُغفان المعلم · كذب الدلال · ومنها الى الآباء والأمهات والبنين والبنات مثل : أبو قلمون · أبو مثوى · أم الكتاب · أم القرى · أم المؤمنين · أم حُبَين · أم قَشعَم · ابن الليالي · ابن جلا · ابن آوى · ابن السبيل · بنو الأيام · بنو الدنيا · بنت الفكر · بنات الصدور · أو الى الأذواء والذوات كأذواء اليمن · ذو الأوتار · ذو القرنين · ذو النورين · ذو الرياستين · ذو الكفايتين · ومنها ما ينسب الى النساء مثل : ذات النطاقين · كيد النساء · مرآة الغريبة · حمالة الحطب · خضراء الدمن · ضرائر الحسناء · بكاء الثكلى · ومنها الى الأعضاء : سويداء القلب · حبل الوريد · ومنها الى الابل : حمر النّعم · صولة الجمل · خبط عشواء · ومنها الى الخيل والبغال : نواصي الخيل · فرسا رهان · ومنها الى الحمار : حمار العُزَير · صبر الحمار · ومنها الى البقر والغنم : بقرة بني اسرائيل · أذناب البقر · لحية التيس · ومنها ما يضاف الى الأسد : ليث عِفرّين · ليث الغاب · جرأة الأسد · وثبة الأسد · ومنها الى الذئب والسباع والوحوش والسنور والفار والضب والظّربان والقنفذ والسرطان والحية والعقرب والحشرات والهوام والطير والغراب والذباب والبعوض · ومنها الى الأرض والدور والأمكنة والأبنية والبلدان والأماكن ، ومنها الى الجبال والحجارة والمياه والنيران والشجر والنبات

واللباس والثياب والطعام والشراب وما يتصل بهما والسلاح والحلي والليالي والأزمان والأوقات والآثار العلوية وغير ذلك ٠

هذا ما عُني الثعالبي بتدوينه وفيه صورة من صور المجتمع الجاهلي والاسلامي ومنه ما جاء كالمثل ومنه ما كان فيه اشارة الى وقعة تاريخية وتصوير لحالة نفسية مثل : عَرَق القربة ، عَرَق الموت ٠ ومعنى الأولى الشدة والمشقة ، ويضرب الثاني مثلاً لأشد الشدة ٠ وكان الحسين الخادم خادمَ المعتضد والمكتفي يتولى البريد بمصر ويلقب بعرق الموت ٠ قيل ان المكتفي لقبه بذلك ٠

وكل ما نسب وأضيف وأتانا به الثعالبي ما خرج عن تركيب عربي ولفظ عربي ، ولقد حدثت بعدُ تراكيب واضافات وألفاظ كان الواجب تدوينها ولعله كان ينتظم منها مجلد آخر ٠ أما في العصور الحديثة عصر الطباعة والصحف والمجلات وانتشار الكتب وعهد اتساع العلوم المادية فقد يسقط الباحث على اضافات ونسب منها ما نُقل عن اللغات الغربية وتحس فيه أثر الترجمة وهُجنة العجمة ٠

وتطورت الألفاظ والتراكيب في عصر العلوم هذا وقضت الحال على النقلة ان يختاروا ألفاظاً لتراكيب جديدة ، فمنها ما جودوا فيه ومنها ما قصروا ، وكله دخل على اللغة وحفظه الناس وتناقلوه ، وتكثر هذه التراكيب والألفاظ في مصطلحات علوم السياسة والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والمالية والتربية ٠ كثرت لأن سند هذه العلوم انقطع عند العرب أو كانت علوماً جديدة لا يعرفها أجدادنا وكانت المادة من التعابير قليلة وكان المترجمون لأول النهضة ضعافاً في اللغة ولعل بعضهم لم يدرك ما تحويه الألفاظ الفرنجية من معان ، فترجموا كيفما اتفق ، لا كما يجب ان يكون ٠ ومن التراكيب التي جاءنا بها العصر الجديد اذا ألقيته على مسامع العربي الأصيل ، اضطر الى أن يفكر ساعة وربما ما خرج بعدها بشيء يصور له المعنى تصويراً حقيقياً ، لأنه لا يعرف جهة العلم الذي كانت هذه الألفاظ والتراكيب من ألفاظه وتراكيبه ٠ وقد شاهد هذا المجمع من تلك الألفاظ مئات لما نظر في مفردات العلوم ٠

ولا أكتمكم يا سادتي أن سمعي لم يتألم قط أكثر من تألمه من لفظ أو اضافة جاءنا بها المشتغلون بعلم التربية ، فنسبوا الى التربية «التَرْبِيَوِي» وأتونا بعد ذلك بألفاظ وتراكيب لو حلفنا لأهل عصور زهو العربية بالطلاق والعتاق أنها عربية ماصدقوا ولا آمنوا ، جاءنا متفاصحو المترجمين بتركيب : النزعة الواقعية ، القوة الوجدانية ، الذاتي الموضوعي الاقليمي ، الفكرة الأساسية ، الفكرة الرئيسية ، الطريقة الاعتباطية ، السبب المباشر ، وهكذا سرت الى الأقلام عشرات من التراكيب على اعتبار أنها وردت في كلام بعض العارفين فاحتذاها من قضت عليهم صناعتهم بالعجلة وعدم التريث ككتاب الصحافة ، وقد يعبرون عن المعاني التي يحتاجون الى أدائها من حاضر الوقت لا يطيلون التفكير فيها والمراجعة . نعم جاءوا بطائفة من التراكيب ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن قولهم : تغلبت العناصر التقدمية على الرجعية ، وطن معنوي مثالي ، الوطن المرقوب المرغوب ، من حيث الأساس ، تفرض نفسها على اتجاهات السياسة ، القَبْتاريخية أي قبل التاريخ ، Préhistoriques الأحلام الطوبائية ، Utopiques ولو قال أبو عذرة هذا التركيب : السياسة قبل عصر التاريخ بدل القبتاريخية والخيالات والأوهام بدل الأحلام الطوبائية لأدى المراد ونجا من هذه السماجة ، جاءونا بفلان يضرب الرقم القياسي في الشيء الفلاني ، النزعات السياسية السائدة ، عمله على ضوء كذا ، رفع رأس أمته عالياً ، يحيطونها بهالة من الرهبة ، استغل الموقف ، جرى على خطته التقليدية ، خلقت جواً من الشبهات ، المفاوضات تجري في جو يسوده الود ، الوضع الحاضر ، الوعي القومي ، سر المهنة ، فقيد الواجب ، التربية المثالية ، المجال الحيوي ، الشخصيات البارزة ، السوق السوداء ، الجهود الجبارة ، الحل الحاسم ، حقل الادب والعلم ، الروح الوثابة ، موضوع أخاذ ، أتون الحرب ، الرغبة الملحة ، حملة داوية صارخة صخابة ، وأخيراً تم الشيء الفلاني ، بحسب الخطة المرسومة ، رجل الساعة ، الأهداف القومية ، حركة خاطفة ، الروح المعنوية

المتوثبة • في ظل النظام • ظهر على مسرح السياسة • يضحي على مذبح أغراضه • طلب يد فلانة • ذر الرماد في العيون • يشق طريقه الى الحياة • فشلت المناورة • انفرجت شفتاه عن عدة ابتسامات كان لها أثر طيب في تلطيف جو الاحتفال •

ومنها ما يكررونه في اليوم والليلة مرات حتى مجته الأذواق وبرمت به الآذان وهي ليست في شيء مما أجازه علماء البيان في التكرار أو عمد اليه الجاحظ في ترديد بعض ألفاظه الحلوة كفعل كان أو تركيب أما بعد ، وتكرار الجاحظ على كل حال لا يشبه ما أحصيته لأحد البلغاء في حديث له في المذياع كرر فيه لفظ (اللهم) مراراً ، وأذكر أني عددت له منها عشر مكررات ثم مللت ووجهت وجهي عن الاستماع ، والغالب أن صاحبي ، وكان شيخاً والمشيخة فيه أعلق به من شعرات قصه ، انقطع عن الصلاة أياماً وأحب أن يعوض عن لفظ اللهم التي فاتته فجمعها كلها في محاضرة واحدة • ولعله ظن أن المحاضرة صلاة ودعاء فتوسل الى الباريء تعالى ما وسعه التوسل في حديثه مع أنه كان من سعة المادة اللغوية على جانب عظيم ، ولا يحتاج بيانه الى مثل هذه التكأكآت •

ومن التراكيب والاضافات الجديدة ما تغثى منه النفس وهذا تجده في كثير من الكتب المترجمة ممن يكون مترجمها وسطاً في اللغة التي نقل منها واللغة التي نقل اليها • ترجمنا وبذلنا الجهد فكان في ترجماتنا الرديء والجيد ، ولم يكن لنا بد من الدخول في هذا الدور - أما الآن وقد كثر عدد الفريق الذي تخرج بآداب لغته واللغات الغربية فالواجب ألا ننشر الا ما سلم كل السلامة من العوج ولم يسبق للسان العربي أن جرى به • فبالله ألا تصابون بالبرداء وقاكم الله شرها اذا سمعتم مترجماً يقول : وهذا الشعور ليس سلبياً بل ايجابياً • تربية فلان الايجابية العملية • المركز الاستثنائي • المبدأ الانقلابي • دال بها على جوهر قومي مركز • التركيز في التقسيمات • حركة تحريرية تجديدية • نصوص مثلية • شريعة الوطنية تستمد وحيها من نواميس كذا •

ومن التراكيب أو الألفاظ ما استلزمته طبيعة العصر لأنه ينم عن معان لاسبيل الى التنقُّصِ منها لأنها تدل على أمور ذات أثر في سياسة الدنيا اليوم، ومنها : الارهابيون ، الوصوليون ، النفعيون ، الانتهازيون ، المداورون ، العدميون ، الفوضويون ، الاشتراكيون ، الشيوعيون ، النازيون ، الفاشستيون ، الجمهوريون ، الملكيون ، الديمقراطيون ، الاستقراطيون ، الدكتاتوريون ، الرأسماليون ، المحافظون ، الحياديون ، الحزبيون .

ولا أطيل عليكم في ايراد الاضافات والصفات والأسماء الجديدة ، وعلى من يحب التوسع في تلقفها أن يتتبعها في الصحف والكتب الحديثة ، ولا سيما في المعرَّبات . وتكاثر التراكيب والألفاظ النابية عن مناحي البلغاء في كلام أهل القرن الماضي ولا نرى كل وَسَط في نقله وتصنيفه إلا معتذراً عن جهله بأنه يكتب الكتابة التي تروق جمهور الناس ، ويهزأ في باطنه ، وأحياناً يبدو هزؤه على سحنته ، ممن يكتب كتابة عربية في الجملة ويصمها بأنها كتابة جامعية أو مشايخية نسبة للجامعة أو لدار العلوم والأزهر .

* * *

قلت في بيان ألقيته في السنة الماضية في مثل هذا الحفل الكريم أن من الألفاظ ما يُعَمَّر قليلاً ثم يموت ويحيا غيره فينسي الآخرُ الأول وأن لكل عصر ألفاظه كما أن لكل عصر بيانه . وقد أتيح لي أن نشرت خمسة كتب للقدماء حوت من هذه المعاني أشياء كثيرة ، فكان في الأول طائفة كبيرة من ألفاظ القرنين الأولين للإسلام ، وفي الثاني ألفاظ لم يعرفها هذان القرنان ، ونسيت في الرابع والخامس ، وفي الكتاب الثالث ألفاظ وتراكيب عرفت كثيراً في الرابع والخامس ، وفي الكتاب الرابع ألفاظ علمية اشتهرت في الخامس والسادس ، وكان ابن القرون السابقة بمعزل عنها . وفي الكتاب الخامس ألفاظ وتراكيب عرفت في فارس وخراسان .

وأعني بالكتاب الأول « رسائل البلغاء » وفيه نصوص نادرة لعبد الله بن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب وغيرهما من أئمة البيان . وبالكتاب الثاني «سيرة احمد بن طولون» للبلوي من أهل القرن الرابع ، وبالكتاب الثالث « المستجاد من فعلات الأجواد » للمحسّن التنوخي من أهل القرن الخامس ، وبالكتاب الرابع « كتاب البيزرة » لبازيار العزيز بالله الفاطمي من أهل القرن الخامس (تحت الطبع) وبالكتاب الخامس « تاريخ حكماء الاسلام » للبيهقي فيه من ألفاظ الفلسفة والحكمة التي كانت معروفة لأهل القرن السادس .

الكتاب الأول من محصول العراق وفارس في الجملة . والكتاب الثاني مما أخرجته مصر . والكتاب الثالث مما صدر عن الدور العباسي الأول والثاني . والكتاب الرابع مما ألف في مصر أيضاً وفيه ألفاظ مصر . والكتاب الخامس مما صنف في فارس وفيه ذَرْوٌ من مصطلحها .

والألفاظ التي حملها الكتاب الأول من سهل الألفاظ ، استعملت قروناً ثم بدأ الناس ينسونها فهجرت وصار ابن هذا العصر اذا سمع بعضها فكأنه يسمع ألفاظاً أعجمية واذا حاول الكشف عنها في المظان ملّ وكلّ ، ولا عجب فقد بلغ بنا الضعف في لغتنا أحياناً أن صرنا الى حالة اذا حاولنا قراءة شعر جاهلي فكأنما نقرأ لغة غير لغتنا ، ونقع فيه على ألفاظ نجد في بعض الألفاظ الفرنجية أَنَسَةً أكثر مما نجد في هذه الألفاظ العربية ، ولا أحيلكم للتدليل على دعواي إلا على بعض ما طبع من دواوين الجاهليين وبعض الاسلاميين أمثال زهير بن أبي سُلمى وجرير والفرزدق . وعوض الله شراح هذه الدواوين المعقدة خيراً عما بذلوه من أوقاتهم في سبيل حلها .

فمن ألفاظ الكتاب الأول : الاعتمال الاضطراب في العمل والحركة . زمين كسيخ . الزميت الوقور . قذعه منعه وكفه . أنق أحسن وأعجب . استعتب طلب الاعتاب واستقال من الذنب . مدخول في أموره فيها غش وعيب وفساد .

أرض تَهَمَة منصوبة الى البحر ومنه تِهامة • أرض جَلَس غليظة • الواهن الضعيف في العمل التارك له • الفالج الفائز • المناقلة المحادثة • الاستطراد نوع من المكيدة • الخبار ما لان من الأرض واسترخى • الجَدد الأرض المستوية الغليظة وما استرقّ من الرمل ، وفي المثل : من تجنب الخبار أمن العثار • وفيه : من سلك الجَدَد أمن العثار • العُقدة العَقار ونحوه يقال : اعتقد فلان عقدة : اذا اشترى ضيعة أو اتخذ مالاً من عَقار وغيره ، وهي مستعملة عند عوام الشام • الكفاة الخدم الذين يقومون بالخدمة • الخانة جمع خائن والغدرة جمع غادر ولا نستعمل هذين الجمعين اليوم ، وكثير من الجموع أغفلناها مع الزمن كالجوَرة والحزَمة والخوَنة والكذبة • الإعتاب مصدر قولك اعتبني فلان اذا عاد الى مسرتك راجعاً عن الاساءة • الاستئمار المشاورة • أعذر الرجل بالغ في اظهار عذره • الطَوْق ضعف العقل ، وفلان به طَرْقة أي هوج • أجم الطعام كرهه ومله • استجمام القلوب اراحتها • السوقة خلاف الملك نطلقه على أهل الأسواق وليس بصحيح • الاحتلاط (بالحاء) المبالغة في الحلف واليمين • البأو الفخر بالنفس ورفعها • اتلاد المال تنميته • فاش الرجل اذا افتخر ومنه التفيّش وهو الكبر والادلال • اتّزر ركب الوزر أي الاثم • حُقْرِيَّة الذلة • خبال الأمر اضطرابه واختلاطه • الشرج المثل والنوع • بتبيَّغ يهيج • الاستجراح الفساد والعيب • استحسر أعيا وتعب • القعَدة الكرسي أو الطنفسة • الظِهْرَى ما يجعله المرء عدة له عند مسيس الحاجة اليه • الشكيمة قوة القلب وشكمه أثبته • أغمز في فلان اذا عابه واستضعفه وصغر من شأنه • استأكل الضعفاء اذا أخذ أموالهم • أوتغ دينَه بالاثم أفسده • ألحمه بعرض فلان أهتكه منه بشتمه • الانفهاق في الشيء التوسع فيه • اكتهف وتكهفَ لزم الكهف والكهف المغارة والملجأ • أخطر جعله في خطر • رضخ له من ماله اذا أعطاه عطاءً غير كثير • وضَنَ الشيء يضنه فهو موضون ووضين ثنى بعضه على بعض وضاعفه ونضّده • العِقوة ما حول الدار والمحلة • الكسى (بالضم) مؤخر

العجز في كل شيء والجمع أكساء وركب أكساءه سقط على قفاه • اجتالهم حوّلهم عن طريق قصدهم الخ ••

ومن ألفاظ الكتاب الثاني : البَزْيون ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج • المطبق كمحسن سجن تحت الارض • العقابان خشبتان يشبح الرجل بينهما ليجلد • الفَيْج الحارس أو رسول السلطان أو حامل البريد • العطعطه حكاية صوت المجان اذا قالوا عِيط عِيط وذلك اذا غلبوا قوماً • الابليز وطين الابليز طين مصر وهو ما يعقبه النيل بعد ذهابه عن وجه الأرض (لغة مصرية) • تقبل العامل العمل تقبيلاً التزمه بعقد ومنه المتقبلون أي الملتزمون باصطلاحنا اليوم • هذا عَوْل الدولة أي المستعان به أو أحد خدامها • يعرّب عليه يرد عليه بالانكار • المجمل المستعمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة جاءت هكذا • عرض الغلام عليه مجملاً بما يجري يوماً يوماً وليلةً ليلة • المطرح المفرش وزناً ومعنى • المسورة (بكسر الميم) مخدة مدورة • الخردادى ابريق من البلور الحجري ذو عنق ضيق وجسم يزداد اتساعاً من أعلى الى أسفل والخردادي الخمر والغالب ان هذا الاناء كان خاصاً بوضع الخمر الباطية وقال العلامة كرنكو أنها خرداذية (بالذال) في الثانية وهي كلمة فارسية لنوع من أنواع الشراب كانوا يشربون فيه أيام الأعياد • القصرية كالإجانة اناء لوضع الزهور أو الطين • الرقاص أجير البناء وهاتان اللفظتان مصريتان • بعّض الشيء جزأه • وتبعض تجزأ أي يناوله بعض ما على المائدة من الطعام تحبباً • ورد : يزل معه ما يقدر على حمله • زلّ الطعام أخذه وتناوله والزلة اسم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك • البذرقة الخفارة • في الكلام على هندسة جامع ابن طولون : « فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت » فسرته بأنهم كانوا يرسمون مخطط البناء على الجلد • ثم اطلعت على كلام للجاحظ يقول فيه : وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين وفي الصكاك والعهود وفي الشروط وصور العقارات وفيها تكون نموذجات النقوش ومنها تكون خرائط

البرد وهن أصلح للجُرُب ولِعفاص الجرة وسداد القارورة . ورد : فتخرج الينا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً أو تطاريف . وفي كتب اللغة : اختضبت المرأة تطاريف أي أطراف أصابعها ، وطرفت المرأة بنانها اذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء . الزيرباج : قطع لحم صغير تجعل في القدر عليه غمرة ماء وقطع دار صيني وحمص مقشور ويسير ملح فاذا أغلي تأخذ رغوته ثم يطرح عليه رطل خل خمر وربع رطل سكر وأوقية لوز حلو مقشراً أو مدقوقاً أو ناعماً يداف بماء الورد وخل ثم يطرح على اللحم . البوارد : البقول المطبوخة الموضوعة في الخل وماء الحصرم والسماق وماء التفاح والريباس (وأرجو رصيفي الأستاذ ابو حديد أن يعذرني على ذكر ألفاظ الأكل فالدنيا كلها أكل وشرب) . السُفتجة كقرطقة أن تعطي مالاً لآخر وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه اياه ثمّ فتستفيد أمن الطريق ، وفعله السفتجة بالفتح والمال المسفتج المرسل الى بلد آخر سفاتج . الدّرَب فساد المعدة .

ومن ألفاظ الكتاب الثالث : أبرد القوم دخلوا في آخر النهار . حبا الرجل مشى على يديه وبطنه . نظر اليه عن عُرض وعُرُض من جانب . أربد وجهه وتربد احمر حمرة فيها سواد عند الغضب . يقال هو حِدث ملوك (بالكسر) صاحب حديثهم أو كثير الحديث حين السياقة لهم . المتلدد الحائر المتلفت يميناً وشمالاً . تذمم استنكف يقال لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تذمماً . أتانا بعد هُدء من الليل وهَدأة وهديء وهدوء ، أي بعد هزيع من الليل أي حين سكن الناس . يقال : ما يريم يفعل ذلك أي ما يبرح وما رمت أفعله وما رمت المكان وما رمت منه وريّم بالمكان أقام فيه . احتشم منه وعنه وحشمه واحتشمه أخجله . فلان موطأ العَقِب صاحب سلطان يُتّبع . رجل أثير مكين مكرم . أوجره الرمح أو الخنجر طعنه به في فيه . آكد زيد حاجة عمرو منعه اياها . غمزه بيد نخسه . الطائف العَسَس . والعُس القدح العظيم (ج) عِساس . القعب

القدح الضخم • تطفيل الشمس غروبها ووجبت الشمس غربت • شِق الدار والخيمة ناحية منها • فلان ما يَليق درهماً من جوده ما يمسك • الصرم البيوت المجتمعة • يوم صائف حار • تقزّ نفسه تنقبض • الخريطه وعاء من أدَم (جلد) وغيره يُشرَج على ما فيه أي يشد • عاقه خاصمه • فلان ملزوم لازمه غرماؤه • البهلول كسرسور السيد الجامع لكل خير • حاردت السنة اذا قل ماؤها ومطرها • الأشراف (بالشين) الحرص ومنه الحديث: (من أخذ الدنيا بأشراف لم يبارَك له فيها) • غُبّر الشيء بقيته • زَهرَ السراج تلألأ • العوراء الكلمة أو الفعلة القبيحة • الشاكري الاجير أو المستخدم • ابن نَفِيّ كغني نفاه أبوه • رجل أختن وأمة ختناء لم يختتنا • يقال أفعل ذلك وكرامة لك وكُرمى وكرمة لك وكرمالك وكرمة عين ونعيم عين ونعمة عين ونعامى عين • ويقال نعم وحبا وكرامة • دهر قطم صؤول • انقُطِع به ان كان ابن سبيل فانقطع به السفر دون طِيّته وهو منقطَع به • يقال للرجل عند التوديع معاناً مصاحباً ومن قال معان مصاحب فمعناه أنت معان مصاحب • إذالة عرضة الاستخفاف به • صهرته الشمس أي صحرته آلمت دماغه • اقتاد القاتل بالقتيل قتله به • لببه جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جره • استشرف الشيء: رفع رأسه لينظر اليه • تطول عليهم امتن كطال عليهم وتطول تفضل • الباطية اناء عظيم والرطلية وعاء يجعل فيه الخمر وغيره • ربّ الأمر أصلحه • الرافعة الجماعة تذيع الى الناس ما يقال • تقول: أوطأتني عشوة أي جعلتني أطأ ما لا أراه أي أوقعتني في أمر ملتبس وغررتني حتى اغتررت • احتسب عليه أنكر ومنه المحتسب • تواعدوا واتعدوا أو الأولى في الخير والثانية في الشر • وثب به هجم عليه وتوثب في ضيعتي استولى عليها ظلماً • الرَّبعُ الدار بعينها حيث كانت (ج) رباع وربوع وأربع وأرباع • الفحل الرجل الكامل الرجولة • القَرْم السيد • •

ومن ألفاظ الكتاب الرابع: السَّهَك قبح رائحة اللحم الخنز (المنتن) وريح السمك •

غَضَفُ الأذنين استرخاؤهما • البشمازك هو الذي يكون في آخر الأضلاع من داخل الحمل ويسمى الكمازك وهذا تعريف المؤلف له ولم نجد له ذكراً في كتب اللغة • اسطارم الغالب أنه من أمراض الجوارح ولم نجده في المعاجم ، ومعلوم أن المعاجم لم تستوف جميع ألفاظ اللغة وقد وجد العلامة دوزي الهولندي مئات من هذه الألفاظ ملأ بها كتاباً له في مجلدين أسماه ملحق المعاجم العربية • الحوجلة القارورة • القدير اللحم المطبوخ في القدر • قمر فلان الرجل غلبه في القمار • الكندرة مجثم البازي يهيأ له من خشب أو مدر • الحُقُّ وعاء الطيب • تقرّش الشيء أخذه أولاً فأولاً • خَرْبق المشارع جعل فيها الخربق والخربق نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله والمشارع جمع مشرع معناها طريق الحوض • التبان كرمان سراويل صغير يستر العورة المغلظة Maillot • القالص الثوب الذي يتكمش بعد الغسل • قرنص فلان البازي اقتناه للصيد • أوكب الطائر تهيأ للطيران أو ضرب بجناحيه عَبَر الطير زجرها • رمج الطائر ألقى ذرقه (زبله) • سبّق الطائر ألقى السباقين في رجليه والسباق القيد • الشهدانج ويقال له شهدانج حب القنب وفي اللغة الشامية القنبس • قبض الطائر وغيره أسرع في الطيران وهو قابض وقبيض بين القباضة والقبض منكمش مسرع ومنه والطير صافات ويقبضن • الفانيذ نوع من الحلواء يصنع من السكر ودقيق الشعير والزنجبين •

ومن ألفاظ الكتاب الخامس : الأسطقسات أو العناصر ، الاكسير دواء اذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهباً أو فضة أو غيّره الى البياض أو الى الصفرة • الطين ويعرف بالطين الأرمني وفي الشام يسمونه الترابة وهو الطين الذي يؤكل • وسئل عما كان يأكل ويشرب كل يوم فقال : المدققة والمرققة والملبقة والمروقة (الملبق الملين بالسمن) البَرْبَطُ العود وأصلها بالفارسية بربت أي صدر البط ، لأن صورته تشبه صدر البط وعنقه • وأهل هذا الفن وغيرهم اعتمدوا على لفظة

العود • السكبينج نوع من العقاقير • الإجاجين عقار من ورد وعسل • متريديطوس ويقال مترا اختصاراً ومعناه المنقذ من ضرر السم (والاصل في هذا الاسم اسم الطبيب مخترعه ومركبه) • التفسرة بول يستدل به على حال المريض وعلته • الاصطرلاب مقياس النجوم • القيفال عرق في اليد يفصد • الأثير المادة التي تملأ الفضاء • الدستور الوزير الكبير الذي يرجع في أحوال الناس الى مايرسمه • القولنج مرض معوي يعسر معه خروج الثفل والريح • وقد وقعت له عدة تعابير وتراكيب أنسيناها أو تناسيناها ومنها : تشوّر خجل • اجعلني من أدمة أهلك وارضَ عني • ويقال جعلت فلاناً أدمة أهلي أي أسوتهم وأدمه بأهله خلطه بهم وجعله كواحد منهم • ومنها الحافد أي المعوان ورجل محفود يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته •

سيداتي • سادتي :

هذا ما أمكن اقتباسه من ألفاظ الأسفار الخمسة ، فكم في الكتب المطبوعة والمخطوطة من أمثالها أنسيناها ونحن لها محتاجون كما أنسينا من الحلويات اسم العصيدة والخبيصة لما جاءنا من الفرس الفالوذج واللوزينج ثم أنسيناها لما جاء الترك بِرَواني وكلاج ثم أنسيناها جميعاً لما أتانا الافرنج ببريوش وبودنج ، والله أعلم ما يدخر الغيب لنا من الألفاظ في المستقبل • وفي هذا دليل آخر على حيوية هذه اللغة وقابليتها للتطور بحسب الزمن مع الاحتفاظ بأصولها وقواعدها وبالفصيح من مفرداتها وشواردها •

محمد كرد علي

سورية

عالج – منذ زمن طويل – كثير من المؤرخين واللغويين الغموض الذي يكتنف اسم سورية ، الى ان انكشفت في العصر الحاضر بعض الوثائق القديمة فكشفت لنا عما كان مجهولاً من قبل . وهو ما نستطيع ان نعرضه كحلٍّ مرضٍ لهذا الغموض .

بعد أن خرب الماديون والبابليون المتحالفون مدينة « نينوا » في سنة ٦١٢ قبل المسيح اصبحت بلاد اشور بجملتها ، وهي شرقي دجلة ، جزءاً متمماً لدولة « مادي » . كذلك كان الأمر في الدولة الثانية – وهي دولة الفرس القديمة – اذ كان نهر دجلة من جبال ارمينيا حتى مصب (ديالة) يؤلف الحد الغربي لمملكة مادي .

وكان سبق للدولة الآشورية قبل خمس عشرة سنة ان امتدت حدودها الى الجزيرة حتى عاصمتها حرّان . ودعا الملك بختنصر حملته الظافرة على حرّان (حملة أشور) مع ان العاصمتين « نينوا » و « أشور » كانتا قد زالتا من الوجود .

وقد بقي هذا الاصطلاح مستمراً حتى بعد ان فتح « قوروش » العراق والجزيرة سنة ٥٣٩ قبل المسيح . ولم تستعمل التقاويم الرسمية لممتلكات امبراطورية الفرس اسم « أشورية » بل استعملت شمالي ما بين النهرين و « أثورا » ، اللفظ الذي حرفته اللهجة الارامية عن « أشور » . والآرامية كانت لغة العامة في ذلك العصر .

وفي القرن الثاني للمسيح اطلقت التقاويم الارمينية على ملوك العرب في حران والرها لقب ملك الأرمن والأسوريك أو أشور . وأريد بأثور منطقتي حران والرها لا أشور القديمة .

واسم اثورا في التقاويم الفارسية القديمة مرادف لكلمة « آرابيا Arabia » . وهي لفظة حرفتها اللهجة الارامية عن لفظة العرب (بابدال الالف بالعين وهو حرف غير موجود بالفارسية) .

ولما وصل (كزينوفون) مسير العشرة الآلاف يوناني في سنة ٤٠٠ قبل المسيح وصف «آرابيا» هذه بأنها واقعة شرقي الفرات بين مصب (بليخ) ومضيق (هيت) اول حدود العراق ٠

وقبل ذلك بمائة سنة سمى الجغرافي (هيكتيوس) بادية الشام بآرابيا ٠ والاسم المركب اثورا ـ ارابيا هو الاسم الرسمي لسورية يوم كانت ولاية فارسية ٠

والرُقُم البابلية تكتب أشور وآرابيا (والبابليون ايضاً ليس عندهم حرف عين) ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما جاء في الرقيم الكبير المنسوب الى دارا[1] ٠٠٠ فقد استعاض عن الاسم المركب بعبرنار Ebirnari وهو عبرنهرا في الارامية أي ما وراء الفرات ٠ وفي العهود البابلية الحديثة واليونانية اصبح هذا الاسم الذي أطلقه البابليون على سورية يستعمله أبناء البلاد انفسهم ٠ وكان من نتيجة ذلك ان اصبحت هذه الولاية الفارسية تشمل عبرنار أو الشام وآرابيا أو البادية واثورا وهي الجزيرة بأسرها ٠ واصبح كل اسم من هذه الأسماء الثلاثة يدل وحده على الولاية كلها ٠ وفي التقاويم الرسمية ثلاثة أمثلة اخرى على الولايات الثنائية الاسماء أو الثلاثية الاسماء يستعمل احدها موضع الآخر ٠ ولا شك ان التقسيمات الادارية السياسية المختلفة هي السبب في نقل اسم اشوريا القديم نحو الغرب ٠

ولقد وقع مثل ذلك في الأناضول ففي سنة ٦٠٠ قبل المسيح كان يطلق على المنطقة الواقعة على ساحل البحر الأسود ما بين سامسون وطرابزون اسم كاتباتوكا Katpatuka ٠ وهو الاسم الذي اختير للأناضول الأوسط بأمره وامتدت حدود هذا الاسم من سنة ٤٠٠ حتى بلغت طوروس ٠ وفي العهد الروماني زال هذا الاسم عن الجانب الشمالي واحتفظ به في الجانب الجنوبي في منطقة ما كانت في تاريخها جزءاً من كاتباتوكا القديمة ٠

وليس في النصوص الاشورية والبابلية والارامية اسم يوافق اسم سورية ٠

(١) هنا كلمة لم تترجم لأنه لم يفهم المراد منها تاماً ٠

واليونان دون غيرهم هم الذين استعملوا هذا الاسم منذ عهد (داريوس) في القرن السادس قبل المسيح . وقد دوّن (هيرودوس) ملاحظة قديمة في سجله عن جيش « Xerxès » سنة ٤٨٠ قبل التاريخ المسيحي قال فيها :

(اما اليونان فقد استعملوا اسم السوريين على حين استعمل العجم البرابرة اسم الاشوريين) . ويتكلم مؤرخو الاسكندر عن سوريي سورية الواقعة ما بين الجبال ، وعن سوريي سورية ما بين النهرين . وبذلك يكون اسم سورية قد أطلق معاً على الشام من جهة وعلى أثورا ، أي الجزيرة ، من جهة ثانية . والاسم اليوناني اذن هو استعارة يونانية من الصيغة الفارسية القديمة « اثورا » .

وقد كان من نتيجة تحول اللغة الفارسية القديمة الى الفهلوية (الفارسية المتوسطة) ، وذلك في نحو سنة ٤٠٠ قبل المسيح ، أن حذفت جميع الهمزات الخفيفة في اوائل الكلمات وقد وقع شيء من مثل ذلك حتى في الفارسية القديمة . ولا تزال الفهلوية تحتفظ احياناً بهذه الحروف كتابةً لا لفظاً . فتكتب مثلاً في الفهلوية (اسورستان) وتلفظها (سورستان) على ما كتبها فيما بعد حمزة الاصفهاني .

وبعد الفتح الروماني لم يبق في حوزة (الاشكانيان) وبني ساسان إلا جنوبي الجزيرة وحده . ثم اجتاحت شمالي الجزيرة قبائل عربية . واطلق في ذلك العصر على العراق اسم جديد هو (اسورستان) . ولا ريب في ان هذا الاسم أريد به مطمح سياسي . وهو ما حصل يوم اطلقوا لفظ (اذربيجان) على منطقة (باكوم) ولم تكن في يوم من الأيام منه .

وفي نحو سنة ٢٦٤ للميلاد وضع (سابور الأول) على (كعبة زرادشت) التي رفعها على مقربة من مدينة (برسيبوليس) كتابة ثلاثية اللغات للتفريق ما بين الولاية الفارسية (اسورستان) أي العراق والولاية الرومانية (اسوريا) اي الشام . وقد جاءت لفظ (اسوريا) بلا ألف . واستعمل النص الفارسي النسبة (سولياي) ، السوريين ، (كذا) ، على حين اطلق النص اليوناني على الجزيرة اسم (سوريا بين النهرين) كما ذكرها مؤرخو الاسكندر .

واقتصر النص الفهلوي على ميان روزان اي بين النهرين ويريد بذلك أيضاً الجزيرة [1] وهو اصطلاح جرى عليه في ذلك العصر جميع الكتاب من اليونان والرومان فقالوا: (سوريا) بدلاً من الشام و (اسوريا) بدلاً من العراق .

وأطلق (اديابيني Adiabene) وهي (خديب) القديمة على مقاطعة (إربل وكركوك) وهي أشور القديمة .

وبعد ان عُقد صلح (يونيانوس) بعد موت (يونيوس) المارق في سنة ٣٦٣ للميلاد لم تقف القبائل العربية في فتوحاتها عند حران والرها بل نزلت ايضاً المناطق ما بين نصيبين ودجلة ومنذ ذلك العهد صارت الجزيرة ديار بكر ومضر وربيعة .

ارنست هرتزفلد

ملاحظات على تاريخ حكماء الإسلام

١ — جاء في ص ٢٣ ذكرٌ لأبي الحسن البسطامي الطبيب الحكيم ، وعلقتم عليه بأنَّ في التاج ذكره بصورة « أبي الحسن البسطامي النهرواني علي بن احمد بن يوسف ... البسطامي توفي سنة ٤١٧ » . ولعمري لئن اتفقت الكنيتان ما بين الرجلين اتصال ، لأن الحكيم بسطام بلده ، ولأن النهرواني بسطام جده ، وليس له بالحكمة والطب علاقة ولا مع أصحابها صداقة ، ثم انه نهرواني محدث معروف بابن كردي ولكن ابا سعد السمعاني ـ رح ـ يتكثر في ذكر الرجال في غير مواضع انسابهم وكان حرياً ان يذكره في « الكردي » قال الخطيب البغدادي « ج ١١ ص ٣٣٠ » : « علي بن احمد بن هارون ... ابو الحسن المعروف بابن كردي المعدّل النهرواني ... » وذكر سماعه للحديث حسبُ وروايته له وسنة ولادته « ٣٣١ » وسنة وفاته ٤١٧ ، ونقل السمعاني أقوال الخطيب ثم نقل السيد مرتضى ما وجد في أنساب السمعاني .

وبيت كردي النهرواني معروف عند مؤرخي العراق منهم احمد بن علي بن الحسن

(١) هكذا فهم ظاهر العبارة .

ابن محمد بن كردي القاضي المتوفى سنة ٥٠٦ ومحمد بن الحسن بن الحسين بن كردي القاضي المتوفى سنة ٥١٨ والحسن بن محمد بن احمد بن كردي الشاهد المعدّل ولم أعلم وفاته إلا أنه عُدّل سنة ٥١٧ هـ وعلي بن الحسن بن محمد بن احمد بن كردي والد احمد ابن علي المذكور قبل هذا ، توفي سنة ٥٦٠ وكان شاهداً معدلاً أيضاً ، فهم بين قضاة وشهود .

٣ — وذكرتم في حاشية ص ٣٦ « زيد بن رفاعة » أحد مؤلفي رسائل اخوان الصفا ولم تذكروا قول الخطيب البغدادي فيه قال « ج ٨ ص ٤٥٠ » « زيد بن رفاعة ابو الخير ، حدّث ببلاد الجبال وخراسان ... وكان كذاباً » وذكر أنه روى كتب الأدب عن ابن دريد وابن الأنباري وأنه كان معنياً بالفلسفة وادّعى الهاشمية ، والظاهر أن القوم ظلموه لاعتنائه بالفلسفة ، فان اخباره تدل على سلامة نفس وخلق .

وذكره الصفدي في الوافي بالوفيات بصورة « زيد بن عبد الله بن رفاعة ابو الخير الهاشمي احد الأدباء العلماء الفضلاء ، كان معاصراً للصاحب بن عباد . قال ياقوت : كان يعتقد رأي الفلاسفة ، ذكروا عنه أنه قال : متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ... » . وذكر ابن الجوزي في المنتظم « ج ٩ ص ١٢٧ » أنّ ابن ودعان الموصلي سرق الأربعين حديثاً التي وضعها زيد بن رفاعة الهاشميّ وأعاد كلامه ابن الأثير ، وذكر زيد بن رفاعة هذا الذهبي في الميزان و « لسان الميزان ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٨ » ونقل ما قاله ابو حيان فيه ، نقلاً عن كتاب الامتاع والمؤانسة . ومن مؤلفات زيد بن رفاعة « جوامع اصلاح المنطق » وقد طبع بالهند سنة ١٣٥٤ وعندي منه نسخة .

٣ — وجاء في ص ٤٤ س ١ « فهو من المستطرفين لا من أصحاب الصناعة » . والأولى بالمقام « المتطرفين » أي الذين اخذوا العلم من اطرافه لا من صميمه ، ومنه قول الجاحظ في رسالته مناقب الترك ص ٢٦ « ومتى شاء الخارجي أن يقرب منهم ليتطرّفهم او ليصيب الفترة منهم » .

٤ — وورد في ص ٥١ « ابو العباس احمد ... كاتب فيلسوف ... من كتاب الأمير خلف بن احمد (الذي) دوّخ البلاد وتعلق ببدر بن حسنويه » . وعلقتم على «دوّخ» بأن الأولى بها «طوّف» وانا ارى انّ زيادتكم «الذي» غيرت المعنى فصار خلف بن احمد المدوخ وليس ذلك بمراد والصحيح ان ابا العباس هو الذي دوّخ البلاد اي اكثر وطأها على ما في مجاز اساس البلاغة ، وكثرة الوطء تدل على السياحة .

٥ — وجاء في ص ٥٢ س٤ «في أيام الأمير الحميد ملك المشرق نوح بن منصور» والذي اراه انه « العميد » لا الحميد لأن القدماء لم يصفوا انساناً بالحميد لكونه من الأسماء الحسنى فاذا زال الالتباس باسناد الحمد الى الخلق والدين قالوا « حميد السجايا وحميد الدين » ويؤيد قولي ما ورد في ص ١١٥ قال المؤلف فيها « فأصاب عميدُ خراسان محمد بن منصور قولنج » . فالعميد مستعمل لأمراء ذلك القطر .

٦ — وورد في حاشية ص ٥٣ « وكان الطوفي من اهل القرن الثامن جامعاً لأضداد المذاهبْ » . وقد ولد الطوفي سنة ٦٥٧ وتوفي سنة ٧١٦ « الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٥٤ » فهو من أهل القرن السابع وادرك القرن الثامن اما إدخال ابن حجر له في اعيان القرن الثامن فهو وهم وكان احرى ان يسمي كتابه « الدرر الكامنة في متوفي او وفيات المائة الثامنة » .

٧ — وفي حاشية ص ٦١ انّ زبدة النصرة للاصفهاني والصحيح انها للفتح بن علي البنداري . ونصرة الفترة وعصرة الفترة للعماد .

٨ — وورد في ص ٦٢ « وكان علاء الدين سأل الشيخ المصير اليه » وجاء في ص ٦٣ « علاء الدولة » وهو الصواب .

٩ — وورد في ص ٦٣ تصحيح ابي جعفرا بن كاكو بـ (ابن كاكويه » اعتماداً على الوفيات والكامل ، وفي المكتبة الظاهرية كتاب جسيم عظيم كان يمكنكم الاعتماد عليه وهو « معجم الألقاب » لكمال الدين ابن الفوطي الذي هو أول نوعه . قال ابن الفوطي : « علاء الدولة ابو جعفر بن دشمنزيار بن كاكويه الديلمي صاحب

اصبهان ...» ومسرد أخباره الى ان قال ان اسمه محمد . ومن المعلوم انّ الكتاب بخط ابن الفوطي مؤرخ العراق الكبير فالاعتماد على الخط من البراهين المعتمدة في مثل هذا الباب .

١٠ — وجاء في ص٦٧س ٥ اسم « ابي سهل الحمدوني صاحب الري » ولم تعلقوا عليه بكلمة ، قال ابن الفوطي في مجمع الألقاب ايضاً : « العميد ابوسهل احمد بن الحسن الحمدوئي العارض ، ذكره ابو منصور عبد الملك بن سعد الثعالبي النيسابوري في كتاب تتمة اليتيمة [1] ، وقال : هو سليل الرياسة وغذيّ السياسة وبدر الأرض وشمس الفضل وعمدة الملك . وأنشد له من شعره : ... »

فهو « الحمدوئي » نسبة الى حمدويه » لا الحمدوني المنسوب الى حمدون .

١١ — وورد في ص٦٨ « حارب فيها علاء الدولة الأمير حسام الدولة ابا العباس تاش فراش على باب الكرخ » . وجاء في الفهرس ايضاً « الكرخ » محالاً به على هذه الصفحة ، ولم يكن لهذين حرب قط على باب الكرخ والصواب « الكرَج » بالجيم لا بالخاء وهي من مواضع بلاد العجم بالقرب من همذان من نواحي الجبال بين همذان ونهاوند وهي كرَج ابي دلف العجلي القائد العربي المشهور .

١٢ — وجاء في ص ٧٢ أن اسم ابي الريحان البيروني في التاج هو« احمد بن محمد » قلت وفي معجم الأدباء « ج ٦ ص ٣٠٨ » محمد بن احمد ابو الريحان البيروني الخوارزمي » وفي روضات الجنات للخونساري « ج ١ ص ٦٨ » انه احمد بن محمد ابن احمد الهروي البيروني الخوارزمي » ثم ترجمه في باب المحمدين « ج ٢ ص ١٧٩ » وقال « الحكيم العظيم الشأن ابو ريحان محمد بن احمد البيروني صاحب الآثار الباقية عن القرون الخالية ... »

١٣ — وورد في ص ٧٣ س ٣ «وله مناظرات مع ابن علي» . والصواب «ابي علي» اي ابن سينا، يؤيد قولي ما ورد في ص ١٠٢ » ولما اجاب ابوعلي عن اسئلة ابي الريحان

---

(١) ج ٢ ص ٦٢ ، ٨٦ .

اعترض على تلك الأجوبة ابو الريحان وتفوه بكلمات متضمنة سوء ادب ...»

١٤ — وعلقتم في ص ٨٤ على وفاة البوزجاني وانتقاله الى العراق من مختصر الدول ، والأولى مراجعة مصدره أعني تاريخ الحكماء لابن القفطي «ص ١٨٨» من طبعة الخانجي فقد ذكر أنّ وفاته ببغداد كانت في ثالث رجب سنة ٣٨٨ .

١٥ — وورد في ص ٤٣ ذكر «ابي الحسن كوشيار بن ليان بن باسهري (؟) الجيلي» . قلت : ورد في تاريخ الخطيب البغدادي «كوشيان بن ليالروز بن الحسين ابن عيسى بن مهدي ابو علي الجيلي» ج ١٢ ص ٤٩٢ . وأحال طابعه على الانساب وانه فيه «كوشيار بالراء ابن ليالون» ، وفي وفيات الأعيان «ج ٢ ص ٣٢٠ من طبعة العجم» : قال كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي صاحب كتاب الزيج في رسالته ...» .

وفي ص ٧ من باب الحروف من المجلد الرابع من فهرست المكتبة البلدية بالاسكندرية «كتاب في اصل صناعة الأحكام الفلكية، تأليف العلامة ابي الحسن كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي من علماء اواخر القرن الرابع الهجري ...» . وفي ص ٥ من المجلد الخامس منه في باب الرياضيات «الزيج الجامع تأليف الامام السعيد كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي ، من علماء اواخر القرن الرابع الهجري ...» وفي الحاشية أن مؤلف كشف الظنون سماه «كوشيار بن كنان» وخطأه المفهرس . فهو جيلي لا غير ذلك وابن باشهري .

١٦ — وورد في ص ١٠٧ «ونقصان الفعل على القول» ولعل الأصل «عن القول» .

١٧ — وجاء في ص ١١٧ أن فرامرز بن علي هو ملك الري وأن الأصل «ملك يزد» فأصلحتموه ، ولم أدر السبب فراجعوا معجم الألقاب في باب «علاء الدولة فرامرز» وأخيه كرشاسف فانهما يزديان وكانا ملكي يزد لا الري .

١٨ — وجاء في ص ١٣١ «ثم ارتبطه علاء الدين بن قماج ببلخ» والصواب «علاء الدين قماج» قال ابن الفوطي في معجم الألقاب «علاء الدين قماج بن

عبد الله البلخي الأمير ، كان عالي الهمة وكان السيد الايلاقي مقيماً بباخرز وكان عالماً بالحكمة العلمية والعملية وارتبطه علاء الدين قماج ببلخ وقتل في بعض الحروب » .
والظاهر أنّ مصدره تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي أيضاً إلا أنه طوى ذكره .

هذا أهم ما استوقف نظري في أثناء المطالعة ، أما في المقدمة فقد ورد في ص ٤ « تتمة دمية القصر » والأحسن « تتمة دمية القصر المعروف بالوشاح أي وشاح الدمية » .

مصطفى جواد

استدراك

على ترجمة الأمير شكيب أرسلان المدرجة في الصفحة الـ ٨٦ من الجزء الاول والثاني من المجلد الـ ٢٢ .

الكلمة التي قالها الأستاذ الرافعي في الأمير شكيب ـ رحمهما الله ـ ونوهت بها في مقالي السابق ، هذه هي :

« الأمير شكيب ارسلان اذا غاب عن أرض ، فالعلم به في كل ارض ؛ وهو امام في كل فنونه : من الأدب واللغة والترسل والشعر والتاريخ والسياسة ، مقدّم في جميعها ، منظور اليه نظرة أهل المسجد لإمام المسجد ، ولو أوجزت في شرح حقيقته العظيمة لقلت : انه رجل بعثرته القدرة الالهية في اقطار الدنيا ، لتخرج منه هذا المجموع الذي لا يجمعه فرد ، ثم ليخرج من هذا المجموع قوة ، ثم لتعمل هذه القوة عملها في نهضة العالم العربي ، فروحه للثورة ، وقلبه للايمان ، وعقله للسياسة ، ولسانه للبيان ، وهو في جملته جملة متميّزة تعارض عليها الأفراد ، ولا يعارض هو بفرد .

ولا عيب في شعر الأمير شكيب الا انه شعر الأمير شكيب ، فالشاعر هنا تامّ بكل أسبابه ، ولكنه مصروف عن الشعر برسالة عظيمة يؤديها في غير مملكة الخيال ، فهو في الميادين لا في الرياض ، وفي الخنادق لا في القصور ،

وفي الحقائق لا في الأخيلة ، ومع الأسود لا مع الظبيات ، وهو لتأليف أمة لا لتأليف ديوان » .

ومن الكتب التي لم تحضرني أسماؤها مما وضعه أو أخرجه الأمير رحمه الله : الدرة اليتيمة لابن المقفع .

وجاء في المقال السابق ص ٨٩ (والقائم مقامية) ولعل قائم المقامية هنا أفضل . وفيها المبعوثات وصوابها المبعوثان .

وجاء في ص ٩٠ (الناسيون آداب الأمة العربية) وصوابها : (الناسيون آراب الأمة العربية) .

وفي الصفحة ٩٥ (فعفى عنهم) وصوابها (فعفا عنهم) ..

عارف النكدي

مؤلف محاسن المساعي (1)

وقع في يدي كتاب « محاسن المساعي في مناقب الإمام ابي عمرو الاوزاعي » الذي نشره العلامة الأمير شكيب أرسلان سنة (١٣٥٢) فاستفدت مما فيه وخاصة التعليقات . وقد لفت نظري ما كتبه ص (٣) وما علق عليه في ص (١٦٥) من قوله : الذي يظهر لنا ان جامع هذا الكتاب الذي اعطاه هذا الاسم « محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزاعي » هو من اهالي القرن التاسع لما تقدم من رواية احاديث حضر مجالسها بنفسه سنة (٨٢٣) وان زين الدين بن تقي الدين ابن عبد الرحمن الخطيب انما هو ناسخ هذا المخطوط وذلك في سنة (١٠٤٨) اه .

رجعت الى مذكراتي فرأيت انه ورد ذكره في الضوء اللامع للسخاوي واذا بي أتعرف الى مؤلف هذا الكتاب المترجم في الضوء فقد جاء في (٢/٧١ و ٧٢ منه) ما ملخصه وبه يعرف مؤلف « محاسن المساعي » وهو :

(1) كتبت هذه المقالة قبل وفاة الفقيد المرحوم الأمير شكيب بشهر وتأخر نشرها الى الآن ولدينا كلمة في هذا الموضوع للأستاذ محمد راغب الطباخ سننشرها في الجزئين القادمين .

احمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن زيد الشهاب ابو العباس بن الشمس الموصلي الدمشقي ويعرف بابن زيد . لازم العلامة ابن زكنون حتى قرأ عليه الكتب الستة ومسند امامها . وحدث ودرس وافتى ونظم يسيراً وجمع في أشهر العام ديوان خطب واختصره . وكذا اختصر السيرة لابن هشام وعمل منسكا على مذهبه (١) سماه ايضاح المسالك في اداء المناسك . وافرد مناقب كل من تميم والأوزاعي في جزء سمى الأول تحفة الساري الى زيارة تميم الداري ، والثاني «محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزاعي» ... الى ان قال : مات في يوم الاثنين تاسع عشري صفر سنة سبعين (اي وثمانمائة) ودفن بمقبرة الحميرين ظاهر دمشق . اه .

ولما كان كثيراً ما تتوارد خواطر المؤلفين على اسماء الكتب فتسمى عدة مؤلفات باسم واحد كان من الجائز ان يؤلف مؤلفان في مناقب الأوزاعي يسمي كل منهما كتابه «بمحاسن المساعي» فطفقت أنشد في الكتاب دليلاً آخر على ان مؤلفه هو «ابن زيد» فاذا في ص (١٤٧) من محاسن المساعي يقول المؤلف : ولنذكر حديثاً آخر من طريق الامام الحافظ ابي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى . اخبرنا بجميع صحيحه ـ بقراءتي عليه وهو يسمع بجامع دمشق في مجالس آخرها يوم الجمعة سادس جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وثمانمائة ـ للشيخ الامام العالم العامل الزاهد بقية السلف الصالح ابي الحسن (٢) علاء الدين علي بن الحسين بن عروة المشرقي ثم الدمشقي .

وبالرجوع الى ترجمة المذكور في الضوء اللامع (٥/٢١٤) اذا بالسخاوي يقول عنه: علي بن حسين بن عروة العلاء ابو الحسن المشرقي ثم الدمشقي الحنبلي ويعرف بابن زكنون . ومن هذا يتضح ان العلاء بن زكنون شيخ المؤلف ـ الذي

(١) كان حنبلي المذهب بدليل قول السخاوي : قرأ على ابن زكنون الكتب الستة ومسند امامها يريد بذلك مسند الامام احمد وجاء في ترجمة ابن زكنون أنه حنبلي المذهب. (٢) هكذا في الأصل المطبوع والصواب فيه : الشيخ الامام ... ابو الحسن الخ لأنه فاعل أخبرنا .

قرأ عليه الكتب الستة ـ هو ابو الحسن علاء الدين علي بن الحسين بن عروة المشرقي الدمشقي نفسه الذي روى عنه صحيح الامام مسلم بجامع دمشق سنة (٨٢٢) ·

وبعد هذا كله يكون من المحقق ان مؤلف كتاب « محاسن المساعي » الذي نشره وحققه الامير شكيب ارسلان هو « الشهاب ابو العباس احمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر الشهير بابن زيد الموصلي الدمشقي الحنبلي المتوفى بدمشق سنة (٨٧٠)

محمد احمد دهمان

كنت أشرتُ في كلمتي المنشورة في الصفحة ٥٧١ من المجلد ٢٠ من مجلة المجمع بعنوان حَبْرون لا جَبْرون الى الخطأ الذي وقع في نَسخ القاموس المحيط أو طبعه والآن أذكر في هذه الكلمة والتي تليها :

ـ ٢ ـ

مشارف لا مشارق

جاء في مادة ُموْتة موضع بمشارقِ الشام ُقتل فيه جعفر بن أبي طالب وفيه كان تعمل السيوف ·

ورد هذا في طبعة القاموس المطبوع بالميمنيّة بمصر عن نسخة المؤلف الصلاحية الرسولية التي قوبلت نسخة الشيخ محمد الشنقيطي عليها وهي التي اعتمدت حين الطبع وكذلك جاء في نسختي المخطوطة القديمة ·

ورجعتُ الى معجم البلدان لياقوت الحموي لأستأنس به عن ُموْتة فاذا فيه ما يأتي :

وفي مغازي ابن اسحاق في حديث مؤته : ثم مضي الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ·

فهذا قد جعلها بعينها قرية بعد أن قال انها ُتنسب اليها السيوف المشرفية ·

— ٣ —

اللُّبَّن لا أَلْبَان

وورد في القاموس في مادة ل · ب · ن : أَلْبَانُ موضع بين القدس ونابلس ·

قلتُ ولم يذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان الا ان بين القدس ونابلس قرية تسمى اللُّبَّن كما ان بالقرب من هذه القرية عين ماء يستقي منها أهلها ولا تزال هذه القرية مأهولة وعدد سكانها (٤٧٥) نسمة · وكان في القديم خانٌ على رأس تلك العين ظلّ الى أوائل القرن الحالي الا انه أُهمل بسبب استعمال آلات السفر البخارية التي تطوي الأرض كطيّ السجل وتقرّب الأبعاد ·

وقد ذكر عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣٠ م في رحلته المسماة الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية خان اللُّبَّن فقال :

ولم نزل سائرين والى جهة بيت المقدس متوجهين حتى وصلنا الى عقبة اللُّبَّن وهناك خان وبركة فنزلنا ساعة وأبدلنا الحركة بالسكون ثم أكلنا ما تيسر من الزاد وشكرنا ربّ العباد وشربنا من ذلك الماء اللطيف الذي يطفي حرارة الأكباد ثم ركبنا وصعدنا تلك العقبة الكؤود وبذلنا في قطعها المجهود الى آخر ما هنالك ·

عبد الله مخلص

الجائزة

التي وضعتها جامعة الدول العربية للمؤلفين

قررت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وضع جائزتين للتأليف تحقيقاً لمشاريعها الثقافية في تشجيع التأليف والكتابة في البلاد العربية ·

١ — الموضوعان المقترحان لنيل جائزة الجامعة العربية هما :

(أ) تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى خروج العرب منها وما يتصل بذلك من الحوادث في بلاد المغرب ·

(ب) تاريخ الأمة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان — بلاد المغرب

جزيرة العرب) من سقوط بغداد الى اول القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

٢ — يكتب الكتاب بلغة عربية صحيحة كتابة علمية لا عاطفية انشائية في مستوى الجمهور المثقف .

٣ — في عرض الموضوع تذكر مصادر البحث في حواشي الصفحات مع ذكر ارقامها وتذكر النصوص اذا دعت الحاجة .

٤ — يعنى في الكتاب بتاريخ الأمة والشعب والحضارة ولا يقتصر على تاريخ الأشخاص والحروب .

٥ — على المؤلف ان يطلع على المصادر الهامة المكتوبة في الموضوع بلغة اجنبية ويشير اليها .

٦ — لا يجوز تقديم كتاب في أحد الموضوعين سبق نشره .

٧ — لا تقل صفحات الكتاب عن (٥٠٠) صفحة من القطع المتوسط .

٨ — يزود الكتاب بالخرائط التي يحتاج اليها .

٩ — يقبل الكتاب الذي اشترك في تأليفه اكثر من مؤلفه .

١٠ — الجائزتان كل منهما (٥٠٠) جنيه .

١١ — يحق لكل عربي ان يشترك في المسابقة اياً كان قطره .

١٢ — اذا قبلت لجنة التحكيم كتابين متقاربين في الجودة في احد الموضوعين وزعت الجائزة بينهما — ولا يجوز ان تقبل اكثر من كتابين .

١٣ — يكون الكتاب ملكاً للمؤلف بشرط ان يطبعه وينشره في ظرف سنة من قبول لجنة التحكيم فاذا لم يطبعه في هذه المدة كان للجامعة أن تطبعه .

١٤ — آخر موعد لتقديم الكتاب اول مايو (ايار) سنة ١٩٤٨

مدير ادارة الشئون الثقافية

احمد امين

الصفحة فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الثاني والعشرين

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

الجزء الخامس والسادس ٢٥٩و٢٦٠ المجلد الثاني والعشرون



أيار وحزيران سنة ١٩٤٧ جمادى الآخرة وشهر رجب سنة ١٣٦٦

كنوز الأجداد

٣

عبد القاهر الجرجاني

٤٧١ — ٤٧٤

(ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن وقيل ابن عبد الواحد)

خلاصة ما قال فيه مترجموه انه اخذ العربية عن ابي الحسين الفارسي النحوي ابن اخت ابي علي الفارسي وانه قرأ على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني واغترف من بحره وكان اذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء اليه وكان يرحل اليه من الآفاق ولقب بالنحوي وعدّ من كبار أئمة العربية وقال صاحب الطراز انه علم المحققين وأول من أسس قواعد علم البلاغة ذلك قيد الغرائب بالتقييد وفتح أزهاره من أكامها وفتق ازراره بعد استغلاقها واستبهامها . وقالوا انه كان شافعي المذهب متكلماً على طريقة الأشعري مع تدين وورع ولم يخرج من بلده . وقالوا انه كتب كتباً في النحو منها شرح الايضاح في ثلاثين

مجلداً وله غيره . وأهم كتبه المطبوعة «دلائل الاعجاز» و «أسرار البلاغة» وبها خلد اسمه في عالم الأدب . ودلائل الاعجاز صحيفة من الأدب العالي لم يكتب البيان ولا النحو ولا الفقه بمثل هذا اللسان العذب . ولا نجازف اذا قلنا ان جودة كلام عبد القاهر في تقرير القواعد والدساتير قل ان يدانيه فيه أحد من المصنفين ونعني بالمصنفين ارباب التواليف في قرون ازدهار اللغة والكتابة . تظن نفسك وأنت تتلو فصلاً من دلائل الاعجاز انك في كتاب ادب كتب بسلاسة وعذوبة لا في كتاب علم جاف يقرر حقائق ويأتي بمسائل فيحلها ، ويناقش مخالفيه ويغضب منهم ويغضبهم ، ويورد من الأمثلة ما يؤيد دعواه . وربما لا نعدو الحق اذا قلنا ان عبد القاهر كاتب القرن الخامس وهو اكتب من صديقه جار الله الزمخشري فجار الله انما اشتغل بمتن اللغة كثيراً وهذا انصرف الى البيان والتبيين وجمع بين صحة المباني وجودة المعاني . وخصلة أخرى وهي انك اذا قرأت صفحة من دلائل الاعجاز تعتقد لساعتك ان المؤلف من الرعيل الذين هضموا ما تعلموا وعرفوا كيف يحملونه الى من يحاولون تعليمهم وانه مارس علمه اي ممارسة وتدارسه أي مدارسة .

كان الجرجاني ينظم الشعر في بعض ما تتأثر به نفسه وعرفنا بالقليل الذي رووه عنه انه كان حانقاً على الأيام متبرماً بأهل زمانه فمما عزوه اليه وهو مشهور قوله :

كبّر على العلم يا خليلي ومِلْ الى الجهل ميل هائم
وعش بليداً تعش سعيداً فالسعد في طالع البهائم

وله في شكاية من أبناء الزمان واستبلاء نقصهم على فضله :

هذا زمان ليس فيـ ـه سوى النذالة والجهاله
لم يرقَ فيه صاعد الا وسُلَّمه النذاله

وله أيضاً :

لا يوحشنك انهم ما ارتاحوا مما جلاه عليهم المدّاح

فهم كقوم علقت بازائهم بيض المرائي والوجوه قباح

ومن شعره :

لا تأمن النفثة من شاعر ما دام حياً سالماً ناطقا

فان من يمدحكم كاذباً يحسن ان يهجوكم صادقا

ذكروا له شعره ولم يذكروا كتابته وكتابته هي موضع السمو فيه ذلك لأنه لم يتول من أعمال السلطان ما تكتب له به شهرة وجرت عادة اصحاب التراجم ان يهتموا أبداً بتلقط شعر المترجم لهم اكثر من اهتمامهم بالتقاط نثر الناثرين وكتابة المنشئين ٠

ومن كلامه يصف كساد سوق الفضل في عصره : «ثم إنا وان كنا في زمان هو على ما هو عليه من احالة الأمور عن جهاتها وتحويل الأشياء عن حالاتها ونقل النفوس عن طباعها وقلب الحقائق المحمودة الى اضدادها ، ودهر ليس للفضل واهله لديه الا الشر صرفاً ، والغيظ بحتاً ، والا ما يدهش عقولهم ، ويسلبهم معقولهم ، حتى صار أعجز الناس رأياً عند الجميع من كانت له همة في ان يستفيد علماً او يزداد فهماً او يكتسب فضلاً او يجعل له ذلك بحال شغلاً ٠

الازدواج في كلام عبد القاهر اكثر من السجع واذا سجع فسجعه ينطوي على معنى آخر قد لا تجده في السجعة الأولى ، ورصف الألفاظ ومتانة التراكيب هو محل العجب في كلامه ٠ ونرى ان عدم التكلف في ارسال جمله هو الذي سلس به بيانه ٠ انظر اليه يقول في وصف اعجاز القرآن لا يخرج عما يقوله في درس او يحاور به شخصاً : فاذا كنت لا تشك في ان لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن الا ان الوصف الذي له كان معجزاً قائم فيه ابداً وان الطريق الى العلم به موجود والوصول اليه ممكن فانظر اي رجل تكون اذا انت زهدت في ان تعرف حجة الله تعالى ، وآثرت الجهل فيه على العلم ، وعدم الاستبانة على وجودها ، وكان التقليد فيها احب اليك ، والتعويل على علم غيره آثر لديك ،

ونح الهوى عنك ، وراجع عقلك ، واصدق نفسك ، يبن لك فحش الغلط فيما رأيت ، وقبح الخطإ الذي توهمت . وهل رأيت رأياً اعجز ، واختياراً اقبح ، ممن كره ان تعرف حجة الله تعالى ، من الجهة التي اذا عرفت عنها كانت انور وأبهر ، واقوى واقهر ، وآثر ان لا يقوى سلطانها على الشرك كل القوة ولا تعلو على الكفر كل العلو .

ونختم الكلام في هذا العظيم ، ونحن معترفون بالعجز عن توفيته بعض حقه ، بقوله في خلط بعض المفسرين في عدم التفريق بين الحقيقة والمجاز في الألفاظ قال : ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم ان توهموا ابداً في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل انها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا انفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف وناهيك بهم اذا هم اخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طائل . هناك ترى ماشئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد قدحوا به .

القاضي علي بن عبد العزيز
أبو علي

لم نعرف شيئاً عن حياة أبي الحسن علي بن عبد العزيز في طفولته وشبابه ، وغاية ما ترجموا له أنه ولد في جرجان ، وأخذ العلم عن بعض علماء نيسابور ، وطوف في العراق والشام وصار علماً في أنواع العلوم والآداب ، وأنه تولى القضاء ، وآخر منصب تولاه قاضي قضاة الري . واتصل بالصاحب بن عبّاد الوزير الأديب فكان لا يفارقه مقيماً وظاعناً ويقول إنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وقالوا إنه كان حسن السيرة صدوقاً في قضائه ، يقضي ويفتي على مذهب الشافعي وهو كصاحبه الصاحب معتزلي الرأي والمذهب . وكان أكثر أهل بلده جرجان في عصره حنفية والباقون شفعوية ، وللشيعة فيها جلبة وتقع فيها عصبيات على المذاهب .

وقالوا إن القاضي علي بن عبد العزيز كان يجمع خطَّ ابن مُقلة الى نثر الجاحظ ونظم البُحتُري ، فهو إمام في الصناعتين ، وإمام في الفقه عظيم ، ومؤرخ حجة ثبت ، وقد ألف في الفقه والتاريخ كما ألف في الأدب والشعر ، فهو غزير الفضل صحيح الحجة وديع النفس ، تامُّ المروءة جمُّ الوفاء ، سلمت يده من الرشا ، ونفسه من الدنايا ، وعرف كيف يقيم العدل ، ويذهب بعموم الفضل .

لا نعلم أي الملكتين كانت أقوى في القاضي ابن عبد العزيز الشعر أم النثر ؟ ولا أي الفضيلتين أرسخ في قلبه العلم أم العمل . وشعره سلس قرضه قصائد ومقطّعات ولا سيما في الغزل ، ونثره السهل الممتنع . وما تُنوقل شعره القرن بعد القرن إلا لما فيه من حكم شائقة تتذوقها النفوس ، وقل أن يظفر بمثلها في كثير من دواوين الشعراء . وما كان لشعره طابعه الخاص إلا لأنه صورة من أخلاقه ، ومنزع من منازعه في الحياة ، ومما قال في وصف الشعر :

وما الشعر إلا ما استقر ممدحاً وأطرب مشتاقاً وأرضى مغاضبا
أطاع فلم توجد قوافيه نفّراً ولم تأته الألفاظ حسرى لواغبا

ومن شعره ما جرى مجرى الأمثال لأنه حوى إبداعاً ليس لغيره مثله ، ومنه قصيدته المشهورة التي يجب على كل من اتخذ العلم صناعة أن يجعلها دستوراً يسير عليه في حياته وهي :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذلّ أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته ليَ سُلَّما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً من الذلِّ أعتدُّ الصيانة مغنما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أُنزهها عن بعض ما لا يَشينها مخافة أقوال العدا فيمَ أولِمَا
فأُصبح عن عيب اللئيم مُسَلَّما وقد رحت في نفس الكريم معظما

وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت أقلّب فكري إثره متندّما
ولكنه إن جاء عفواً قبلته وإن مال لم أتبعه هلاّ وليتما
وأقبض خطوي عن حظوظ كثيرة إذا لم أنلها وافر العرض مكرما
وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً وأن أتلقى بالمديح مذمما
وكم طالب رقي بنعماه لم يصل إليه وإن كان الرئيس المعظما
وكم نعمة كانت على الحر نقمة وكم مغنم يعتده الحر مغرما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من في الأرض أرضاه منعما
ولكن إذا ما اضطرني الضر لم أبت أقلب فكري منجداً ثم متهما
الى أن أرى ما لا أغص بذكره إذا قلت قد أسدى اليّ وأنعما

ومن مقطعاته :

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعزّ عندي من العـــــلم فلا تبتغي سواه جليسا
إنما الذل في مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

وقال :

وقالوا اضطرب في الأرض فالرزق واسع فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حرّ يعينني ولم يكُ لي كسب فمن أين أرزق

وقال من آخر :

وقالوا توصلْ بالخضوع الى الغنى وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال بابان حرّما عليّ الغنى نفسي الأبيةُ والدهر

وهذا من الشعر الذي يشعر بعظم نفس صاحبه ، ولم يتناقل شعره في الغزل والمديح على رقته تناقل شعر المجيدين مثله ، ولكن هذه المعاني وهذه الحكم عزت في شعر الشعراء فأصبحت لحكم المتنبي من خير ما حمله ديوانه .

أما نثره فهو مرسل على الأغلب ، تقرأ صفحات بارعة منه في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره . ومثله جدير بأن يدافع عن شعر شاعر عظيم وهو شاعر يعرف من أين تؤكل الكتف ، يعرف بعلمه وتوسعه في صناعة الكتابة ، كيف يورد حججه ويصدرها بهذا البيان المرقص المطرب . والسبب في دفاع القاضي ابي الحسن عن المتنبي أن الصاحب بن عباد لما عمل رسالته في إظهار مساوى المتنبي عمل هو كتاب الوساطة ، ولم تمنعه صلته بالصاحب عن رده عليه رأيه ، وما حالت الصداقة دون تزييف رأيه ، والحق أولى بالصداقة من كل صديق .

وفي هذا الكتاب كما قال الثعالبي «أحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، واعرب عن تبحره في الأدب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد» . وكتاب الوساطة من أجمل كتب النقد الأدبي لا نعرف له مثيلاً قبله ، وكأنه تنبأ بطرق الغربيين في نقدهم في العصور المتأخرة ، وأوضح لهم المنهاج فساروا عليه وتوسعوا فيه . رد في كتابه أجمل رد على من تحاملوا على المتنبي ، وأسقطوه بغير حق . وعرض فيه لجمال هذا الشعر وإبداعه وحكمه وبدائعه ، وما تأخر عن إيراد ما يرذل من شعره . ومما قال فيه : «وقد نجد كثيراً من أصحابك ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقديمه ، ونحن نستقري القصيدة في شعره ، وهي تناهز المائة أو تربي أو تُضَعّف ، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين ثم قد تَسْنَحُ قصائد منه وهي واقعة تحت ظلها جارية على رِسلها ، لا يحصل السامع منها إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ ، وانت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من

أبيات تختار ومعان تستفاد ، والفاظ تروق وتعذب ، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء ، وتصرف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار . ولو تأملت شعر أبي نواس حق التأمل ، ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه ، وعددت منفيّه ومختاره ، لعظمت من قدر صاحبنا ما صغرت ، ولأكبرت من شأنه ما استحقرت ، وعلمت أنك لا ترى لقديم ولا محدث شعراً أعم اختلالاً ، وأقبح تفاوتاً وأبين اضطراباً ، وأكثر سفسفة ، وأشد سقوطاً من شعره ، هذا وهو الشيخ المقدم ، والامام المفضل ، الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي ، ونشر ديوانه الكميت ، فهل طمست معايبُه محاسنَه ، وهل نقص رديئه من قدر جيده ؟

وتلطف واحتاط قائلاً إنه لم يدعُ الإحاطة بشعر الأوائل والأواخر ، بل لم يزعم انه نصفه سماعاً وقراءة . قال وإنما اجسر في الوقت بعد الوقت فأُقدم على هذا الحكم انقياداً للظن ، واستنامة إلى ما يغلب على النفس ، فأما اليقين الثقة والعلم والإحاطة فمعاذ الله أن أدعيه ، ولو ادعيته لوجب أن لا تقبله مع علمك بكثرة الشعراء ، واختلاف الخطوط وخمول أكثر ما قيل ، وضياع جلّ ما نقل ، وأظنك قد سمعت وانتهى الى علمك أن البحتري أسقط خمسمائة شاعر في عصره فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم الى غيري وما يدريني ما فيها » .

هذا ما عرف من حال القاضي العظيم ، والمجال لا يتسع لإيراد شواهد من كلامه ، وفي كتاب الوساطة نموذج مهم منه يرجع اليه من شاء .

الزمخشري

(ابو القاسم محمود بن عمر)

ولد ابو القاسم الزمخشري سنة ٤٦٧ في قرية كبيرة من قرى زمخشر من بلاد خوارزم وأخذ العلم في بخارى وورد بغداد غير مرة وأخذ الأدب عن ابي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري وتخرج بأبي نصر محمود بن جرير الضبي الاصفهاني . وكان

هذا وحيد دهره في علم اللغة والنحو والطب وهذا رجل عظيم اشتهرت به بلده وأنشأ لها فضله اسماً باقياً بقاء كتبه ، أقام بخوارزم مدة وتخرج به جماعة من الأكابر منهم الزمخشري ، وهو الذي ادخل الى خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتذهبوا بمذهبه ، ومنهم الزمخشري وكان حنفياً فأخذ بمذهب اهل العدل والتوحيد وجاهر به ·

أخذ ابو القاسم عن كثير من الشيوخ في خوارزم والعراق وجاور في مكة فتلقب بجار الله وفخر خوارزم · وما منعه من التنقل في البلاد ما كان من عاهة في رجله وكان أصابه في شبابه خراج فيها فقطعها ووضع عوضها رجلاً من خشب · وكان مقبولاً من القلوب كثير الأصحاب والتلامذة وعلل هو اشادة العلماء والشعراء بذكره بما رأوا من حسن النصح للمسلمين وبلوغ الشفقة على المستفيدين ، وقطع المطامع ، وعزة النفس ، والاقبال على خويصته · فهذه الصفات أورثته مكانة زادت في الاقبال عليه وحببت الأخذ عنه والانتفاع بكتبه ·

كان جار الله اماماً في التفسير ، وتفسيره الكشاف من خير التفاسير ، وهو المعتمد عند أكثر طلاب هذا العلم في عصرنا هذا وقبله ، وكتابه « أساس البلاغة » وفيه فرق بين الحقيقة والمجاز آية في التحقيق · واشتهر له بالطبع كتب أخرى وهذان الكتابان أجلها · ومن كتبه « الفائق في غريب الحديث » لم يقتصر فيه على احاديث الرسول بل تعرض لشرح احاديث الصحابة والتابعين وتابعيهم فهو كتاب في بليغ القول جيد كأساس البلاغة على حروف المعجم وشرحه ومن كتبه مقدمة الأدب ومقاماته واطباق الذهب في المواعظ والخطب واعجب العجب شرح لامية العرب وكتاب الجبال والأمكنة والمياه والكلم النوابغ أو نوابغ الكلم والمفصل في صناعة الاعراب وكلها مفيدة لا تخرج على اللغة والاعراب والمفصل أمتنها وأفيدها لما حمل من شواهد تدعم القواعد ، أما طريقته في الانشاء فطريقة اهل القرن الخامس والسادس إلا انها تنم عن تمكنه

في اللغة تمكناً عظيماً . ونعني بهذه الطريقة اعتماده على التسجيع في كلامه حتى كاد يأتي على محاسن كلامه ويذهب برونق بلاغته ، ولا نحيل القارئ إلا على مقدمتي الكشاف والأساس وهما كتاباه الخالدان ولو عريا من السجع لاستجمعتا أسباب الكمال كله ، وكذلك مقاماته وأطواقه ونوابغ كلمه . أما اضطلاعه باللغة فهو اضطلاع اللغوي الذي تمثل ما نقل وبوبه ونسقه وأبرزه في قالب اخرجه من جفاف اللغة بعض الشيء .

ان من يطالع كتب الزمخشري يستفيد لغةً والفاظا وتراكيب فصيحة أما البلاغة وهي في السبك فأمر ثان ذلك لأن عصره متأخر . وهو بقصد في الكشاف والمفصل ومقدمة الأدب امداد من يريد اتقان العربية بالمادة الأولى اللازمة أولاً ثم هو وان درس الزمخشري دراسة عظيمة قلّ ان يتيسر مثلها لغير أبناء العربية لا يخرج عن كونه أعجمياً وبيئته غالبة عليه على كثرة مقامه في بلاد العرب ، قالوا وكان لا ينطق بلغته الأصلية الا اذا اراد ان يشرح شيئًا لمن يأخذون عنه والا فهو يتكلم العربية وقد فاخر في مقدمة المفصل بنفسه فقال : الله احمد على ان جعلني من علماء العربية ، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية . وحمده على ان لم ينضو الى لفيف الشعوبية قال : ولعل الذين يغضون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه في عُجم خلقه ولكن في عربه ، لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج ، وزيغًا عن سواء المنهج ، والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة انصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك انهم لا يجدون علماً من العلوم الاسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها واخبارها الا وافتقاره الى العربية بيّن لا يزيغ .

ان الرجل الذي ضرب به المثل في علم الأدب وكان الغاية في ادب النفس والعزوف عن الدنيا لم يخل من حساد أيضاً ومن كلامه يخاطبهم :

اذا سألوا عن مذهبي لم أبحْ به　　واكتمه كتمانه لي أسلمُ
فان حنفياً قلت قالوا بأنني　　ابيح الطلا وهو الشراب المحرمْ
وان مالكياً قلت قالوا بأنني　　أبيح لهم اكل الكلاب وهم هم
وان شافعياً قلت قالوا بأنني　　أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وان حنبلياً قلت قالوا بأنني　　ثقيل حلولي بغيض مجسم
وان قلت من اهل الحديث وحزبه　　يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله　　فما احد من ألسن الناس يسلم
وأخرني دهري وقدّم معشراً　　على انهم لا يعلمون وأعلم
وقد أفلح الجهال ايقنت انني　　انا الميم والأيام افلح اعلم

وقال :

زمان كل حب فيه ضِب　　وطعم الخلّ خلّ لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق　　فنافق فالنفاق له نفاق

انَّ ما خلفه الزمخشري من مصنفاته لا غنية لطالب لغة العرب عن تدارسه كلما عرض له مشكل من مشاكلها لأنها كلها منسوجة اجمل نسج مرتبة خير ترتيب واضحة كل الايضاح ليست بالمطولة حتى يملها الطالب ولا بالمختصر حتى ينقطع دون بغيته ومن حفظ الكشاف والأساس والفائق والمفصل جاء منه عالم لا يحتاج الى أشياء كثيرة أخرى .

توفي الزمخشري بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ .

محمد كرد علي

اللغة العربية

في البلاد الاسلامية غير العربية (1)

— ٣ —

اللغة العربية في الهند

(١)

لما امتد الفتح بالعرب شطر المشرق حتى جاوزوا افغانستان ، هبطوا إقليم المُلتان من الهند ولكنهم لم يستقروا فيه ٠

ثم حاولوا فتح الهند من جهة الساحل حيث يصب نهر السند في البحر المحيط فغزوا غزوات هناك ٠ فلما كان زمان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سيّر الحجاج بن يوسف الثقفي جيشاً لفتح الهند وجعل إمرته لابن أخيه محمد ابن القاسم ففتح العرب اقليم السند حتى المُلتان ولم يتوغلوا في الهند ٠ ودام لهم سلطان فيما فتحوه زهاء مائتي سنة وبنوا هناك المدائن وعمروا الأرض ٠

وفي القرن الرابع الهجري اتخذ المسلمون لفتح الهند طريقاً آخر وتولى الفتحَ السلطان محمود الغزنوي احد ملوك الدولة الغزنوية (٣٥١ — ٥٧٩ ﻫ) وقد أعدّ العُدّة وحشد الجيوش واحتفل للغزو وهبط سهول الهند بجيوشه أكثر من خمس عشرة مرة ما بين سنة ٣٩١ وسنة ٤١٧ فدانت له بنجاب وكشمير وكجرات ٠ واستقر سلطان الغزنويين في بنجاب ٠

ولما غُلبوا على غزنة دار ملكهم — غلبتهم عليها الدولة الغورية — اتخذوا لاهور حاضرة الملك سنة ٥٢٣ ﻫ ٠ فكانت لاهور اول حاضرة في الهند لدولة اسلامية ٠

---

(١) تتمة المقال المنشور في الصفحة ٣٠ من الجزء الأول والثاني من المجلد الثاني والعشرين ٠

ومهّد فتح الغزنويين طريقَ الدول الاسلامية الى الهند ، وهيّأ البلاد لنشوء دول اسلامية فيها ، ففتح الغوريون طرفاً من البلاد ، ونشأت في داخلها دول كثيرة منها دول سلاطين دهلى التي سيطرت على دهلى وما يتصل بها من سنة ٦٠٣ الى سنة ٩٣٢ .

وقد فتحت الدولُ الاسلامية شماليَّ الهند حتى خليج بنغالة وبسطت سلطان الاسلام وحضارته هنالك .

وفي القرن العاشر الهجري توجّه الى الهند داهية عبقري لا تنشّئ الأجيال مثله الا قليلاً ، فأقام فيها أعظم الدول الاسلامية الهندية .

ذالكم محمد ظهير الدين بابر من حَفَدة الفاتح الجبار تيمورلنك .

ورث هذا الأمير من أبيه إمارة فَرغانة وسمرقند سنة ٨٩٩ وهو في سن الثانية عشرة وتقلبت به غِيَر ، وتداولته خطوبٌ حتى غُلب على إمارته الموروثة بعد سبع سنوات . ولكن هذا الشاب العبقري كان أجرأ وأصبر من أن يستكين للحادثات فبقي ثلاث سنين شريداً ليس في يده من الملك شيء ، ولكن كان في ضمان عزمه وهمته أن يكون ملكاً في بلاد أوسع من فرغانة وسمرقند . فتوجه تلقاء كابل ففتحها سنة ٩١٠ هـ .

وتمكن ملكه في كابل واتجه طماحه وهمه الى الأرض الواسعة الغنية ، عزم على فتح الهند .

فأخذ يغير على اطرافها منذ سنة ٩٢٥ حتى مكنته شجاعته وهمته ودهاؤه أن يهزم السلطان ابراهيم اللودي سنة ٩٣٢ في موقعة پانيپات التي سقط فيها السلطان بين خمسين ألفاً من جنده .

وبعد هذه الموقعة بستة أيام خُطب لظهير الدين بابر في دهلى يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٩٣٢ هـ .

ولم يثبت له جيش بعد ذلك حتى الجيوش التي حشدها أمراء الهند وحشروا

فيها من الجند والفيلة جموعاً يقودها مائة وعشرون قائداً على رأسهم سانجا زعيم أمراء رَجْبوت . فلقي بابر بعد سنتين من موقعة بانيبات ظفراً أعظم من ظفرها في موقعة كندها .

لم يثبت أحد من بعد لسطوة بابر ، فأقام دولة في الهند دام سلطانها ثلاثة قرون ونصف على اختلاف الغير وتبدل الحالات .

توالى على عرش الهند ملوك عظام مدوا سلطانهم على أرجاء الهند ، وأقروا فيها القانون ، والعدل ، وأشاعوا فيها الحضارة والثقافة ، ولا سيما الستة الأولون من ملوك هذه الدولة من بابُر الى أورنَك زيب ، فقد تداولوا السلطان مائتي عام ، وبلغت الدولة في سلطانهم أوجها .

وقد شرعوا شرائع عادلة ، وسنّوا سنناً حسنة ، وجمعوا حولهم العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء والصناع من أقطار الأرض ، وشادوا من الأبنية ما لا يزال يحدث بقوتهم وحضارتهم .

وقد بقيت هذه الدولة الى سنة ١٢٧٤ ﻫ حين أزالها الانكليز بعد أن نقصوا أطرافها وزلزلوا أركانها .

(٢)

هذه الدول الاسلامية التي توالت على الهند منذ الفتح العربي الأول عملت في نشر الحضارة الاسلامية واللغة العربية .

نشر العرب لغتهم هناك ، واتخذ مسلمو الهند ، كسائر مسلمي العالم ، اللغة العربية لغة علم وأدب على مرّ العصور .

وكان دخول العربية الى الهند على طريقتين :

الأولى : في ثنايا اللغة والآداب الفارسية . فالفارسية قد أخذت من العربية على النحو الذي بيّنت من قبل ، ثم صارت لغة الدولة ولغة التدوين في الهند منذ عهد الغزنويين . لا سيما في عهد الدولة المغولية التي ذكرتها آنفاً .

وقد عدّ الشيخ شبلي النعماني في كتابه (شعر العجم) واحداً وخمسين شاعراً فارسياً جاءوا الى الهند في عهد السلطان جلال الدين اكبر (٩٦٣ ـ ١٠١٤ ﻫ) وعد المداوني اكثر من هؤلاء ومعظمهم فارسي الأصل ، منهم من نشأ في الهند ، ومنهم من طرأ عليها . كما عدّ من العلماء والفلاسفة والأطباء الذين عاشوا في كنف هذه الدولة أكثر من مائة وخمسين .

ثم نشأت اللغة الأردية في كنف اللغة العربية والفارسية ، فكان أثر العربية فيها كأثر العربية في الفارسية :

شرع أدباء الهند يدخلون في الأدب الفاظاً وجملاً من الهندية في القرن السابع الهجري اذ استعمل الشاعر الكبير الأمير خسرو الدهلوي (٦٥٣ـ٧٢٥ﻫ) كثيراً من هذه الالفاظ ، ونظم شعراً ملمّعاً من الفارسية والهندية .

ثم كتب بعض الصوفية في القرن التاسع الهجري بالهندية ليقربوا الى العامة آراءهم ومواعظهم ، ولم يكن لهم بدّ من استعمال كثير من الألفاظ العربية والفارسية ، اذ كانتا لغتي العلم والأدب حينئذ .

وكتبوا هذه الهندية المشوبة بالعربية والفارسية بالخط العربي فنشأت اللغة التي عرفت من بعد باسم الاردية .

ولم ينبغ شعراء الاردية العظام الا منذ القرن الثاني عشر الهجري .

فهذا دخول العربية الى الهند في ثنايا الفارسية والعربية .

وأما استعمال العربية لغة مستقلة فقد عرف في عصور الهند كلها منذ الفتح العربي الأول ، ولا سيما بعد أن توغل المسلمون في أرجاء الهند ونشروا لغة القرآن ، فكتب فيها مؤلفون على مرّ الزمان .

ومن المؤلفين بالعربية فيضي المتوفى سنة ١٠٠٤ ﻫ وهو صاحب التفسير المسمى « سواطع الالهام » ، وقد التزم أن يخلي تفسيره من الحروف المعجمة كلها . وهذا ، على قلة جدواه ، لا يتاح الا لمتمكن في العربية ، واسع العلم بها .

ومن كبار المؤلفين عبد الحليم السيالكوتي المتوفى سنة ١٠٦٧ ه ، ومؤلفاته في علم الكلام معروفة .

ومن الفقهاء محب الله البهاري ، له مؤلفات في الفقه والمنطق . ومنهم الشيخ نظام الذي أشرف على جمع الفتاوى الهندية في عصر السلطان اورنك زيب (١٠٦٩ - ١١١٨ ه) .

وفي مقدمة هذه الفتاوى ما يدل على التأنق في العربية والادلال بمعرفة غريبها ، جاء فيها :

« وبعد فان الفقه حاجز بين الهداية والضلال ، وقسطاس مستقيم لمعرفة مقادير الأعمال ، وعيالمه الزاخرة لا يوجد لها قرار ، وأطوادها الشامخة لا يدرك قنونها بالأبصار ... فمن الله عليهم باستنارة صديع سلطنة الملك الصلهام ، وانفلاق صبح دولة السلطان الهمَيْسع القَمقام ، القَرم المُقرَم ، والقِدَمّ الفلهَذَم ، رُزَم آجام الوغى ، وقَفصل غياض المزدحَم المطيم على العدل والشجاعة والندى ، والمفطور تقنُه من الزهد والورع والتقوى أمير المؤمنين ورئيس المسلمين ، إمام الغزاة ، ورأس المجاهدين أبو المظفر أورنك محي الدين محمد زيب بهادر عالم كير بادشاه غازي أيّد الله تعالى سلطانه وعمّم على البرية كافةً احسانه » .

ومن المؤلفين بالعربية الشيخ ولي الله الدهلوي مؤلف « حجة الله البالغة » ، وكتب أخرى .

ولا يزال علماء المسلمين وأدباؤهم في الهند يؤلفون بالعربية وينشرون القيّم من كتبها ، ويشرحونه أحياناً ، ولا تزال الهند موطناً من مواطن لغة القرآن .

ومن المؤلفين بالعربية في عصرنا الشيخ شبلي النعماني وأصحابه من رجال ندوة العلماء والسيد صديق حسن خان مؤلف كتاب حقوق النسوة وكتب أخرى قيمة . وكرامت حسين مؤلف فقه اللسان في اللغة ، والشيخ عبد العزيز الميمني ،

له كتب قيمة في الأدب منها كتابه عن أبي العلاء و «زيادات شعر المتنبي» وقد نشر في القاهرة كتاب سمط اللآلي في شرح الأمالي للزبيدي .

ومنهم زاهد علي ناشر ديوان ابن هانئ ، وكثيرون غير هؤلاء . وقد نشروا من كتب العربية القيمة كتباً كثيرة منها الجمهرة لابن دريد ولزوميات المعري .

وقل أن لقيت في مصر من مسلمي الهند عالماً أو متعلماً الا يعرف العربية ويتكلم بها على حداثة عهده ، بالبلاد العربية ، ولولا عنايتهم بتعلمها والتكلم بها في ديارهم ما تيسر لهم كتابتها والتحدث بها في بلاد العرب بعد اقامة قصيرة .

وكثيراً ما أتلقى رسائل عربية من علماء في الهند لم يقيموا بالبلاد العربية ، وهي تشهد بتمكنهم من العربية ، ومسايرتهم تطورها في هذا العصر .

عبد الوهاب عزام



مكتبة المجلس النيابي

في طهران

تحتوي مكتبة «مجلس شواري ملى» ـ وهو الاسم الذي يطلق على المجلس النيابي الايراني ـ على بعض ذخائر قيمة من الكتب العربية والفارسية · وقد أتيح لي خلال السنة التي قضيتها في طهران ان اتردد الى هذه الخزانة وأنقب بين مخطوطاتها العربية ، وقد هيأت لنفسي دفتراً أحصيت فيه بعض كتبها لأرجع اليه وقت الحاجة ، ثم رأيت ان انشره لمن يهتمون بالكتب ودورها فلعل بعضهم يجد فيه فائدة ، وخصوصاً حينما رأيت انصراف بعض أدبائنا الى هذا العلم القيم ـ اعني علم الكتب والمكاتب ـ بعد ان رأوا عناية المستشرقين الشديدة به لخطره وكثرة فائدته ولكشفه النقاب عن كثير من تراثنا العقلي · ثم ان لبحثي هذا هدفاً آخر هو أن أبين للناس بعض ما في زوايا ايران من نفائس الأعلاق العلمية والفنية ، وان ايران الحديثة وفارس القديمة لحرية بأن يعنى بهما عناية كبرى تليق بتاريخها المجيد الحافل سواء في الفن او العلم ·

وقد نبغت اليوم في ايران ناشئة طيبة اخذت على عاتقها ان تبين للناس ، من مشارقة ومغاربة ، وجه ايران العلمي الحقيقي وفي مقدمة هؤلاء السادة الأجلاء المؤرخ العالم محمد قزويني ، والجغرافي المؤرخ عباس اقبال اشتياني ، والعارف الفقيه ضياء الدين حدائق المشهور بابن يوسف الشيرازي ، والشاعر المبدع بهار المعروف بملك الشعراء وزير المعارف السابق وغيرهم من اولي الفضل والعرفان الذين أخذوا ينشرون البحوث والتأليفات القيمة ، كما أخذوا يبعثون بعض المخطوطات القديمة من خزائنها ، مصححة مضبوطة احسن تصحيح واجود ضبط ، وأرجو ان يوفقوا في مشروعاتهم العلمية الكثيرة التي حدثوني بها ·

لمحة عن تأسيس هذه المكتبة

أثناء الحرب العالمية الأولى، كان المجلس النيابي في عطلة، فرأى بعض أهل الفضل من رجال ايران الحديثة تأسيس خزانة للمجلس تضم بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة في قصر بهارستان حيث يقع المجلس، وقد لقي هؤلاء الفضلاء معاونة تشكر من المرحوم أرباب كيخسرو شاه روخ، الفاضل الزردشتي الذي قضى نحواً من ثلاثين سنة وهو امين على هذا القصر، وكان أول ما عملوه أن اشتروا نحواً من مائتي مجلدة من الوصي على ورثة العالم الفاضل الحكيم المشهور بميرزا ابي الحسن جَلْوَه، باشارة السيد التقوى نصر رئيس محكمة التمييز سابقاً. وكان كثير من هذه الكتب المائتين قيماً ونفيساً لأن الميرزا ابا الحسن كان من رجالات ايران فضلاً وعلماً اضطلاعاً بالعلوم الفلسفية خاصة. ثم زادت كتب الدار الف كتاب آخر اشار السيد مهد يقلي هدايت المشهور بمخبر الدولة بشرائها من خزانة المرحوم الفاضل السيد غلامير احتشام السلطنة وكثير من الكتب خطي حسن الخط لما عرف عن السيد احتشام من عناية بجمع المخطوطات الحسنة.

وفي سنة ١٣٠٢ هجرية شمسية (= ١٩٢٣ ميلادية) عاد المجلس النيابي الايراني الى مزاولة أعماله، فاعتنى القائمون بأمر المكتبة عناية كبرى، وافتتحت المكتبة افتتاحاً رسمياً بحضور رجالات الدولة، ومنذ ذلك التاريخ أصحت مكتبة تفتح أبوابها للمطالعين وجعل لها في موازنة المجلس اعتماد خاص لشراء الكتب، والانفاق على الموظفين والعاملين فيها. وقد زادت كتبها منذ ذلك التاريخ الى سنة ١٣١٦ هـ.ش (= ١٩٣٧ م) فبلغت (١٨٠٠٠) كتاباً ما بين مخطوط ومطبوع بالعربية او الفارسية او غيرهما من اللغات الحية. وما تزال كتب الدار في ازدياد مستمر منذ سنة ١٩٣٧ حتى هذه الأيام فقد بلغ عددها في سنة ١٣٢٥هـ.ش (= ١٩٤٦ م) نحواً من (٢٥٠٠٠) كتاب.

ولم يكن لهذه الدار يوم تأسيسها فهارس منظمة، ولا سجلات دقيقة وانما

كان لها دفتر سردت فيه اسماء الكتب سرداً بجانب اسماء مؤلفيها وعدد اجزاء كل كتاب دون تمييز كتب كل علم عن الآخر . ولكن في سنة ١٣٠٥ هـ . ش (= ١٩٢٦ م) طبع أول فهرست منظم وكانت كتبها في ذلك الحين لا تتجاوز (٣٥٠٠) كتاباً مطبوعاً و (٢١٦) مخطوطة . وكان هذا الفهرس بعناية المرحوم السيد يوسف آشتياني الملقب باعتصام الملك والذي كان أميناً على الدار وينبغي ان يلاحظ أن هذا الفهرست خال من التدقيق العلمي الحديث .

ثم تولى امانة هذه الدار السيد ابراهيم شريفي فعنى بها عناية فائقة طبق علم المكتبيات الحديث فنظم لها الجذاذات على النظم الفنية الدقيقة وقد بلغت كتبها في عهده نحواً من (٢٤٠٠٠) كتاب منها (٣٢٠٠) مخطوطة عربية او فارسية و (٦٠٠٠) مطبوعة عربية او فارسية و (٧٣٠٠) كتاب افرنسي و (٥٥٠٠) كتاب انكليزي و (٢٥٠٠) كتاب روسي وتركي والماني . وقد هيأ لهذه الكتب اكثر من (٦٠٠٠٠) جذاذة لتسهيل المراجعة والبحث لدى طلاب العلم .

وقد كان من أعمال السيد شريفي المهمة شروعه بتهيئة فهرس للمخطوطات التي لم تكن قد فهرست في عهد المرحوم اعتصام الملك ، وقد اعانه في تنظيم هذا الفهرست العالم الفاضل الاختصاصي في علم المكتبيات السيد ابن يوسف شيرازي ضياء الدين حدائق . ويعتبر المجلد الذي نشره السيد اعتصامي أول فهرست علمي منظم لهذه المكتبة وقد اشتمل على وصف (٧٨٨) مخطوطة وصفاً علمياً دقيقاً ، صنفها بحسب موضوعاتها هكذا : المصاحف من رقم (١) الى (٩) ، فالأدعية والأذكار من رقم (١٠) الى (٢١) فالأحاديث والأخبار من (٢٢) الى (٣٦) فالفقه من (٣٧) الى (٥٣) فعلم التفسير من (٥٣) الى (٨٠) فعلم الكلام من (٨١) الى (١٠٣) فعلم الحكمة والفلسفة من (١٠٤) الى (١٤٦) فعلم الرياضى والنجوم والهندسة من (١٤٧) الى (٢١٤) فعلم التاريخ من (٢١٥) الى (٢٧٦) فعلم الأدبيات من (٢٧٧) الى (٣٠٩) فكتب العربية والبلاغة من (٣١٠) الى (٣٢٠) فالدواوين والمجموعات الشعرية من (٣٢١) الى (٤٥٩) فكتب اللغة

من (٤٦٠) الى (٤٩٠) فكتب الطب من (٤٩١) الى (٥٣٠) فكتب السير والمناقب من (٥٣١) الى (٥٦٤) فكتب الأخلاق والنصائح والمواعظ من (٥٦٥) الى (٥٩١) فكتب المجاميع من (٥٩٢) الى (٦٤٤) فكتب التصوف من (٦٤٥) الى (٦٧٥) فكتب القصص من (٦٧٦) الى (٦٨٤) فكتب الجغرافية من (٦٨٥) الى (٦٩١) فكتب الرحلات من (٦٩٢) الى (٧٠٣) فكتب معرفة الأحجار والحيوان من (٧٠٤) الى (٧١١) فكتب الردود من (٧١٢) الى (٧١٥) فكتب علوم الصناعات من (٧١٦) الى (٧٣٨) فكتب مختلفة الموضوعات من (٧٣٩) الى (٧٨٨) .

والنسخ من هذا الجزء قليلة جداً فقد حدثني القائم بأمر الدار اليوم انهم لم يطبعوا منه حين طبعه الا عدداً قليلاً جداً لا يكاد يتجاوز المئة .

وفي سنة (١٣١٨ — ١٣٢١) ه . ش طبع المجلد الثالث من فهرست كتب هذه الدار بعناية السيد ابن يوسف الشيرازي وهو مجلد في (٨١٥) صحيفة فهرس فيه المؤلف ل (٤١٧) مخطوطة عربية او فارسية وقد صدر هذا الجزء ببحث لطيف بالفارسية عن تاريخ هذه الدار والأدوار التي مرت بها ، وبالمراجع العديدة التي رجع اليها في تنظيم هذا الجزء وقد ابتدأ فيه بكتب التفسير وعلوم القرآن ، ثم بكتب الأدعية والأذكار ، ثم بالأحاديث والأخبار ، ثم بالفقه ، ثم باللغة ، ثم بالعربية والبلاغة ، ثم بالشعر . وقد ختم كتابه هذا بأربع فهارس قيمة لمحتويات هذا الجزء .

ولا شك في انه قد بذل جهداً عظيماً دل على علمه الواسع وفضله في الثقافة الاسلامية ولكن لا بد لي ههنا من ابداء ملاحظة رفيقة على ما تجلى لي من تعصبه للتشيع وحمله على بعض رجالات الاسلام من غير الشيعة ، وقد كان ينبغي عليه وهو العالم المحقق ان يتجرد من ذلك التعصب ، وخصوصاً ونحن المسلمين في فترة يجب علينا فيها ان نتجرد عن تلك الجهالات التي خلقتها السياسة للتفريق بين المسلمين من شيعي وسني . ولا اريد ان اسرد شواهد علي ما تجلى لي في

هذا الكتاب وانما أكتفي بأن اشير الى حملته الشديدة التي حملها على امام المحدثين وشيخهم على الاطلاق وهو الامام البخاري .

وصف بعض المخطوطات النفيسة في هذه الدار

انتقيت المخطوطات القيمة في هذه الدار ووصفتها بما فيه الكفاية وقد صنفتها الى أقسام؛ الأول في القرآن وعلومه ، والثاني في الكلام والحكمة وما اليهما ، والثالث في التاريخ ، والرابع في العربية وعلومها ، والخامس في الشعر والأدب ، والسادس في علوم شتى .

١ — القرآن وعلومه

١ : نسخة من القرآن المجيد كتبها الخطاط الايراني الأشهر في القرن الثاني عشر للهجرة وهو السيد الميرزا احمد النيريزي ، وفي صدر هذه النسخة لوحتان بارعتان في تذهيبها وتلوينها ، وقد تخللت سطور الصفحات تذهيبات جد جميلة ، كما جعل في اول كل سورة اطار تفنن في تزويقه وتنميقه ، ولهذه النسخة جلد حسن الصنع والنقوش صنعه الميرزا عبد الوهاب مذهّب باشي سنة ١٢٩٢ .

وقد أتم الناسخ كتابة هذه النسخة سنة ١١٣٨ للهجرة وهو في ٤٩٦ ورقة في كل ورقة ١٢ سطراً ، وطول الصفحة ٢٣ ١/٢ سنت في ١٤ ١/٢ سنت . ورقم النسخة ٣٩٤٣ .

٢ : نسخة أخرى من الكتاب المجيد كتبها الخطاط الايراني حسن الخانيساري وفي صدرها لوحتان مذهبتان ومنقوشتان نقشاً جميلاً ، وهي مكتوبة بقلم النستعليق وفي آخر النسخة ما نصه بقلم الثلث الجيد « قد تشرف وتعزز وتكرم بكتابة هذا المصحف العزيز الشريف الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من أوله الى آخره مع ترجمته بالحمرة وقرء وصحح بالروايتين ابي حفص وبكر على عمدة القراء والمجودين مولانا وجيه الدين عبد الله القاري وعلى زبدة الأذكياء والمنزوين مولانا نعيما الدين نعمت الله القاري ادام

الله بركاتهما وضاعف اجرهما . المرجي عفو ربه الباري حسن بن حسين بن محمد ابن علي الخانيساري) .

والنسخة مكتوبة سنة سبع وسبعين وتسعمائة للهجرة ، وقد وضع خلال سطورها ترجمتها الى الفارسية ، وهي في ٤٣٩ ورقة (٢٤ × ١٦ سنت) ورقمها ١٦٧١ .

٣ : مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار :

لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المولود في شهرستان من اعمال خراسان سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧١م) والمتوفى في شعبان سنة ٥٤٨ هـ (تشرين الثاني ١١٥٣م)[١] .

وللشهرستاني هذا كتب قيمة اشهرها « الملل والنحل » المطبوع المشهور ويظن ان في مكتبة الاسكوريال في اسبانية نسخة منه بخطه كما ذكر ذلك بروكلمان في ذيل كتابه لتاريخ الأدب العربي (١/٧٦٣) ، وكتاب تاريخ الحكماء (الفلاسفة) ولا يعرف له أثر ، وكتاب نهاية الاقدام في علم الكلام ، وقد طبعه المستشرق آ . غليوم في اكسفورد سنة ١٩٣١ ، وكتاب مصارعات الفلاسفة او المصارعة والمضارعة او المصارع الفلسفية وكتاب مفاتيح الأسرار ولا تعرف منه الا هذه القطعة وهي عبارة عن المجلد الأول من تفسير لقرآن ذكر انه في اثني عشر مجلداً ، ولا تحتوي هذه القطعة الا على تفسير الفاتحة وسورة البقرة وقد ذكر في المقدمة ما نصه « فنقلت القراءة والنحو واللغة والتفسير والمعاني من اصحابها على ما اوردوه في الكتب نقلاً صريحاً صحيحاً من غير تصرف فيها بزيادة ونقصان سوى تفصيل مجمل او تقصير مطول وعقبت كل آية بما سمعت فيها من الأسرار وتوسمته من اشارات الأبرار » .

والنسخة جيدة جداً كتبها محمد بن محمد الزانجي للشيخ الفاضل ابرهيم بن محمد ابن المؤيد ابي المجامع الحموي الجويني سنة سبع وستين وستمائة بقلم نسخي جيد مضبوط . وعدد أوراقها ٤٣٣ (٢٤ × ١٣ ١/٢ سنت . ورقمها ٨٠٨٦) .

(١) انظر أخباره في طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ٧٨ والتتمة للبيهقي : ١٣٧ ، ولوفيات لابن خلكان : ٥٨٣ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٣ : ٣٤٣

٤ : مفاتيح الغيب

للمير صدر الدين محمد بن المير غياث الدين منصور الحسيني الشيرازي المولود في شيراز سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥) والمتوفى سنة ٩٠٣ (١٤٩٧ م) [١] .

وقد ألف كتباً ورسائل في علم الكلام والتفسير من اشهرها « رسالة في اثبات الباري تعالى وصفاته الحسنى » و « رسالة في مسألة خلق العمل » و « رسالة في تحقيق التصور والتصديق » و « حواش على تجريد العقائد للنصير الطوسي » [٢] ، و « مفاتيح الغيب » هذا نسخة في ٢١٢ ورقة أولها « الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ... » وهي في علوم القرآن وغرائب ابحاث التأويل والاسرار والرموز الالهية ولا نعرف من هذا الكتاب نسخة غير هذه ، ولم يشر اليها بروكلمان في تاريخ الأدب ، وهي مكتوبة سنة (١٢٤٦ هـ) بقلم نستعليق حسن رقمها ١٣٢ .

٥ : تفسير فاتحة الكتاب وسورة البقرة :

للامام صدر الدين الشيرازي محمد بن ابراهيم القوامي المشهور بالملا صدرا المتوفى سنة ١٠٥٠ (= ١٦٤٠ م) .

والنسخة قطعة من كتاب كبير في التفسير سلك فيه مسلك اصحاب المكاشفات الفلسفية والتفسيرات الصوفية واوله « سورة الفاتحة المسماة بأم القرآن لاحتوائها على مجامع المعاني التي في القرآن ، وسورة الكنز ، والعافية ، وسورة الحمد والمثاني ... » وهو في (٣٥٠) ورقة (٣٠ × ٢١ سنتيم) وهو بقلم نسخي رقمه (٩٠٦١)

٢ — الكلام والحكمة

٦ : الشفاء

لامام الحكماء ابي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا الفيلسوف الاسلامي الأشهر ومؤلف « النجاة » و « الاشارات » و « القانون » والرسائل الاخرى المشهورة في الطب والفلسفة والحكمة .

---

(١) انظر روضات الجنات ٣٥ ، والكشف لحاجي خليفة ٢ : ٣٦٣ و GAL. لبروكلمان ٢ : ٢٠٤ وذيله ٢ : ٢٧٩ (٢) انظر بروكلمان ١ : ٩٢٦

وقد اختلف في مولده فقيل انه ولد سنة ٣٧٠ ه (= ٩٨٠ م) كما في ابن خلكان وابن القفطي ، وقال آخرون انه ولد سنة ٣٧٣ ه ، وزعم ادوار فانديك انها سنة ٣٧٥ ه ، كما اختلفوا في وفاته فقال بعضهم انها سنة ٤٢٨ ه (= ١٠٣٧ م) وقال آخرون انها سنة ٤٢٧ ه [١] .

والنسخة نفيسة جداً مكتوبة على ورق الحرير وفي صدرها لوحات مذهبة ومرصعة احسن التذهيب والترصيع على ارض من اللازورد ، وقد كتبت بقلم نستعليق وفي آخرها ما نصه «تم كتاب الشفاء بعون الله تعالى وحسن توفيقه في اوائل شهر شعبان سنة احدى وسبعين وثمانمائة الهجرية على يد العبد الضعيف الراجي الى رحمة الله تعالى علي بن فتح الله المعداني الاصفهاني المشتهر بالصابري أحسن الله احواله ....» والنسخة في ٤٧١ ورقة (٣٣ ١/٢ × ٢١ سنتيم) ورقمها (٢٠٢) .

٧ : الأسفار الأربعة في الحكمة

لقدوة المتألهين صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي القوامي المشهور بالملا صدرا [٢] المتوفى سنة (١٠٥٠ ه) (= ١٦٤٠ م) [٣] وهو صاحب كتاب شرح حكمة الاشراق للسهروردي شهاب الدين ومنه نسخة في هذه الدار رقمها ٥٠٩٥ واخرى رقمها ٢٢٨٢ ، والحكمة القرشية ، وشرح اصول الكافي ومنه نسخ في هذه المكتبة رقمها (١٣٣) ١٦٤/٨٩ . وتفسير الفاتحة المذكور في رقم (٥) ومفاتيح الغيب في علوم القرآن ومنه نسخة في هذه المكتبة رقمها (١٣٢) وشواهد الربوبية في علم الكلام ورقمه في هذه المكتبة (١٦٩) والمشاعر في اصول حقائق الايمان والحكمة والكلام وكتاب الواردات القلبية في الكلام والحكمة وسيأتي الكلام عليها ، واكسير العارفين ومنه نسخة في المجموعة الموجودة في هذه المكتبة تحت رقم (٧٩) .

---

(١) انظر اخباره في ابن القفطي وابن ابي أصيبعة وابن خلكان ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ، وسركيس في معجم المطبوعات ، وبروكلمان في تاريخه ١ : ٤٥٢ والذيل ١ : ٨١٢   (٢) هو غير صدر الدين الشيرازي السابق المذكور في رقم [٤]

(٣) انظر بروكلمان تاريخ آداب العربية ٢ : ٤١٣

وتسمى هذه الأسفار الأربعة أيضاً «الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية» واولها «الحمد لله فاعل كل محسوس ومعقول وغاية كل مطلوب ومسئول .... واعلم ان للسلاك من العرفاء والأولياء اسفاراً اربعة احدها السفر من الخلق الى الحق، وثانيها السفر بالحق في الحق والسفر الثالث يقابل الأول لأنه من الحق الى الخلق بالحق والرابع يقابل الثاني من وجه لأنه بالحق في الخلق فرتبت كتابي هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار على اربعة أسفار» .

والنسخة حسنة الخط عليها كثير من التعليقات بخط الشيخ الحكيم المرحوم ميرزا ابي الحسن جلوه ، وهي مكتوبة بقلم نستعليق جيد سنة ١٢٧٠ (٢٧ × ١٧ سنت) وعدد اوراقها (٣٢٢) ورقمها (٧٨) .

وفي المكتبة قطعة أخرى من هذا الكتاب تحتوي على السفر الأول من الأسفار الأربعة أولها «نفسية مفهوم الوجود الى افراده .. » وهي مكتوبة بقلم نستعليق ايضاً في (٢٦٧) ورقة (٢٢ ١/٢ × ١٣ سنت) ورقمها (٩٧) .

٨ : شواهد الربوبية في المناهج السلوكية

لصدر الدين السابق

وهو كتاب في علم الكلام والأبحاث الالهية اوله «الحمد لله الذي تجلى لقلوب العارفين بأسرار المبدأ والمعاد .... » والنسخة مكتوبة سنة (١١٦٠) بقلم نسخي في (٢٠٥) ورقة (١٩ × ١١ ١/٢ سنت) ورقمها (١٦٩) .

٩ : المشاعر

لصدر الدين السابق

وهو في اصول حقائق الايمان والحكمة وهو مؤلف من ثلاث مناهج وثمانية مشاعر وأوله «نحمد الله ونستعين بقوته التي اقام بها ملكوت الارض والسماء ... » وهي بخط جيد كتبت سنة (١٢٥٢) في ٣٩ ورقة (١٦×١٠ سنت) ورقمها (٨٣) .

١٠ : الوردات القلبية في معرفة الربوبية

لصدر الدين السابق

وهو رسالة لطيفة في الحكمة وعلم الكلام اولها «بعد الحمد لمبدع النفس والعقل ...»

وهي في ٤٥ ورقة (١٩ × ١٠ سنت) ورقمها (٩٠١٩) .

١١ : التحصيل او التحصيلات

لأبي الحسن بهمنيار بن مرزبان الآذربايجاني المتوفى في سنة ٤٥٨ وهو من خواص تلاميذ ابن سينا ذكره ظهير الدين ابو الحسن البيهقي في ذيله لصوان الحكمة فقال « وكان بهمنيار يبحث عن غوامض المشكلات ... ومن تصانيفه كتاب التحصيل ، وكتاب الزينة في المنطق وكتاب في الموسيقى ورسائل كثيرة ...» ولم يبق من آثاره الا رسالة في مراتب الموجودات ورسالة في موضوع علم ما بعد الطبيعة وقد طبعت بمصر في مطبعة كردستان سنة ١٣٢٩ ، وقطعة من كتابه في اثبات العقول الفعالة والدلالة على عددها واثبات النفوس السماوية [١] وكتاب التحصيل هذا في ثلاثة اقسام والموجود منه هو قطعة تشتمل على القسم الأول في علم المنطق ، وبعض القسم الثاني في علم ما بعد الطبيعة ، والنسخة جيدة أولها « ... وبعد فاني محصل في هذه الرسالة للخال الرئيس الأجل ابي منصور بهرام بن خورشيد بن يزديار ادام الله تمكينه لباب الحكمة التي هذبها الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا رحمه الله مقتدياً في الترتيب بالحكمة العلائية وفي استيعاب المعاني بعامة تصنيفاته وبما جرى بيني وبينه محاورة ومضيف اليه ما حصلته بنظري ...»

وهي مكتوبة بقلم نسخي حسن في ١٥٤ ورقة (١٥×٨ ١/٢ سنت) ورقمها (١٦٥) .

---

(١) انظر البيهقي في تتمة صوان الحكمة ٩١ الطبعة الأولى و ٩٧ طبعة كرد علي وچهار مقاله ٢٥٢ وبروكلمان ١ : ٤٥٨ والذيل ١ : ٨٢٨ .

١٢ : مدينة الحكماء

لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري الاشراقي احد رجال القرن السابع [1] وهو كتاب قيم في ترجمة المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة، وقيل ان اسمه نزهة الأرواح وروضة الأفراح » أو « روضة الأفراح ونزهة الأرواح » وقيل بل هما كتابان مختلفان كما حقق ذلك المرحوم اعتصامي ناشر الجزء الأول من فهرست كتب المكتبة ص ٣٢٧ فقد ذكر ان الكتابين مختلفان وان كانت ديباجتاهما واحدة فان محتوياتها وعدة الأشخاص تختلف في واحد عن الآخر كما تختلف تقديماً وتأخيراً واسهاباً واقتصاراً . والنسخة حسنة أولها « الحمد لله القديم الأزلي الدائم السرمدي المتعالي بجلال احديته عن جمال احداث النواظر المتفرد بكمال صمديته ... »

والنسخة قيمة جداً لا يعرف لها ضريب وهي في ٩٦ ورقة (٣٢ × ٢١ سنت) مكتوبة سنة ١٣٢١ بخط حسن ورقمها (٩١٩٤) .

١٣ : المباحث الشرقية أو المشرقية

للامام فخر الدين ابي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (الحسين) بن الخطيب الرازي التيمي البكري الطبرستاني الملقب بملك المناظرين وامام الدنيا في العلوم العقلية والشرعية ولد سنة ٥٤٣ ه (= ١١٤٩) ومات سنة ٦٠٦ ه (= ١٢٠٩) [1] .

والكتاب قد طبع في حيدر آباد سنة ١٣٤٣ ولكن النسخة جيدة جداً كتبت سنة ١٠٩٨ بخط نستعليق في ٣١٣ ورقة (٢١ × ١١ سنت) ورقمها : (١٢٤) .

١٤ : ميامر ارسطو

الميامر كلمة سريانية معناها المحاضرات، وقد ترجم هذا الكتاب للمرة الأولى عبد المسيح بن عبد الله بن الناعمة الحمصي المترجم المشهور الذي كان في ايام الخليفة المعتصم بالله العباسي (٢١٨ – ٢٢٧ ه) . ثم ترجمه للمرة الثانية فيلسوف

---

(١) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ٣٣ وابن القفطي : ٢٩١ وابن الساعي في عنوان التواريخ ٣٠٧ واليافعي في مرآة الجنان وابن العماد في الشذرات ٥ : ٢١ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٣ وحبيب السير ٣ : ٦٠ وبروكلمان ١ : ٥٠٦ والذيل ١ : ٩٢٠

العرب ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، وقد زاد عليه واصلحه للخليفة العباسي المستعين بالله .

والنسخة جيدة اولها « بسملة الميمر الأول من كتاب ارسطاطاليس الفيلسوف المسمى باليونانية اثولوجيا وهو القول على الربوبية تفسير فريفورس الصوري ....» وهي في ٤٧ ورقة (٣٢ × ٢١ سنت) مكتوبة بسنة ١٣٢١ ورقمها (٩١٩٠) وفي المكتبة نسخة أخرى منها رقمها (٤١٣٩) كتبت سنة ١٣٤٠ [1] .

١٥ : شرح المقالات الأربع في القضايا بين النجوم لبطليموس الحكيم

لأبي الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر المصري الخيري المتوفى سنة ٤٦٠ هـ (= ١٠٦٧)

وهو في علم الفلك واحكام النجوم واوله « قال ابو الحسن علي بن رضوان ابن علي بن جعفر المطبب قصدنا ان نشرح اقاويل الحكيم بطليموس في صناعة القضاء بالنجوم على الحوادث ....»

والنسخة جيدة مكتوبة بقلم نسخي سنة ١٢٨٤ وعدد اوراقها ١٢٤ في (٢٩ × ١٦ سنت) ورقمها ٥٠٩٣ [2] .

١٦ : شرح جوامع ارسطو

لأبي الوليد محمد بن احمد بن حافظ بن رشد الأندلسي الفيلسوف الأشهر المولود سنة ٥٢٠ هـ (= ١١٢٦) والمتوفى ٥٩٥ هـ (= ١١٩٨) [3]

نسخة حسنة اولها « — أما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة على المنبعث بالصدق والهدى فان قصدنا في هذا القول ان نعمد الى كتب ارسطو فنجرد منها الأقاويل العلمية التي يقتضي مذهبه اعنى أوثقها ....» والكتاب مؤلف من ستة كتب (الاول) كتاب السماع الطبيعي وهو مشتمل على ثمانية مقالات اوله « لما كان العلم اليقيني والمعرفة التامة ... و (الثاني) كتاب السماء والعالم

(١) انظر بروكلمان ١ : ٢٠٣ والذيل ١ : ٣٦٥ (٢) انظر بروكلمان الذيل ١ : ٨٨٦
(٣) انظر أخباره في ابن ابي أصيبعة ٢ : ٧٥ وبروكلمن ١ : ٤٦١ والذيل ١ : ٨٣٣

واوله «غرضه في هذا الكتاب المترجم بكتاب السماء والعالم التكلم في الأجسام البسيطة الأولى و (الثالث) كتاب الكون والفساد واوله «وغرضه في هذا الكتاب التكلم في التغاير الثلاثة و (الرابع) كتاب الآثار العلوية واوله «ولما تم له هذا النظر شرع في هذا الكتاب ليفحص عن الأشياء التي توجد في الاسطقسات ...» و (الخامس) كتاب النفس وأوله «الغرض ههنا ان نثبت من اقاويل المفسرين في علم النفس ما نرى انه اشد مطابقة ....» و (السادس) كتاب ما بعد الطبيعة واوله «قصدنا من هذا القول ان نلتقط الأقاويل العلمية ...»

والنسخة مكتوبة بقلم نستعليق جيد في (١٧٢) ورقة (٢٠ × ٨ سنت) ورقمها (٨٠).

١٧ : التلويحات في المنطق والطبيعيات والالهيات

لأبي الفتوح يحي بن حبش بن اميرك المشهور بشهاب الدين السهروردي المقتول في حلب أيام الملك الظاهر بن صلاح الدين سنة ٥٨٧ هـ (= ١١٩١) وله آثار في التصوف والحكمة اشهرها هذا الكتاب[١].

والنسخة جد قيمة كتبت في ملاطيه سنة سبع وستمائة اي بعد وفاة الشيخ بعشرين سنة واولها «السبحات لجلالك يا قيوم، افض من عظائم بركاتك، ويسر لنا العروج الى عروش قدسياتك» وآخرها «لا تبذلن العلم وأسراره الا لأهله واتق شر من أحسنت اليه من اللئام فلقد اصابني منهم شدائد واذكرنا في صالح دعائك وفقنا الله واياك ورحمنا وآوانا انه سيدنا ومولانا ولواهب العقل حمد غير متناه».

وهي في (١٠٥) ورقة (١٤ × ٩ سنت) ورقمها (٦٩٣٢). وفي المكتبة نسخة أخرى منه كتبت سنة ١٣٢١ ورقمها (٩١٩١).

يتبع : (طهران) اسعد طلس

(١) انظر أخباره في ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٦٧ وبروكلن ١ : ٤٣٧ والذيل ١ : ٧٨١ وابن خلكان : ٧٨٤ وابن العماد في الشذرات ٤ : ٢٩٠ وياقوت في الارشاد ٧ : ٢٦٩ واليافعي في مرآة الجنان ٣ : ٤٨٧

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ — ٦٣٠ هـ)

— ٥ —

من ورد اربل من العلماء المشاهير

لا يحصى العلماء الذين وردوا اربل وان ابن المستوفي خص تاريخه بمن ورد اليها من أرباب المواهب وسماه (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل . وانما نذكر من اشتهر بوروده اكثر وعرف بالوصول اليها ، والاتصال بعلمائها وأدبائها . ولو كان عندنا تاريخ ابن المستوفي لوقفنا على الكثيرين من هؤلاء النوابغ . والظاهر أنه استقصى أهل المعرفة والكمال .

وهنا نذكر بعض المعروفين فنقول :

١ — أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي ، وهذا بسطت ترجمته في مجلة المجمع الغراء [1] .

٢ — ابن الدهان . ذكره ابن خلكان وهو من أهل بغداد . عدّه ابن المستوفي في زمرة الواردين الى اربل . وهو مؤرخ . وله أوضاع في الجداول وغيرها من الفرائض وصنّف غريب الحديث في ١٦ مجلداً لطافاً [2] .

٣ — البوازيجي الشاعر :

هو الشرف عبد الرحمن بن ابي الحسن بن عيسى بن علي بن يعرب البوازيجي الشاعر . كان قد وصل الى اربل في سنة ٦٢٨ هـ . وكان ابن المستوفي وزيراً .

---

(١) ج ١٩ ص ٢٢١ (٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٩

فسيّر له مثلوماً على يد الكمال بن الشعار الموصلي صاحب التاريخ . فقال له الصاحب يسلّم عليك ويقول لك انفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئاً يصلح لك . فتوهم ذلك الشاعر ان يكون الكمال قد قرض القطعة من الدينار ، وان شرف الدين ما سيّره الا كاملاً وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه :

يا أيها المولى الوزير ومن به   في الجود حقاً تضرب الأمثال
أرسلت بدر التمّ عند كماله   حسناً فوافى العبد وهو هلال
ما غاله النقصان الا انه   بلغ الكمال كذلك الآمال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه [1] .

٤ — ياقوت الرومي :

هو صاحب معجم البلدان ، وردت في مادة (اربل) مشاهداته للبلد ، وذكر ابن المستوفي وأثنى عليه ، ورجحه على غيره بل عدّه الوحيد في كمال فضله . . . ولعله لم يجعل للآخرين قيمة لأنه لم يعتبرهم في عياره من الفضل والمكانة العلمية والأدبية . والا فقد جاء البوازيجي الى اربل فكان فيها ابن المستوفي ، والكمال ابن الشعار . . .

٥ — الفرضي البغدادي :

محمد بن محمد بن ابي حنيفة الفرضي البغدادي ، أستاذ ابن المستوفي ، أقام باربل مدة . مات بالقاهرة سنة ٦٠٢ هـ [2] .

٦ — الكمال ابن الشعار :

هو الكمال ابن الشعار من الأدباء الأفاضل ، والمؤرخين المعروفين . كان في خدمة ابن المستوفي . ورد ذكره هناك في ترجمته [3] . وهو صاحب عقود الجمان في شعراء الزمان في عشر مجلدات كبار رأيت منها ثماني مجلدات باستانبول .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣٣   (٢) الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٢١ نسخة خطية .
(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣٢

ويعدّ من الواردين اربل ، والمقيمين بها ، ويترجم كثيرين من الاربليين وليس في الوسع الآن النقل منه . كان ينقل من تاريخ ابن المستوفي . وربما نقل جميع ما هنالك من أهل الأدب وزاد . ورد ذكره في ابن خلكان في ترجمة ابن المستوفي . وبيّن انه من أصحابه ، وذكر كتابه عقود الجمان ونقل منه بعض الأشعار [١] .
ويعدّ من رجال اربل ، أو مؤرخيهم للصلة المشهورة . ولم يتعين لنا تاريخ وروده ، ومقدار خدمته في اربل . وكل ما علمناه انه توفي سنة ٦٥٤ هـ ، وذكر في ترجمة البوازيجي .

٦ - نوشروان البغدادي :

ويعرف بـ (شيطان العراق) . كان ضريراً اشتهر شعره فيها سالكاً طريق الهزل . راكباً سنن الفكاهة ، مورداً ألفاظ البغداديين والاكراد ، ثم أقلع عن ذلك ورجع عنه ، ومدح اربل .

قال ياقوت في معجم البلدان :

« وانا أورد مختار كلمته ها هنا قصداً لترويح الأرواح ، والاحماض بنوع ظريف من المزاح ... » اهـ [٢]

وأورد مختارات ما جاء في القصيدتين . وكلمته في ذلك تدل على أمر آخر وهو أن الأقوام كانت مختلطة فيها ، واللغات متداخلة فصح مافال ، وعدوله لا يغير الموضوع الا ان العلم والأدب غيّر الوجهة ، فبرز أكابر في العلم والأدب . وذكر من رجال المدينة (الرئيس مجد الدين داود بن محمد) واعتذر له من هجائه لاربل ...

٧ — ابو المعالي اسعد بن علي الحظيري :

عمل لمجاهد الدين ابي منصور قايماز أيام نيابته باربل (كتاب الاعجاز في حل الأحاجي والألغاز) ، حمله اليه وكتبه برسمه ، وأقام عنده مدة ، فاشتاق الى أهله بالحظيرة فقال :

---

(١) كذا : ابن خلكان ج ٢ ص ٥٠٢ (٢) معجم البلدان ج ١ ص ١٧٤ طبعة مصر

الا من لصبّ قليل العزاء غريب يحنّ الى المنزل
ينادي باربل أحبابه وانى الحظيرة من اربل (١)

الحالة الاجتماعية في اربل

تعين وضع اربل الجغرافي في مختلف العصور كتب البلدان ، وكتب التاريخ ، وقد جاءت بيانات مهمة موضحة عنها ، مرّ بعض النقل عن معجم البلدان ، وتصادف أيامه آخر أيام مظفر الدين كوكبري . أما ما قبل ذلك فمن أهم ما جاء عنها عن ابن سعيد انها مدينة محدثة ، وهي قاعدة بلاد شهرزور . وقال في المشترك : مدينة بين الزابين ومنها الى الموصل يومان خفيفان . قال في تقويم البلدان وعن بعض أهلها اربل مدينة كبيرة وقد خرب غالبها ... ولم يزد سباهي زاده على ما نقل . وما ذكره ابو الفداء كان بعد انقراض امارتها بنحو مائة سنة .

ولا يهمنا نقل النصوص الخاصة بالبلدة ، وانما العبرة باللواء ، وما يمدّ هذه الامارة ، فاربل مصغرة العراق تحوي المنطقة بين الزابين ويقال لها « صوران » ، ووردت في بعض الآثار « صهران » ، وفيها الجبال المنبتة ، والأراضي الزراعية ، يحيط بها الزابان الأعلى والأدنى ودجلة والجبال ، وتعتبر كالسور لها ، بل سداً منيعاً ، وحارساً مكيناً ، وقراها لا تحصى كثرة .

ولا يكفي أن نقول انها كاملة في مناعتها ، فالقوة الفائقة لا تقاوم ، ولكنها تدافع لأمد ، حتى لقد تمكنت أن تقف في وجه كثيرين ، وقد سهل ذلك قلة مياهها ، وبعد الزابات عنها ، فتعدّ حصناً طبيعياً آخر اذا طال حصارها يضاف الى ذلك ما فيها من سور وقلعة .

جعلها الوضع الجغرافي في وسط اللواء لأسباب اقتصادية ، فهي جامعة الخيرات ، وان وجودها في المكان الذي هي فيه يسهل الحصول على منتوجاتها ، والقرب من مرافقها ، سهلها عظيم في زراعته ، تزرع جميع مواطنها حتى وهادها ، ففي

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٨

أوقات الزرع لا يشاهد سوى الأراضي المزروعة ، مياهها متدفقة ، وأمطارها غزيرة ، ونعمها وافرة . تأتيها الأثمار والفواكه من الجبال المجاورة . جمعت ما لم يجمع في غيرها وقامت بادارة امارة مدة في خلالها بذل العلم لكل طالب ، حتى صارت تضارع المدن الكبيرة في ثروتها وفي رجالها وفي حسن ادارتها . وجندها من خير الجنود قوة وشجاعة ، أعجزت الفاتحين الكثيرين ، وقهرت العتاة الجبارين

أهلها ذوو طاعة واذعان ، لا يتخلفون عن أمر ، ولم يعصوا في حياتهم لما كانت بينهم وبين الامارة من الفة ، وهم أصحاب اخلاق عالية فلم يروا ارهاقاً أو اجحافاً أيضاً ، استخدمت الامارة رؤساء العشائر الذين ضبطوا الادارة ، فلم يروا ما يعبث بالعزة والكرامة ، ولم يجد الأفراد الا رأفة وعدلاً . فكان التفاهم والعدل ورعاية الرؤساء على أتم حال . ومن ملك جيشاً كهؤلاء أمن الغوائل ، ومن تمكن من حسن الادارة اكتسب الخير والنفع والعميم . أو ملك بهم ما ملكه الأتابكة .

ويعزى سبب الخلل في الادارة الى ضعف هذه القوة وعدم المبالاة في سيرها بالحق ، ودعا التحكم ان تنفصل عن الاتابكة ، وان يقوى سلطان الدولة الأيوبية بالاتفاق معهم والاتصال بهم ، والتعويل عليهم في تهديد الأتابكة ، فاستخدموا للصالح العام بل لولا هذه الامارة لما أذعنت الأتابكة لآل أيوب .

ويفسر ظهور هذه الامارة (امارة آل بكتكين) بحسن ادارة هذه البلدة وما يتصل بها من عشائر وقرى والقبض على قيادها حتى أذعنت بالطاعة ، وانما كانت قد دبرت مواهبهم الحالة التي كان عليها الأمراء ، وأحسنت الادارة ، فلم يداخلها سوء ، ولم تعرف بمكروه ، بل اشتهرت بالسمعة المقبولة ، وعرفت بالأخلاق الفاضلة . ولذا خذلت الامارات قبلها وبعدها . واذا كانت البلدة قديمة ، فانها لم تبلغ من الشهرة ما بلغتها أيام هذه الامارة ، فلم تشبه من سبقها .

وحالة اربل بعد انقراض هذه الامارة تعين مكانتها في تلك الأيام ، فالعمل لا ينفك عن المدينة أو اللواء .

وعدها صاحب صبح الأعشى قاعدة بلاد شهرزور ولا شك ان السياسة الرشيدة والادارة القويمة من أعظم العناصر الفعالة التي اكسبتها شهرة سابقاً وخملت في هذه الأيام بل أصابتها الضربة القاسية في أيام المغول ، فدمرت غالبها ، ولم يحدث فيها تجدد من تاريخ انقراض آل بكتكين .

لم يتبدل وضعها كثيراً ، يؤيد ذلك الحال المشاهد منها ، فقد تطورت بها الحالات ، ولا تزال على ما حكاه الجغرافيون في مختلف الأزمان .

وما كانت عظمة المدينة في شاهق قصورها أو أبنيتها الضخمة ، فهذه ظواهر ، وانما تتجلى العظمة في بقعتها الصالحة ، والأنهر الوافرة ، والحالة الزراعية الملائمة ، والجبال الشاهقة ، والأراضي المنبتة وهكذا ففي هذه حياة المدينة ، وعليها قامت اربل .

كانت شهرزور في أيام آل بكتكين من مضافاتها ، وكذا كرخينا (كركوك) .

قال ياقوت : وهي قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة ، في فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق ، وهي في طرف من المدينة ، وسور المدينة ينقطع في نصفها وهي على تل عالٍ من التراب عظيم واسع الرأس . وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة . وهي شبيهة بقلعة حلب إلا انها اكبر وأوسع رقعة . وهي بين الزابين . تعدّ من أعمال الموصل ، وبينهما مسيرة يومين .

ولا تزال على وضعها هذا الا أنها لم تكن في ايام ياقوت من أعمال الموصل . وانما تابع الجغرافيين قبله . والا فانها انقطعت من الأتابكة .

* * *

ربض القلعة

وهذه اكتسبت سعة أيام مظفر الدين كوكبري ، ونالها ما نالها من عمار قال ياقوت : « وفي ربض هذه القلعة في عصرنا هذا مدينة كبيرة عريضة طويلة ، قام بعمارتها ، وبناء سورها ، وعمارة أسواقها ، وقيسارياتها الأمير مظفر الدين

كوكبري بن زين الدين كوچك علي ، فأقام بها ، وقامت بمقامه بها لها سوق ، وصار له هيبة ، وقاوم الملوك ونابذهم بشهامته وكثرة تجربته حتى هابوه ، فانحفظ بذلك أطرافه ، وقصدها الغرباء ، وقطنها كثير منهم حتى صارت مصراً كبيراً من الأمصار ، وطباع هذا الامير مختلفة متضادة ، فانه كثير الظلم ، عسوف بالرعية ، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها . وهو مع ذلك مفضل على الفقراء ، كثير الصدقات على الغرباء ، يسيّر الأموال الجمة الوافرة يستفك بها الأسارى من أيدي الكفار ... ومع سعة هذه المدينة فبنيانها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن . وا كثر أهلها أكراد قد استعربوا ، وجميع رساتيقها وفلاحيها وما ينضاف اليها أكراد . وينضم الى ولايتها عدة قلاع . وبينها وبين بغداد مسيرة سبعة أيام للقوافل . وليس حولها بستان ، ولا فيها نهر جار على وجه الأرض . وا كثر زروعها على القنّي المستنبطة تحت الأرض . وشربهم من آبارهم العذبة الطيبة المريئة التي لا فرق بين مائها وماء دجلة في العذوبة والخفة . وفواكهها تجلب من جبال تجاورها » اه[1] .

مشاهدات صاحب معجم البلدان هذه قيمة ومهمة جداً في بيان وصفها . الا ان قوله لم يجد فيها من أهل الفضل سوى ابن المستوفي يدلّ على ضعف في التحقيق . وان ياقوت لم يبصر دقائق الأمور أو ما يحتاج الى خبرة وافية في ادارة أميرها ، فبعد أن نسب اليه أعمالاً جليلة لم يلتفت الى أنه لا يشبه غيره ، وان ما ألصق به من ظلم لعله كان قد نقله من اعداء كوكبري ... والظاهر أنهم التجار وأرباب الأموال ، فيعدون القيام بأمثال هذه مما يضرّ بهم ، فحاولوا التشنيع عليه ، وانه ثقل عليهم . والرجل دوّن ما سمع ، واعتقد بصحة ما قيل .

ومن المهمّ قوله اكثر أهلها اكراد استعربوا . فهذا كان بسبب الثقافة العربية الاسلامية بلا ريب ، وكان من أهمّ ما تعرّض له ياقوت اللغة المختلطة ،

(١) معجم البلدان ج ١ ص ١٧٣

وما أدت اليه ، وهي اللغة العامية الجارية بين الأهلين والقصائد المنقولة عن (شيطان العراق) تدل على ما قامت به المدارس من خدمة .

ومثلها ما هو شائع في هذه الأيام ويعدّ كنبز بين الكرد والعرب ولا غرض فيه الا تصوير الحالة ، وبيان درجة الاختلاط في اللغة . ومن الصواب الا نلتفت الى جهة النبز بل إلى ازالة النقص ببث روح العلم . وما كتبه ياقوت عن اربل الجديدة (ربض القلعة) كان عن أيامها الأخيرة ، ونسب العمل الى مظفر الدين كوكبري . فعدّها مدينة محدثة باعتبار ما بنى بصورة موسعة جداً وإلاّ فهي موجودة قبل ذلك بمدّة . فكأنها مدينة محدثة ، وان الأصل قد أهمل أو لم يبق منه ما يعدّ قديماً . وبعد وفاة كوكبري أصابتها ضربات عظيمة ، وحدثت فيها وقائع فلّت من غربها ، وكادت تندثر لولا ان الحالة تقتضي التوسع دائماً فيعمر ما خرب ويعاد ما درس عند عودة النظام واستقرار الحالة .

مرّ بنا ذكر بعض الحوادث الى انتهاء الدولة العباسية . أما ما جرى بعد ذلك وفي العهد العثماني فقد تقلبت بها الأحوال فصارت تابعة للسليمانية مرة ، ولشهرزور اخرى او لكركوك وهكذا عدّت أحياناً من مضافات الموصل بما زاد أو نقص في نطاق نفوذها حسب ما كانت تقتضيه السياسة وادارة المملكة .

وفي مواطن عديدة من هذا اللواء يسكن بعض القبائل العربية ، وفي اربل والتون كوبري (القنطرة) يسكن بعض الترك ، وفي بعض القرى ايضاً . وغالب أسماء بعض المواطن تركية والظاهر ان الزيادة جاءتهم أيام المغول من أذربيجان والاتصال قريب . ومن قبائلها التركية المعروفة (صاره لو) . وقرى عديدة .

ومن عشائر الكرد المعروفة :

١ — خوشناو .

٢ — ديزه يي .

٣ — گردي ٠
٤ — بلباس ٠
٥ — بيشدر ٠
٦ — آكو ٠
٧ — بالكي ٠
٨ — سيان ٠
٩ — زراري ٠
١٠ — بالك ٠
١١ — ساله يي ٠

هذا ٠ وقد تكلمنا في (كتاب عشائر الكرد) في العراق بصورة موسعة ، ومن بين هذه القبائل ما يطول القول فيه ٠ فاكتفي بالإشارة ٠

خاتمة القول

وهنا ننهي كلامنا بأن هذه الامارة من أقطاع أتابكة الموصل سنة ٥٢٢ ﻫ ، فرأت منهم جفاء فمالت الى آل أيوب سنة ٥٨٠ ﻫ ، ودامت على ولاء هؤلاء حتى سنة ٦٢٧ ﻫ ، وفي أول المحرم سنة ٦٢٨ ﻫ انقادت للخلافة العباسية حتى انقرضت سنة ٦٣٠ ﻫ ، فكانت في سياستها الخارجية ، وادارتها الداخلية وحمايتها للثقافة ، وقيامها بأعمال البر قدوة ٠ انتجت جملة صالحة من جملة العلم وأرباب القلم ، فخلدت أجمل الذكريات ، والوثائق التاريخية في مطالبها كثيرة لا محل لاستقصائها وكل ما ظهرت النصوص اكثر تجلت عظمتها ٠ والأمل أن تتكامل المطالب ٠

(بغداد) عباس العزاوي

مدارس دمشق وحماماتها

دخل حديثاً في حوزة دار الكتب الظاهرية مجموع خطي يحوي ثلاث رسائل عن مدينة دمشق وهو في ستين ومئة ورقة . في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً بخط واضح جلي . أبعاد الصفحة (٢ × ١٥) احيطت كتابة كل الصفحات من جميع أطرافها بخطين احمرين على هيئة اطار بأبعاد (١٥ × ٩٫٥) وذلك عدا الصفحتين من مفتتح الرسالة الأولى والثانية فقد جدول حول اسطر صحائفها بثلاث خطوط دقيقة سوداء عليها خط عريض من الذهب .

هذا المجموع خلو من تاريخ يدل على زمن كتابته ، وورقه من الورق المستعمل بعد القرن العاشر الهجري وكتابته تشبه خطوط الموصل .

فالرسالة الأولى : تبتدئ من الورقة الأولى وتنتهي في الورقة الحادية والسبعين . وقد جاء في أولها : « وبعد فاني قد اتيت في هذه الأوراق بذكر تاريخ بناء مدينه دمشق ومعرفة من بناها ، وطرف من أخبارها مما اخذته من تاريخ مدينة دمشق للشيخ الامام الحافظ ابي القاسم علي بن هبة الله بن عساكر الدمشقي رضي الله عنه حسب ما توخيته من الاختصار ، وحذف الأسانيد من الأخبار المتعلقة بها ، وتلخيص المعنى من اللفظ الذي أورده المصنف » .

على ان المؤلف في آخرها نقل عن الذهبي والنووي وابن الأثير .

وجاء في آخر هذه الرسالة ما يلي : هذا ما وجد بخط الامام شيخ الاسلام تقي الدين ابن قاضي شهبة الشافعي تغمده الله برحمته والحمد لله وحده .

ومن هذا يظهر موضوع الرسالة الأولى واسم مؤلفها . وقيمة هذه الرسالة في الرجوع الى نصوصها لمقابلتها بما ورد منها في الجزء الأول من تاريخ ابن عساكر المطبوع والمخطوط بالظاهرية بدمشق لكثرة التصحيف فيهما .

مؤلف هذه الرسالة : هو تقي الدين ابو بكر بن احمد بن محمد بن عبد الوهاب الاسدي الشهبي الدمشقي · فقيه ومؤرخ ، له تاريخ كبير ابتدأ فيه من سنة مئتين الى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وله تاريخ آخر جعله ذيلاً على تواريخ : الذهبي ، والبرزالي ، وابن رافع ، وابن كثير ، ابتدأه من سنة احدى واربعين وسبعمائة وانهى به في سنة نيف وعشرين وثمانمائة · وهو في ثمان مجلدات · اختصره في مجلدين ، ثم اختصره في مجلد واحد وكتب حوادث زمانه الى يوم وفاته — اكثر من النقل عنه النعيمي في تنبيه الطالب تارة بقوله : قال ابن قاضي شهبة ، وأخرى بقوله : قال الأسدي · فهما لقبان لشخص واحد — ومن مؤلفاته طبقات للشافعية ، وأخرى للحنفية ، والمنتقى من نخبة الدهر في عجائب البر والبحر والمنتقى من تاريخ ابن عساكر — ولعله هذه الرسالة ، او ان له انتقاء آخر منه — والمنتقى من تاريخ الاسكندرية للنويري ، والمنتقى من الأنساب للسمعاني توفي سنة (٨٥١)[١] ·

* * *

الرسالة الثانية : تبتدئ من الورقة (٧٣) وتنتهي في نصف الوجه الأول ، من الورقة (١٤٥) ويفصل بينها وبين الرسالة الأولى ورقة بيضاء · وقد جاء في أول صفحة منها :

« كتاب فيه جزء من فضائل الشام ودمشق[٢] * وذكر ما فيها من الأمارات والبقاع الشريفة تأليف * ابي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي رواية ابي الحسن * علي بن احمد بن زهير التميمي المالكي رواية ابي الفضائل * ناصر بن محمود القرشي رواية سديد الدين ابي محمد * هبة الله بن الخضر بن طاوس عنه سماع * عبد الله بن عبد الغني المقدسي * وابنه ابي محمد الحسن بن عبد الله بن * عبد الغني رحمة الله تعالى * عليهم اجمعين * بمحمد * وآله * آمين ·

(١) الضوء اللامع ، وشذرات الذهب · (٢) جاءت في الأصل على شكل مثلث ولذلك جعلنا النجمة علامة لكل سطر منه ·

وفي الورقة الثانية منها : حدثنا الشيخ ابو الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي بدمشق حرسها الله في المسجد الجامع سنة خمس وثلاثين واربع مئة .

وقيمة هذا الكتاب غير قليلة باعتباره مصدراً من مصادر تاريخ ابن عساكر رغم انه يحتوي كالرسالة الأولى على قسم كبير من الأحاديث المنحولة .

مؤلف هذه الرسالة : ترجمه ابن عساكر في ج (١٢) ورقة (٢٥٧) وجه (٢) من تاريخه مخطوطة الظاهرية وقال عنه : علي بن محمد بن صافي بن شجاع ابن محمد بن هارون ابو الحسن الربعي المعروف بابن ابي الهول . ونقل انه كان يزوّر سماعات يلصقها على الكتب لأجل ان يحدث بها فهو كذاب أو كأنه ، توفي سنة (٤٤٤) او (٤٤٣) .

* * *

الرسالة الثالثة : تبتدئ من نصف الوجه الأول من الورقة (١٤٥) وتنتهي في آخر الوجه الأول من الورقة (١٦٠) وقد جاء في أول صفحة منها :

جزء يشتمل من محاسن دمشق على عدد * مدارسها وربطها ودور الحديث * النبوي بها وعدد جوامعها ودور * القرآن وعدد حماماتها جمعه * لنفسه الحسن بن احمد بن زفر الاربلي * الشافعي المتطبب عفا الله عنه .

وهذه الرسالة هي خير ما في هذا المجموع ، فقد تضمنت تدنيناً جميلاً لمدارس دمشق ، صنفت فيها الى ستة فصول :

« **فصل اول** » في عدد مدارس دمشق ، وحصرها المؤلف في احدى وتسعين مدرسة . ثم قسمها الى : مدارس الشافعية ، مدارس الحنفية ، مدارس الحنابلة ، مدارس المالكية ، مدارس الطب .

« **فصل ثان** » في دور الحديث النبوي .

« **فصل ثالث** » في دور القرآن .

« **فصل رابع** » في عدد الخوانك ، وضمنه بحثاً عن الربط ، وعرف الربط بانها الخوانك التي تختص بالنساء .

« **فصل خامس** » في عدد جوامع دمشق وحواضرها وما اتصل بحواضرها .

« **فصل سادس** » في عدد حمامات دمشق ، ما هو من داخلها ، وفي حواضرها ، ومتصل بحواضرها .

وكل هـذه التصنيفات مقسمة الى قسمين : ما هو داخل سور دمشق ، وما هو خارج عنها .

واول من صنف في الكلام على مدارس دمشق فيما نعلم هو عز الدين ابن شداد فقد ضمن كتابه « الاعلاق الخطيرة » فصلاً قيماً عن مدارس دمشق وتصنيف انواعها كان أساساً ودستوراً لمن ألف في هذا الموضوع من بعده ، كما ضمنه أيضاً فصلاً لمساجدها ، وآخر لحماماتها وزياراتها وغير ذلك من مصانعها وأبنيتهـا ، وقد فعل مثل ذلك ببقية المدن الشامية كحمص وحماة وحلب وبعض بلدان الجزيرة الفراتية .

على ان اشهر كتاب في هذا الموضوع هو « تنبيه الطالب » للنعيمي فقد تداولته أيدي الناس واختصر عدة اختصارات تداولتها الأيدي أيضاً . وقد جعل دستوره في هذا الموضوع ما كتبه ابن شداد في الأعلاق الخطيرة فزاد عليها تراجم المنشئين لها والمدرسين فيها واستدرك على ابن شداد من المدارس ما بني بعد عصره .

ورسالتنا هذه التي صنفها الاربلي المتوفى سنة (٧٢٦) هي حلقة وسطى بين ما كتبه ابن شداد المتوفى سنة (٦٨٤) وما كتبه النعيمي المتوفى سنة (٩٢٧) فهي ترشدنا الى ان فكرة التأليف في مدارس دمشق كانت موطدة الأركان

قبل النعيمي صاحب تنبيه الطالب ، وقبل احمد بن حجي[1] صاحب كتاب « الدارس من أخبار المدارس » . كما انها ترشدنا الى ان هذه المصانع لم تكن مهملة الشأن بل كانت مسجلة في سجلات رسمية كما نقل الاربلي ص (٢٤٥) احصاء الخوانك والربط من جريدة الشيخ عبد الله غلام شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حمويه .

ومشيخة الشيوخ : وظيفة موضوعها التحدث على جميع الخوانك والفقراء التي تكون في بلدة شيخ الشيوخ والعادة في دمشق ان يتولاها من يكون شيخ الخانقاه السميساطية[2] . ولا شك بأنه كان لدى صاحب هذه الوظيفة سجلات وجرائد تحوي اسماءها واسماء النازلين بها ومبلغ المال المنفق على كل خانكاه كل يوم وما الى ذلك .

وبمقابل ذلك فقد يجب ان يكون للمدارس على اختلاف انواعها سجلات عند قاضي القضاة وناظر الأوقاف وشادها . ومن الجائز ان يكون الاربلي مؤلف هذه الرسالة لجأ الى هذه السجلات في المدارس كما لجأ اليها في الخوانك والربط .

ويزيد في قيمة هذه الرسالة الاعتبارات التي اعتبرها المؤلف فالنعيمي والعلموي ، يعتبران المدرسة العمرية مثلاً في مدارس الفقه الحنبلي ، ولكن الاربلي يعتبرها مثلها ص (٢٤٣) ويعتبرها أيضاً دار قرآن ص (٢٤٥) . ويؤيد ما ذهب اليه الاربلي شهادة ابن بطوطة فهو يقول في رحلته عن الصالحية : وبها مدرسة تعرف بمدرسة ابي عمر ، موقوفة على من اراد ان يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول ، وتجري لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المآكل والملابس[3] .

وقد يكرر الاربلي ذكر المدرسة مرتين كالعزّيّة البرانية ، ذكرها مرة مع المدارس الحنفية ومرة ثانية في دور الحديث . وهو في ذلك يرشد الى ان هذه المدرسة كان لها فرعان : فرع للفقه الحنفي ، وفرع للحديث .

---

(١) توفي سنة (٨١٦) راجع ترجمته في الضوء اللامع ، وشذرات الذهب .

(٢) راجع صبح الأعشى ٤/ ١٩٣ (٣) مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٨٠

وقد يسمي المدرسة باسم يختلف عن تسمية النعيمي كالمدرسة الكردية ص (٢٤٣) التي سماها النعيمي المجاهدية نسبة الى مجاهد الدين بزان بن مامين الكردي .

كما انه يثبت مدارس لم يمر علينا اسمها كمدرسة ابن سنى الدولة ص (٢٤٣) الى غير ذلك من الفوائد الدقيقة التي توجد فيها .

ولا أعرف أحداً نقل عن هذه الرسالة الا ابن عبد الهادي في كتابه «عدة الملمات في تعداد الحمامات» فقد نقل عنها ولقب مؤلفها بأبي علي الاربلي .

وان ماتقدم من مميزاتها حدا بي الى نشرها ، فجعلت لجميع ما أحصاه أرقاماً ليتضح احصاؤها على الصحة لأن بعض ما أثبته المؤلف من الأسماء يختلف عما أحصاه عدداً ، وعلقت على الحمامات بما اطلعت عليه من النصوص المتعلقة بها ، وتركت التعليق على المدارس والخوانق والجوامع ـ الا ما لا بد منه ـ لوجود المصادر التي توسعت في الكلام عليها كتنبيه الطالب للنعيمي المخطوط ، وكخطط الشام ، ومختصر تنبيه الطالب للعلموي المطبوعين . وقد تصرفت تصرفاً قليلاً في بعض الكلمات فأثبتها في النص بما رأيته صواباً ونبهت في التعليقات على نص الأصل .

وهناك أشياء أخر اكتفي بالتنبيه اليها هنا وهي الأعداد فانها في الأصل غير مطابقة للقواعد العربية مثل :

ثلاثة مدارس ، وخمسة وثلاثون مدرسة

وعشرة 〃 ، وثلاثة وأربعون 〃 ، وأمثالها

فمشينا مع القاعدة فأثبتناها ثلاث مدارس وخمس وعشر مدارس خلافاً للأصل .

* * *

مؤلف هذه الرسالة : لم يحوجنا كثيراً الى التنقيب عنه . فهو قد عرض علينا شخصيته في أول رسالته ، فقال : يقول الحسن بن احمد بن زفر الاربلي الشافعي المتطبب اني حين وردت دمشق المحروسة وطال مقامي بها شاهدت بلداً

كثير المحاسن الخ . فأفادنا اسمه واسم أبيه وبلدته ومذهبه وصناعته ، وعرفنا العصر الذي عاش فيه فقال عن دار الحديث السكرية : وهي سكن الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، اعاد الله علينا من بركاته ، وعن الرباط القلانسي : تم بناؤه والفراغ منه في آخر سنة عشرين وسبعمائة ، وعن جامع الصاحب بالقماطلة : انه تم بناؤه سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وعن جامع تنكز : أن بناءه تم في مثل هذا التاريخ ، وعن جامع كريم الدين : تم بناؤه سنة احدى وعشرين وسبعمائة ، وعن حمام درب الحجر : جدد سنة احدى وعشرين وسبعمائه ، وعن حمام تنكز : مثل هذا التاريخ ، وعن حمام انشأه الأمير ايلجي بغا سنة عشرين وسبعمائه ، وعن حمام الامير ابن صبح : تم سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وهذا يدلنا على العصر الذي كان فيه لأنه لم يؤرخ لشيء من المدارس والجوامع والحمامات على كثرة ماعدّده الا ما كان معاصراً لزمنه . كما يدل انه شاهد في دمشق نهضة عمرانية أثرت في نفسه .

نشأته : لا نعلم عن نشأته الا ما حدث الحافظ الذهبي انه سمعه يقول : خلف لي ابي مالاً فأنفقته في الشهوات حتى أتلفته ، ففتشت ورقة فوجدتها وثيقة على فلاح بغرارة شعير ، فأخذت له هدية بشيء يسير وتوجهت فأعطيتها لامرأته ، فقالت لي هو في الحرث ، فتمشيت اليه فكلمته ، واذا في رأس السكة في المحراث شيء مدور وقع ، فأخذته فأجدها برنية [1] صغيرة ثقيلة ملفوفة ، فقلت له انا اسبقك الى البيت ، ثم ابعدت ففتحتها فاذا فيها سبعون ديناراً ، فبت عنده وحاللته وسرت الى المدينة ومشى الحال بعد ذلك [2]

ويقول ابن العماد : انه سافر وتغرب ودخل الى بلاد العجم واشتغل بالطب [3] .

(١) اناء من خزف . قاموس (٢) الدرر الكامنة (٢ : ١١)
(٣) شذرات الذهب (٦ : ٧٢)

الاربلي في دمشق : يظهر مما جاء في مقدمة رسالته من قوله : اني حين وردت دمشق المحروسة ، وطال مقامي بها ، شاهدت بلداً كثير المحاسن ، كامل الأوصاف ، قريباً من الاعتدال الخ انه أقام في دمشق مدة طويلة وأنه أحبها وألف هذه الرسالة شاهداً على شدة حبه لها ، وقال عن جامع الصاحب بالقماطلة انه تم بناؤه سنة (٧١٨) ، واذ ثبت ان المؤلف توفي في دمشق سنة (٧٢٦) نجزم انه اقام في دمشق مدة لا تقل عن ثمان سنين كان فيها مشتغلاً بالعلم يستفيد ويفيد ، فالذهبي يقول عنه ، سمع معنا الكثير وحصل أثبات سماعاته ، وألف كتباً وتاريخاً وسيرة نبوية [1] ، ولكن كيف كانت حياته في دمشق ؟

إن ما يفيده كلام المؤرخين أنه كان يعيش عيشة زهد وتقشف يسكن منزلاً من منازل الصوفية هو دويرة حمد [2] . وهي خانكاه من خوانكهم ذكرها المؤلف في هذه الرسالة ص (٢٤٦) ويذكر الدكتور احمد عيسى انه كان مقيماً بدويرة حمد صوفياً بها وهو مرتب في مدرسة الطب وأذن له في المعالجة فلم يفعل [3] ومن هذا يظهر زهده وقناعته ، فهو قانع بمرتب طالب يتقاضاه من ناحيتين

(١) الدرر الكامنة (٢ : ١١) .

(٢) البداية والنهاية ١٢٥:١٦ الدرر الكامنة ١١:٢ شذرات الذهب ١٢:٦ معجم الاطباء ١٦٠ ويذكر النعيمي ان هذه الخانكاه كانت في درب السلسلة بباب البريد ، واذا كان درب السلسلة هو الدرب الذي يؤدي الى قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي حيث يوجد في آخر هذا الدرب حمام لا يزال يدعى بحمام السلسلة ترجح لدينا أن يكون محل هذه الدويرة في الطريق الآخذ الى المدرسة العادلية والظاهرية من جهة باب البريد . وتعد هذه الدويرة أقدم مدارس دمشق وخوانكها فنشئها توفي سنة ٦٠١ فتكون أقدم من السميساطية المتوفى منشئها سنة ٦٥٣ ومن الصادرية المنشأة سنة ٦٩١ وقد ترجم النعيمي لعدة علماء ممن تولوا مشيختها أو نزلوا فيها ومن جملتهم مؤلف هذه الرسالة الحسن الاربلي نقل ترجمته عن ابن كثير .

(٣) معجم الأطباء ص ١٦٠ نقل ذلك عن ابن كثير وشذرات الذهب وليست هذه العبارة موجودة في النسخ المطبوعة منها ولا في تنبيه الطالب الذي نقل نص ابن كثير ولعل الدكتور نقل هذا النص من نسخة خطية من تاريخ ابن كثير فيها هذه الزيادة .

من دويرة حمد صوفياً ، ومن مدرسة طب طالباً ، وانه لم يتعاط هذه المهنة مع ما كانت تدر من المال الجزيل ورغماً عن زهده هذا وعن ثناء العلماء عليه وتوثيقه فانه لم يسلم من لسان الذهبي الذي كان حانقاً على الفلسفة والفلاسفة فبعد ان يقول عنه : سمع معنا الكثير وكان صادقاً ـ يقول ـ ولكن كان مظلما في دينه ونحلته متفلسفاً ، وغالب تاريخه تراجم شعراء ومعها تراجم غريبة تدل على فضله [١] .

ومن شعره [٢] :

واذا المسافر آب مثلي [٣] مفلساً صفر اليدين من الذي رجاه
وخلا عن الشيء الذي يهديه لـ لاخوان عند لقائهم اياه
لم يفرحوا بقدومه وتثقلوا بوروده وتكرهوا لقياه
واذا أتاهم قادماً بهدية كان السرور بقدر ما أهداه

توفي المترجم بالمارستان الصغير [٤] سنة (٧٢٦) ودفن بباب الصغير عن ثلاث وستين [٥] سنة .

١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ محمد أحمد دهمان
٣ نيسان ١٩٤٧

وهذا مطلع الرسالة :

---

(١) الدرر الكامنة (٢) شذرات الذهب (٣) أورده الدكتور أحمد عيسى هكذا :
واذا المسافر آب مقلى مفلسا
(٤) ويسمى المارستان الدقاقي ومحله كان قبلي بيوت الطهارة التي على باب الجامع الاموي الغربي
(٥) هكذا في تاريخ ابن كثير المطبوع وتنبيه الطالب نقلاً عن ابن كثير أيضاً .
وفي معجم الأطباء نقلاً عن ابن كثير : عن ثلاث وسبعين ، وهو مخالف لما في تاريخ ابن كثير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد وآله الطاهرين ، وصحبه المنتخبين .

يقول الحسن بن احمد بن زفر الاربلي الشافعي المتطبب : اني حين وردت دمشق المحروسة ، وطال مقامي بها ، شاهدت بلداً كثير المحاسن ، كامل الأوصاف ، قريباً من الاعتدال ، يجد الانسان كل ما يحتاج اليه في انتظام مصالحه ، لسهولة موجوده

ثم رأيت لدمشق خصائص كثيرة : منها حسن تقسيم المياه حتى يدخل بنفسه الى دورهم وحماماتهم وسقاياتهم ، ومنها دوام سائر الفواكه الطيبة ، واستمرارها طول السنة ، وكذلك مشمومها ومحمضاتها كالنارنج والاترنج والليمون والكباد ، وهو نوع من الاترنج ، لا ينقطع وجودها من دمشق صيفاً ولا شتاء .

ورأيت من محاسنها حسن عمائرها ، وبساتينها و كثرة مدارسها وحماماتها ، فاستخرت الله تعالى ، وجمعت جزءاً يشتمل على مدارسها ، وعلى دور الحديث النبوي بها ، وعلى خوانكها ، وربطها ، وجوامعها ، وعدد حماماتها .

واعرضت عما سوى ذلك ، فاني لو جمعته كان يستدعي مجلداً كبيراً أو مجلدات وهذا القدر الذي اريد ان اذكره في هذا الجزء من محاسن دمشق كاف في المقصود ، لأن به يستدل على باقي محاسنها ، وبه يعرف كمال شرفها ، وهذا حين الابتداء بالمقصود .

فصل اول

في ذكر عدد مدارس دمشق وعدتها احدى وتسعون[1] مدرسة

(١) في الأصل : تسعين

تفصيلها

(١) مدرسة العادلية الكبيرة (٢) العادلية الصغيرة (٣) الظاهرية (٤) البادرائية[١] (٥) القيمرية (٦) الامينية[٢] (٧) الناصرية (٨) المسرورية (٩) الاقبالية (١٠) الجاروخية (١١) التقوية (١٢) العزيزية (١٣) المجاهدية (١٤) الرواحية[٣] (١٥) الفلكية (١٦) الركنية (١٧) المذراوية (١٨) العصرونية (١٩) الشامية الجوانية (٢٠) الاكزية (٢١) الطيبة (٢٢) الصلاحية (٢٣) الكردية[٤] (٢٤) الطبرية (٢٥) السامرية[٥] (٢٦) العمادية (٢٧) الدماغية (٢٨) النجيبية (٢٩) القليجية (٣٠) الفتحية (٣١) الرواحية .

وفي الجامع الأموي ثلاث مدارس وهي : (٣٢) المدرسة الغزالية (٣٣) والقوصية (٣٤) والكلاسة .

فهذه جملة عدد مدارس الشافعية التي هي داخل مدينة دمشق وهي خمس وثلاثون مدرسة .

ولهم خارج دمشق ثمان مدارس وهي : (٣٥) المدرسة الأتابكية (٣٦) الشامية البرانية (٣٧) الظاهرية (٣٨) الفرخشاهية (٣٩) الاسدية (٤٠) البهنسية (٤١) مدرسة ابن سناء الدولة (٤٢) مدرسة السبع مجانين .

آخر عدد مدارس الشافعية ، ومبلغها ثلاث وأربعون مدرسة .

* * *

ذكر عدد مدارس الطائفة الحنفية

وجملتها احدى وثلاثون . داخل دمشق منها احدى وعشرون مدرسة وهي : (١) مدرسة الظاهرية (٢) والنورية (٣) والصادرية (٤) والبلخية (٥) و القليجية

---

(١) في الأصل : الباذرايية والصواب ما أثبتناه لأن منشئها نجم الدين البادرائي منسوب الى بادرايا قرية من عمل واسط .

(٢) في الأصل : الأمينية .

(٣) في الأصل : الدواحية .

(٤) المراد بالكردية : المجاهدية .

(٥) في الأصل : الصامرية .

(٦) والخاتونية (٧) والريحانية (٨) والجوهرية (٩) والقيمازية (١٠) والطرخانية (١١) ومدرسة القلعة (١٢) والعزية (١٣) والعذراوية (١٤) والمعينية (١٥) والدماغية (١٦) [و] المقدمية (١٧) والشبلية (١٨) والاقبالية (١٩) والفتحية (٢٠) ومدرسة القصاعين

ولهم بالجامع الاموي مدرسة واحدة وتعرف (٢١) بزواية الحلبيين [١].

ولهم خارج دمشق عشر مدارس وهي (٢٢) المدرسة الزنجارية [٢] (٢٣) والمعظمية (٢٤) والمرشدية (٢٥) والشبلية (٢٦) والفرخشاهية (٢٧) والعزية (٢٨) والخاتونية (٢٩) والركنية (٣٠) والعلمية [٣] (٣١) والماردانية.

آخر مدارس الحنفية

* * *

ذكر عدد مدارس الطائفة الحنبلية

وجملتها عشر مدارس. من ذلك داخل دمشق ست مدارس وهي:

(١) المدرسة الحنبلية (٢) والجوزية (٣) والمسمارية (٤) والصدرية.

ولهم بالجامع الاموي مدرستان: وهما (٥) حلقة الاوزاعي [٤] (٦) وحلقة المحراب [٥]

ولهم خارج دمشق بجبل الصالحية خاصة اربع مدارس. وهي: (٧) دار الحديث الأشرفية (٨) والصاحبية (٩) والضيائية (١٠) ومدرسة الشيخ ابي عمر رحمه الله

آخر مدارس الحنابلة.

---

(١) في الأصل: الحلبين.

(٢) في الأصل: الزنجالية، وفي مختصر تنبيه الطالب للعلموي: الزنجارية، ويقال لها الزنجيلية

(٣) في الأصل الدالمية، والصواب ما أثبتناه لأنها منسوبة الى علم الدين سنجر المعظمي.

(٤) في شذرات الذهب حوادث سنة ٣٤٧ وفيها توفي القاضي أبو الحسن بن خرام ... وهو آخر من كانت له حلقة بجامع دمشق يدرس فيها مذهب الأوزاعي ويقول النعيمي في تنبيه الطالب (٢ : ٣١١) مخطوطة المجمع العلمي: وجدت بخط الشيخ تقي الدين الاسدي في تعداد مدارس الحنابلة: للحنفية والحنابلة حلقة الاوزاعي، وللحنابلة حلقة السفينة وحلقة المحراب.

(٥) أي محراب الحنابلة

ذكر مدارس الطائفة المالكية

وهي اربع مدارس ، وكلها داخل دمشق وهي : (١) المدرسة النورية (٢) والشرابيشية [١] (٣) والصمصامية ·

ولهم بالجامع الاموي واحدة وتسمى (٤) حلقة السفينة [٢] ·

* * *

ذكر عدد مدارس الاطباء

الموقوفة على المشتغلين بعلم الطب خاصة وهي ثلاث مدارس ، منها مدرستان داخل دمشق وهما (١) المدرسة الدخوارية ، والمدرسة الدُنيسرية ، ومدرسة واحدة خارج دمشق وهي المدرسة اللبودية ·

آخر مدارس الأطباء ·

* * *

فجملة عدد المدارس المذكورة المفصلة ههنا احدى وتسعون مدرسة تفصيلها

المدارس الشافعية ثلاث واربعون مدرسة ·

المدارس الحنفية احدى وثلاثون ·

المدارس الحنبلية عشر مدارس ·

المدارس المالكية اربع مدارس ·

[مدارس] الأطباء ثلاث ·

فصل ثان

في عدد دور الحديث النبوي وجملتها اثنان وعشرون داراً

منها داخل دمشق ست عشرة داراً وهي : (١) دار الحديث الأشرفيـة

(١) في الأصل : والشرابية (٢) تقدم نص النعيمي عنها والعلموي عدها مدرسة حنفية ، وذكرا أن للمالكية زاوية في الجامع الأموي ملاصقة للمقصورة الحنفية من غربي الجامع

(٢) والنورية (٣) والظاهرية (٤) وتربة أم الصالح (٥) والنفيسية (٦) والقوصية (٧) ومشهد عروة (٨) والكروسية (٩) ومقصورة المالكية ، وتعرف بمقصورة الخضر [١] أيضاً (١٠) والفاضلية (١١) وقراءة حديث بالمدرسة الناصرية (١٢) والصدرية الحنبليه (١٣) والقليجية [٢] الحنفية (١٤) والشقيشقية (١٥) والدوادارية العلمية (١٦) ودارالحديث السكرية وهي سكن الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، اعاد الله علينا من بركاته .

ودور الحديث التي في خارج دمشق ست هي : (١٧) دار الحديث العزية بشرف [٣] الميدان .

وبجبل الصالحية خمسة وهي : (١٨) دار الحديث الأشرفية (١٩) والضيائية (٢٠) والعالمة (٢١) والسراجية (٢٢) واليغمورية .

فصل ثالث

في عدد دور القرآن بدمشق

وهما داران : داخل دمشق (١) مدرسة ابن المنجا [٤] (٢) وبجبل قاسيون مدرسة الشيخ ابي عمر .

فصل رابع

في ذكر عدد الخوانك التي بدمشق للرجال والنساء

اخبرني الشيخ عبد الله غلام شيخ الشيوخ صدرالدين ابن حموية من جريدته فقال: عدة الخوانك والربط التي بدمشق اربع واربعون ما بين خانقاه ورباط .

منها داخل دمشق اثنا عشر خانكاه [آ] (١) الخانكاه السميساطية [٥]

---

(١) مكانها موضع محراب الحنابلة اليوم وهي غير مقصورة المالكية (٢) في الاصل : القليجة (٣) في الأصل : بسوق الميدان والمراد بالشرف الشمالي ، والعزية هي التي تقابل مدرسة التجهيز الأولى من جهة القبلة ، والمراد بالميدان ميدان المرجة (٤) هي دار القرآن الوجيهية منسوبة للشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان المنجا المتوفى سنة (٧٠١) راجع دور القرآن في دمشق للنعيمي ص (٥٠) ومختصره للعلموي ص (٨) (٥) في الأصل : السمياطية

(٢) الأندلسية (٣) الشهابية (٤) النجمية (٥) الصلاحية (٦) دويرة حمد [١] (٧) الجدية (٨) الثوبانية (٩) الاسدية (١٠) رباط الشيخ ابي البيان .

ومنها خارج دمشق اثنا عشر خانكاه[؟] وهي (١١) خانكاه خاتون (١٢) المجاهدية (١٣) وخانكاه الطاحون (١٤) النجيبية (١٥) الحسامية (١٦) الطواويس (١٧) قصر شمس الملوك (١٨) الشقارية [٢] بالنيرب (١٩) المقدمية (٢٠) والشبلية (٢١) مسجد ابي صالح (٢٢) خانكاه الناصرية . قال :

وعدد الربط وهي الخوانك التي تختص بالنساء عشرون رباطاً .

منها داخل دمشق خمسة عشر رباطاً وهي : (٢٣) رباط الحبشية (٢٤) ورباط الفرز خليل (٢٥) ورباط جاروخ (٢٦) ورباط اسد الدين (٢٧) ورباط الست عذرا (٢٨) ورباط الركن الفلكي (٢٩) ورباط بلدق (٣٠) رباط الأسا كفة (٣١) ورباط الحواجبية (٣٢) ورباط صارم الدين المطروحي (٣٣) ورباط جمال الدين المطروحي (٣٤) ورباط النجارين (٣٥) ورباط باب الجابية (٣٦) ورباط السقلاطوني (٣٧) ورباط البغدادية

ومنها خارج دمشق خمس ربط وهي : (٣٨) رباط المزة المعروف بالحواجبية (٣٩) ورباط اسد الدين (٤٠) ورباط ابن سويد بالصالحية (٤١) ورباط الحبقيق (٤٢) ورباط فيروز .

آخر عدد الخوانك والربط

يقول الحسني جامع هذا الجزء : وقد انشأ الصاحب عز الدين حمزة المعروف بابن القلانسي (٤٣) رباطاً بجبل الصالحية قريباً من حمام الزهور ، وتم بناؤه والفراغ منه في آخر سنة عشرين وسبعمائة . فصارت عدة الربط والخوانك مع هذا الرباط خمساً واربعين .

يتبع :

---

(١) هي التي كان يسكنها المؤلف (٢) كذا في الاصل : وهي التي باق منها بعض قبة في بستان المأذنة قرب الربوة ولا يزال فيها حجر نقش عليه اسم الشقاري فوق السين ثلاث نقط ولكن القاف مهملة من النقط والذي في تنبيه الطالب وشذرات الذهب : السفاري

العامي والفصيح[1]

— ٦ —

تابع لما نشر ج ٢٠ ص ٤٢٣

دابك على دابه

د اب — وقالت العامة دَابَكْ على دَابُهْ ودِرْدابك على دِرْدابه بمعنىً واحد أي عادتك جارية على وفق عادته وأنت ماضٍ في تتبع حالاته

وفي اللغة الدَأب بالهمز العادة وتركُ الهمزِ لغة يقالُ فيها دابَ يدوب دَوْباً كما يقولون دأب يَدأب دأباً وهو الدَيْدبُون والدَّيدن قال الفراء أصله دأبت الاَّ ان العرب حوّلت معناه الى الشأن فهو مجاز كما في الأساس والدأب أصله في كلام العرب، هو الدؤوب اي الاجتهاد في السير

وأما الدِرْداب فهو محرّف من الديدب ابدلوا الياء راءً ومدُّوا حركةَ الدال الثانية فولدت الفاً كما قالوا في تبيهس تبهرس اذا تبختر وربما يقال ان اصله من الدُرْبة وهي العادة • دَرب في الأمر دُربة اذا اعتاده وهي الدُرابة أيضاً وتدرّب اعتاد •

د ب ب دَبَّه — وقالوا دَبَّهُ اذا رماه من علو الى سفل أو ألقاه على الأرض دَفْعاً وهي إما من ذبَّ عنه اذا دفع ومنع والذبُّ في اللغة كما جاء في لسان العرب الدفع والمنع والطرد ذبّ عنه يذب ذَبّاً اذا دفع ومنع وقال في موضع آخر وذبّ الذباب وذبَّبه نحّاه ولا يزالون في العراق يقولون ذَبّه بمعنى القاه أو يقال هو من تبّهُ بمعنى أهلكه وعذّبه وهذا الوجه هو ظاهر الكلفة •

د ب س الدبُّوس — الدَبُّوس بفتح أوله واحد الدبابيس هكذا تلفظه العامة وهي المقامع من حديد وغيره عن أئمة اللغة وكأنه معرب دبوز قال في التاج والصواب ان يكون مفرده (دُبوس) بالضم كذا ضبطه غير واحد •

(١) كتابي « رد العامي الى الفصيح » •

ثم استعير لما يُخرم ويُجمع به الورق والثياب وهو ابرة موضع خرتتها كرة تمنع انفلاتها ثم عم لكل ما يخرم به الورق والثياب ولو لم يكن ذا كرة وبه سمي ما يجمع به الشعر ويُحفظ نظامه دبوساً . وهذا في اللغة يسمى العقاص وفسروه كما جاء في التاج نقلاً عن بعضهم بأنه مثل الشوكة تصلح به المرأة شعرها وهو في الأصل خيط تشدّ به أطراف الذوائب .

د ب ش الدبش — الدَبْشُ عند العامة (بالفتح) رذال الحجارة وأسقاطها وفي اللغة الدَبَش (محركة) سقط المتاع من أثاث البيت ، وربما كان محرفاً عن الجماش وهو ما يوضع بين الطي والجال في البئر ويكون غالباً من هذه الحجارة (راجع ج م ش)

وتقول العامة دَبَش الحائط اذا وضع وراء الساف (المدماك) من هذا الدبش ليقوّيه ويقوّي دعمه كما يوضع جماش البئر

ويقولون دَبَّش له وكلامُه دَباشيّ اذا كلّمه بكلام جاف غليظ وهو مأخوذ من الدبش هذا .

د ب ق الدبِق دَبِق عليه — وتقول العامة دبق على الشيء اذا لزمه ولصق به وفي اللغة الدبِق بالكسر والدابوق عن الفراء والدبوقاء (من كتاب سيبويه) غراء يصاد به الطير وقال الفراء هو حمل شجرة في جوفه كالغراء يلزق بجناح الطير . ودابَقه ودبَّقه اصطاده بالدبق فتدبق ودبّق في عيشته لصق

فاستعمال العامة صحيح فصيح .

د ب ك الدَبْكة — ويقولون دَبَك اذا رقص الدَبكة وهي ضرب من الرقص الريفي فيه خطو متقارب ثم يضرب الراقص برجله الأرض ويقفز الى غير موقفه الأول وهكذا حتى يتم دورة الحلقة .

وأحسب انها من دَرْبَك لغة في كَرْبَد قال صاحب التاج في مادة ك ر ب د كربد في عدوه جدَّ فيه وأسرع وقارب الخطو كدَرْبَك . فكأن الذي

جاء في هذا المعنى لغتان كربد ودربك والعامة اخذت باللغة الثانية وحولت الراء باء ثم ادغمتها في اختها . وتعاقبُ الراء والباء له مثيل في الفصحى فقد جاء الأصحر والأصحب لذي اللون الضارب الى الحمرة وقالوا نقر البيضة عن الفرخ ونقبها .

د ب ل الدَبلَة — ويقول العامي لمن يغتاظ من عمله ويجلب عليه الهم دَبّلتني يا فلان ورَبَّيت الدَبلة على قلبي وأنا مدبول منك . ويعرفون الدبلة بأنها داء في الجوف ينشأ من الهم

والدَبلة في اللغة خُراج في الجوف والدبال قروح تثقب الجوف وهي الدُبلة والدُبيلة بالتصغير كما في القاموس مأخوذة من الاجتماع لأنه فساد مجتمع يقوله صاحب التاج

دوبل — ويقولون دَوْبَل اذا أطرق برأسه الى الأرض والاسم عندهم الدَوْبله ويراد بها أنه تشبه بالدَوْبل وهو الخنزير لأن من عادة الخنزير ان يطأطئ برأسه الى الأرض دائماً .

د ج د ج دجدَج . تشتش — وقالت العامة دجْدَج لحمه وتَشْتَش اذا كثر واسترخى وتشتش الوَرَمُ اذا رَبا وانتفخ في استرخاء فاذا قالوا تشّ الورم فانهم يعنون به انه ذهب وفشّ

أما اصل دَجْدَج فهو في ما أرى تجنج على البدلية اذا صح قول الجوهري بأن معناه كثر لحمه واسترخى ولكن صاحب القاموس خطّأ الجوهري وقال إنما هو تجبج بالباء الموحدة وردّ صاحب التاج على القاموس بأن الذي ردّ به (على الجوهري) هو قول الهروي .

نقول ان اصلها بجبج تجنباً للخلاف المذكور واما الابدال بين النون والدال فهو وارد في الفصيح كما في قولهم مَرَن على العمل ومَرَد عليه . والدال والباء أيضاً يتعاقبان مثل قولهم زبَّد شدقه وزبَّب اذا تكلم فظهر الزبد عليه ووصب بالمكان ووصد اذا أقام وثبت .

د ح د ل دحدله — وقالوا دحْدَله اذا دحرجه أو لفَّه كالأسطوانة وألقاه على الأرض وهو في اللغة دحدره بالراء (راجع ح د ل) ·

د ح س الداحس والدوحاس — الداحس والدوحاس عند العامة بثرة أو قرحة في الاصبع أو اليد ترم وتؤلم والفعل منها عندهم دَوْحَست الاصبع أي أصابها الدوحاس وهو في اللغة الداحس والداحوس كذا في التاج وسئل الأزهري عن الداحس فقال هو بثرة تظهر بين الظفر واللحم فينقلع منها الظفر ورواية اللسان «فقال قرحة تخرج باليد تسمى بالفارسية بَرْوَرَة» · وقال الزمخشري في الأساس «مابي داحس · وهو تشعث الاصبع وسقوط الظفر قال مُزَرِّد :

تشاخت ابهاماك ان كنت كاذباً ولا بَرِئا من داحس وكُناع[1]

أقول وقد اختلفت الرواية في هذا البيت فرواه في اللسان تشاخص بالصاد المهملة ونسب الرواية الى ابي علي وبعض أهل اللغة وذلك في مادة (د ح س) ثم أعاد الشاهد في مادة (ش خ س) بالسين المهملة بعد قوله تشاخس قِحفا رأسه اذا تباينا واختلفا ·

وجاء في التاج في المادتين بالسين المهملة ونسب الرواية الى ابي علي فهل رواها ابو علي على الوجهين أو ان احدهما غلط والذي يلوح لي ان رواية السين هي أصح الثلاث وان كان يصح تخريج الروايتين الاخريين على وجه صحيح

أما تشاخس فقد جاء في التاج يقال ضربه فتشاخس قحفا رأسه أي تباينا واختلفا عن ابن دريد وقد استعمل في الابهام · اه

وأما تشاخص فقد جاء في اللغة وشخص الجرح انتبر وورم عن الليث وفي المحكم شخص الشيء يشخص شخوصاً انتبر وشخص الجرح ورم · اه

وأما تشاخت بالتاء فهي من شَخُت شخوتة فهو شخت وشخيت وهو النحيف الجسم الدقيقه وقيده في لسان العرب لامن هزال ونسبه صاحب التاج الى غير اللسان من الأمهات أيضاً ·

(١) الكُناع قصر اليدين من داء على هيئة القطع والتعقف ·

د ح ش دَحشه — ويقولون دحش الشيء في الشيء اذا أدخله بقوة وهي في اللغة دَحسه بالسين المهملة . قال في اللسان دحس الثوب في الوعاء : أدخله قال :

يؤرّها بمسمعد[1] الجنبين كما دحست الثوب في الوعائين

وقال في النهاية الدَحس والدَس متقاربان ومنه حديث عطاء : حقّ على الناس ان يدحسوا الصفوف حتى لا يكون بينهم فُرَج أي يزدحموا ويدسوا أنفسهم بين فُرَجها . اهـ . وفي حديث سلخ الشاة فدحس بيده حتى توارت الى الابط

وعلى هذا فتكون العامة أبدلت السين شينًا وهو وارد في الفصيح كالرسم والرشم والتشمير والتسمير . أو يكون من دَخَس قال في اللسان يقال دخس في الشيء اذا دخل . الليث الدَخْس اندساس شيء تحت التراب كما تُدخَس الأُثفيَّة في الرماد وكذلك يقال للأَثافي دواخس قال العجاج :

« دواخسًا في الأرض الا شُعَفا » اهـ .

د ح ل دحل في الأمر وداحل فيه — وقالوا دحل في الأمر اذا عالج ويقال كثيرًا ما دحلت فيه حتى أجاب بمعنى حادرته ورددت عليه الكلام مرات حتى أجاب ويقولون داحَلَه في ثمن السلعة أي رادَّه وماكسه . وفي اللغة الدَحل المماكس في البيع حتى يتمكن من حاجته وداحله ماكسه عن التهذيب .

د خ ش المداخشة — المداخشة والمداغشة (على البدل) عند العامة الممارسة والاختلاط في الأمور يقولون عَرَف فلان كيف يتصرف لكثرة مداخشته .

وجاء في اللغة دغدشوا وتدغدشوا اذا اختلطوا في حرب وصخب وما أشبه ذلك . الأولى عن ابن الاعرابي والثانية عن ابن عبّاد .

دوح الدودَحة — وقالوا فلان يتدودح في مشيه وهو يمشي دَوْدَحة أي مشية القصار السمان

---

(١) اسمعدَّ امتلأ غيظًا واسمعدت أنامله تورمت .

الدودح في اللغة القصير السمين وقال صاحب التاج الدودح كجوهر الغليظ البطن والدَوْدَحة السمَن مع القِصَر ذكره ابن جني ولم يفسره وفسره صاحب القاموس . وهو لغة في الدَحْدَح والدحداح . ورجل دَحْدَح ودِحْدِح ودحداح ... قصير غليظ البطن كذا في لسان العرب

والعامة لا تزال تعرف الدَحْدَح لهذا المعنى ومن أمثال عامتنا في جبل عامل «كل قصير ودحْدَح يمشي وقلبو يقدح وكل طويل وهايف يمشي وقلبو خايف» يريدون من هذا المثل ان القصير شجاع والطويل جبان .

درب الدرْب — الدَرْب عند العامة الطريق مطلقاً . والسالكون هم الدرّابة وقد تدَرّب نحو الشيء أي أخذ طريقه اليه

ولكنه في اللغة أخص من ذلك فهو باب السكة الواسع. والباب الأكبر وكل مدخل الى بلاد الروم والطريق غير النافذ فاستعمال العامة ، وهو استعمال الخاص في العام ، من المجاز .

دردر ما عاد دَرْدَر علينا — وقالوا ما عاد دَرْدَر لهذه الجهة وما عاد دردر علينا أي لم يتحرك لقصدها ولا سلك الطريق اليها وهو من دَرَرِ الطريق أي مدرجته كما في اللسان وقالت العرب ادرّه حركه وبه فُسر الحديث (بين عينيه عرق يُدِرُّه الغضب) أي يحركه هكذا فسره في اللسان وجاء فيه أيضاً درّ الفرس دريراً ودِرَّةً عدا شديداً أو عدواً سهلاً متتابعاً .

وتدردر يذهب ويجيء . يترجرج . قال الراجز :

اقسم ان لم تأتِنا تَدَرْدَرُ ليقطعن من لسان دُرْدُر

أي تتدَرْدَر .

والعامة صاغت من درر الطريق فعلاً فقالت أولاً تدرر أي سلك دَرَر الطريق ثم قالت تدردر أي تدرج على مدرجة الطريق أو هي من تدردر المضاعفة أي تذهب وتجيء .

د ر غ دَرَّغه بالوحل — ويقولون درغه بالوحل ودردغه (للتكثير) اذا لطخه به وأصلها رَدَّغه والعرب قالت ردَّغه بالتشديد وهو من الرَدَغة والردْغة وهي الطين • ومكان رَدِغ وَحِل • وفي النهاية والرَدغة بسكون الدال وفتحها طين ووحل كثير وتجمع على رَدَغ ورِداغ وفي الحديث منعتنا هذه الرِداغ عن الجمعة •

د ر ف الدَرْفة — الدَرْفة عند العامة مصراع الباب ولكل باب درفتان قال في التاج وهكذا يستعمله العوام • قلت : وهكذا الى اليوم وبعضهم يعجم الدال فيقول ذرفة •

وأصلها فيما أرى الدَفَّة حوّلت الفاء الأولى راء كما حولوها في كدّسه فقالوا كردسه بمعنى جمع بعضه فوق بعض وقد استعمل ابن بطوطة الدَفَّة لمصراع الباب • والدَفة من كل شيء جانبه أو صفحة جنبه ودفتا المصحف جانباه

ثم توسعوا في الدُف والدَفة فأطلقوهما على الألواح التي يتخذ منها مصراع الباب فقالوا لكل لوح منها دف واشتقوا منه فعلاً فقالوا دفّ السقف اذا بسط الألواح فوق خشبه •

د ر ك ب دَرْكَبه ودكربه — وقالوا دركبه بمعنى القاه من علو الى سفل دفعًا ودحرجة ، وربما كان أصلها زردبه اذا دحرجه وألقاه في زرداب وهو منحدَر السيل والزاي والدال يتعاقبان في الفصيح مثل دحل عنه وزحل والمستوفد والمستوفز في قعدته وكذلك يتعاقب الدال والكاف مثل صدمه وصكه اذا دفعه وحشد القوم وحشكوا

أو أصلها دحقبه اذا دفعه من ورائه دفعًا وكأنهم قالوا فيها دقحبه أولاً (على القلب) ثم انتهت بالابدال الى دكربه

أو أنها من دَكم في صدره اذا دفع ودَكمه داس بعضه على بعض أو جمعه أبدلت العامة الميم باء وهذا الابدال كثير في كلامهم فصارت دَكبه ثم زيدت

الراء ثانية فصارت دركبه وهذه الزيادة أي زيادة الراء معروفة في كلامهم فهي في العامي من الفصيح شَرْبَكَه وشَبكَه وتخربطت البلاد وتخبَّطت اذا وقع فيها الفساد وفي الفصيح على الفصيح مثل خشب العمل وخشربه اذا لم يحكمه وبحث التراب وبحثره راجع (ح ر ث ٠) .

د ق ق المِدقَّة الدِقماقَة — مُدُقَّة الكُبَّة هي التي تسمى في جبل عامل الدقاقة وجمعها عندهم الدقاميق ولكن تحريفها بهذا الشكل عن المدقة غريب . وهي ما يُدق به اللحم وهي المِدَق والمِدَقة (وصفاً) والمُدُقة (اسماً) ولا يخص أهل اللغة بها ما يدق به اللحم وانما هي عندهم المِرْفَس قال في التاج ورفس اللحم وغيره من الطعام رَفْساً دقَّه وقيل كل دقٍ رفس وأصله في الطعام والمِرْفَس لما يدق به اللحم اه .

د ق ن الدَقن — جاء في الأساس . وأهل بغداد يقولون في دَقنك أو في لحيتك . وقال صاحب التاج بعد نقل هذا القول وكذا عند عامة اهل مصر وليست بفصيحة وأقول وكذا هي عند العامة في بلاد الشام وأما الفصيح فيقال دَقَن في لحي الرجل اذا لكزه بجمع كفيه ويقال للمحروم دُقِن في لحيته كما في الأساس .

والفصيح في الدَقن الذَقَن محركة بالذال المعجمه ، وهي مجتمع اللحيين من اسفلها (مذكر) جمعه اذقان وذقون وأما تسمية الشعر النابت عليه ذقناً فهو مولد .

احمد رضا

كتاب مُوقد الأذهان ومُوقظ الوسنان

في الألغاز النحويّة والنكت الأدبيّة لابن هشام

في خزانة كتب مسجد أحمد باشا الجزار في مدينة عكا وبضمن مجموعة صغيرة بالقطع الأصغر من الصغير طول الصفحة منها (١٧) سانتيمتراً وعرضها (١٠) سانتيمترات وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً وفي السطر الواحد من ست كلمات الى عشر كلمات كتيّب صغير الحجم بالاسم الذي عنونّا به هذه المقالة جاء في مقدمته وهو بخط احمد بن سليمان المفتي الشافعي نسخه في ٢١ ربيع الأول سنة ١١٨٨ هـ :

« بسم الله الرحمن الرحيم : قال الامام العلاّمة جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام رحمه الله تعالى أما بعد حمد الله الفاتح عقد الاعجاز المانح بالايجاز جاعل علم العربية في العلوم كالطراز فيه تفكّ مقفلات الألغاز ويتضح ما في التنزيل من الايجاز في وجه الاعجاز وصلاته على أفضل الأنبياء الذي أسكت بفصاحته الخطباء والشعراء والرّجاز وعلى آله وأصحابه الذين من ائتمّ بهم فقد فاز .

فقد جمعت في هذه الأوراق اليسيرة شذرة من الألغاز النحوية ونبذة من النكت الأدبية جعلتها لاستخراج الأحاجي عنواناً وعلى حلّ ما لم اذكره معواناً فالشيء يعرف بمثله والوابل يستدلّ عليه بطلّه والعذر في اختصاره أني جمعته فيما بين صلاتين وبمقدار ما ينظم الناظم بيتاً أو بيتين والله اسأل ان يرزقه من الحضرة الشريفة حظاً ويرمقه من الكريم لحظاً ورتبته على أربعة فصول : الأول في الأحاجي المعنوية ، الثاني في الأحاجي اللفظية ، الثالث في الاشارات الخفية ، الرابع في التصحيفات اللوذعية وسميته موقد الأذهان وموقظ الوسنان والله اعتضد وعليه اعتمد .

اعلم ان اللغز النحوي قسمان أحدهما ما يطلب به تفسير المعنى والآخر ما يطلب به تفسير وجه الاعراب» وجعل الفصل الأول فيما يراد به تفسير المعني وأتى على تفصيل وتحليل ثلاثة عشر بيتاً استشهد بها ·

ثم جاء الى الفصل الثاني في الألغاز اللفظية وهي التي يراد بها تغيير الاعراب وتوجيهه لا بيان المعاني · وأتى باثنين وعشرين بيتاً كشواهد وحلّلها وعلّلها ·

ثم جاء الى الفصل الثالث في الاشارات الخفية التي لا يعقلها الاّ العالمون ولا يتنبه لموقفها الا المخلصون ·

ثم جاء الى الفصل الرابع في التصحيفات اللوذعية فقال :

«أول من تكلم في ذلك عليّ رضي الله عنه فقال كُل عِنَبُ الكَرْمِ تعطيه يريد كلّ عيب الكَرَم يُغطّيه ·

وقال أيضاً :

ذكر في مجلس التصحيف فادّعى شاب حاضر معرفته فقيل له ما تصحيف تخنثني فقال تصحيف حسن فأتّهم في سرعة جوابه · فقال شاعرٌ من بلنسية ما تصحيف بلنسية فقال أربعة أشهر فقال الشاعر صدق ظني انك تنتحل ما تقول وأيّ نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقال الشاب :

عليّ نحت القوافي من معادنها وما عليّ اذا لم تفهم البقرُ

فتنبهوا بعد انصرافه فاذا أربعة أشهر ثُلث سنة (أي تصحيف بلنسية) فخجلوا منه ·

وكتب الى المعتمد بن عبّاد شخص من الاخوان :

واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقّع في الكتاب وأين ذاك الواحد · صحّف تعرف · فلما قرأه طار مسروراً لأن تصحيف أين ذاك أنت ذاك ·

ومن ملح ابن عباد هذا في التصحيف انه خرج مع وزرائه باشبيلية فاجتازوا في الموضع الذي يُباع فيه الخبز والجبن فألفَوْا هناك جارية من أحسن الناس

وجهاً وأكثرهم بذاءة وفحشاً وتبرجاً فابتدأ علي بن عمّار وقال الخبّازين فقالت نعم والجبّانين فلم يعرف الحاضرون ما أرادا

فسألوا ابن عمار فقال « إنه قال اِلخبا زَبْن وقالت اَلخنا شبْن فأين هذه الأذهان »

تعريف علم الألغاز

أما علم الألغاز فقد عرّفه ملاّ كاتب چلبي الشهير بحاجي خليفة أيضاً في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون فقال في « ج ١ ص ١٣٨ طبعة الأستانة » :

هو علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة بل تستحسنها وتنشرح اليها بشرط ان يكون المراد من الألفاظ الذوات الموجودة في الخارج ٠ وبهذا يفترق من المعمّى ٠ لأنّ المراد من الألفاظ اسم شيء من الانسان وغيره وهو من فروع علم البيان ٠ لأن المعتبر فيه وضوح الدلالة ٠ والغرض فيهما الاخفاء وستر المراد ٠

ولما كان ارادة الاخفاء على وجه الندرة عند امتحان الأذهان لم يلتفت اليها البلغاء حتى لم يعدوهما أيضاً من الصنائع البديعية التي يبحث فيها عن الحسن العرَضي ثم هذا المدلول الخفي ان لم يكن ألفاظاً وحروفاً بلا قصد دلالتها على معان أخر بل ذوات موجودة يسمى اللغز وان كان ألفاظاً وحروفاً دالة على معانٍ مقصودة يسمي معمّى ٠ وبهذا يعلم ان اللفظ الواحد يمكن ان يكون معمىً ولغزاً باعتبارين لأن المدلول اذا كان ألفاظاً فان قصد بها معانٍ أخر يكون معمّى وان قصد ذوات الحروف على أنها من الذات يكون لغزاً وأكثر مبادي هذين العلمين مأخوذ من تتبّع كلام الملغزين وأصحاب المعمى وبعضها أمور تخييلية تعتبرها الأذواق ومسائلها راجعة الى المناسبة الذوقية بين الدالّ والمدلول الخفيّ على وجهٍ يقبلها الذهن السليم ٠ ومنفعتها تقويم الأذهان وتشحيذها ٠ ا هـ ٠

بيد ان كشف الظنون لم يذكر كتاب موقد الأذهان وموقظ الوسنان المبحوث عنه ٠

ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة في دور الكتب بالقاهرة وباريز وبرلين .

نبذة في الألغاز والأحاجي

ويظهر أن ناسخ الكتيب راقه الموضوع فألحق به نبذة في الألغاز والأحاجي قال انه جمعها من كلام الفضلاء ونظام النبلاء .

ويبدأ هذه النبذة بنقل ما ذكره ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده تحت عنوان « ومن اللحن والمحاجاة » :

حلّوا عن الناقةِ الحمراء أرحلكم والبازل الأصهب المفعول[1] فاصطنعوا

ان الذئاب قد اخضرّت برائنها والناس كلهمُ كبر[1] اذا شبعوا

ونقل عنه أيضاً هذا البيت :

أحاجيك عبّاد كزينب في الورى ولم تؤتَ الاّ من صديقٍ وصاحبِ

وجوابه :

سأكتم حتى ما تحسّ مدامعي بما انهلّ منها من دموعي السواكبِ

وجاء ناسخ الكتاب الى المتأخرين فقال :

كتب الشيخ شمس الدين محمد بن داود المقدمي للشيخ حسن البوريني ملغزاً في وَرْدٍ وذلك سنة ٩٨٦ ونقل السؤال مع الجواب نظماً من الرويّ والقافية نفسها وزاد البوريني في الجواب فكتب للمقدمي ملغزاً في عِقْد فأجابه الثاني على سؤاله هذا .

ثم قال الناسخ : كتب الشيخ الفاضل شمس الدين محمد المغربي المالكي نائب الحكم بدمشق الى الشيخ حسن البوريني المتقدّم ذكره ملغزاً في شام ونقل القصيدة ونرى أن نشير الى ما قصدَ السائل بنقل بعض أبياته :

ماذا تقول بلفظٍ عدّ أحرفه ثلاثة يا اماماً حاز عرفانا

اسم لمدنٍ بأفضال لقد شهرت معروفة نزلت يا صاح قرآنا

(١) كذا في الأصل ورواية الأمالي : المفعول ، بكر (المجمع)

وقلبها بعض قوت الأنام يرى ... وثلثها فعل أمر بعضه بانا
وان تزله بقي ما الأنام غنىً ... عنه وتلقاه بين الناس طوفانا
وان تُصحّف تري أصلاً لذي عددٍ ... وفرعاً كيف ذا كانا (؟)

ويظهر انه سقطت كلمة من عجز البيت الأخير فانه غير مستقيم الوزن .

فأجابه البوريني بقصيدة جاء فيها :

وشام طرفي بريق اللغز متضحاً ... وأعلنته زناد الفكر اعلانا
هو اسم بلدتنا أعني دمشق وقد ... يجيء فعلاً مبيناً الذي كانا

وقال الناسخ أيضاً :

كتب الشيخ شمس الدين بن المنقار الحنفي الى الشيخ شمس الدين محمد الصالحي الهلالي ملغزاً في « أمس » فأجابه وكتب شمس الدين محمد الصالحي الى شمس الدين ابن المنقار الحنفي ملغزاً في اسم زينب سنة ٩٧٧ ﻫ فأجابه وكتب بعضهم ملغزاً في يراع ثم نقل جواب المجيب المجهول ويظهر أن السائل يدعى محمداً فقد جاء في ختام القصيدة الجوابية هذه الأبيات :

محمد السامي الجناب ومن غدا ... له كرم الأخلاق دون التكرّم
همام لقد أضحت مآثر فضله ... على جبهة الدنيا كغرّة أدهم
ومولىً اذا ضنّ السحاب بوبله ... علينا سقانا مسجماً بعد مسجم
له سؤدد حلّ السماكين رفعةً ... وذلك إرث فيه من عهد آدم

ثم أورد بعض ألغاز وقال فأجاب الطبرانيّ ولم نعرف اسم هذا الطبراني الذي يجب ان يكون من طبرية بفلسطين لأن الطبرانيّ ينسب اليها كما ينسب الطبريّ الى طبرستان . ثم قال :

وكتب الى الملاّ أسد بن معين الدين التبريزي المدرّس في المدرسة الناصرية البرانية بدمشق المحميّة ملغزاً في أسد ولم نعرف من الذي كتب فأجابه التبريزي بما يجب . وقال أيضاً :

وكتب بعضهم للعلامة عماد الدين ملغزاً في قدح فأجابه ولم يتسنّ لنا معرفة عماد الدين هذا ولعله كان من معاصري الناسخ .

وقال بعضهم ملغزاً في مكّوك الحائك ثم جوابه وقال بعضهم محاجياً في عنفوان وأورد سؤالاً يتضمن الفرق بين (غداً وأمس) أرسل الى التبريزي المتقدم ذكره فأجاب عليه شعراً كالسؤال ولكنه أردفه بهذه العبارة :

« الحمد لله وكفى وسلامه على عباده الذين اصطفى . وبعد فيقول الفقير الى الله الغني أسد بن معين الدين الشافعي جعل الله غده خيراً من يومه وأمسه ورحمه عند مواراته في رمسه ان الذي سَنَح في خاطري في الجواب من غير مراجعة رسالة ولا كتاب ان غداً ليس مثل أمس حتى يلزمه حكمه في البناء لأن أمس كلمة على ثلاثة أحرف فبناه أهل الحجاز على الكسر اذا أريد به اليوم الذي قبل يومك لتضمنه الألف واللام وليس كذلك (غداً) لأن غداً لامه محذوفة والدال عين الكلمة كيد ودم فلو بني لزمه العدول عن الأصل مرتين مرة من جهة حذف لامه ومرة من جهة بنائه لأن البناء في الاسماء على خلاف الأصل . والعدول عن الأصل مرتين في الكلمة الواحدة اجحاف لها . وهذا قريب من قولهم في بعض الكلمات مثلاً حتى لا يتوالى في الكلمة الواحدة إعلالان وقولي انّ لامه محذوفة نصّ عليه غير واحد من أعلام العلماء حتى ان الشيخ الامام اباعمرو عثمان الشهير بابن الحاجب بنى عليه جوابه عن اللغز المشهور وهو قوله :

ربما عالج القوافي رجال تلتوي تارة لهم وتلينُ
طاوعتهم عينٌ وعينٌ وعينٌ وعصتهم نونٌ ونونٌ ونونُ . اهـ .

وبعدُ فقد قصدنا بنقل بعض هذه الألغاز الاشارة الى بعض العلماء المعاصرين للزمن الذي كُتبت فيه المجموعة وربما كان بينهم من لم يترجم له أو يشتهر أمره ويحسبنا ذلك عذراً .

عبد الله مخلص

مخطوطات ومطبوعات

فلسفة التشريع في الاسلام

وضعه صبحي محمصاني[1]

« الدكتور في الحقوق ، ورئيس غرفة في محكمة الاستئناف ، والمدعي العام السابق لدى محكمة الاستئناف الشرعية ، وأستاذ المجلة والقانون الروماني في الجامعة الأميركية في بيروت » .

الكتاب من القطع الكبير يقع في ٣٥٠ صفحة ، حسن التبويب والترتيب ، جيد الورق والطبع ، أخرجته مطبعة الكشاف في بيروت سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م

مهد المؤلف لكتابه بمقدمة عرض فيها الغرض الذي من أجله وضع كتابه . فكان مما قاله : « ومن الحقائق التاريخية الثابتة ، ان مظاهر الحياة الاجتماعية متغيرة بتغير الأزمنة والأمكنة ، ولما كانت الشرائع والأحكام مظهراً من هذه المظاهر ، أدركنا سبب اختلاف الشرائع باختلاف العصور والبلدان ، وأدركنا سبب تلونها بصبغة الأمم والأجيال الخاصة ؛ تبعاً لعاداتها وتقاليدها واميالها ونزعاتها ...

الى أن يقول :

« .. وأرجو ان أتوصل بذلك الى ايضاح وجهة النظر الاسلامية في التشريع ،

---

(١) هكذا أورد اسمه « محمصاني » بالتنكير . واذا لم يكن من حقنا أن ندخل عليه (ال) التعريف فيصبح « المحمصاني » كما هو الأصل ، وكما تقضي به القواعد العربية ، فان من حقنا أن نتساءل عن السبب الذي جعل كثيراً من العرب ولا سيما في ساحل الشام ، وخاصة المسلمين ؛ يولعون بتجريد اسمائهم من التعريف تجريداً لا يثبت على الاستعمال . ذلك : انك اذا تكلمت عن هذا الكتاب القيم ، أو نقلت عنه . تقول : فلسفة التشريع للمحمصاني ، ولا تقول : لمحمصاني . وهذه « ساحة الدباس » في بيروت ، لا تقول فيها « ساحة دباس » على رغم ما كان من رغبة صاحبها في تجريد اسمه من التعريف ، مشايعة الأجنبي واتباعاً لأساليبهم التي لا تتفق والأساليب العربية .

الى الأجانب، والى المثقفين بثقافتهم، ايضاحاً حقيقياً . وأرجو ان أتوصل الى ازالة ما تركه بعض الناس في الأذهان من التشويش والتدجيل . وقد كان من هؤلاء طائفة من المستشرقين، عودونا الكتابة في مواضيع لا يحسنون لغتها، أو لا يعرفون مراجعها ...

وأرجو أن أتوصل أيضاً الى تقريب الأسلوب القانوني الغربي الى المطلعين على الشرع الاسلامي ...»

وهذا قول حسن، وأحسن منه أن المؤلف وفق توفيقاً كبيراً، الى تحقيق كثير مما قصد في تأليفه اليه .

جعل الأستاذ المؤلف كتابه أبوابا، قسمها فصولاً .

ففي الباب الأول: «تعريف علم الفقه وتقسيمه»، وفي الباب الثاني «لمحة تاريخية» بحث في فصوله عن المذاهب الاسلامية الحية والبائدة، وعن المذاهب الشيعية، ثم عن الاشتراع في البلاد الشرقية وعن تاريخ القوانين الأوربية .

وفي الباب الثالث «مصادر الشرع الاسلامي» ألم فيه بالأدلة الشرعية: الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاجتهاد .

وفي الباب الرابع: «مصادر التشريع الخارجية»: تغير الأحكام، والحيل الشرعية، والتشريع الوصفي المباشر، والعرف والعادة، وعلاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية .

وفي الباب الخامس: «بعض القواعد الكلية» كالقصد في الأفعال، والبينات والاقرار واليمين وغيرها ...

وقيمة الكتاب في أن صاحبه ألفه تأليفاً، لم ينقله نقلاً، ولا ترجمه ترجمةً؛ وجهود المؤلف مقروءة في صفحات كتابه: من دراسة، ومناقشة، ومقايسة؛ واحاطة بالموضوع، وعرض واضح له، وبيان لائق به، وبسط تاريخي يكاد يكون وافياً . ثم ان المؤلف في كثير من المواطن يأتي بالأحكام

الشرعية ، فيوضحها بالأمثلة يضربها عليها ، ليقربها الى الأذهان ، فتستقر فيها .

ونحب أن نقف قليلاً عند الفصل الخامس من الباب الرابع الذي تكلم فيه عن « علاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية » فلقد أورد دعوى « فون كريمر » في كتابه : « تاريخ الثقافة الشرقية في أيام الخلفاء » بأن مواضع الشبه بين القانون الروماني والشرع الاسلامي عديدة وأهمها :

١ – قاعدة البينة على المدعي

٢ - سن البلوغ

٣ – بعض أحكام المعاملات التجارية ...

وقد فند الأستاذ المؤلف دعوى « كريمر » تفنيداً وجيهاً فقال في : « البينة على المدعي » انها قاعدة تستند في الشريعة الاسلامية الى الحديث الشريف : « البينة على المدعي واليمين على من أنكر » ومعلوم ان الحديث أقدم تاريخاً من الفتوحات الاسلامية في البلاد التي كانت خاضعة للشريعة الرومانية . ومن ثم لا يمكن ان يكون مقتبساً عن هذه الشريعة » اه .

ونؤيد قول المؤلف ونزيد عليه ، ان هذه القاعدة عرفها العرب وعملوا بها حتى قبل الاسلام ؛ فقد سمعت أول ما سمعت عن قس بن ساعدة الايادي : « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » وقد أقر صاحب الرسالة (ص) هذه القاعدة فنسبت اليه وجعلت في جملة الحديث . وكونها جاهلية ، أنفى لها من القانون الروماني ، وأبعد شبهة عن ان تتصل به بسبب .

ورد المؤلف على « كريمر » في القضية الثانية وهي سن البلوغ رداً رفيقاً فقال : « ليس في مسئلة سن البلوغ والرشد في الشريعتين شبه جلي . فعند الرومان كان البلوغ محدداً بتمام السنة الثانية عشرة للفتاة ، وتمام الرابعة عشرة للفتى . ولكن الشريعة الاسلامية في ـ الرأي السائد ـ اعتبرت ان منتهى سن البلوغ هو خمس عشرة سنة . »

ونعزز قول المؤلف في هذه القضية بقولنا : ان الشريعة الاسلامية قائم جانب كبير منها في المعاملات ، على أسس من العبادات ، وهي الأحوال الشخصية . والبلوغ شيء طبيعي له سن معلومة ، فكان طبيعياً ان يكون هذا البلوغ الذي تبنى عليه أحكام دينية ، أساساً للبلوغ تقوم عليه أحكام زمنية .

وأما القضية الثالثة وهي الشبه في بعض احكام المعاملات التجارية ، فقد دفع المؤلف قول « كريمر » دفعاً مفحماً ليس لنا ما نزيد عليه ، الا قولة عامة تتعلق بالشبه بين القوانين عامة وهي :

ان الناس لا يستطيعون ان يعيشوا من غير قانون ، فاذا لم يعرفوا قانوناً خلقوه خلقاً . اعتبر ذلك في ما يقع في القرى التي لم يدخلها قانون ولا علم ، فانهم يفصلون في كثير من دعاويهم فصلاً موفقاً ينطبق على العدل ، ولا سيما في التنازع على الحدود . فان لهم في ذلك أصولاً وقواعد يعجز عنها ، أو عن يأتي بخير منها ، أكبر المشترعين . وهؤلاء البدو لهم عوارفهم (قضاتهم) يحكمون بينهم بالنصفة والحق أيرى « كريمر » وأمثال كريمر : ان العرب الذين كانوا تجار الشرق منذ أقدم عهده ، يحملون بضاعته من أقصاه الى أقصاه : يشترون ويبيعون ويبادلون ويقايضون، ويصنعون ويستصنعون ، عاشوا بلا أحكام ولا أصول ، الى ان جاء الاسلام ووضعت الشريعة ، فأخذت هذه الشريعة هذه الأحكام عن القانون الروماني ؟ ! ..

ان لنا رأياً في ما قيل عن علاقة الشريعة الاسلامية بالقانون الروماني بسطناه في محاضرتنا : « القضاء في الاسلام » وقد أشار اليه المؤلف اشارة خاطفة . ونحن نوافق المؤلف في الخلاصة التي اجملها وهي :

« . . وان العادات التي اقتبسها الفقهاء – يريد فقهاء المسلمين – في البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني دخلت الى التشريع الاسلامي ان لم يكن ما يناقضها في نصوص الشرع أو في مبادئه الأساسية . وعلى كل فالعادات هذه لم تكن رومانية بحتة بل كانت عادات تجارية معروفة عند العرب وعند باقي شعوب البحر المتوسط . وقد تأثر بها الرومان وأدخلوها في شريعتهم قبل المسلمين .

وان الشريعة الاسلامية ، كما تأثرت ببعض العادات الأجنبية القليلة ، كذلك تركت هي آثارها في مدنيات جديدة ناشئة ٠٠٠ »

بقي ان نقول : ان الشريعة متى كانت كذلك لا يجوز ان يقال فيها أنها شريعة الهية ـ كما قال المؤلف في غير موضع ـ بل يقال : انها شريعة اسلامية في جملة مصادرها مصدر الهي ٠

كذلك كان يجب أن يكون هذا البحث (علاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية) في غير باب : (مصادر التشريع الخارجية) لأن عامة المستشرقين ، وضعاف الايمان فينا ، يستمسكون بأوهى الأسباب لنفي كل مكرمة عنا ، وكل استقلال منا ٠ فهم يجعلون من ذكر هذا الفصل في باب (المصادر) حجة علينا ، ويتركون كل ما فيه من حجة لنا ، ومن رأي سديد ٠

ومما تساءلنا عنه :

١ ــ قوله ان كلمة الشرع والشريعة في اللغة العربية مأخوذة من الشارع ؟ ٠٠

٢ ــ وقوله ان الحاكم معناه الشارع ٠ وهو الله عز وجل ٠٠ وما أحسب أن مثل هذا ورد صراحة في كلام شيخ من شيوخ الفقه من المتقدمين؟ ٠٠

٣ ــ وقوله : ويعرف التقليد بأنه « اتباع رأي الغير دون فهم ولا حجة » ص ١٦٠ ٠ وهو قول فيه نظر الا اذا كان المؤلف يريد بذلك العوام ، وما أحسب اياهم يريد ٠ وأفضل من هذا ما نقله في الصفحة الـ ١٥٣ من تعريف الآمدي للتقليد بأنه « العمل بقول الغير دون حجة ملزمة » ٠

٤ ــ ثم قد يكون ظلماً للعرب الجاهليين ، أن يقول فيهم المؤلف : إنهم حرموا النساء حق الارث ، فهذه خديجة رضي الله عنها كانت صاحبة ثروة ، وكذلك خديجة أخت حاتم ، وكثيرات مثلها ٠ فمن أين جاءتهن هذه الثروة ، لو أن الجاهلية كانت حرمت النساء من الارث حرماناً مطلقاً ، كما زعم الأستاذ المؤلف ومن أخذ عنهم ؟ ٠٠

وأسلوب المؤلف صحيح ، وتعبيره دقيق فصيح ، يليق بالموضوع الجليل الذي عالجه . وقد أخذ على قانون العقوبات اللبناني بعض المصطلحات اللغوية ، فدل بذلك على عنايته بلغته ، وحرصه عليها ، ففتح لنا بهذا باباً للتنبيه الى بعض الفاظ ، اذا رأى هو رأينا فيها ، استدركها في طبعة جديدة . من ذلك :

جمع « سند » على « سندات » والصواب « أسناد » وعدّى فتش بـ « على » وقد يكون الصحيح تعديتها بـ « عن » . وقال : « طيلة اربعة عشر قرناً » والطيلة العمر ، ولا محل لها هنا الا بتأويل بعيد لا حاجة اليه . فلو قيل : « أربعة عشر قرناً » لأغنت وأدت المعنى نفسه ، أو زيد عليها كاملة . وأكثر من استعمال « توجّب » ، وهي لفظة وردت في كلام المتأخرين من الفقهاء ، أما في اللغة فقد وردت « توجب فلان » أي أكل في اليوم والليلة أكلة واحدة . وفي كلامه عن المصريين قال : « انهم حوالي سبعة عشر مليوناً » يريد قرابة . ولا يقال في مثل هذا الموضع « حوالي » ثم ان المصريين قاربوا ـ في السنة التي صدر فيها الكتاب ـ تسعة عشر مليوناً .

وجاءت في الكتاب « بما فيه » لادخال ما بعدها في حكم ما قبلها . كقوله : « ويقدر عدد الاسماعيليين في سوريا بما فيه العلويين بنحو عشرين الفاً ونصف » والصواب : وفيها أو ومنها محافظة العلويين .. ونصف الألف . « وهو يحتوي على أكثر من سبعة آلاف حديث بما فيه المكرر » والصواب وفيه المكرر . أما قولهم « بما فيه » فتعبير عامي .

ومن الاستعمال التركي الشائع في المحاكم الى يومنا هذا واستعمله المؤلف : « طرف » و « من طرف » فقال : « المهر يدفع للزوج من طرف الزوجة أو أحد ذويها » والأصوب : تدفعه الزوجة أو أحد ذويها . واذا كان لا بد من الاحتفاظ بمثل التعبير السابق ، يقال : يدفع من قبل الزوجة .

وما نلاحظه استعمال : « لا يجب » في محل : « يجب ان لا » وحباً بالاستقلال « بدلاً من » حباً للاستقلال . والتوسع في استعمال التشريع بمعنى الاشتراع . الى أمثال هذه الهنات التي قل أن يسلم احد منها ، ولو كان من شيوخ الكتاب وأمرائه .

وما أشرنا الى هذا ، وأفضنا فيه ، الا خدمة لهذا الكتاب القيم .

عارف النكدي

السلام الاجتماعي

تأليف الأستاذ عبد المجيد نافع المحامي

يقع هذا الكتاب في ست وستين صفحة ومئتين . أخرجته « دار الفكر العربي » والمؤلف من الكتاب القليلين الذين انعتقت أقلامهم من عبودية أصحاب المال ، وأصحاب السلطان ؛ فهاجم الفريقين بقلم جريء صريح ، في غير جمجمة ولا مواربة .

رأى ان قد « طغت موجة المادية خلال الحربين العالميتين : الأولى والثانية ، فأغرقت العالم في طوفان من المفاسد والشرور ، اذ أصبح جهد معظم الناس منصباً على أن ينصبوا من الذهب صنماً ليعبدوه ، الى حد ان كثيراً من الكتاب والباحثين قد اصطلحوا على تسمية ذلك الفساد بأخلاق ما بعد الحرب » .

ورأى ما وراء ذلك من أخطار تهدد مصر ، فحمل « المصباح الأحمر ، لدرء الخطر الأحمر » .

ووجه رسالته الى المجتمع الرأسمالي يقول له :

« ويخال لي ان المجتمع الرأسمالي يستحث انفجار البركان ، فعوضاً عن ان يعمد الى الاصلاح الاجتماعي ، تراه يلجأ الى وسائل القمع ، وأساليب التهريج والدعاية ، والمسكنات الوقتية ، والحلول السطحية ، ثم يشتري أقلام المرتزقة من دجاجلة الأدب والسياسة ، ويسخر ضمائر المهرجين من أدعياء الدين والأخلاق ، جهلاً منه بأن الشعلة حين تضرب تزداد اشتعالاً ... وان الدعوة لا تقاوم

الا بالدعوة .. وان الفكر الانساني كالهواء لا يدخل في قبضة احد .. وان كل من يعمل للحقيقة والحرية أو ضدهما يخدمها على السواء ، وان من المحال على دجاجلة السياسة والأدب أن يطفئوا نور الحرية بأفواههم، ومن المتعذر على أدعياء الدين والأخلاق أن يحجبوا ضوء الحقيقة بأكفهم .. »

« .. وان تاريخ الانسانية قد تخضبت صفحاته بالدماء في معارك النضال بين الظالمين والمظلومين ، والمتخمين والجائعين .. ونجد المظلومين في كل زمان ومكان ينزعون الى رفع الظلم عنهم ، فالانسان يرضى ان يكون ظالماً ، ولا يرضى أن يكون مظلوماً .. »

« .. والسلام الاجتماعي الذي ننشده يتطلب حل المسألة الاجتماعية ، على صورة تمحي معها : المظالم التي تفيض بها جوانب المجتمع الانساني .. فلا تكون سعادة طائفة منتزعة من شقاء الآخرين ؛ ولا يكون الرخاء المادي لقوم مشتقاً من بؤس أقوام ؛ ولا يكون جماعة وكأنهم ولدوا للنعيم ، وجماعات وكأنهم ولدوا للعذاب .. »

واذا كان المؤلف ـ بهذا الأسلوب الحق والصراح ـ يخاطب القلة الرأسمالية التي تتحكم بالكثرة البائسة ، فهو يخاطب الأمم المستعمرة بأسلوب لا يقل عن هذا الأسلوب جرأة وصراحة ، فيقول لهم : « .. وكان من آثار الحرب أن تهتز ايمان الناس بالمثل العليا ، وتلاشي اعتقادهم بالأخلاق . ففي خلال المجزرة البشرية ، كان ساسة الدول يملأون سمع العالم بأنهم ما خاضوا غمار الحرب إلاّ دفاعاً عن الحق والعدل ، وحرية الشعوب الصغيرة ، وانه لا تلبث ان تضع الحرب أوزارها حتى يخلقوا عالماً جديداً تسود فيه المبادىء الصالحة . ثم هتفوا بالحريات الأربع ، وفي طليعتها التحرر من العوز .

... وطويت صفحة الحرب الدامية ، وظن الناس ان ستنشر صفحة جديدة بيضاء من غير سوء تنقش عليها المبادئ العادلة . وكانت خيبة أمل مريرة للعالم

بأمره فاذا الحق للقوة ، واذا العدل هو الظلم المنظم ، واذا الحريات الأربع هي الفقاقيع الأربع ، واذا التحرر من العوز ينقلب الى مجاعة عالمية تهدد بالفناء ثلث سكان المعمورة أو يزيدون ، واذا العالم الجديد مهدد بحرب عالمية ثالثة ، تقضي على الحضارة الانسانية القضاء الأخير ..»

الى أن يقول :

« وتقول أخلاق الكتب : الصراحة أولى وأجدى ، وتصيح الأخلاق السائدة في المجتمع الانساني : الرياء فضيلة اجتماعية يا ويح من يكون محروماً منها .

وتجاهر أخلاق الكتب بأن الشرف قوام النجاح في الحياة ، وتدل اخلاق المجتمع على أن الشرف عاهة مستديمة .

وتصرح أخلاق الكتب بأن الكفاية شرط جوهري في تولي مناصب الدولة ، وتعلن أخلاق المجتمع : ان الكفاية جناية تجر على صاحبها الحسد وتجعله هدفاً للدسائس التي تمزقه تمزيقاً » .

فاذا انتهى المؤلف من هذا ، بعد حديث طويل في فصول عديدة ، التفت الى الوزراء الذين يثرون على حساب وطنهم وعن طريق مناصبهم . فقال لهم :

« ان اعمال الشركات الأجنبية ذات رؤوس الأموال الضخمة في مصر تتطلب جهوداً جبارة ، ونلاحظ ان بعض المستوزرين فينا يتولون رياسة وادارة عشرات من تلك الشركات الهائلة ، فهل العقل يسيغ .. انهم يستطيعون .. القيام بتعهداتهم الجسام في تلك الشركات ؟ ويسمي الوزراء الذين يعملون في الشركات بل للشركات ويلقبهم بـ« الشركاتيين » ويعددهم فرداً فرداً من اصحاب السعادة ، الى أصحاب المعالي ، فالدولة حتى أصحاب المقام الرفيع . ويكشف عن المبالغ الضخمة التي تؤديها لهم هذه الشركات . لا للكفاية في المواهب ، بل لشراء المناصب ، واصحاب المناصب .

وقد عالج المؤلف في جملة ما عالجه : مشاكل الفقر ، والوقف ، والأرض البور ،

والصناعة، والزراعة، والاستعمار .. الى غير ذلك من الموضوعات التي تتصل بالسلام الاجتماعي . عالجها بحجج قاطعة، وأرقام ناطقة .

وحبذا لو قام في كل قطر عربي، مؤلفون يتناولون وزراءهم بمثل ما تناول به الأستاذ عبد المجيد وزراءه . فالوزير العربي في كل قطر — الا من عصم ربك وقليل جداً ماهم — خاتل صيد، وان اختلفت الشباك . وقد انتقلت بعض الأقطار العربية بعوامل الحرب — لا بغيرها — من شيء قليل من الاستعمار، الى شيء كثير من الاستثمار، بفضل رجال الوطنية الأبرار ...

وبعد، فكتاب « السلام الاجتماعي » كتاب ما نستطيع وصفه، بل هو الذي يصف نفسه : بأبحاثه وبأرقامه وبوضوحه وجرأته . جزى الله خيراً عبد المجيد نافع، على كتابه المفيد النافع .

ع . ن

ما الإنسان

كتاب في ست وعشرين صفحة ومئة . من القطع المتوسط . وهو احدى سلسلات « الفكر الحديث » التي تخرجها « لجنة التأليف والترجمة والنشر » في مصر .

ألفه : مارك توين . ونقله الى العربية : أنور عمر . وليست قيمة الكتاب في أنه ألفه مارك توين فحسب، ولكن قيمته في أن الرجل صرح بحقائق لم يجرؤ غيره، أو لم يشأ أن يصرح بها . يقول المؤلف : « بدأت الدراسة من أجل كتابة هذه الأوراق منذ خمس وعشرين أو سبع وعشرين سنة . وكتبتها منذ سبع سنين . وقد راجعتها منذ ذلك الحين مرة أو مرتين كل عام، وفي كل مرة كنت أشعر نحوها بالرضى، وها أنذا أرجع اليها مرة أخيرة، ولا أزال راضياً عما تعبر عنه من حقيقة » .

قال :

« وكل فكرة تشملها هذه الأوراق سبق ان فكر فيها (بل وقلبها كحقيقة لا جدال فيها) ملايين من البشر ـ ولكنهم كانوا دائماً يعمدون الى اخفائها مع

الاحتفاظ بها كعقائد شخصية ، ولماذا لم يصرحوا بها ؟ لأنهم كانوا يخافون نقد الناس حولهم ، ولا يقدرون على احتمال ذلك النقد .

ولماذا لم أنشرها أنا من جانبي ؟

لقد منعني نفس السبب على ما أظن . لا يمكنني أن أجد سبباً آخر » .

بهذه الكلمات السهلة الواضحة والحقيقة العارية من كل زخرف ، قدّم المؤلف « أوراقه »

وما في هذه الأوراق ؟ فيها الحقيقة كل الحقيقة جعلها المؤلف حواراً بين شيخ وشاب

فمن قول الشيخ : الرجال معادن . فهناك رجال من ذهب ، ورجال من صفيح ، ورجال من نحاس ، وآخرون من رصاص ، وغيرهم من صلب وهكذا ... والانسان يرجع قبل كل شيء الى « معدنه » والى المؤثرات التي تؤثر في هذا المعدن من بقايا وراثية وبيئة وروابط ، وليس هناك غير المؤثرات الخارجية وحدها تدفعه وتوجهه وتسيطر عليه .

واذا فرغ المؤلف من اقرار المبدأ ، ضرب عليه الأمثال من قصص وغيرها .

ورأي المؤلف ، يقوم على ان الناس انما يعملون ما يعملون في حياتهم ، ارضاء لذاتهم ، فـ « الدافع الوحيد للانسان ضمان ارضاء الذات » .

حتى التضحية في سبيل الوطن ، والعمل في سبيل الانسانية ، بل عاطفة الأمومة نفسها ان هي الا « ارضاء الذات » .

يقول الشاب للشيخ :

أنت لا تستثني من هذا حتى عاطفة الأمومة ، تلك العاطفة السامية النبيلة ؟

الشيخ : لا ! فهي أكثر العواطف خضوعاً لذلك القانون . فالأم قد تعرى لتكسو طفلها ، وتموت جوعاً لكي ينال غذاءه ، وتتحمل العذاب لتنقذه من الألم ، بل وتقبل على الموت لتضمن له الحياة . هي تتلذذ لذة قصوى لقيامها بهذه التضحيات . تعمل ما تعمله لتنال في النهاية هذا الجزاء : تقدير الذات ، رضا النفس ، السلام ، الراحة . قد تعمل نفس الشيء من أجل طفلك أنت ، اذا أمكنك الحصول على نفس الثمن .

الشاب : يالها من فلسفة ملعونة !

الشيخ : هي ليست فلسفة وانما هي حقيقة ...»

قلنا : نعم هي حقيقة ، بل الحقيقة كل الحقيقة . ونحن من هؤلاء الملايين الذين قال فيهم المؤلف : انهم فكروا في هذا الذي يقوله .

نعم فكرنا في هذا ولا نزال نفكر فيه : كلما رأينا رجلاً جعل من المبادئ الوطنية ، سلماً للمنافع الشخصية ، وكلما رأينا رجلاً يسلس قياده للسلطة الأجنبية ، استبقاءً للمناصب الحكومية .

بل كلما رأينا موظفاً أطلق لنفسه العنان ، يأخذ الرشوات ، ويأتي المنكرات ، ويستحل المحرمات . وآخر وظيفته لا تكفيه ، فيعيش في الضيق والكفاف والحرمان . ولو شاء لعاش عيشة أصحابه ، واسعاً رزقه ، مقضية حاجاته — وموفورة مع مساوئه كرامته — فلا يفعل . يقولون : انه الوجدان . هذا رجل حي وجدانه ، وذلك رجل مات منه الوجدان . فنقول لهم :

ليس الأمر أمر : «وجدان» ولكنها : «شهوة النفس» .

هذا رجل صالح «يرضي شهوته» غير طالب جزاءً ولا شكورا .

وذلك رجل طالح «يرضي شهوته» غير خائف تباعةً ولا متجنب محذوراً ولا محظوراً

وبعد ، فانا نلفت النظر الى هذا الكتيب المفيد . ونشكر للمترجم فضله . وما نأخذ عليه إلاّ شيئاً في هذا الأسلوب ، الذي كان ينبغي أن يكون عربياً أكثر مما كان .

ع . ن

روض البشر

في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ١٢٠١ هـ — ١٣٠٠ هـ

تأليف الأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي . طبع بمطبعة دار اليقظة العربية بدمشق

اعتمد المؤلف على ما دوّنه المدونون من أهل القرن الرابع عشر في تراجم رجال القرن الثالث عشر بدمشق ، وعلى ما سمعه من أهلهم وأبنائهم وأحفادهم . واهتم

للترجمة للفقهاء والمحدّثين خاصة وتساهل فأدخل في جملتهم المتوسطين وأقل من المتوسطين، ومن يترجم للرجال لا يخلق صفات لأُناس لم يحرزوها بل يكتب ما وقع عليه من المعلومات، وهذا كل ماتوجبه الذمة وكذلك كانت سيرة المؤلف .
وما دمنا مجمعين على ان هذا القرن الثالث عشر أحط قرون الاسلام فقد تغتفر الترجمة لبعض رجال ليس فيهم الا أفراد قلائل جداً . من أمثال السيد محمد عابدين والشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني وهذان العظيمان مما يستغرب نبوغهما في هذا القرن .

ولا يؤخذ على المؤلف الا انه جرى على طريقة من ترجموا لأهل العصور الماضية أمثال النجم الغزي في الكواكب السائرة فترجم في جملة من ترجم لهم جماعة من المجاذيب أمثال ذيب الحلبوني والشيخ طاهر باطن والشيخ محمد ابو تقالة والشيخ حسين فشافش . فالكتب تكتب في العادة للخاصة ولمن يرجى انتفاعه بها من العامة، والخاصة لا تقيم وزناً لمن سلبه الله العقل وجعله والبهيمة سواء . لا جرم ان المؤلف الأستاذ انما كتب بعقلية القرن الذي ترجم لرجاله لا بعقلية هذا القرن . وقد روى قليلاً من شعر ذاك العصر ولم يكثر من الاستشهاد به لعلمه باسفافه . والشكر لعنايته على كل حال لحرصه على معالجة بعض النواحي من سيرة أهل بلدته بما وصل الى علمه وبلغه جهده .

محمد كرد علي

من المهد الى اللحد

انطون الياس شكور

ريودي جانيرو ـ برازيل

شبَّه كاتب هذه القصة السيد انطون الياس شكور الكتب بالأشخاص فالكتاب في نظره انما هو شبه شخص يشاهده القارئ فيرى نواحيه ومزاياه . ولا تغيب عنه الا صورة اللحم والدم فاذا كان بين القارئ والكاتب اتفاق في الفكر وائتلاف في الذوق فالمبادلة بالمودة والاعجاب واقعة بينهما وعلى هذا الرأي

جرى في كتابة قصته وطلب الى القارئ أن لا يحكم عليها الا بعد مطالعتها فانه قد يجد فيها مرآة تنعكس عليها طبائع القارئ وأفكاراً تترجم أفكاره ورغائب تحاكي رغائبه وسؤالات يرددها لسانه وهو لا يشك في أن قصته تساير الأذواق وتماشي المشارب ٠

أما القصة نفسها فانها لا تخلو من كلام على القضاء والقدر وعلى ما وراء الطبيعة ومن خطرات في الحياة والأدب والاجتماع والفلسفة ولا يخلو بعض هذه الخطرات من إصالة الرأي وخاصة ما تعلّق منها بالألم والسعادة والثروة والحرب والشباب وحب الحياة ٠

ولقد فتن صاحب القصة بالمتنبي فتنةً جعلته يستشهد بروائع حكمه في أكثر قصته أما لغته فانها مجرَّدة من التخيلات الجامحة فهي سهلة وقد تبلغ بها السهولة في بعض المواطن حدَّ الرخاوة ٠

شفيق جبري

عذارى

عزمي علي البغدادي

طبع المكتبة الكبرى للتأليف والنشر بدمشق

يشتمل هذا الكتاب على قصص في موضوعات مختلفة ، يجد القارئ فيها قدرةً على الوصف وصحةً في بعض الحكم على التاريخ والأدب ولكن هذا كله يشوبه في بعض المواطن خروج على اللغة والنحو فالكاتب يستعمل ألفاظاً لم يذكرها الفيروزابادي في قاموسه المحيط منها قوله : مستوجلةً بدلاً من وجلة وقوله : القلب المألوم بدلاً من القلب الأليم أو المتألم أو المؤلَم وقوله : استحس الخطر بدلاً من : حسَّه أو حسَّ به وقوله : استهول الإقدام بدلاً من : هاله وقوله : ولهة بدلاً من ولهى وولهة ووالهة وميلاه وقوله: وأما بني العباس بدلاً من قوله : وأما بنو العباس ٠

ولو تحفظ بعض التحفظ في استعمال مفرداته لكانت محاسن وصفه أتم وأكمل ٠

ش٠ج

٥ — منروفوكس ، شخصية الحيوان

The Personality of Animals

نقله الى العربية الأستاذ أحمد مدحت عبد الهادي ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٢٦ — عدد صفحاته ٩٨ من القطع الصغير

جمع الأستاذ (ه · منروفوكس) في هذا الكتاب آراء العلماء المتأخرين في غرائز الحيوان ، وحواسه ، وذكائه ، ومنزلته الاجتماعية ، ثم وصف لنا حياته ولعبه ولغته ، واهتداءه الى موطنه ، وقدرته على الحساب ، بلغة سهلة وأسلوب واضح فجاء الكتاب خالياً من الاصطلاحات الجافة والاسهاب العلمي الممل .

لقد كان القدماء اذا بحثوا في خصال الحيوان يذكرون مثلاً روغان الثعلب وحماقة الضبع ، وألفة الكلب ، ورأفة النمل ، وذكاء الفرس ، وبلادة الحمار ، وحنين الجاموس الى موطنه ، وعفة الطاووس ، وميله الى الزهو بنفسه والاعجاب بريشه · أما العلماء المتأخرون فيتحاشون الكلام عن أحوال الحيوان الداخلية ، ويقصرون بحثهم على المشاهدات الخارجية والتجارب العلمية ، ولا فائدة من الكلام عن ميل الطاووس الى الزهو بنفسه لأن الانسان لا يستطيع أن يشعر بما يشعر به الطاووس الا اذا استحال هو نفسه الى طاووس · فخير لنا اذن ان نسلك في دراسة أفعال الحيوان طريقة موضوعية ، وأن نبين اقتران أفعاله بالحوادث الطبيعية الخارجية ، وننبذ كل الأحوال النفسية التي لا تقع تحت الحس والمشاهدة ·

هذا ما فعله الأستاذ (هـ منروفوكس) · لقد نظر الى عالم الأحياء نظرة علمية خالية من التشبيه · الا أن ميله الى تيسير البحث اضطره الى الاقتصار على المسائل البسيطة · فلم يتعمق في الكلام عن حقيقة الغريزة ، ولا بحث في ذاكرة الحيوان وانفعالاته ولا في صور أفعاله المختلفة · والسبب في ذلك انه لم يجمع

هذا الكتاب الا لعامة القراء . أما الخاصة من مزاولي هذا العلم فلم يعطهم فيه الا ما هو دون حاجتهم .

وقد ترجم الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب سهل ، الا ان ضعف مترجمه في اللغة أوقعه في كثير من الأغلاط المزرية . ومن العجيب أن تتولى لجنة الترجمة والتأليف نشر كتاب علمي كهذا وتتغاضى عن تصحيح أغلاطه ، فان أغلاطه أكثر من أن تعد ، لو نسبت الى طلاب المدارس الثانوية لاستحيوا من الوقوع فيها .

فمن هذه الهنات قول المترجم : كي يتبعونها (ص ١٣).

وقوله : يستطيع الكلب أن يميز اثنان وثلاثين صوتاً (ص ١٩) .

وقوله : ان لتركيب عضو السمع دخل كبير (ص ٢١) .

وقوله : ان بعدي الورقتان كانا متساويين (ص ٢٤) .

وقوله : نرى الأحمر أحمراً والأزرق ازرقاً (ص ٢٤) .

وقوله : وانه ليس مصاب بعمى الألوان (ص ٢٥) .

وقوله : وفي اليوم التالي ازاد قوة الاضاءة (ص ٦٤) .

وقوله : اكثر من عشرة مرات (ص ٨٣) .

وغير ذلك كثير .

فلو عنيت لجنة الترجمة والتأليف بتصحيح أغلاط هذا الكتاب لأحسنت الى المترجم وأتت في ذلك ما هو مأمول منها ومقدر فيها .

جميل صليبا

آراء وأنباء

تاريخ حكماء الإسلام

كتب الينا العلامة اغناطيوس افرام الأول برصوم الاستدراك الآتي على هذا الكتاب :

ص ١٦ : كان حنين من أهل الحيرة لا من بغداد ، وتعلم ببلاد الروم لا ببلاد الشام ، وكان طبيباً للمتوكل ، وفي زمانه لمع نجمه وعاصر تسعة خلفاء لا المأمون والمعتصم فقط ، وتوفي في أيام المعتمد في ١ كانون الأول سنة ٨٧٣

ص ١٩ : لم يذكر أحد شيئاً عن اسلام اسحق بن حنين على كثرة من ترجم له ، وابن النديم القريب العهد منه أولى بالتصديق من البيهقي ، فان اسحق توفي اخر سنة ٩١٠م وابن النديم الذي يخمّن مولده نحو سنة ٣٢٥ حلت وفاته سنة ٩٩٥ أو نحو سنة ١٠٠٠

ص ٢٦ : ان ابا الخير الخمّار أو خمار ولد في آخر سنة ٩٤٢ ، وكان موجوداً سنة ٩٩٧ التي فيها ملك السلطان محمود بن سبكتكين الذي استولى على خوارزم سنة ٩٩٩ في رواية ابن الأثير وابن خلكان وأبي الفداء و ١٠١٦ في رواية ابي الفرج ابن العبري ، ويقول البيهقي انه لما استولى عليها حمل المترجم الى غزنة وعرض عليه الاسلام فأبى وعمره جاوز المائة ، ثم نسب اليه الاسلام ، ثم روى وفاته على أثر دعوة السلطان اياه ، أي قبل سنة ١٠٣٠ التي فيها توفي محمود ففي سنة ٩٩٩ كان عمره ٥٧ وسنة ١٠١٦ كان ٧٤ ، لا ١٠٠ ، والأرجح انه توفي بين السبعين والثمانين من عمره ، واذا كان معظماً عند السلطان حتى ان هذا قبّل له الأرض على ما روى ابن أبي أصيبعة (مج ١ : ٣٢٢) فكيف يعقل ان يكون عرض عليه الاسلام ، فضلاً عن ان كل من ترجم له أو نوّه به صرح بنصرانيته ؟

ص ٤٣ : ابو الفرج عبد الله ابن الطيب كان قسيساً وكاتباً للجاثليق ايليا الأول وعالماً باللغة الآرامية لا الرومية أي اللاتينية كما ذكر ، وأراه تصحيفاً في

اللفظة ، فان الرومية كانت عصرئذ مجهولة في الشرق ، وكانت وفاته سنة ١٠٤٣

ص ١٣٧ : لم يذكر المؤرخون طبيباً حكيماً اسمه عبديشوع بن يوحنا ولم يرد في تاريخي الحكماء وطبقات الأطباء ذكر جاثليق اسمه عبديشوع من كبار الأطباء ، وكل ما جاء في هذا الأخير مج ١ ص ٢٢٩ ان اباعلي بن مكيخا النصراني سأل عبديشوع الجاثليق عن أطباء بغداد سنة ٣٦٤ (٩٧٤ ـ ٩٧٥) وهذا هو عبديشوع الأول نُصب سنة ٩٦٣ وتوفي عام ٩٨٦ ، ونوهت تواريخ أصحابه الكلدان بوفور حظه من العلم الديني ليس الا ، وكذلك كان الجاثليق عبديشوع الثاني المعروف بأبي الفضل ابن العارض (١٠٧٤ ـ ١٠٩٠) وقام عندهم أيضاً عبديشوع الثالث ابن المقلي (١١٣٨ ـ ١١٤٧) ولم يرد في تواريخهم جاثليق عارف بالطب على الاطلاق ، وعبديشوع بن بهريز ابو سعيد الذي كان موجوداً سنة ١٠٢٨ وصار مطراناً لاربل والموصل كان أيضاً من ذوي العلم الديني ، وعدّه ابن أبي أصيبعة من نقلة الكتب ، ومؤرخا الكلدان القديمان اللذان يُرجع اليهما هما : ماري بن سليمان وعمرو بن متى الطيرهاني — فنرى ان الذي ذكره البيهقي هو بختيشوع بن يوحنا (لا عبديشوع) طبيب المقتدر والراضي المتوفى سنة ٩٤١ (طبقات الأطباء ١ : ص ٢٠٢ و٢٠٣) وقد صحف اسمه في نسخة المؤلف .

(حمص) اغناطيوس افرام

ملاحظات على ديوان ابن عنين

قرأتُ مقدمتكم لذلك الديوان المفيد بشوق وإنعام نظر فأعجبني المذهب الذي ذهبتم فيه من إعطاء ابن عنين حقه ، ووزْن أدبه بالقسطاس المستقيم ، لا كما يفعل المتهافتون في دراستهم الأدبية والتاريخية ، طلباً للجاه العلمي الذي هم محرومون ، ومخادعةً للنفس الضعيفة التي تستجيب لكل ناعق ، وذهاباً مع الأهواء التي لا يقرّ لها قرار .

ولقد ـ والله ـ نصبتم في المقابلة بين النسخ نصَباً ظاهراً وأحسنتم الإشراف على الطبع ، وذكرتم أقوالاً ستكون مأثورة كقولكم في ص ٢٩ من المقدمة « وهو

في هجائه شرس عنيف وقح بذيء متفنن في مهاجمة خصمه ...» . وهذا من الحق الذي لا ريب فيه ، فان ابن عنين أتلف أدبه بذلك الهجاء المقذع السافل !!

وقد رأيتكم حفظكم الله تعترفون بأنكم لم تجدوا تراجم لجماعة من الرجال الواردة أسماؤهم في الديوان ومَن يدّعي بأنه يستطيع الاحاطة بمثل هذا الموضوع الصعب ؟ أجل ورد في ص ١٠٧ من الديوان قول جامعه « ورعف القطب السرخسيّ فقال ...» وعلقتم عليه أنكم لم تجدوا له ترجمةً وأنه لعله « القطب النيسابوري شيخ ابن عنين » . قلت : قد ترجم ابن الفوطي في معجم الألقاب ـ وهو في الخزانة الظاهرية ـ قطب الدين السرخسي وقال « قطب الدين أبو المكارم محمد ابن محمد بن عثمان السرخسي النحوي ، كان أديباً فاضلاً دخل في المائة السابعة ، أنشدني له شيخنا برهان الدين عبد العزيز بن احمد الختني براعة له في ترتيب مخارج الحروف [1] ....» وذكر له أبياتاً . فيكون رآه في ايران .

وجاء في ص ١٠٧ أيضاً « أخا الفضل شمس الدولة ابن جميل » وقلتم في الحاشية إن نسخة(ب) جعلت ذلك « لنا » والصحيح ما ذكرتم في المتن ولكنكم لم تشيروا الى ترجمة ذلك الرجل ، وكان من مشهوري رجال الدولة العباسية وقد ترجمته بتفصيل في « مجلة الغري » .

وجاء في ص ١٨٢ من الديوان :

« والعزّ عبد الرحيم سيدنا مطيلس للقضاء بالشرب »

فقلتم « لعله يريد بعبد الرحيم القاضي الفاضل » ولكنّ القاضي الفاضل لم يكن يلقب بعز الدين بل بمحيي الدين ولا ولي القضاء ، وأنا أظنه « عز الدين عبد الرحمن ابن الحسين بن الخضر بن عبدان القرشي الدمشقي المعدّل ، ذكره الحسن بن صصرّي الدمشقي في معجم شيوخه وقال : قدم بغداد وسمع بها من القاضي أبي الفضل محمد

(١) المجلد الرابع «ص٣٢٣» من نسختي الخطية وله ترجمة في الجواهر المضية في طبقات الحنفية وذكر فيها أنه سمع الحديث بهراة وتوفي سنة [٦٠١] .

ابن عمر الأرموي ، توفي في شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة ودفن بكنف جبرائيل[١] » . والشاهد المعدَّل من أرباب القضاء يومئذ .

وورد في ص ٢٠٢ اسم واعظ يعرف بالشمس الواسطي ولم تذكروا من أمره شيئاً و « هو الشيخ الأجل ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا يحيى بن أبي المكارم ابن الحسين الطائي الواسطي الواعظ المنعوت بالشمس ، ولد بواسط العراق ونشأ بها ولقي جماعة وقدم مصر بعد سنة تسعين وخمسمائة وسمع بها وحدث ووعظ وسئل عن مولده فقال سنة احدى أو اثنتين وسبعين وخمسمائة بواسط ، وكان قد تقدم على أقرانه في الوعظ وحصل له قبول تام من العامة ، توفي بمصر في مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٢ بالموضع المعروف بسفح المقطم ودفن بقربه من الغد ، ذكر ذلك زكي الدين المنذري في كتابه « التكملة لوفيات النقلة[٢] » وفي مكتبة البلدية بالاسكندرية مجلدان من التكملة المذكورة .

وجاء في ص ٢٢١ « وقال في ابن مازة » وفي الحاشية عن الوفيات « ابن مارة » وعن شرح لامية العجم « ابن مادة » . قلت : جاء في ترجمة ابن عنين من تاريخ ابن الدبيثي أنه ابن مازة ، وترجمه في بابه بقوله « محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عمر ابن عبد العزيز بن عمر ـ وعمر هذا لقبه مازه ـ وأولاده يعرفون ببني مازه ... » وترجمه القرشي في الجواهر المضية « ج ٢ ص ٨٠ » وقال « وعمر الجد الأعلى يعرف بمازه وأولاده كل واحد منهم مذكور في بابه وعمر هذا لقبه مازه وأولاده يعرفون ببني مازة ... » ثم ذكر في باب الكنى « ابن مازه عمر بن عبد العزيز ابن عمر بن مازة برهان الأئمة » .

وورد في ص ٢٢٨ قول ابن عنين « والحاكم المصري وابن التنّبي » فذكرتم في الحاشية كلمة على « تنّب » المنسوب اليها ، ولم تذكروا كلمة على التنبي الذي أراده ابن عنين وهو « الرئيس الأجل أبو القاسم عبد المجيد بن صاعد بن سلامة الأنصاري

(١) معجم الألقاب « مج ٤ ص ١٦ » من نسختي

(٢) أصول التاريخ والأدب من مجموعاتنا الخطية « مج ٢٧ ص ٣٩٣ »

المعروف بابن التنبي، سمع الحديث بدمشق من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر مؤرخ دمشق وغيره وصحب الملك العادل أبا بكر ابن أيوب وترسّل عنه الى بغداد وغيرها من البلاد وكانت له عنده الحرمة العظيمة والمنزلة الكريمة، توفي بالقاهرة في ثامن شعبان سنة ٦١٣ ودفن من الغد بسفح المقطم، ذكر ذلك الحافظ زكي الدين المنذري في التكملة لوفيات النقلة، كما في مكتبة الاسكندرية، ونقله عنه جمال الدين ابن الصابوني في « تكملة اكمال الكمال » في أنساب الرجال (١) .

هذا ما بدا الي في أثناء تقليب الديوان وعسى الله أن يوفقني لقراءته بالترتيب والتعقيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مصطفى جواد

استدراك على ترجمة الأمير شكيب ارسلان

قرأت في آخر الجزء الثاني من المجلد (٢٢) تلك الترجمة الحافلة للمرحوم العلامة الكبير الأمير شكيب بقلم الأستاذ عارف النكدي . وأعتقد ان هناك أعمالاً جليلة قام بها المرحوم هي مخبوءة في الزوايا . من جملتها كتابه الذي كان أرسله للسيد أسعد العينتابي أحد وجوه حلب من طبرق حينما أتى اليها ليشاهد عن كثب جهاد أهل طرابلس الغرب ومن حولها مع الايطاليين بقيادة المرحوم أدهم باشا قولي . والكتاب أعطي لمجلة الجامعة الاسلامية الحلبية وسينشر فيها عما قريب .

ورأيت في الترجمة ان من جملة مؤلفاته « حسن المساعي في تاريخ الامام الأوزاعي » والحال ليس كذلك فالكتاب مؤلف من قديم . ولكن المرحوم نشره وعلق عليه تعليقات جليلة مفيدة جداً . وقد قال في مقدمة النشر . وبعده فانني منذ سنتين اطلعت في برلين اذ أنا أنقب في خزانة الكتب الملوكية على كتيب

(١) المرجع المذكور « مج ٣١ ص ٩٥ » .

اسمه «محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزاعي» لم يذكر فيه اسم مؤلفه ٠ وانما ذكر في آخره اسم ناسخه الخ ٠

لما تلوت هذه العبارة عزمت على البحث عن المؤلف وأخذت في التنقيب الى أن ظفرت به في الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع (ج ٢ ص ٧٢) فاذا هو احمد بن محمد الموصلي الدمشقي المتوفى سنة ٨٧٠ وقد قال في ترجمته ما نصه ٠

وأفرد مناقب كل من تميم والأوزاعي في جزء سمى الأول تحفة الساري الى زيارة تميم الداري ٠ والثاني محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزاعي ٠

وعلى أثر ذلك كتبت للمرحوم الأمير بعشوري على المؤلف وأرسلت له جميع ترجمته وذلك بتاريخ ربيع الثاني سنة ١٣٥٧ و ٣١ أيار سنة ١٩٣٨ ٠ وجاءني الجواب منه من برلين وقد كان وقتئذ هناك ونص كتابه :

أشكر لك جداً الهدية التي أهديتني واليها هديتني وهي ترجمة احمد بن محمد الموصلي الحنبلي الذي ظهر انه هو صاحب محاسن المساعي في ترجمة الامام الأوزاعي ٠ ولقد صح حدس السيد علال الفاسي الذي قرأ في فهرس خزانة الكتب المصرية أن صاحب هذا الكتاب هو ابن حجر العسقلاني فاستبعد ان يكون هو وكتب اليَّ برأيه ٠ ثم ان عندي من الأخ كرد علي كتابة ضمنها كتابة للمستشرق كرنكوي عن هذا الكتاب متى رجعت الى جنيف ان شاء الله أنسخها لك ٠ على كل حال سنعيد طبع الكتاب ونضم اليه ما جدّ عنه لدينا من المعلومات اه

محمد راغب الطباخ

حول قبر معاوية رضي الله عنه

كنت كتبت للمجلة ما عثرت عليه من التراجم التي قيل فيها أنه دفن بالقرب من قبر معاوية رضي الله عنه في الباب الصغير ٠ وكتبت لها عما رأيته في تاريخ القرماني من ان الأمير احمد بن طولون عمر في سنة ٢٧٠ قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل هناك قراء ٠

والآن عثرت في الجزء الخامس من المنتظم للحافظ ابن الجوزي على ما يتعلق بقبر معاوية قال في ص ٧١ في حوادث سنة ٢٧٠ وفيها بنى احمد بن طولون أربعة أروقة على قبر معاوية بن أبي سفيان وأمر ان يسرج هناك وأجلس اقواماً معهم المصاحف يقرأون القرآن اه .

فالقرماني يقول لنا قبة عالية وابن الجوزي يقول لنا أربعة أروقة وهي تأخذ مساحة واسعة وهما متفقان على ان البناء كان سنة ٢٧٠ فأيهما أصح ومتى خربت تلك القبة أو الأروقة . لعل هناك من يكشف لنا عن الحقيقة نقلاً عن تواريخ دمشق أو غيرها .

ر . ط

هدية ملكية

أهدى جلالة الملك فاروق حفظه الله الى المجمع العلمي العربي عدداً من المؤلفات التي طبعت على نفقة الخاصة الملكية . فالمجمع الذي يشكر لجلالة الملك المعظم هذه اليد البيضاء على العلم والأدب يرجو من الله أن يمدّ في عمر صاحب الجلالة ، ويتمنى لمصر اطراد التقدم والرقي في ظل مليكها الفاروق رعاه الله . وهاك اسماءها :

١ — كتاب اعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي .

٢ — ترجمة كتاب اسماعيل «الخديو المظلوم» وضع الأستاذ كرابيتس لفؤاد صروف

٣ — تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل باشا وضع الياس الأيوبي (الجزأين الاول والثاني)

٤ — المحفوظات الملكية «بيان بوثائق الشام» للأستاذ اسد رستم (اربعة اجزاء)

٥ — كتاب «تاريخ المساجد الأثرية» للأستاذ حسن عبد الوهاب (الجزء الأول والثاني) خمس نسخ .

٦ — الرحلة السلطانية في الوجه القبلي (مديرية قنا)
٧ — « « « « « (مديرية المنيا)
٨ — « « « « « (مديرية بني سويف)
٩ — « « في اقليم البحيرة
١٠ — « « في اقليم المنوفية
١١ — « « « « القليوبية
١٢ — « « « « الدقهلية
١٣ — « « « الوجه البحري (مديرية الشرقية)
١٤ — الرحلة الملكية في اقليم الفيوم
١٥ — « « « لارساء الحجر الأول في قناطر نجع حمادى
١٦ — « « « في الصحراء الغربية .
17 - L'Egypte sous le Règne de Fouad Ier (Foulad Yéghen)
18 - L'Egypte Pittoresque (Paul Tremblay et Fredric Boissonas)
19 - The Art of Egypt through the ages
20 - L'Histoire des Campagnes Navales de Mohamed Ali et d'Ibrahim (Durand Viel)
21 - LHistoire Militaire de Mohamed Ali et de Ses Fils (G. L. Weygand)
22 - Précis de l'Histoire de l'Egypte
23 - Il Corpe Epistolare Privato de Bernardino Drovetti (Pr. Giovanni Marro) .

المؤتمر الثقافي الأول

النشاط الثقافي في جامعة الدول العربية

قررت اللجنة الثقافية في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عقد أول مؤتمر ثقافي عربي في لبنان في الثاني من شهر ايلول القادم للتداول في الأسس الواجب

اتباعها في تدريس الموضوعات التي لها علاقة مباشرة بالتربية القومية العربية كاللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية ، ودعت اليه عدداً كبيراً من الأساتذة الاختصاصيين في هذه الموضوعات وبعض رجال التربية والتعليم في الأقطار العربية ، كما دعت اليه وزارات المعارف والمعاهد العلمية وبعض الهيئات الثقافية في البلاد العربية لابداء آرائهم في الطرق الفنية والتربوية الواجب اتباعها . وقد وجهت اليهم اسئلة في نقاط جوهرية في كل موضوع من الموضوعات السابقة ، وذلك تمهيداً للمباحث التي ستجري في المؤتمر .

وقد طبعت اللجنة الثقافية نشرة تبيّن غاية المؤتمر ووسائل اعداده مع التقارير الأولى للجنة التحضيرية وأسئلتها . فرأينا أن نلخص لقراء المجلة بعض ماجاء فيها .

جاء في التمهيد «ان أول أمر تحسن البداية به لايجاد مستوى ثقافي رفيع موحد بين البلاد العربية ولتوحيد اتجاهات تلك الثقافة هو العناية بمواد الثقافة العربية وأسلوب تعليمها .. فاذا هي استوفت حقها من تلك العناية كانت سبباً لوحدة العواطف القومية ولتقارب الاتجاهات العقلية بين البلاد العربية» .

لذلك رُئي أن تكون مهمة المؤتمر الثقافي الأول البحث في أمرين هما :

الأول — وضع حد أدنى مشترك لمواد الثقافة العربية في مراحل التعليم الابتدائية والثانوية .

الثاني — تحسين طرق تدريس اللغة العربية .

ثم وصف التمهيد مراحل العمل في المؤتمر وبين وظائف لجنته التحضيرية ووظائف اللجان الفرعية ووظائف الشعب المحلية في الحكومات العربية وواجبات أمانة سر المؤتمر .

أما اللجان الفرعية التي انبعثت من اللجنة التحضيرية العامة فهي لجنة اللغة العربية ، ولجنة جغرافية البلاد العربية ، ولجنة التاريخ العربي والتربية الوطنية . وقد حضرت هذه اللجان تقاريرها وأسئلتها ثم عرضتها على اللجنة التحضيرية فأقرتها ودرجتها في النشرة المطبوعة . وهي أربعة تقارير :

الأول — تقرير لجنة اللغة العربية ويتضمن بحثاً في الهدف الذي نرمي اليه في تعليم اللغة العربية مع بحث مقتضب عن المناهج وأساليب التعليم والكتب وطبيعة اللغة والمعلم .

والثاني — تقرير لجنة التاريخ العربي ، وفيه ان الحد الأدنى الذي يجب توافره للمواطن العربي من التاريخ في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي هو تعريف المتعلم ماضي بلده على أنه بيئة لها مقوماتها ، ثم على أنه جزء من بيئة أوسع ، وهي العالم العربي ثم على انه جزء من العالم الانساني بأجمعه .

والثالث — تقرير حول التربية الوطنية واعداد المواطن العربي ، جاء فيه ان لتعليم التربية الوطنية والمعلومات المدنية والأخلاقية ثلاثة اتجاهات يجب مراعاتها :
١ — اهتمام المرء بالوطن الخاص ، وهو الوطن المحلي ، ٢ — اهتمامه بمجموعة خاصة من الأقطار ، وهو الوطن العربي ، ٣ — اهتمامه بالعالم كله ، وهو الوطن العالمي .

والرابع — تقرير لجنة الجغرافية ويشتمل على أربعة اقسام : ١ — الأسس العامة التي تراها اللجنة صالحة لمناقشة الموضوع مناقشة تفصيلية بواسطة الشعب المحلية ، ٢ — اقتراحات مبدئية خاصة بتطبيق هذه المبادئ في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي أو ما يعادلها ، ٣ — اقتراحات مبدئية بالأساليب التي تراها اللجنة ضرورية لحسن تدريس جغرافية الأقطار العربية ، ٤ — أسئلة ترى اللجنة توجيهها الى الشعب المحلية لتبدي رأيها فيها الى جانب وجهة نظرها في الأسس والمبادئ التي اتجه اليها تفكير اللجنة .

وكما اشتمل تقرير لجنة الجغرافية على أسئلة موجهة الى الشعب المحلية فكذلك اشتملت التقارير الثلاثة الأولى على أسئلة أخرى لا يتسع المجال لدرجها كلها هنا .

ولا شك أن هذا العمل الذي تقوم به اللجنة الثقافية للجامعة العربية حيوي ، جدير بالاهتمام اذ أن نتائجه ستؤدي الى اثارة نهضة تعليمية ثقافية مشتركة تكون دعامة الوحدة الروحية والعقلية بين العرب .

مؤتمر آثار الشرق

تقوم ادارة الثقافة العامة لجامعة الدول العربية ، بتهيئة عقد مؤتمر لاخصائي الآثار في البلاد العربية المختلفة باسم «مؤتمر آثار الشرق» غايته المحافظة على تراث الشرق العربي والاهتمام بالثقافة الأثرية وتبادل الآراء العلمية والفنية وتقوية الصلات بين الشعوب العربية · وقد دعت الادارة المذكورة جميع دول الجامعة العربية لانتداب اخصائيين في الآثار لهذا المؤتمر كما أشركت فيه بعض الأثريين في فلسطين ·

وقد تقرر عقد هذا المؤتمر في ٢٣ أغسطس (آب) القادم في سورية ·

مسابقة

لتأليف نشيد خاص للجامعة العربية

تدعو ادارة الثقافة بجامعة الدول العربية الأدباء والشعراء العرب اينما كانوا لتأليف نشيد خاص للجامعة العربية بالشروط الآتية :

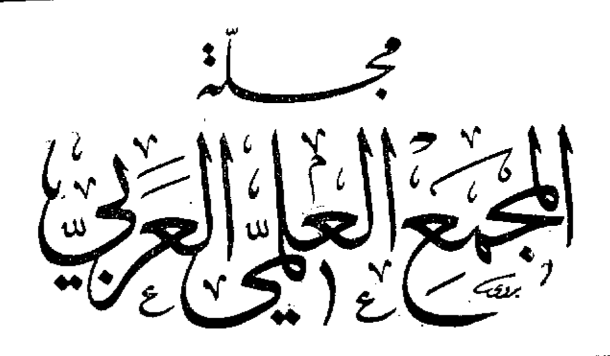
١ — أن يكون النشيد باللغة العربية الفصحى ·
٢ — أن يكون بلغة سهلة يشترك في فهمها الجمهور ·
٣ — أن يكون وزنه وأسلوبه مما يحسن توقيعه وتلحينه ·
٤ — أن يكون حجمه مناسباً لا مفرطاً في الطول ولا في القصر ·
٥ — أن يكون باعثاً على تقوية الشعور بالعزة والوحدة القومية ·
٦ — يحق لكل عربي أياً كان قطره ان يشترك في المسابقة ·
٧ — تمنح مكافأة قدرها مائة جنيه للفائز ·

آخر موعد للتقديم أول يوليو (تموز) سنة ١٩٤٧

فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد الثاني والعشرين

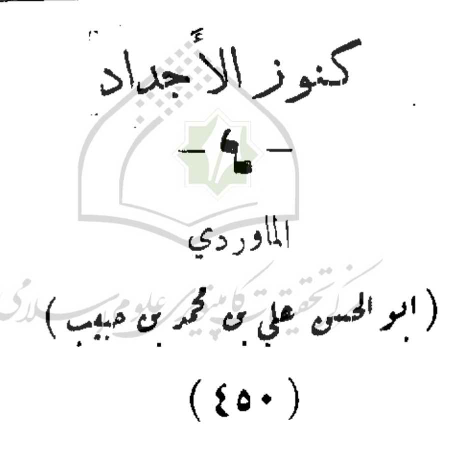
الصفحة

الجزء السابع والثامن ٢٦١، ٢٦٢ المجلد الثاني والعشرون



تموز وآب سنة ١٩٤٧ شعبان وشهر رمضان سنة ١٣٦٦

كنوز الأجداد



-٩-

الماوردي

(ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب)

(٤٥٠)

الماوردي نسبة الى بيع ماء الورد، نشأ في البصرة وتلقى العلم فيها، وهو إمام في الفقه والأصول والتفسير، بصير بالعربية والأدب، من اعظم الكتاب، معتدل في تأليفه، هادئ في أفكاره، أوحد في فنه وفهمه، محمود الطريقة، مطمئن النفس، حريص على الاستفادة، بعيد عن الدعوى والهوى. تولى القضاء في بلدان كثيرة ثم غدا أقضى القضاة، يفتي بمذهب الشافعي، وقيل انه كان فيه ميل الى الاعتزال.

هذا غاية ما كتبه المؤرخون فيه وأجمل ما فيه أسلوبه في أسفاره «الاحكام السلطانية» و«أدب الدنيا والدين» و«أعلام النبوة» و«قانون الوزارة» وفيها تتجلى شخصيته عن معرفة ثاقبة بأمور الدولة واضطلاع واسع بتاريخ الحركات الفكرية والسياسية في الاسلام ·

لم يقتصر الماوردي على الأخذ عن الشيوخ وتصفح ما خلفه من تقدموه بل قرن الى علمه تجارب تنبئ عن نفسها، ومعارف منوعة لقفها من الحياة وما عاناه من مشاكل العالم، وعُمّر حتى بلغ السادسة والثمانين فكان له دور سكون ارتاح فيه من هزاهز العيش، وانصرف الى التأليف وخدمة أمته ·

تتمثل الماوردي وانت تقرأ «الأحكام السلطانية» كأنك تقرأ كتاب عالم عصري قتل الأيام تجربة، ودوّن زبدة الأحكام التي تشغل الأذهان · وكتبه من الكتب التي تدعوك الى نفسها أبداً وتحبب اليك، اذا تصفحتها مرة ساقتك بدون تعمد الى معاودة قراءتها وكلما تلوتها انصرفت عنها بجديد ·

حقاً ان الأحكام السلطانية مرجع فريد في بابه، ولو لم يكن له غيره من المصنفات لعدّ في زمرة من أبدعوا الابداع كله في مصنفاتهم · واذا حدقت النظر في هذا المصنَّف تراءى لك ان الماوردي لم يتقن من فنون العلم غير هذا الذي يحدثك فيه ويفيض عليك منه · ذلك لأنه لم يقتصر على الأخذ عن الشيوخ وتفهم نصوص العلماء في الكتاب والسنة، بل شفع علمه بتجاربه وما درسه بذاته وهدته اليه الأحوال · جمع الى معرفته الواسعة معرفة أصول الإسلام وفروعه وعلمه وعمله ومنطوقه ومفهومه وكل ذلك يزينه وقوفه على سياسة الخلق ومهارته في حسن القضاء بينهم، وحسن التأليف لأجيالهم ·

افاض في الأحكام السلطانية في الخلافة وتقليدها والوزارات وانواعها والامارات والولايات، والقضاء وضروبه والمظالم، والنقابات والجبايات والصدقات والاقطاعات، وانواع الدواوين واحكام الجرائم والحسبة والمنكرات والمعروفات الى ما له مساس

بإقامة العدل بين الرعية . جمع ما كان متفرقاً في بطون الدفاتر ونسقه وعلق عليه وخالف عُرْفَ علماء وقته في مسائل اجتهد فيها فتحملوه وما شاكسوه . واكتفى من دنياه بما اعطته فكان خير معلم للناس في حياته وبعد مماته ، أتاها بكتب تُتلى ولاتبلى جدتها على غابر الأحقاب .

ومن تدبر الأحكام السلطانية وقارنه بالأحكام السلطانية للقاضي ابي يعلى يتبين له الفرق بين رجل أفاده دخوله في المجتمع ورجل درس الحديث والفقه واقتصر على ما تلقاه في مجالس العلماء فجاء كتابه نظريا ، وكان كتاب الماوردي عملياً ، وكتابه هذا ما امتع هذا الامتاع الا لأن صاحبه كان قاضياً لامعاً وسياسياً مبرزاً يقل في أهل صناعته أمثاله ، وأوحت اليه مسائل الناس والدول اشياء احسن تلقفها وتصويرها والانتفاع بها .

كان الماوردي قادراً في ضبط نفسه فيما ليس منه ضرر على الدين او الدنيا ، يبتعد عمن اذا رأى محبرة تطير منها وان وجد كتاباً اعرض عنه ، وان رأى متحلياً بالعلم هرب منه ، كأنه لم ير عالماً مقبلاً ، وجاهلاً مدبراً . قال ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوي منازل وأحوال كنت اخفي عنهم ما يصحبني من محبرة وكتاب ، لئلا اكون عندهم مستثقلاً ، وان كان البعد عنهم مؤنساً ومصلحاً والقرب منهم موحشاً مفسداً .

وكان اذا عرض أمر يعود على الدين بالضرر يستأسد ويزمجر وينزع ثوب السيامي ويلبس ثوب العالم الشجاع على ما كان منه لما امر الخليفة ان يزاد في ألقاب جلال الدولة بن بويه لقب « ملك الملوك » فما افتى الماوردي مع من أفتى بجواز ذلك مع انه كان من خواص جلال الدولة ، ولما أفتى بالمنع انقطع عنه فطلبه جلال الدولة فمضى اليه على وجل شديد ، فلما دخل عليه قال له : انا اتحقق انك لو حابيت احداً لحابيتني لما بيني وبينك ، وما حملك الا الدين ، فزاد بذلك محلك عندي . ولذا قال المؤرخون انه كان محترماً عند الخلفاء والملوك « وكان

ذا منزلة من ملوك بني بويه يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من يناويهم ويرتضون بوساطته ويقنعون بتقريراته» .

وكتابه الثاني «أدب الدنيا والدين» من أمتع ما كتبه علماء الأخلاق والتربية، مصادره الكتاب والسنة واقوال الحكماء والبلغاء، وفيه طائفة من الشعر البديع والنثر المنسجم . ومما قال عن نفسه في كتابه هذا : ومما انذرك به من حالي انني صنفت في البيوع كتاباً جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس، واجهدت فيه نفسي وكددت فيه خاطري حتى اذا تهذب واستكمل وكدت أعجب به وتصورت انني اشد الناس اضطلاعاً بعلمه، حضرني وأنا في مجلسي أعرابيان فسألاني عن بيع عقداه في البادية على شروط تضمنت اربع مسائل لم أعرف لواحدة منها جواباً فأطرقت مفكراً، وبحالي وحالها معتبراً، فقالا : ما عندك فيما سألنا جواب، وأنت زعيم هذه الجماعة ؟ فقلت : لا . فقالا : واهاً لك . وانصرفا ثم أتيا من يتقدمه في العلم كثير من اصحابه فسألاه فأجابها مسرعاً بما اقنعها وانصرفا عنه راضيين بجوابه، حامدين لعلمه قال فبقيت مرتبكاً وبحالها وحالي معتبراً، (وانني على ما كنت عليه في تلك المسائل الى وقتي . فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلّل بها قياد النفس وانخفض لها جناح العجب، توفيقاً منحته ورشداً أوتيته . وحق على من ترك العجب بما يحسن ان يدع التكلف لما لا يحسن، فقد نهى الناس عنها واستعاذوا بالله منها .

وعلى ما عرف به الماوردي من بعد النظر والتحري في قضائه أورد أشياء في كتابه اعلام النبوة اذا وضعت على محك النقد كانت مثار العجب منه وهو الراوية الحسن الرواية والنقادة الذي يمتاز باستخراج السقيم من السليم وقد نسب اليه هذان البيتان :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسادهم دون القبور قبور
وان امرءًا لم يحي بالعلم صدره فليس له حتى الممات نشور

الأشعري

(ابو الحسن علي بن اسماعيل)

(نيف وثلاثون وثلاثمائة)

نشأ من بيت عريق في العلم والفقه والمناظرة والقضاء والفتوى وأخذ العلم عن ابي علي الجبائي امام المعتزلة وتبعه في الاعتزال وألف في نصرته والدعوة اليه ، وأقام على الاعتزال اربعين سنة حتى صار للمعتزلة اماماً ، ثم تغيب في بيته عن الناس خمسة عشر يوماً ، وقالوا انه تاب من القول بالعدل وخلق القرآن وذلك في المسجد الجامع بالبصرة ورقي كرسياً ونادى بأعلى صوته في يوم الجمعة : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي انا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله لا تراه الأبصار وان افعال الشر أنا افعلها ، وانا تائب مقلع . واهل العدل فرقة من أهل التوحيد تقول ان الله انما خلق الخلق أجمعين لصلاحهم ونفعهم .

قال : معاشر الناس انما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء ، فاستهديت الله فهداني الى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا . وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به . ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنة الى الناس . قالوا ان المعتزلة كانوا قد رفعوا رؤوسهم حتى ظهر بدعوته فجحرهم في اقماع السمسم .

رواية غريبة مثلها ابو الحسن تمثيلاً مقبولاً ، فاتقى بما أتى صولة العامة ، واستمال قلوبهم وأقنعهم بتوبته عن الاعتزال ، ورجوعه عن مذهب لا يخالف ما خرج اليه الا بما لا بال له . وقد وفق في نزعته الجديدة توفيقاً لم يسبق له مثيل . ولما سلك طريقاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب اهل التجسيم وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه مال اليه جماعة وعولوا على

رأيه منهم الباقلاني وابن فورك وابواسحق الاسفرايني وابو حامد الغزالي والشهرستاني ونخر الدين الرازي وغيرهم ونصروا مذهبه وناظروا عليه وجادلوه فيه واستدلوا له في مصنفات كثيرة فانتشر مذهبه في العراق من نحو سنة ثمانين وثلثمائة وانتقل الى الشام ٠

يقول ابن خلدون ان الشيخ اباالحسن الأشعري امام المتكلمين توسط بين الطرق ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه فأثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والأصلح والتحسين والتقبيح ، وكمل العقائد في البعثة واحوال الجنة والنار والثواب والعقاب ، وألحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حينئذ من بدعة الامامية من قولهم انها من عقائد الايمان وانه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة في ذلك لمن هي له وكذلك على الامة ٠

تصدى الأشعري للرد على المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وغيرهم وقيل انه صنف خمسة وخمسين تصنيفاً وقيل أكثر من ذلك وبعضها ردود ونقض أقوال من لا يقول بقولهم من العلماء ، وقيل انه كان ضعيفاً في التأليف قوياً في المناظرة ، والصحيح انه كان قوياً في كليهما يفيض من علمه على ما يجب ويعرف اجتذاب القلوب اليه ويهتم لرضا العوام والخواص ٠ صفات يحتم تحقيقها في صاحب كل دعوة ٠ اما صفاته الشخصية فخير صفات يستطيع بها من أوتيها استهواء العقول فلا ينفر منه أحد ولو خالف رأيه ٠ وما كان فيه جمود بعض العلماء ولا تزمتهم وعزوفهم ، وكان فيه دعابة ومرح ويحب المزاح كثيراً ٠

وأما عيشه فكان مضموناً لا يحتاج في تحصيله الى كد ، يأكل من غلة ضيعة وقفها جده بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري على عقبه ٠ وكانت نفقته كل يوم سبعة عشر درهماً وقيل أقل من ذلك اي انه كان موسعاً عليه لا يضطر الى الرواتب وتولي المناصب بما يقطعه عن غرضه الديني الشريف ٠

ان في القول بأن ابا الحسن الأشعري بعد ان قضى في مذهب الاعتزال أربعين سنة قد تاب واناب محالاً للتفكير الطويل . والمعقول انه بقي على تراتيب مذهبه الأصلي وما جاءه الفيض الا بالأخذ عن أئمة المعتزلة وما انفتق ذهنه الا بأصولهم والتشبع بطرائقهم في المناظرة والاجتهاد والتحقيق . وكتاب الأشعري في «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» لمن امتع ما كتب عالم في الكشف عن فرق الاسلام اخذ بعضه من الكتب المؤلفة قبله ونسقه وضمنه آراءه ومنازعه وحشاه بفوائد تاريخية وسياسية ،ووصف فيه مسائل علم الكلام واختلاف ارباب المذاهب فيها وصفاً دقيقاً مفهوماً ومما روى وقائع المطالبين بالخلافة وفصولٌ في الامامة واعتقاد اهل الفرق فيها ، وفي الحَكَمين والحكم عليهما بما فعلا .

أطلق في كل ذلك العنان لقلمه حتى ان النبيه المتصفح لكلامه لا يشعر ان الأشعري خالف أصحابه القدماء . وخروجه عن مذهبه الأصلي بعد قضاء اكثر عمره فيه دليل مهارة استوجبها فرط حريته واخلاصه لدينه .

الأشعري «لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً وانما هو مقرر لمذاهب السلف ، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ، فالانتساب اليه انما هو باعتبار انه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به ، واقام الحجة والبراهين ، فصار المقتدي به في ذلك ، والسالك سبيله في الدلائل يسمى اشعرياً .

وللأشعري من الكتب المطبوعة «الابانة في أصول الديانة» و «استحسان الخوض في الكلام» و «رسالة الى اهل الثغر بباب الأبواب» . وامتعها مقالات الاسلاميين وهو كاتب مجيد كتب الشريعة بلسان عذب لا تعقيد فيه حتى ليستدرجك الى الاعتقاد بعقيدته من حيث لا تدري ، والاشعري بما اصدره من الطبعة الأخيرة من آرائه التي وافقت قبولاً من عظماء الملة وسرت في الأفكار بدون ان تلقى تصادماً يعتد به قد اراح السواد الأعظم من المسلمين بان عين لهم حدود المعتقدات فكان واضع أساس مذهب اهل السنة والجماعة وكان المؤمنون أزعجوا باختلاف الباحثين .

قالوا كان من الاعتزال ما كان من تفرق كلمة الفرق وكان لرد الفرق بعضها على بعض رواج كثير ولما تعينت معتقدات التشيع والتسنن وانقرض المعتزلة فانقرض بانقراضهم التفكير الحر مع الأسف بات البحث في هذه الأمور وقفاً على خاصة الخاصة يدرسونه من باب الاطلاع على الشيء .

الغزالي

(ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الطوسي)

(٥٠٥)

من الرواة من يشددون الزاي من الغزالي ومنهم من يخففها وهي الرواية الشائعة . ولد ابو حامد بطوس من بلاد خراسان سنة خمسين واربعمائة ، وقيل انه ولد في غزالة من اعمال طوس ، وقيل كان والده يغزل الصوف ويبيعه . وحرص الأب على ان يكون ابنه فقيهاً لحبه الفقهاء واختلاطه بهم ، واوصى به وبأخيه احد الصوفية وقال انه يأسف أسفاً عظيماً على عدم تعلمه الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين ، فعلمهما ولا عليك ان تنفد جميع ما أخلفه لهما . فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما الى ان فني المال فجعلهما في مدرسة ليحصلا على قوتهما . وكان الغزالي يحكي هذا ويقول : طلبنا العلم لغير الله فأبى الا ان يكون لله .

قرأ ابو حامد في صباه طرفاً صالحاً من الفقه ببلده ثم سافر الى جرجان واتصل بابي نصر الاسماعيلي وعلق عنه التعليقة ثم رجع الى طوس ثم قدم نيسابور ولازم امام الحرمين ونبغ في أيام استاذه هذا وصنف وهو شاب ، ولما هلك أستاذه قصد الوزير نظام الملك ، وكان مجلسه مجمع أهل العلم وملاذهم ، فناظر العلماء فاعترفوا بفضله فولاه التدريس في مدرسته النظامية ببغداد فقدمها في سنة اربع وثمانين واربعمائة فأعجب الخلقَ حسن كلامه وكمال فضله وفصاحته ،

وبعد سنين قضاها في النظامية خرج الى الحج ودخل دمشق وبيت المقدس ثم عاد الى جلّق وأخذ يطوف البلاد فدخل مصر وتوجه منها الى الاسكندرية فأقام بها مدة حاول على ما يظهر ان يركب البحر من الاسكندرية الى المغرب ليلتحق بابن تومرت صاحب الدولة هناك . وكان جاء العراق وأخذ عن ابي حامد مذهب الأشعري فلما عاد الى المغرب قام في المصامدة يفقههم ويعلمهم فلما بلغت ابا حامد وفاة ابن تومرت رجع . وقيل ان الغزالي كان يبطن مذهباً سياسياً اراد ان يتعاون مع تلميذه ابن تومرت على تحقيقه خدمة للدين أو بغية قيام دولة فتية . وعاد ابو حامد الى نيسابور ودرس مدة بالمدرسة النظامية ثم رجع الى طوس واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاهاً للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من تلاوة القرآن ومجالسة ارباب القلوب وتدريس طلبة العلم الى ان انتقل الى جوار ربه عن خمس وخمسين عاماً .

خلق الغزالي صوفياً ومارس أحوالهم زمناً ولكن العلم غلب عليه فتبحر في الفقه والكلام والفلسفة ورزق لساناً بليغاً وقلماً سيالاً وحافظة نادرةً وذاكرةً واعيةً وجرأةً لا يني معها عن الصدع بالحق الذي عرفه والنور الذي قذف في قلبه وكثيراً ما نعى على علماء السوء الذين نافقوا في دينهم وتقربوا من الأمراء والسلاطين بالعبث بالدنيا والدين . وان رجلاً يحضر مجلس درسه في النظامية ببغداد ثلثمائة عالم من الأعيان المدرسين واكثر من مائة من أبناء الأمراء لأهل ان يحسد ويسعى به الى الملوك .

ولقد طعن في بعض كتبه المصنفة في اسرار المعاملات فقام المشاغبون يزعمون ان فيها ما يخالف مذهب الأصحاب المتقدمين والمشايخ المتكلمين وقالوا ان العدول عن مذهب الأشعري ولو في قيد شبر كفر ، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر ، فكتب رسالة « التفرقة بين الاسلام والزندقة » ومما قال فيها : « واستحقر من لا يُحسد ولا يُقذف واستصغر من بالكفر أو الضلال لا يُعرف ، فأي داع

أكمل وأعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد قالوا انه مجنون من المجانين وأي كلام أجلّ وأصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساطير الأولين . واياك ان تشتغل بخصامهم، وتطمع في افحامهم، فتطمع في غير مطمع، وتصوت في غير مسمع، أما سمعت ماقيل :

كل العداوة قد ترجى سلامتها الا عداوة من عاداك من حسد

قيل انه صنف الإحياء في دمشق وقت اغترابه فانتفع الناس به لاحتوائه على أدب الشريعة باسلوب مرتب منظم حتى قال فيه بعض المحققين « لو لم يكن للناس من الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر والفكر والاثر غيره لكفى » وغالى بعضهم فقال : لو ضاعت الشريعة لأجزأ الإحياء عنها » . لا جرم انه كتاب التربية الاسلامية العالية مشوب بقليل من التصوف والدعوة الى مجاهدة النفس والعزوف عن الدنيا .

أملى المؤلف من ذلك اجزاء كبيرة فيها افاضة في كل ما أثر . ولو كان فيه الضعيف من الأثر . وكل ما فيه ينمّ عن فكر على أي حال طبق فيه الغابر على الحاضر وأبدع في التأليف وتفنن في حصر مسائل بعينها ومناقشتها . فالإحياء كتاب حمل ما جاء عن الشارع يخاص منه قارئه الى ما رآه مؤلفه من البدع والضلالات ورده باعتدال . ولما كان التصوف غالباً عليه خصوصاً في أخريات أيامه رشح قلمه منه بالضرورة رشحات لا يقول بأكثرها بعض الراسخين في العلم من الأقدمين والمحدثين لأنها تزهد الناس في الحياة والحياة تتوقف على عمل وجهاد، وهذا ما فهم من روح الشريعة . وكأن الغزالي طلب الكثير من المؤمنين ليصح له القليل وهو ممن لا يرى التضييق والحرج ويقول ان من أشد الناس غلواً واسرافاً طائفة من المتكلمين كفّروا عوام المسلمين وزعموا ان من لا يعرف الكلام معرفتهم . ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتهم التي حرروها فهو كافر . فقال « انهم ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده اولاً، وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة يسيرة من المتكلمين » .

من أجمل الظاهرات في تآليف الغزالي انه يبسط الكلام ويأتي بحجج خصومه وينقضها على نظام مدقق، ففي كتاب تهافت الفلاسفة، قال ان أقوم الفلاسفة بالنقل والتحقيق من المتفلسفة في الاسلام الفارابي ابو النصر وابن سينا فاقتصر على إبطال ما اختاروه ورأوه الصحيح من مذهب رؤسائهم ورأى تكفيرهم في ثلاث مسائل فقط: قدم العالم وقولهم ان الجواهر كلها قديمة وقولهم ان الله لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص وانكارهم بعث الأجساد وحشرها (؟)

قال وما عدا هذه المسائل الثلاث من تصرفهم في الصناعات الالهية واعتقاد التوحيد فيها فمذهبهم قريب من مذاهب المعتزلة، ومذهبهم في تلازم الأسباب الطبيعية هو الذي صرح المعتزلة به في التولد وكذلك جميع ما نقلناه عنهم قد نطق به فريق من فرق الاسلام الا هذه الأصول الثلاث فمن يرى تكفير اهل البدع من فرق الاسلام يكفرهم أيضاً ومن يتوقف عن التكفير يقتصر على تكفيرهم بهذه المسائل.

وصرح بمثل هذا في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» فقال الذين يصدقون بالصانع والنبوة ويصدقون النبي ولكن يعتقدون اموراً تخالف نصوص الشرع ويقولون ان النبي محق وما قصدَ بما ذكره الا صلاح الخلق ولكن لم يقدر على التصريح بالحق لكلال افهام الخلق عن دركه وهؤلاء هم الفلاسفة ويجب القطع بتكفيرهم في ثلاث مسائل انكارهم حشر الأجساد والتعذيب بالنار والتنعيم في الجنة وقولهم ان الله لا يعلم الجزئيات وانما يعلم الكليات وقولهم ان العالم قديم وان الله تعالى متقدم على العالم بالرتبة.

ولولا ان الخوض في مباحث الفلسفة يخرجنا عن موضوعنا لنقلنا زبدة مارد به ابن رشد على الغزالي في كتابه «تهافت التهافت» وهو الكتاب الذي كسره فيلسوف الغرب في الاسلام على نقد تهافت الفلاسفة للغزالي. ولا يزال الفقهاء والفلاسفة مختلفين منذ انتشرت الفلسفة في الأمة الاسلامية.

افتح أي كتاب أو رسالة من تأليف الغزالي تقع في الحال على منزعه وتنشق ريح تصوفه وتدرك مبلغ عطفه على المتصوفة وهو الذي اعتقد ان «حاصل علمهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى» . وكان عنده ان اصناف الطالبين اربع فرق : المتكلمون والباطنية والفلاسفة والصوفية وقال انه درس مذاهب هؤلاء كلها درساً عميقاً ثم تعلق قلبه بالصوفية . ورأى الثلاث الفرق الأولى ليست الطريق الموصل الى الحق فحاول ان يحمل الناس على الأخذ بنزعة ما نزع اليها لولا مزاج خاص فيه عنينا بذلك التصوف . وهذه نقطة الضعف في الغزالي اعلم علماء الشافعية على الاطلاق ، وأي كبير او أي انسان تجرد من الضعف .

وكتابه «المنقذ من الضلال» هو تقاييد ما عرض له من أول امره الى قبيل وفاته بسنين قليلة قال فيه : «ولم ازل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن وقد اناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق واخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور واتوغل في كل مظلمة ، واتهجم على كل مشكلة ، واتقحم كلّ ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف اسرار مذهب كل طائفة ، لأميّز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ... وقد كان التعطش الى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من اول أمري وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي . حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة» .

ورأى علم الكلام بعد ان حصله وعقله وصنف فيه غير واف بمقصوده فتركه وبعد الفراغ منه أخذ بالتعمق في الفلسفة لأن «من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي اعلمهم في اصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته» لا يغني الغناء المطلوب . قال انه لم ير احداً من علماء الاسلام صرف همته وعنايته الى ذلك فاستبان له الضرر من علوم الفلاسفة بعد البحث الشديد ونظر كذلك في

مذهب التعليم او الباطنية ، وبعد ان وصفهم ووصف علومهم قال : فهذه حقيقة حالهم فاخبرهم بتقلبهم ، فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضاً .

ووصف السبب الذي حداه على ترك التدريس بالمدرسة النظامية في بغداد وقد تولى التدريس فيها اربع عشرة سنة كان فيها موضع اعجاب العلماء فقال انه رأى الا مطمع له في سعادة الآخرة الا بالتقوى ، وكف النفس عن الهوى ، وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الحياة والمال ، ورأى نيته في التدريس غير خالصة لوجه الله ، بل باعثها طلب الحياة وانتشار الصيت ، فصمم على الخروج من بغداد ، وشهوات الدنيا تجاذبه سلاسلها الى المُقام ، ومنادي الايمان يناديه : الرحيل الرحيل . فلم يزل يتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر ، أُصيب خلالها بشيء من عقدة اللسان ، وقطع الأطباء طمعهم عن العلاج فصح عزمه على مغادرة تلك البلاد معرضاً عن الجاه والمال والأهل والولد والأصحاب ، وأظهر عزمه على الخروج الى مكة وهو يورّي في نفسه سفر الشام حذراً ان يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمه في المقام بالشام ، فتلطف بلطائف الحيل في الخروج عن بغداد على عزم ان لا يعاودها ، واستهدف لائمة اهل العراق كافة ، اذ لم يكن فيهم من يجوز ان يكون الاعراض عما كان فيه سبباً دينياً . قال وكان ذلك مبلغهم من العلم « ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ، ولم أدخر الا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين ، فلم أرَ في العالمَ مالاً يأخذه العالِم لعياله أصلح منه .

قال : « ثم دخلت الشام وأقمت به قريباً من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالاً بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية ، فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي » . قال ثم

تحركت فيه داعية فريضة الحج ولم يذكر هنا أنه زار مصر ودخل الاسكندرية الى ان قال : ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي أذكره لينتفع به اني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وان سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق الى آخر ما قال :

قال وبعد طول الغربة والحاح الأهل بالعودة أمر سلطان الوقت من نفسه لا بتحريك من خارج أمر الزام بالنهوض الى نيسابور لتدارك هذه الفترة وبلغ الالزام حداً كاد ينتهي لو اصررت على الخلاف الى حد الوحشة ، وبعد ان استشار جماعة من ارباب القلوب والمشاهدات عرف ان هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدرها الله سبحانه على رأس هذه المائة ، وقدر عليه سبحانه باحياء دينه » يشير الى ما ورد في الأثر من ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها . وبعد عزلة احدى عشرة سنة عاد الى نيسابور .

كتب الغزالي زهاء سبعين مصنفاً بين كتاب في مجلدة أو مجلدات وبين رسالة . طبع منها لحسن الحظ نحو خمسين بنيت اكثرها على فكر خاص ذات موضوع تشتد حاجة المسلمين اليه . وألف بالفارسية كتاب « التبر المسبوك في نصيحة الملوك » وعربه غيره و « عمدة المحققين وبرهان اليقين» ألفه للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي . وكتب بالفارسية كيمياء السعادة وخلاصة التصانيف . ومن تآليفه « فضائح الباطنية » اهداه الى الخليفة المستظهر العباسي وكتبه باشارته على ما يظهر وله « القسطاس المستقيم » و « المضنون به على غير أهله » ومن أجل كتبه « المستصفى » في الأصول ، وعلم الفقه وأصوله يأخذ كما قال من صفو الشرع والعقل سواء السبيل فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد » يقول شيخنا العلامة طاهر الجزائري ان أهم الكتب التي ألفت في هذا العهد

على طريقة المتكلمين اربعة كتب كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفى للغزالي وهما من أهل السنة وكتاب العمد للقاضي عبد الجبار وشرحه المعتمد لأبي الحسين البصري وهما من المعتزلة .

ومن تآليفه « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » يريد به العروج من مدارج معرفة النفس الى معرفة الحق جل جلاله يعتمد في فهمه على المنطق « أما الجامد البليد الذي يأخذ العلم بالتقليد فهو عن معرفة مثل هذه العلوم بعيد اذ كلٌ ميسر لما خلق له » .

ولم تصادف كتب الغزالي اجماعاً على قبولها واعلها احرزت أكثرية . فاصحاب الحديث ومنهم ابن تيمية يزيفونها ، والمتصوفة على ما غمست فيه من التصوف لم يرضوا كثيراً عنها ، مع ان كتبه من أحسن ما كتب في عصره والى العصور الأخيرة في معنى التصوف . يقول ابن تيمية في النبوات ان ابا حامد الغزالي بين علماء المسلمين وبين علماء الفلاسفة ، علماء المسلمين يذمونه على ما شارك فيه الفلاسفة مما يخالف دين الاسلام والفلاسفة يعيبونه على ما بقي معه من الاسلام وعلى كونه لم ينسلخ منه بالكلية الى قول الفلاسفة ولهذا كان الحفيد ابن رشد ينشد فيه :

يوماً يمان اذا ما جئت ذا يمن   وان لقيت معدياً فعدنان

ولما دخلت كتب الغزالي المغرب أمر امير المسلمين باحراقها ، وتوعد بالوعيد الشديد من سفك الدم واستئصال المال الى من وجد عنده شيء منها ، واشتد الأمر في ذلك ثم رفع عنها هذا الحرج وضعف التضييق عن كتبه والنظر فيها .

وذمه ابو نصر القشيري على الفلسفة ، وكانوا يقولون ابو حامد قد أمرضه الشفاء — كتاب شفاء ابن سينا — ولبعض العلماء كلام كثير في ذمه على ما دخل فيه من الفلسفة ولعلماء الأندلس في ذلك مجموع كثير . وذكروا ان الغزالي قال في ميزان العمل : ان الفاضل له ثلاث عقائد عقيدة مع العوام يعيش بها

في الدنيا كالفقه مثلاً وعقيدة مع الطلبة يدرسها لهم كالكلام ، الثالثة لا يطلع عليه احد الا الخواص ، ولهذا صنف الكتب المضنون بهـا على غير أهلها وهي فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا ٠

قال ابن الجوزي في « تلبيس ابليس » ان اباحامد صنف للصوفية كتاب الاحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه وقال كلاماً من جنس كلام الباطنية وان الصوفية في حال يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الأنبياء ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور الى درجات يضيق عنها نطاق العقل ٠

وكيف كان حكم بعض العلماء على الغزالي فان الهنات التي عزوها اليه لا تقدح كثيراً في كتبه ومن سعادته ان آراءه تنوقلت وهو حي حتى قال انه سمع مرة احد المدرسين في دمشق يقول : وقال الغزالي فترك البلد من الغد ، والناس لا يعرفون ان الغزالي حاضر في الدرس ، قال انه فعل ذلك مخافة ان يقع في الغرور

علي بن رَبَن

(٢٤٧)

في المؤلفين من لم نعرفهم الا بصفحات قليلة أبقت عليهـا الأيام من ألوف كتبوها ومنهم علي بن رَبَن — والرّبن والربين والراب اسماء لمقدمي شريعة اليهود ، ومعنى ربن المعلم العظيم ٠ وربن اسم ابي علي كان ربن اليهود ٠

ولد علي في طبرستان وعرف في صباه وكهولته باتساعه في الفلسفة والطب والطبيعيات وعنه اخذ محمد بن زكريا الرازي في الريّ لما خرج من طبرستان واستفاد منه علماً كثيراً ٠ وأخذ هو عن حنين بن اسحق لما وافى العراق ٠ وتصرّف

لولاة طبرستان وكتب للمازيار بن قارن المتغلب على الجبال وغيرها . ولما وقعت الفتنة في بلاده خرج الى الري ومنها الى العراق وكانت سبقته اليها شهرته واتصل بالخليفة المعتصم واسلم على يده فقربه فأصبح من أطباء البيت العباسي ثم أدخله المتوكل في جملة ندمائه .

ألف ابن ربن كثيراً في الطب والصحة وله كتاب فردوس الحكمة وهو معلمة طبية بها سلكه به ابو حيان التوحيدي في سلك نوابغ المؤلفين وضرب به المثل بالاجادة ، وله غيره في الأدب ، وكان متمكناً من الآداب العربية وعرفناه بكتاب له صغير اسماه «الدين والدولة» أثبت فيه النبوة اثبات العارف بالأديان الأخرى ولا سيما اليهودية والنصرانية ، قيل ان الخليفة المتوكل عاونه في تأليفه . وكتابه هذا دليل ناصع على اضطلاعه بالحكمة وانه انتحل الاسلام عن بصيرة بعد ان نضج في العلوم وأحفى المشاكل بحثاً .

وقد جود الكلام في الدين والدولة على الصحابة وعرض لجميل سيرتهم وعفتهم عن المال والرغبة عن الرفاهية كما جود في فضل أمية الرسول . ومن أجمل ما فيه نقول عن الكتاب المقدس والنبوات عليها مسحة من البلاغة اكثر من الترجمات المشهورة لعهدنا ، ولعلها منقولة من الترجمات الضائعة من التوراة والأناجيل او انها كانت من ترجمته هو . وكان يعرف لغات أخرى مع العربية .

وينبئك كتاب ابن ربن انه من أعظم العلماء في الأديان ولو لم تبق عليه الأيام لنسي حتى اسمه اللهم الا عند أفراد دأبهم البحث عن المفقود والموجود من هذا التراث العربي العظيم .

مثال من كلام ابن ربن . قال في الدلائل على تصحيح الأخبار : رأينا أمماً كثيرة العدد عظيمة القدر موصوفة بالأفهام والأحلام يشهدون لعدة من الخبثة الكذابين بجميع ما أدلوه مثل الزنادقة والمجوس اما تقليداً وإلفاً واما غباوة ومحكاً واما اجباراً او كرهاً ، كما فعل زرادشت متنبئ المجوس فانه لم يزل يتأتى

ليشتاسف الملك حتى وصل اليه وزرع من وساوسه في صدره ثم لم يزل يختله بذكر الله والدعاء اليه ، ويفتل في الذروة والغارب حتى فتله عن دينه ولواه الى رأيه ، ثم أظهر له ما كان يضمره من الشرك ، وزين له نكاح الأمهات والبنات ، وأكل القذر المذر من النجاسات ، فكان الملك بعد ذلك هو الذي أكره اهل مملكته على دينه . وفعل ماني شبيهاً بذلك فانه ظهر في زمان كان الغالب فيه دينين النصرانية والمجوسية فاختدع النصارى بان قال لهم انه رسول المسيح عليه السلام ، وخلب المجوس بأن وافقهم على الأصلين . فلما وجدنا من الاجماع ما هو هكذا ووجدنا منه ما هو كالاسلام علمنا ان قبول كل اجماع فتنة ورد كل اجماع ضلالة .

ومما أثر له : الطبيب الجاهل مستحث الموت . اجتنب ثلاثة وعليك بأربعة ولا حاجة لك الى الطبيب : اجتنب الغبار والدخان والنتن وعليك بالدسم والحلوى والحمام والطيب مع الاقتصاد . ومما نقل عنه التكلف يورث الخسارة . شر القول ما نقض بعضه بعضاً .

لا تتألف مما وصل الينا من أخبار ابن ربن فكرة تامة للحكم عليه حكماً صحيحاً والغالب انه كان رجلاً أعظم مما صوره لنا من عرضوا للترجمة له وهم مع هذا قلائل .

محمد كرد علي

مكتبة المجلس النيابي

في طهران

— ٢ —

٣ — التاريخ

١٨ : الدر المسلوك في أخبار الأنبياء والأوصياء والخلفاء والملوك

للشيخ محمد بن الحسن بن علي الحسين المشغري المشهور بالحر العاملي المولود في مشغرة جبل عاملة (سنة ١٠٣٣ هـ (= ١٦٢٤ م) والمتوفى في المشهد الرضوي في سنة ١١٠٤ هـ [١] وقيل انه توفي سنة ١٠٩٩ هـ (= ١٦٨٨) [٢] وكان عالما جليلاً ومصنفاً مفيداً ومن أشهر كتبه «امل الآمل» وبلغ رتبة مشيخة الاسلام وأعطي منصب الافتاء في خراسان .

والنسخة نفيسة جداً ووحيدة لا يعرفها بروكلمان ولا غيره وهي مكتوبة في حياة المؤلف سنة ١٠٩١ بقلم نسخي حسن . وأولها «الحمد لله منشي اصناف الفطر ومحيي الأرض بوابل المطر .... اما المقدمة فهي ابتداء خلق السموات والأرض وما فيها من عجائب خلق الله تعالى وأما الركن الأول ففي ذكر الأنبياء والمرسلين واما الركن الثاني ففي ذكر الملوك المتقدمين ، واما الركن الثالث ففي ذكر الخلفاء من المسلمين واما الركن الرابع ففي ذكر الحكام من السلاطين واما الخاتمة فهي مشتملة على ما هو كالعيان مما يكون في آخر الزمان ....»

والنسخة حسن الحفظ والضبط في (٢١٧) ورقة (٢٥ × ١/٢ ١٧ سنت) ورقمها (٦٩٣٥) .

١٩ : روضة الأحباب في سير النبي والآل والأصحاب

---

(١) ذكر تاريخ الوفاة هذا عباس القمي في الكنى والألقاب ٢ : ١٥٨

(٢) ذكر هذا التاريخ بروكلمان في الذيل ٢ : ٥٧٨

لعطاء الله بن فضل الله الملقب بالجمال الحسيني ، ولم اهتد الى معرفة شيء عنه ولا عن أخباره وهي نسخة ضخمة تبحث في السيرة النبوية وتراجم المشهورين من الصحابة والتابعين ورواة الحديث ، وقد ظهر عليها روح التشيع الشديد التعصب وأولها « الحمد لله الذي من على المؤمنين ان بعث فيهم رسولاً منهم ٠٠٠٠ » وهي مكتوبة بقلم نستعليق في ٣٦٠ ورقة (٣٢½ × ٢٢½ سنت) ورقمها ٥٧٢١ .

وفي المكتبة نسخة اخرى في مجلدين رقمها (٩٠٧٤) و (٩٠٥٣) .

٢٠ : المعجم في تاريخ ملوك العجم بالفارسية

للمؤرخ المنشئ شرف الدين فضل الله بن عبد الله المعروف بوصاف الحضرة الشيرازي كان معروفاً في عصر الأتابك نصرة الدين احمد بن يوسف شاه حاكم طبرستان في حدود سنة ٦٥٤ ، وقد ألف كتابه هذا باسم الأتابك احمد وذكر فيه ملوك ايران منذ البيشداديين الى ايام انوشيروان العادل واول النسخة « ان احق ما يفتتح به الكلام وينجح به المرام ٠٠٠٠ » والنسخة حسنة مكتوبة سنة ٩١٤ بقلم نستعليق كتبها محمد قاسم بن محمد علي الجبكردي في ١٧٢ ورقه (١٨½ × ١٠ سنت) ورقمها (٥٤٥٤) [١] .

٢١ : الارشاد في معرفة حجج الله على العباد .

للشيخ ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري الحارثي البغدادي أحد رؤساء مشايخ الشيعة وهو المعروف باسم الشيخ المفيد بن المعلم ولد سنة ٣٣٦ هـ وتوفي سنة ٤١٣ هـ (= ١٠٢٢) [٢] .

والكتاب في شرح احوال الائمة الاثنى عشر الاطهار . وهو مطبوع في طهران سنة ١٢٩٧ والنسخة جيدة جداً في ٢٦٨ ورقة (٢٣ × ١٥½ سنت رقمها ٦٩١٢ .

٢٣ : المزارات

---

(١) انظر فهرس المكتبة الرضوية ٣ : ٣١ (٢) انظر الكنى والألقاب للقمي ٣ : ١٦٤ وبروكلمان ١ : ١٨٨ والذيل ١ : ٣٢٢

لمعين الدين ابي القاسم الجنيد بن نجم الدين محمود بن محمد بن عمر العمري الخزرجي الشيرازي الصوفي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ (= ١٣٨٨) .

كتاب قيم ومفيد جداً ذكر فيه تراجم العلماء وأخبار الأولياء والزهاد والمشاهير المدفونين في شيراز واوله «الحمد لله مزين السماء بالنجوم ذات الأنوار ....» وقد اخذ الأستاذان الجليلان السيدان محمد قزويني وعباس اقبال بالعناية بهذا الكتاب وتحقيقه ونشره .

والنسخة في ١٧٩ ورقة (١٨ × ١٠ سنت) ورقمها ٧٨٤٦ .

٤ — العربية واللغة

٢٣ : جواهر اللغة

لمحمد بن يوسف الهروي الطبيب الذي كان في القرن العاشر والف كتابه هذا في سنة (٩٢٤)[١]

والكتاب قيم فسر فيه الكلمات العربية الغريبة في كتب الطب كالقانون والشفاء ، والمنهاج ، وتقويم الأبدان ، والحاوي الكبير ، والموجز وغيرها وأوله «حمد العلام ذوي الأفهام تحقيق دقائق اللغة العربية ... وجعلتها وسيلة الى تقبيل عتبة اعدل سلاطين العالم .... ناصر عباد الله ، حافظ بلاد الله ، ظل الله في الأرض .... سند الأبرار جلال الدولة والسلطنة والخلافة والدين ملك دينار لا زال وجوه الدنانير منيرة باسمه النامي ...» .

والنسخة بخط حسن كتبها امين الدين حسين بن نظام الدين الكاشاني سنة ١٠٣٣ في (٢٧٣) ورقة (١٩ ١/٢ × ١٣ ١/٢) . ورقمها (٦٦٨٦) .

٢٤ : التنبيه على حروف (حدوث) التصحيف .

لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني المؤرخ المشهور المولود سنة ٢٨٠ (= ٨٩٣) والمتوفى سنة ٣٦٧ هـ (= ٩٧٧ م)[٢] .

---

(١) لم أهتد الى معرفة شيء عن هذا المؤلف فيما بين يدي من مصادر

(٢) انظر بروكلمان GAL ١ : ١٤٥ والذيل ١ : ٢٢١

كتاب قيم جداً ووحيد ، والنسخة حديثة الخط مكتوبة سنة ١٣٤٦ بخط نسخي حسن في ١٠٧ ورقات (١٨ × ١٢ سنت) .

واولها «أطال الله بقاءك في العز والسرور والأمن والحبور وأدام نعمتك معاناً على ابتناء المكارم ....» وقد أعجبتني هذه النسخة لما فيها من الأخبار الغريبة والأبحاث الطريفة وقلة الكتب الخاصة بموضوعها فاستنسختها وعكفت على تصحيحها وتقويمها واعدادها للنشر وأرجو ان يتم الله ذلك قريباً بهمة صديقي الأستاذ محمد خلف الله المدرس بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول امتع الله به الأدب .

٢٥ : دستور اللغة ويسمى كتاب الخلاص

لأبي عبد الله بديع الزمان الحسن بن ابراهيم بن احمد النطنزي الملقب بذي البيانين وبذي اللسانين المتوفى سنة ٤٩٩ هـ (= ١١٠٦) وقيل سنة ٤٩٧ هـ [١]

والكتاب قيم في موضوعه قال في أوله «الحمد لله الذي أبدع العالم بقدرته وخص بني آدم بكرامته .... قسمتها على ثمانية وعشرين كتاباً بعدد الحروف المناسبة لمنازل القمر وأوردت في كل كتاب اثنى عشر باباً بعدد شهور السنة وعدد البروج الاثنى عشر وعريت الاسماء من حروف التعريف ... وأوردت كل باب على ترتيب حروف المعجم وفسرت بعضها بالعربية السائرة وبعضها بالعجمية الظاهرة ....» .

والنسخة مكتوبة بقلم نسخي جيد في (١٦٣) ورقة (٢٦ × ١٨ سنت) ورقمها (٨٠٨٩) . وفي المكتبة نسخة اخرى رقمها (٨٠٩١) يغلب على الظن انها مكتوبة في القرن السادس وعدد أوراقها (١٣٥) (٢٩ ١/٢ × ٢٠) .

٢٦ : مجمع البلاغة

لمؤلف مجهول

كتاب نفيس جداً في المترادف من المفردات والتراكيب ، ذهبت الورقة

(١) انظر كشف الظنون وأنساب السمعاني ، ومعجم البلدان لياقوت وبغية الوعاة للسيوطي وبروكلمان ١ : ٢٧٨ والذيل ١ : ٥٠٠

الأولى منه وأول الورقة الثانية «٠٠٠ فقد انتخبتها ، وما انتهيت اليه من اعلام حبر اقتضبتها وجمعتها وما وجدته في كلام البلغاء من لفظ يعد في السحر الحلال والعذب الذلال ضممته اليه فعملت من ذلك كتاباً مبوباً سميته مجمع البلاغة ، ومتى عن بيت يزول حسنه اذا قطع سلكه ذكرته فرب فقرة لا يروق منظرها الا منظومة ٠٠٠»

والكتاب مؤلف من ستة عشر حداً (١) حد العقل وضده وما يتعلق بهما (٢) حد النطق (٣) حد الأسماء والرفعة والضعة والأخلاق المحمودة والمذمومة (٤) حد المال والرغبة فيه وعنه وما يتعلق بذلك (٥) حد العطاء والاستعطاء وما يتعلق بهما (٦) حد الحرب واربابها وآلاتها وما يقرب منها (٧) حد المودة وأنواعها وما يضارعها من ذلك (٨) حد الحسن والقبح والشباب والشيب (٩) حد القرابة وشرف الابوة ودناءتها وما يتعلق بذلك (١٠) حد الطعوم والآلة واللهو واللباس والطيب وما يتعلق به (١١) حد النكاح والطلاق وما يتعلق بهما (١٢) حد المشي والمفاوز ونحوه (١٣) حد التقوى والزهد والتدين والدهر وتقلبه من الهم والصبر والمرض والموت (١٤) حد السماء وانواعها والنار والبناء (١٥) حد الحيوان (١٦) حد فنون مختلفة ٠

والحد الاول يشتمل على ثلاثة وعشرين قسماً (١) حد العقل وضده ، له عقل ، وجول ، ومعقول ، وحجى ، ونهي ، وحصاة ، وأصاة ، هو وعاء عقل غير ذي سقط ، له عقل راجح ولب ناجح ، له عقل رصين وعلم رزين ، تسربل النهى وارتدى التقى ، له من اللب وزير رشيد وظهير سعيد ، هو أعقل من ابن عباس وأمجن من أبي نواس ، هو في فسحة من حجاه وسعة من نهاه ، وأبعدهم مسافة غور عقل ، بعيد مسافة الرأي ، له من عقله رقيب على شهوته يهديه الى الهدى ويرده عن الردى غلب العقل على صيغته ، وجرى في روحه ولبه ٠٠٠٠»

والنسخة مكتوبة بقلم نسخي جيد في (١٥٦) ورقة (٢٠ × ١٢½ سنت)

وآخرها «نجز كتاب مجمع البلاغة بحمد الله وعونه وصلواته على سيدنا محمد وآله ورحم الله من دعا لكاتبه بالرحمة والمغفرة آمين ووقع الفراغ منه في ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ولله الحمد ما اختلفت يمين وشمال وله الشكر ما هبت جنوب وشمال» . ورقمه (٨٠٠٨) .

٢٧ : مقدمة الأدب

لجار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ﻫ وقد الفه باسم الأمير اتسز بن خوارزمشاه . وقال في اوله «الحمد لله الذي فضل على الألسنة لسان العرب .... والذي اصطفاه الله في زماننا لنصرة الأدب وقذف في قلبه الرغبة في كلام العرب الأمير الأجل الاسفهسلار بهاء الدين علاء الدولة ابو المظفر اتسز بن خوارزمشاه ادام الله علاه ...» والكتاب مقسم الى خمسة اقسام (١) في الأسماء (٢) في الأفعال (٣) في الحروف (٤) في تصرف الأسماء (٥) في تصرف الأفعال . والنسخة حسنة كتبها عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ابن خليل الآدني سنة ٨٧٢ وعدد أوراقها (١٥٥) في (٢٦½ × ١٨½ سنت) ورقمها (٣٠٢٦) . وفي المكتبة نسختان أخريان رقمها ٤١٤٨ ، ٣٠٢٧ [١]

٢٨ : المستقصى للزمخشري .

نسخة جيدة أولها وقال الشيخ الامام الأستاذ البارع فخر خوارزم ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الحمد لله على ما أثلج صدورنا من برد اليقين ...» وقد أتم تأليفها سنة ٤٩٩ وبوبها على الحروف فبدأ بباب الهمزة ثم بالباء وهلم جرّا وفصل كل باب فقدم في باب الهمزة اياها مع الألف على الباء ... ومن هذا الكتاب نسخ عديدة ذكرها بروكلمان [٢] . والنسخة مكتوبة بقلم نسخي سنة ١٣٤٦ في ٦٦ ورقة (١٨ × ١١ سنت) ورقمها ٤١٧١

(١) انظر بروكلمان ١ : ٢٩٢ والذيل ١ : ٥١١

(٢) انظر بروكلمان ١ : ٢٩٢ ورقم ١٣

٢٩ : الكافية في النحو

لجمال الدين عثمان بن عمر المالكي المعروف بأبي عمرو بن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ . وهي نسخة نفيسة جداً كتبها قبلة الكتاب والخطاطين ياقوت المستعصمي سنة (٦٩٠) ، وفي اول ورقة منها لوحة مذهبة تذهيباً جد حسن والورق صقيل من حرير بارع ، والخط ثلثي قد تخللت سطوره نقوش مذهبة مدهشة في الحسن والبراعة ، والجلد لا يقل اتقاناً وبراعةً وعدد الأوراق (٤٢) ١٩ × ١٢ سنت ورقمها (٣٨٣٢) .

٥ — الشعر والأدب

٣٠ — دمية القصر وعصرة اهل العصر

لأبي القاسم علي بن الحسن الباخرزي الشافعي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ (= ١٠٧٥) وهي نسخة حسنة كاملة لا كالتي نشرت في حلب في المطبعة العلمية سنة ١٣٤٨ وهي في ٦٣٤ ورقة (٢٤ × ٢٣ سنت) ورقمها ٥٣١٢ .

ويليها الجزء الأول من كتاب «العقد النفيس في مفاكهة الجليس» للملك المظفر يوسف بن عمر بن علي احد ملوك الرسوليين في اليمن واوله «الحمد لله على مامنح من نعم مرية وعيشة صربة وفطنة بالغة قوية ...» .

٣١ : العقد النضيد المستخرج من شرح ابن ابي الحديد

للأمير فخر الدين عبد الله بن الهادي بن امير المؤمنين المؤيد بالله يحيى بن حمزة اليمني [1] وشرح ابن ابي الحديد على النهج معروف وقد انتخب منه هذا الأمير اليمني عقده هذا وقال في أوله «الحمد لله الذي تفرد بالكمال فكل كامل

(١) لم نعثر على شيء من أخبار هذا الامام سوى ماجاء في الورقة الاولى من هذه النسخة ونصه «ترجم له بعض أهله فقال كان للعلوم جامعاً ، وفي الكلام سجاعاً ، تشهد له موضوعاته ، وتعليقاته في كل فن وهو مصنف الجوهر الشفاف والكاشف عن معاني الكشاف وكفى به دليلاً على علمه وله منتخب من شرح ابن أبي الحديد يسمى الدر النضيد توفي رحمه الله بمدينة صنعاء ودفن في مسجد الاجدم بصنعاء» .

سواه منقوص ، واستوعب عموم المحامد فكل ذي عموم عداه مخصوص ... »

والنسخة حسنة كتبها محمد بن صلاح بن منصور العدبني سنة ١٠٨٠ بخط نسخي وعدد اوراقه ٢٣٥ (٢٧ × ١٦) ورقمها (٧ ٥٥) [١] .

٣٢ : الأمالي وتسمى غرر الفرائد ودرر القلائد

لذي المجدين علم الهدى السيد الشريف المرتضى علي بن الطاهر الحسين الموسوي المولود سنة ٣٥٥ هـ (= ٩٦٧) والمتوفى سنة ٤٣٦ (١٠٤٤ م) [٢] . وقد طبع هذا الكتاب مرات عديدة بطهران والقاهرة ولكن هذه النسخة نفيسة جيدة جداً في آخرها ما نصه « تم الجزء الرابع وتم بتمامه الكتاب ... وفرغ من انتساخه لنفسه العبد الضعيف المحتاج الى رحمة الله تعالى ومغفرته ورضوانه حيدر بن بختيار بن الحسين الشيبسي في المنتصف من شهر صفر سنة اربع وسبعين وخمسمائة هجرية رحم الله من دعا لكاتبه بالخير » وهي مكتوبة بقلم نسخي حسن في (٢٥٣) ورقة (١٨ × ١٢ سنت) ورقمها ٦٩٤٧

وفي الخزانة نسخة أخرى جيدة الخط حسنة التذهيب بقلم نستعليق وفي صدرها مسرلوحة رائعة الاتقان . وهي في ٤١٨ ورقة (٣٠ × ١٦ ١/٢ سنت) ورقمها ٥٤٧٧ .

وقد اختصر عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن العتايقي المتوفى سنة ٧٦٦ هذه الأمالي ، ومن كتابه نسخة في الدار مكتوبة بقلم نسخي حسن اولها « الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه الكريم وشرفنا بالسبع المثاني والقرآن الحكيم ... وعدد اوراقها (٣٤) ٢٥ × ١٦ سنت) ورقمها ٥٧٢٧ .

٣٣ : التمثيل والمحاضرة

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي المولود سنة ٣٥٠ هـ والمتوفى سنة ٤٢٩ ، وقد الفه للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمگير الزياري وهو مؤلف من أربعة فصول واوله « أما على أثر حمد الله والثناء عليه الذي هو

(١) انظر بروكلمان الذيل ١ : ٧٠٦ السطر الأول (٢) انظر بروكلمان الذيل ١ : ٧٠٤

اول كتابه وآخر دعوى ساكني دار ثوابه ٠٠٠ [1] » وهو في (١٧٤) ورقة (١٩½ × ١٤) والنسخة مكتوبة بقلم نسخي جيد سنة ١٠٢٠ ﻫ وفي صدرها لوحة حسنة التذهيب ورقمها ٦٦٩٢ .

٣٤ : الحان السواجع بين المبادي والمراجع

للصلاح خليل بن ايبك السيفي الصفدي ابي الصفا المولود في صفد سنة ٦٩٦ (= ١٢٩٦) والمتوفى سنة ٧٦٤ (= ١٣٨٣) [2] .

وهو محاضرات ومحاورات أدبية جرت بينه وبين بعض معاصريه من أهل الفضل واوله « الحمد لله الذي جعل البادي اميراً وقدر للمراجع ان يكون مأموراً ، ومرج بينهما بحرين يلتقيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ٠٠٠ » والنسخة في (٣١٢) ورقة (٢٠ × ١٠ سنت) ورقمها ٧٤٣٠ .

٣٦ : ديوان قانصوه الغوري

الملك الأشرف ابي النصر المقتول سنة ٩٢٢ (= ١٥١٦)

والنسخة حسنة الخط مكتوبة بقلم نسخي في ٢٠٣ ورقات (٢٣ × ١٤ سنت) اولها « بسم الله الرحمن الرحيم لقد جاءكم رسول من أنفسكم ٠٠٠» ورقمها ٧٤٣٢ [3]

٦ — كتب متفرقة

٣٧ : التحفة السعدية

للمحقق قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي صاحب نهاية الادراك المولود سنة ٦٣٤ والمتوفى سنة ٧١٠ ﻫ

وهو كتاب قيم شرح فيه كتاب القانون في الطب لابن سينا والنسخة جيدة في ٤٦٩ ورقة (٣١½ × ٢٠ سنت) وهي مكتوبة بقلم نسخي دقيق ورقمها ٣٨٣٠ [4]

(١) وربما سمي التمثل والمحاضرة انظر بروكلمان ١ : ٢٨٦ رقم ١٧ والذيل ١ : ٥٠١
(٢) انظر بروكلمان ٢ : ٣٢ والذيل ٢ : ٢٨ رقم ٨ (٣) انظر بروكلمان ٢ : ٢٠ والذيل ٢ : ١٣
(٤) انظر بروكلمان ١ : ٤٥٧ والذيل ١ : ٨٢٤

٣٨ : منهاج البيان فيما يستعمله الانسان

لشرف الدين يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب صاحب تقويم الأبدان المتوفى سنة ٤٩٣ هـ (= ١١٠٠ م)[1] .

والنسخة حسنة اولها «الحمد لله الذي ظهرت بدائع مصنوعاته وبهرت غرائب مبتدعاته ... ولما انعم بقبول الكتاب الذي سميته بتقويم الأبدان بادرت بترتيب كتاب سميته بمنهاج البيان ... فضمنته ذكر جميع الأدوية والأشربة والأغذية وكل مركب من ذلك وبسيط ومفرد وخليط الا ما كان من مفردات الأدوية ... ورتبته على حروف المعجم ....»

وقد كتبه محمد بن ملا حسن القدمي سنة ٩٨٧ وهو في ٣٠٩ ورقات (٢١ × ١٤ سنت) ورقمه ٣٠٩ .

٣٩ : كتاب الأكر في الهندسة لثاوذوسيوس Theadose

نقله عن اليونانية قسطا بن لوقا البعلبكي[2] (٢٠٥ — ٣٠٠هـ) = (٨٢٠—٩١٢م) بأمر الخليفة ابي العباس احمد بن المعتصم بالله العباسي ولكنه لم يتمه بل بلغ فيه الى الشكل الخامس من المقالة الثالثة ثم أتمه بعضهم فلم يحسن الترجمة ثم جاء ثابت ابن قرة الحراني فصححه . والكتاب مؤلف من مقالة وتسع وخمسين شكلاً وفي بعض النسخ ينقص شكل واحد منها والنسخة جيدة جداً في خطها وضبطها وهي مكتوبة سنة ١١٢٨ وهي في ٣٥ ورقة (١١ × ٤ ١/٢ سنت) ورقمها (١٨٥) .

٤٠ : استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب

للشيخ ابي الريحان محمد بن احمد البيروني الفيلسوف الرياضي الأشهر مؤلف الآثار الباقية وتحقيق ما للهند من مقولة والقانون المسعودي وغيرها (٣٦٢هـ—٤٤٠هـ)

والنسخة حسنة اولها «الحمد لله حق حمده .... كتاب محمد بن احمد البيروني في استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب ...» وهي مكتوبة بقلم

(١) انظر بروكلمان ١ : ٤٨٥ والذيل ١ : ٨٨٨   (٢) انظر بروكلمان ١ : ٢٠٤ والذيل ١ : ٣٦٥

نسخي سنة ٨٨٨ وقد قرظه الرياضي ابراهيم بن مودود الجلاد الموصلي الذي كان في حدود سنة ٦٨٩ وكتب على النسخة ما نصه « شهدت له بالجودة في الصناعة ووضعت له خطي هذا شاهداً على صحة ذلك وأجزت له ان يعمل ما شاء من ذلك أي من الاسطرلاب فهو عندي صحيح العمل لما وقفت من جودة معرفته وذكائه وفطنته واختباري له في ذلك »

ويليها جداول ودوائر وفي آخرها ما نصه « وبتمام هذه الآلة تم انجاز الوعد والوفاء بما ضمنته بعون الله وتوفيقه » ·

ويليها كتاب منهج الطلاب في عمل الاصطرلاب من تأليف الملك الاشرف عمر بن الملك المظفر يوسف بن عمر احد سلاطين الدولة الرسولية اليمنية ·

وأوله « يقول العبد الفقير الى الله تعالى عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول غفر الله له الحمد لله الذي لا يبلغ اذا حمده الحامدون ، وشكراً لنعمه فوق ما شكره الشاكرون ... »

والنسخة في (١٤٤) ورقة بخط دقيق وقطع صغير ورقمها ٣٩٥٩

٤١ : كتاب الصيد والقنص

لمؤلف مجهول في القرن الرابع [1]

---

(١) من تمحيص النسخة يتبين ان المؤلف من الفضلاء الذين عاصروا الخليفة المعتضد بالله العباسي الذي تولى الخلافة (٢٧٩ — ٢٨٩) فقد وردت في الكتاب هذه العبارة بصدد هذا الخليفة « أخبرني عنه أبو احمد يحيى بن علي نديمة قال كان يقول لما بنى الثريا اتعلم ان بناء من ابنية الخلفاء يشبه هذا البناء أو يعادله في محل موقع اما تراني قاعداً على سريري يعرض علي وزيري ... » كما يفهم ان المؤلف كان شاعراً أورد في كتابه بعض شعره فقد ورد في الورقة الخامسة « ولي في هذا المعنى وكنا نخرج للصيد بمصر بموضع يعرف بدير القصير منيف على ذروة الجبل المقطم مطل على النيل فهو سهلي جبلي بحري :

سلام على دير القصير وسفحه تحيات حلوان الى النخلات

ويذكر في أول الباب الرابع « وكل ما أذكره من ذلك سماعي من ابراهيم ابن جابر بحلب —

وأوله «الحمد لله الذي أنشأ الموجودات بحكمته، واخترع الأشياء بقدرته، خالق السموات والأرض والليل والنهـار لمصالح العباد بحلمه ومنته، تسبح له الأفلاك في جريانها، والحيتان في لججها، والوحوش في أوكارها، والطير باختلاف لغاتها ... وبعد فان الله تعالى أحل صيد البر والبحر وقد ذكر ذلك في كتابه العزيز فقال «احل لكم صيد البر والبحر»

وهو مؤلف من ستة عشر باباً (١) باب تمرين الخيل بالطراد (٢) باب فضل لحم الصيد وطيب مضغته (٣) باب ما أحله الله عز وجل من صيد البر والبحر واجازه الكتاب والسنة (٤) باب الأحوال والأماكن التي يحل ويحرم فيهـا الصيد والجزاء فيما يقتله المحرم من النعم والطير (٥) باب الأماكن التي حظر فيها الصيد ونهي عن قتله وتنفيره في حدودها (٦) باب المختار من أقاويل اهل العلم في صيد المحرم والحلال في الحرم (٧) باب اثارة الصيد واستحقاقه بها وبغيرها (٨) باب المكائد التي يتوصل بها الى الصيد والآلات المتخذة لذلك (٩) باب الجوارح وهي أربعة أنواع (١٠) باب ما يدل على مرض الجارح مما تبرز من فضول جسده (١١) باب رمي اصناف الوحش بالنشاب والنبل (١٢) باب امتهان الملك والرئيس نفسه في الصيد بهذا الضاري ومباشرته (١٣) باب صيد البحر (١٤) باب اوقات الصيد (١٥) باب الصيد بالجلاهق (١٦) باب الطير .

والنسخة جيدة الخط مكتوبة بقلم ثلثي على ورق صقيل ثخين في (١٤٢) ورقة (١٨ × ١١ سنت) ورقمها ٦٩٤٣

٤٢ : ازهار الأفكار في جواهر الأحجار

للشيخ ابي العباس احمد بن يوسف التيفاشي المتوفى سنة ٦٥١ هـ (= ١٢٥٣)

— باسقاط الاسناد سنة اربع وثلاثمائة» . وقصة ديرالقصير وأبياتها ذكرها كشاجم في ديوانه ، كما أنها موجودة في كتاب البيزرة الذي يعني بنشره معالي أستاذنا كرد علي بك . وكل هذه مشكلات يصعب حلها .

وهو كتاب قيم في معرفة الأحجار الكريمة وخصائص كل نوع من هذه الأحجار وأوله « الحمد لله الملك الجبار العزيز القهار ٠٠٠٠ »[1]

والنسخة في ٦٩ ورقة (٢٢ × ١/٢ ١٥ سنت) وهي مكتوبة بقلم نسخي ورقمها (٨١٧٧) .

٤٣ : جواهر الأسرار في معرفة الأحجار

للشيخ محمد القمري ؟

وهو عبارة عن رسالة لطيفة في ٢١ ورقة ذكر فيها طرائف عن الأحجار الكريمة وأنواعها وفوائد كل منها وأولها « الحمد لله الملك القدوس ٠٠٠ وبعد فانني اخرجت من بحر العوارف لطائف درر التعارف ٠٠٠٠ »

ويليها رسالة « دقائق الميزان في علم مقادير الأوزان » للمؤلف نفسه ورقمها (١٠١٧٧)

٤٤ : كتاب الأنغام

لمؤلف مجهول

والكتاب في خمسة عشر فصلاً أولها « وبعد فقد أمرني من يجب علي امتثال أوامره والتيمن بالسعي في مسالك مرامي خواطره ان اضنع له مختصراً في معرفة النغم ونسب أبعادها وأدوارها والايقاع على نهج يفيد العلم والعمل ٠٠٠ » وقد كتب بقلم نستعليق جيد في ٢٢ ورقة (١/٢ ٢١ × ١٦ سنت) ورقمها (١٨٣) .

(طهران) اسعد طلس

---

(١) انظر بروكلمان ١ : ٤٩٥ والذيل ١ : ٩٠٤

مدارس دمشق وحماماتها

- ٣ -

فصل خامس

في ذكر عدد جوامع دمشق وحواضرها وما اتصل بحواضرها

أما الجوامع التي هي داخل دمشق فجامعان :

الجامع الأول هو الجامع الأموي وهو الذي أنشأه الوليد بن عبد الملك وابتدأ في عمارته سنة ثمان وثمانين للهجرة . وتم بناؤه في تسع سنين . قالوا وأنفق على عمارته من الأموال اربعمائة صندوق ، في كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار ، فجاء جامعاً لكل المحاسن لم يعمر في الاسلام مثله .

والجامع الثاني هو بقلعة دمشق

فأما الجوامع المختصة بحواضر دمشق فعدتها سبعة جوامع .

أولها جامع المصلى قبلي دمشق في ميدان الحصا

وثانيها جامع ابن الجراح بباب الصغير

وثالثها جامع أنشأه الصاحب شمس الدين [غبريال خارج الباب الشرقي[1]] مجاور القعاطلة وتم الشروع فيه وبناؤه في سنة ثمان عشرة وسبعمائة

ورابعها الزنجانية[2] بباب توما مجاور خان الطعم[3]

---

(١) في الأصل : « عبد الله بباب الجابية » وهو خطأ . انظر ما كتبناه عن هذا المسجد في ج ١٨ ص ٧٣ من مجلة المجمع العلمي

(٢) كذا في الأصل ، وهذا الجامع هو جامع المدرسة الزنجارية فالصواب فيه الزنجارية أو الزنجيلية كما مر ص (٢٤٣) ولا أثر لهذا الجامع اليوم غير قبر يدعى بقبر الزنجاري وهو شرقي (مسجد منجك) بمحلة مسجد الأقصاب يبعد عنه نحو مئتي متر .

(٣) هذا الخان أنشأه الملك الناصر يوسف بن العزيز بن غازي سنة (٦٥٩) —

وخامسها جامع التوبة بالعقيبة . أنشأه الملك الأشرف موسى بن الملك العادل وهو من جهة باب الفراديس

وسادسها الجامع السيفي التنكزي انشأه الأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة يومئذ بدمشق وابتدأ في انشائه مستهل المحرم سنة سبع عشرة وسبعمائة . وتم بناؤه وأقيمت صلاة الجمعة فيه تاسع شهر شعبان سنة ثمان عشرة وسبعمائة . فكان جميع مدة عمارته في سنة وثمانية شهور . وهو في حكر السماق من جهة باب النصر .

وسابعها جامع الثابتية وهو من جهة باب الجابية

* * *

وأما الجوامع المتصلة بحواضر دمشق فعدتها سبعة أيضاً

أولها جامع بيت لهيا . وهو جامع قديم يقال انه من عهد آدم عليه السلام « وبيت لهيا »[1] قرية عامرة ، وقد كانت في بعض الأزمان مدينة حسنة

وثانيها الجامع المظفري بجبل الصالحية

وثالثها الجامع الجمالي الافرمي بجبل الصالحية ايضاً انشأه الأمير جمال الدين الافرم نائب السلطنة بدمشق كان

ــ تجاه المدرسة الزنجارية وحولت اليه دار الطعم بعد ان كانت مقابل باب قلعة دمشق الغربي ، والراجح ان المراد بالطعم الحبوب الخاص بالدولة ، وكان في صالحية دمشق دار طعم أخرى كما يشير لذلك المرسوم المنقوش على شباك جامع الحنابلة الغربي من جهة الطريق العام .

(١) كان محلها القصاع حول المستشفى الانكليزي اليوم . سكنها منذ الفتح الاسلامي « السكاسك والسكون » من القبائل اليمنية وكانت من أحسن القرى وأكثرها قصوراً ، أحرقها ابو الهيذام في فتنته ايام الرشيد وعاد اليها البناء بعد ذلك . ويصف ابن جبير مسجدها فيقول : مسجد يجتمع فيه أهل القرية وسطحه كله مفروش بفصوص الرخام الملونة منتظم كله خواتيم واشكالا بديعة يخيل لمبصرها انها فرش متقنة مزخرفة . وقد اضمحلت هذه القرية في القرن العاشر الهجري

ورابعها جامع بقرية النيرب [١]

وخامسها جامع بقرية المزة

وسادسها الجامع الكريمي بالقبيبات انشأه [٢] كريم الدين في شهور سنة ثمان عشرة وسبعمائة

وسابعها الجامع الكريمي أيضاً بالقابون أنشأه كريم الدين في شهور سنة احدى وعشرين وسبعمائة

فجملة الجوامع المختصة بدمشق حواضرها وما هو متصل بحواضرها ستة عشر جامعاً داخل دمشق جامعان ، وبحواضرها سبعة ، والمتصل بحواضر دمشق سبعة أيضاً وسنذكر بعد ذلك عدد حمامات دمشق

فصل سادس

في عدد حمامات دمشق

ما هو من داخلها ، وفي حواضرها ، ومتصل بحواضرها ، وجملتها مائة حمام وسبعة وثلاثون حماماً

أما الحمامات التي هي داخل دمشق فجملتها اربعة وسبعون حماماً

تفصيل ذلك (١) حمام الكالي (٢) وحمام الوزير (٣) وحمام جاغان (٤) وحمام قنيعش (٥) وحمام العدل (٦) وحمام ابن يمن [٣] (٧) وحمام سوق علي [٤] (٨) وحمام الأندر (٩) وحمام ابي نصر (١٠) وحمام الصفي [٥] (١١) وحمام

---

(١) في الأصل : التنور والصواب ما أثبتناه (٢) في الأصل : وانشأه

(٣) في الأصل : حمام ايريمن ، والتصحيح من : عدة الملمات وجه ٢

(٤) الراجح لدينا ان سوق علي كان في الزقاق الذي غربي خان (سليمان باشا) وقبلي الخارج من سوق الخياطين متوجهاً نحو القبلة خلف السوق الكبير

(٥) في ابن عبد الهادي وجه ٤ رقم (٧١) حمام الصفي بالزلاقة ، والزلاقة هي الطريق الذي شمالي الباب الصغير ولا يزال هناك حمام يدعى بحمام الصفي ، وذكره —

قراجا[١] (١٢) وحمام الشريف (١٣) وحمام البغل (١٤) وحمام حارة الخاطب[٢] (١٥) وحمام سويد[٣] (١٦) وحمام نور الدين بسوق البزوريين[٤] (١٧) وحمام السلم (١٨) وحمام استاذ الدار (١٩) وحمام الوجيه (٢٠) وحمام ابي شامة (٢١) وحمام الغرز [خليل][٥]

— المؤلف مرة ثانية رقم (٣٨) ولكن ابن عبد الهادي ذكر حمام الصفي مرة واحدة وذكر حمام الصوفي مرتين مرة رقم (٣٥) ومرة رقم (٦٧) في كتابه «عدة الملمات في تعداد الحمامات» والصفي هذا هو الصفي بن شكر وزير العادل توفي سنة (٦١٥) وكانت داره قرب حمامه بالزلاقة (١) هو الأمير قراجا الصلاحي صاحب صرخد له دار عند باب الصغير عند قناة الزلاقة توفي سنة (٦٠٤) تاريخ ابن كثير (١٣/٥٠) وهو صاحب التربة القراجية بقاسيون راجع تنبيه الطالب ومختصراته والقلائد الجوهرية لابن طولون والراجح ان حمام قراجا كان قريباً من حمام الصفي ما دامت دار قراجا بالزلاقة لأن العادة ان تكون الحمام ملاصقة لدار بانيها او قريبة منها ، وقد يكون هو المسمى بحمام الركاب وهو شمالي حمام الصفي لجهة الغرب (٢) حارة الخاطب هي في حي الشاغور آخر حارة الزط مما يلي حارة اليهود معروفة للآن بهذا الاسم وقد سميت حارة الزط في عصرنا بحارة الاصلاح (٣) في مختصر تنبيه الطالب للعلموي والبقاعي ان نائب السلطنة تنكز هدم حمام سويد وبناه دار قرآن وحديث ولا تزال هذه المدرسة موجودة ملاصقة لحمام نور الدين من جهة الشرق وتعرف الآن بالمدرسة الكاملية نسبة لمجدد بنائها الشيخ كامل القصاب (٤) لا يزال موجوداً الى الآن في سوق البزورية وقد اتخذ مخازن (٥) زيادة خليل من «عدة الملمات» ورقة ٣ رقم (٤٢) . ويقول النعيمي في التنبيه والعلموي في مختصره : رباط الغرس خليل كان والياً بدمشق . والظاهر انه هو المراد يقول ابن كثير في تاريخه (١٣/٩٢) سنة (٦١٧) وصاحب النجوم الزاهرة (٦/٢٤٨) واللفظ له وفيها عزل المعظم عيسى صاحب دمشق المبارز المعتمد عن ولاية دمشق وولى عوضه العزيز خليلاً . فالذي يترجح لدي ان كلمة العزيز مصحفة عن الغرز . وهم يبدلون الزاي بالسين فيقولون غرز الدين ، وغرس الدين

(٢٢) وحمام العجج (٢٣) وحمام السنبوسك[1] (٢٤) وحمام الجبن (٢٥) وحمام الشامي (٢٦) وحمام الزيبق (٢٧) وحمام لؤلؤة (٢٨) وحمام الصفي (٢٩) وحمام سعيد (٣٠) وحمام خطليا (٣١) وحمام رحيبة (٣٢) وحمام العلوي (٣٣) وحمام اسد الدين[2] (٣٤) وحمام الفايز[3] (٣٥) (وحمام العرايس (٣٦) وحمام الصوفي (٣٧) وحمام آخر لسُعَيد (٣٨) وحمام الزنجالي (٣٩) وحمام ناضي اليمن (٤٠) وحمام كرجي (٤١) وحمام حُدَيد (٤٢) وحمام المارستان (٤٣) وحمام القيمرية[4] ويقال له حمام نور الدين أيضاً (٤٤) وحمام الحريبين[5] (٤٥) وحمام القطيطة (٤٦) وحمام

(١) ربما كانت نسبته الى السنبوسك لكونه كان يباع الى جانبه . والسنبوسك عجين مرقوق يقطع بالسكين على شكل مستطيل بعرض نحو اصبعين . يوضع فيه مجروش الجوز او الفستق مع شيء من السكر ويلف بشكل مثلث متساوي الأضلاع ويقلى بالسمن ثم يوضع في القطر ويؤكل ويكاد يصبح الآن منسياً لقلة استعماله . ويقال للمثلث المتساوي الأضلاع انه سنبوسكي الشكل (٢) في تاريخ ابن عساكر المطبوع (٢٥٠/١) حمام الأسد على باب الجابية ، وفي تنبيه الطالب للنعيمي ان الخانقاه الأسدية نسبة الى اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، وفي الروضتين ان هذه الخانقاه داخل باب الجابية بدرب الهاشميين . فمن الجائز نسبة هذا الحمام لأسد الدين المذكور وان الحمام والخانقاه كانتا بمكان واحد (٣) من الجائز ان يكون الفائز هذا هو الملك الفائز ابن الملك العادل واخو الملوك: الكامل والأشرف والمعظم توفي سنة (٦١٧) (٤) نسبة للمدرسة القيمرية لقربه منها ويعرف الآن الحي الموجود فيه هذا الحمام بحي القيمرية ولا يزال موجوداً الى الآن يكاد يكون مهملاً

(٥) هو حي القيمرية أيضاً، ويسمى بالمطرزين، ثم غلب عليه اسم القيمرية لما انشئت هذه المدرسة في هذا الحي ، ففي تنبيه الطالب: ان المدرسة القيمرية بسوق الحريبين ، وفي تاريخ ابن كثير (٢٢٨/١٤) انها بالمطرزيين مما يدل على انها كلها اسماء لمسمى واحد . ويقول ابن عساكر (٢٥٠/١) المطبوع [حمام] في الحريبين خلف سوق المطرزيين ، وفي المطرزيين [أيضاً] .

الزريزير (٤٧) وحمام درب العجم [1] الكبير (٤٨) والصغير (٤٩) وحمام الصحن (٥٠) وحمام المؤيد [2] (٥١) وحمام السلارية (٥٢) وحمام سامه [3] (٥٣) وحمام الكاس [4] (٥٤) وحمام خفيف (٥٥) وحمام صاحب حمص (٥٦) وحمام العقيقي [5] (٥٧) وحمام جاروخ [6] (٥٨) وحمام القاضي [7] (٥٩) وحمام

ـ وأقول : ان في حي القيمرية حماماً آخر مهجوراً من زمن طويل يستعمل الآن مصبغة وهو شرقي المسجد المشهور بالمسمارية في دخلة صغيرة شرقيها فرن يدعى بفرن البابين . والراجح انه هو الذي عناه ابن عساكر (١/٢٥٠) المطبوع بقوله : [حمام] عند منارة فيروز . وأقول هي المنارة التي على مسجد في شرقي سوق القيمرية يدعى بالمسمارية (١) هو داخل جيرون وهو ما يطلق عليه الآن بالنوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي (٢) في تاريخ ابن عساكر المطبوع (١/٢٥٠) [وحمام] باب الناطفين يعرف بالمؤيد . اقول لا يزال قرب باب الناطفين ـ وهو باب الجامع الأموي الشمالي ـ حمام عامر يدعى في عصرنا بحمام السلسلة

(٣) خرب هذا الحمام منذ خمس وثلاثين عاماً ثم رمم ثم حول الآن الى مصبغة لقلة الاقبال عليه وهو منسوب الى اسامة الجبلي أحد القواد في عهد صلاح الدين ولكنه تمرد بعد ذلك على الملك العادل فاعتقله حتى مات وهذا الحمام شرقي المدرسة البادرائية يفصل بينهما الطريق (٤) في البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٣١٥) : حمام الكاس شمالي المدرسة البادرائية (٥) نسبة الى بانيه الشريف احمد بن الحسين العقيقي المتوفى (٣٧٨) ويعرف الآن بحمام العقيق ولا يزال عامراً حتى الآن وهو لصيق المدرسة الظاهرية من جهة الشمال (٦) قال العلموي في مختصره لتنبيه الطالب في بحث الربط : رباط زهرة بالقرب من حمام جاروخ جوار دار الأمير مسعود بن الست عذراء « قلت » وهذا الحمام معروف بحمام جاروخ جوار دار الأمير المذكور وهو مقابل الفرن المعروف بفرن خليفة . وهو الآن بيت ملك زوجة ابن النعمان الطرابلسي وهي الشريفة (كذا في الأصل المخطوط ولعله الشرقية) وبابه بالقرنة وحكره الآن للجاروخية المتقدم ذكرها (٧) ذكر ابن عساكر ـ

[الملك] الزاهر[1] (٦٠) وحمام ابن موسك[2] (٦١) وحمام القصير (٦٢) وحمام تميرك (٦٣) وحمام عز الدين داخل باب النصر[3] (٦٤) وحمام دار السعادة[4] (٦٥) وحمام

ـ في تاريخه (١/٢٥٠ المطبوع) حمام القاضي عند باب الجابية . وأقول قرب هذا الباب في سوق مدحت باشا حدرة يقال لها « نزلة حمام القاضي » في أولها على اليسار حمام على بابه زخارف من العهد التركي ، وهو الآن في حالة خراب وسيكون بعد مدة قريبة معدوماً بالكلية بسبب الأبنية الحديثة (١) زيادة الملك من عدة الملمات قال فيها « الستون » حمام الملك الزاهر ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي . والملك الزاهر هو مجير الدين ابو سليمان داود بن الملك المجاهد صاحب حمص توفي بدمشق سنة (٦٩٢) راجع تاريخ ابي كثير (١٣/٣٣٣) (٢) في الأصل : ابو موسك والتصحيح من عدة الملمات وهو الرابع والستون فيها وفي مختصر التنبيه للعلوي ص (٥٨) حينما يعد اوقاف المدرسة العادلية الصغرى والحمام وهو المعروف بحمام العصرونية الصغير وقديماً بحمام ابن موسك مقابل دار الحديث النورية (٣) باب النصر أحد أبواب دمشق القديمة ويسمى بباب الجنان وبباب دار السعادة وهدم سنة (١٢٨١ هـ)

(٤) دار السعادة كانت داراً للملك الأمجد صاحب بعلبك ثم امتلكها الأشرف الأيوبي وفي العهد المماليكي كانت مقراً لنواب دمشق وفي العصر التركي العثماني حولت الى سوق وهو السوق المظلم المعروف بسوق النسوان خلف سوق الاروام ، وقد انتقل هذا الاسم (اي دار السعادة) من دمشق الى بقية المملكة المصرية فاصبح في كل من مصر وحمص وحماة وحلب دار سعادة ، ثم نتقل في العهد التركي الى البلاد التركية فسميت بعض القصور بدار السعادة ثم اطلق على عاصمة العثمانيين فكانت القسطنطينية تدعى « در سعادت » وحمام دار السعادة هو الذي كان يدعى بحمام ستي عدرا نسبة الى عذرا بنت شاهنشاه اخ الملك صلاح الدين ولصيق هذا الحمام من الغرب المدرسة العذراوية وقد اصبح والمدرسة في عهدنا مخازن تجارية

بدرب الشعارين[1] (٦٦) وحمام القاضي خليفة (٦٧) وحمام ابن أبي الطيب (٦٨) وحمام درب اللبان (٦٩) وحمام آخر للشريف (٧٠) وحمام آخر للمارستان (٧١) وحمام بدر الدين بحارة البلاطة[2] (٧٢) وحمام تربة أم الصالح[3]، ويعرف بحمام ست الشام أيضاً[4] (٧٣) وحمام ارجواش[5] (٧٤) وحمام شركس (٧٥) وحمام الشاه القرماني بين السورين[6] بباب الجابية (٧٦) وحمام مجهول بين باب الفرج

---

(١) في تنبيه الطالب : المدرسة الشرابيشية بدرب الشعارين لصيق حمام صالح شمالي الطيوريين داخل باب الجابية . ودرب الشعارين كان يسمى قبل عشرين سنة بالحصرية وهو طريق ضيق متعرج كان يتوصل به من سوق مدحت باشا الى امام مارستان نور الدين وكان على مقربة من حمام عذراء والآن تغيرت معالم هذه الجهات وأصبحت محلات تجارية (٢) حارة البلاطة هي التي فيها المدرسة الجوهرية وهي الدخلة التي غربي المدرسة الريحانية (٣) تربة أم الصالح في زقاق المحكمة وهي قبلي المدرسة الجوهرية ويتألف منها الآن بيت بدير وبيت تقي الدين ولا يزال بابها العظيم قائماً حتى اليوم (٤) اوقفت ست الشام دارها مدرسة للشافعية وهي قبلي المارستان النوري يفصل بينهما دخلة ضيقة عرضها نحو متر ونصف وكان لصيق المارستان من جهة الغرب حمام شمالي دار ومدرسة ست الشام وقد زال هذا الحمام منذ خمس عشرة سنة (٥) الراجح انه علم الدين ارجواش نائب قلعة دمشق توفي سنة (٧٠١) تاريخ ابن كثير (١٤/٥) (٦) بين السورين بباب الجابية هو في الحي المسمى بالخضيرية وقد تنوسي هذا الاسم الآن وبقي عالقاً بزقاق بين بابي الفرج والفراديس (بابي المناخلية والعمارة) . وكان من طرق تحصينات المدن في السابق ان يجعل امام سور المدينة جدار هو بمنزلة خط الدفاع الأول، وكانوا يدعونه بالفصيل (وهو ولد الناقة) كأنه سور صغير وولد بالنسبة لسور المدينة العظيم، وفي العصر المماليكي وسعت المدينة من بعض أطرافها بوضع سور جديد محل الفصيل فدعيت تلك الجهات بين السورين

وباب الفراديس[١] (٧٧) وحمام درب الحجر[٢] ، وجدد بعد ثمانين سنة من خرابه ، وجدد سنة احدى وعشرين وسبعمائة .

فأما الحمامات التي هي خارج دمشق وهي في حواضرها فجملتها اربعة وثلاثون حماماً وهي: (١) حمام حكر السماق (٢) وحمام خطاب[٣] (٣) وحمام الحسام (٤) وحمام الحاجب (٥) وحمام القصر[٤] (٦) وحمام الظاهرية[٥] (٧) وحمام العتيقا بالشاغور (٨) وحمام مسجد القصب (٩) وحمام عز الدين الحموي[٦] (١٠) وحمام الجلاطي

(١) هذا الحمام كان مقابل الجامع المعلق بين الحواصل (جامع بردبك) وكان يدعى بحمام العيلاني وقد هدم منذ عشرين سنة (٢) درب الحجر هو الدرب الذي امام الحديقة التي كان موضعها الثكنة العزيزية قرب الباب الشرقي وهذا الدرب هو الذي يوصل بين محلة باب توما وهذه الجهة ولا يزال فيه حمام عامر يدعى بحمام المسك . وفي البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٩٨) سنة (٧٢١) في أول يوم منها فتح حمام الزبث الذي في رأس درب الحجر جدد عمارته رجل ساوي بعد ما كان قد درس ودثر من زمان الخوارزمية من نحو ثمانين سنة ، وهو حمام جيد متسع اهـ . (٣) في البداية والنهاية (١٤/١٢١) وتنبيه الطالب والقلائد الجوهرية : الأمير عز الدين خطاب بن محمود كان ذا ثروة زائدة وله حمام بحكر السماق توفي سنة (٧٢٥) ودفن بسفح قاسيون

(٤) كان في جهة التكية السليمانية قصر امارة من زمن الفاطميين ، ثم جدده الظاهر بيبرس وبناه بالحجر الأبيض والأسود فدعي بالقصر الأبلق وانشئت حوله دور وبيوت دعيت بحارة القصر والظاهر انه كان لها حمام هو المذكور هنا

(٥) أنشأ ملك حلب الظاهر غازي ابن صلاح الدين الأيوبي مدرسة بمحلة المنيبع المسماة في عصرنا بحارة الحلبوني تعرف بالمدرسة الظاهرية وهذا الحمام منسوب اليها اما لأنه من أوقافها أو لكونه على مقربة منها (٦) في البداية (١٣/٣٩٣) في شوال سنة (٦٩٤) كملت عمارة الحمام الذي أنشأه عز الدين الحموي -

(١١) وحمام لاجين (١٢) وحمام الريش (١٣) وحمام عاتكة (١٤) وحمام الحكر (١٥) وحمام ديلم (١٦) وحمام الظاهر بالطون ؟ (١٧) وحمام المرمدة (١٨) وحمام جراده (١٩) وحمام تمر الساقي (٢٠) وحمام العقيبة (٢١) وحمام الراهب (٢٢) وحمام الصالح (٢٣) وحمام الشجاع (٢٤) وحمام قرقين (٢٥) وحمام الجلال (٢٦) وحمام اسرائيل (٢٧) وحمام العونية (٢٨) وحمام العونية الأخرى (٢٩) وحمام الكحال (٣٠) وحمام الجواميس (٣١) وحمام مجهول عند بستان الدمشقي (٣٢) وحمام أنشاه نائب السلطان سيف الدين تنكز بحكر السماق سنة احدى وعشرين وسبعمائة[١] (٣٣) وحمام آخر أنشاه الأمير ايلجي بغا جوار خان الطعم في شوال سنة عشرين وسبعمائة (٣٤) وحمام آخر أنشاه الأمير ابن صبح بالقرب من الشامية البرانية[٢] سنة اثنين وعشرين وسبعمائة .

فهذه جملة الحمامات التي بحواضر دمشق

فأما الحمامات المتصلة بحواضر[ها] فجملتها تسعة وعشرون حماماً وهي :

(١) حمام ابن العديم (٢) الحمام[ا]لجديد ، وهذا الحمام يعد تارة مع حمامات المزة فاعلم ذلك

ـ بمسجد القصب وهو من احسن الحمامات وفي (٤٠/٣) سنة (٧٠٣) فيها توفي الأمير الكبير عز الدين ايبك الحموي واليه ينسب الحمام بمسجد القصب الذي يقال له حمام الحموي عمره في ايام نيابته (١) في البداية (٩٩/١٤) سنة (٧٢١) في تاسع عشر جمادى الآخرة فتح الحمام الذي أنشأه تنكز تجاه جامعه وا كري في كل يوم بأربعين درهماً لحسنه وكثرة ضوئه ورخامه (٢) في البداية (١٠٢/١٤) سنة (٧٠٢) في رجب كملت عمارة الحمام الذي بناه علاء الدين ابن صبح جوار داره شمالي الشامية البرانية

وبقرية المزة[1] ثلاث حمامات وهي (٣) حمام المسعودي[2] (٤) وحمام العفيف (٥) وحمام العوافي وجدده فخر الدين اياس

وبقرية كفرسوسيا[3] (٦) حمام واحد

وبالقبيبات[4] (٧) حمام قديم (٨) وحمام جديد أنشأه الصاحب شمس الدين عبد الله[5]

(١) المزة قرية على يمين القادم لدمشق من بيروت فوق الربوة غربي دمشق تبعد عنها نحو اربع كيلومترات نزلها منذ الفتح الاسلامي قبائل يمنية من كلب وصاهرهم لقوتهم معاوية ثم مروان فكان بنو كلب واليمنيون من اكبر انصارهما . وكانت اقطاعاً لأسامة بن زيد فباعها ولده لبني كلب وفيها يقول الأعور الكلبي من قصيدة يمدح بها أسامة وبني قومه

فاسكنها كلباً فأضحت بلدة   لها منزل رحب الجنان خصيب

فنصف على بن وشيح ونزهة   ونصف على بحر اغر رطيب

ومراده بالبحر أنهر الربوة (٢) في البداية لابن كثير (١٣/٣٤٥) سنة (٦٩٥) فيها توفي الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ ابن عبد الله المسعودي ، ودفن بتربته بالمزة وهو صاحب الحمام بالمزة (٣) كفرسوسيا قرية قبلي المزة وغربي دمشق من جهة القبلة وهي من منازل اليمنيين أيضاً تبعد عن دمشق مثل المزة . وأهلها أنشط جميع اهل الغوطة في الزراعة (٤) القبيبات هي ما يطلق عليها الآن بالميدان الفوقاني وكانت قديماً تعد من قرى دمشق ولا تزال حارة فيها تدعى الى الآن بالقبيبات وقد زاد في عمرانها بناء الجامع الكريمي فيها (جامع الدقاق) (٥) الراجح ان المراد « بالصاحب شمس الدين عبد الله » الوزير كريم الدين عبد الكريم ابن السديد المصري . كان نصرانياً فأسلم وهو كهل ويذكر المؤرخون انه نال من الجاه فوق ما يبلغه الوزراء وهو الذي أحدث في القبيبات مشاريع عمرانية احيت تلك الجهة فأحدث جامعاً عظيماً سمي باسمه (الجامع الكريمي) وهو المعروف في عصرنا بجامع الدقاق ، واجرى نهراً ـ

وبالسهم[١] خمس حمامات ، وهي (٩) حمام حدوثه (١٠) وحمام الاعسر (١١) وحمام الزعيفرينة (١٢) وحمام القواص وقد أنشأ الصاحب بهاء الدين بن عليمه (١٣) حماما في بستانه

وبالنيرب حمام واحد (١٤) وهو حمام العز المطرز

وبجبل قاسيون[٢] اربعة عشر حماماً ، وهي (١٥) حمام الجورة[٣] (١٦) وحمام الزهور (١٧) وحمام المدفف (١٨) وحمام القاضي (١٩) وحمام الورد (٢٠) وحمام عبد الحميد (٢١) وحمام الشبلية (٢٢) وحمام برقا (٢٣) وحمام خرنوبة (٢٤) وحمام الياسمين (٢٥) وحمام النحاس[٤] القديمة (٢٦) وحمام أخرى جددها القرماني وتعرف بحمام

ـ صغيراً من تحت قبة المسجف الى جامعه بالقبيبات بعد ان اشتراه بخمسة واربعين الفاً (؟) فعاش به الناس ونصبت عليه الأشجار والبساتين وازدهرت تلك الجهة ، توفي مشنوقاً سنة (٧٢٤) . والظاهر ان المؤلف يسمي من أسلم بعبد الله كما هنا وكما مر في ص (٣٢٠) حيث سمى الصاحب غبريال الذي انشأ مسجداً قرب القماطلة بالصاحب عبد الله أيضاً (١) بالصالحية طريقان يسمى كل منهما بالسهم وهما أعلى وأدنى فالطريق الذي شمالي المدرسة الماردانية لجهة الشرق هو السهم الأدنى والطريق الذي فوقه المتصل بالزقاق الذي فيه المدرسة الحاجبية هو السهم الأعلى . وكان السهم يعد من المتنزهات وفيه يقول القيراطي :

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

ولم يذكر ابن كنان شيئاً عن حمامات السهم (٢) هو الجبل المطل على دمشق

(٣) كان موضع هذا الحمام لصيق تربة الشيخ محيي الدين ابن عربي فلما عمر السلطان سليم تربته والمسجد الذي جانبه اشتري هذا الحمام واضيف الى المسجد راجع القلائد الجوهرية (١/٦٤) والمروج السندسية (١/٩٣) (٤) في البداية والنهاية (١٣/١٩٣) سنة (٦٥٤) الشيخ عماد الدين بن عبد الله بن الحسن ترك الخلائق وأقبل على الزهادة والتلاوة والعبادة والصيام المتتابع والانقطاع بمسجده ـ

النحاس أيضاً (٢٧) وحمام أنشأه الصاحب بهاء الدين بن عليمة [1] أيضاً بجبل الصالحية وهو جبل قاسيون قريب من اليغمورية [2] (٢٨) وحمام أنشأه ايدمر مملوك الصاحب عز الدين بن القلانسي [3] على طريق الجسر الأبيض بطريق جبل قاسيون

وبين حرستا [4] وأرزونا [5] حمام واحد ويعرف (٢٩) بحمام مسيلمة

ـ بسفح قاسيون نحواً من ثلاثين سنة . وكان من خيار الناس . ولما توفي دفن عند مسجده بتربة مشهورة به وحمام ينسب اليه في مشاريق الصالحية اه ولا يزال الى يومنا هذا جسر في شرقي حي الأكراد يدعى بجسر النحاس (١) كذا في الأصل بالهاء المنقطة . وفي البداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٠٣) سنة (٧٢٣) وفي أواخر رمضان كملت عمارة الحمام الذي بناه بهاء الدين بن عليم بزقاق الماجية من قاسيون بالقرب من سكنه، وانتفع به اهل تلك الناحية ومن جاورهم . وتقدم في الصفحة الماضية حمامه الذي أنشأه في بستانه بالسهم (٢) مدرسة حنفية في الصالحية غربي خان السبيل قرب موقف الترام المشهور بأبي رمانة نسبة لجمال الدين ابن يغمور الذي تولى نيابة دمشق سنة (٦٤٧) وتوفي سنة (٦٦٣)

(٣) هو الصاحب عز الدين ابو يعلى حمزة القلانسي صاحب دار الحديث القلانسية بالصالحية توفي سنة (٧٢٩) راجع القلائد الجوهرية (١/٨٥)

(٤) حرستا قرية من غوطة دمشق على طريق دوما يمر عليها خط الترام وتبعد عن دمشق عشرة كيلو مترات (٥) قال ابن طولون في ضرب الحوطة: هي قرية تحت القابون التحتاني، وهي متوسطة لها جامع ومئذنة، وشربها من نهر ثورى، وهي أملاك لناس مختلفين، وقع بها تحديث بأجزاء وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث . وفي تنبيه الطالب، والقلائد الجوهرية : قال ابن شداد : والميطور كان مزرعة ليحيى بن احمد بن يزيد بن الحكم وكان يسكن ارزونا وهو الميطور الشرقي . «أقول» ان هذين النصين يحددان انما موضع ارزونا . —

فهذه جملة حمامات دمشق داخلها ، وحواضرها ، وما هو متصل بحواضرها ومبلغها مائة حمام وسبعة وثلاثون حماماً أخر .

هذا آخر المقصود من جمع هذا الكتاب . والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي ، وآله الطاهرين ، وصحبه المنتخبين .

كمل الكتاب ، بعون الملك الوهاب

محمد احمد دهمان



— وموضعها الآن قبيل جسر ثورى الذي يُمر عليه الى جهة حرستا ودوما . تقع قبليه لجهة الغرب بين البساتين وهي ملاصقة لقرية بيت لهيا من جهة الشمال وموضعها الآن بستان يقال له بستان المساطبي فيه بضعة قبور اسلامية تقوم على قبور رومانية هي البقية الباقية من هذه القرية وشماليها نهر ثورى وعليه جسر يدعى بجسر الناعمة وجسر النمرود يمر عليه الى الميطور الأعلى الغربي وهو البساتين التي تحت حي الأكراد .

الأشباه والنظائر في اللغتين

العربية والافرنسية [1]

كان معظم السبب في عدم تمكني من التكلم باللغة الافرنسية والحديث فيها أني كنت وأنا أدرس قواعدها أفكر في ألفاظها، ورد مشتقاتها الى أصولها، والمقارنة بينها وبين الفاظ لغتنا . فكنت أحياناً أنتبه الى وجوه شبه كبير بين الألفاظ الافرنسية وبين ما يمناها من ألفاظ لغتنا العربية من حيث استعمال الفاظ اللغتين في حقائقها ومجازاتها وطرائق استعمالاتها . وكنت أدون ذلك في مذكرات خاصة وأطلع عليها بعض الحذاق في اللغة الافرنسية من اخواني مستثيراً عجبهم من هذا الشبه بين ألفاظ اللغتين . فكانوا يوافقونني على تعجبي في أكثر الأحيان، وهذا ما جعلني أحفل بملاحظاتي هذه وأنتظر الفرصة لعرض طائفة منها عليكم . وها هي قد سنحت اليوم :

«الحرْث» :

معناه الحقيقي في اللغة العربية شقّ الأرض بالسكة وتهيأتها للزراعة . ويستعمل الحرث مجازاً في معنى كسب المال وجمعه . ومنه الحديث الشريف : «كلكم حارث وكلكم همام» فليس معنى «كلنا حارث» اننا نفلح ونزرع . وانما المعنى أن كل واحد من البشر يسعى ويكد في طلب الرزق، ومعاناة تكاليف الحياة . وأصرح من هذا الحديث الحديث الآخر : «أحرُث المالَ كأنك تعيش أبداً» أي اطلبه واجمعه حتى كأنك لا تفكر في الآخرة .

هذا معنى مجازي للحرث . وهناك معنى مجازي آخر وهو التفقه في الشيء

(١) بحث ألقاه الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي في احدى جلسات مجمع فؤاد الأول للغة العربية لمؤتمر سنة ١٩٤٧ م .

وإنعام النظر فيه ودراسته حتى النهاية . يقال : « احرُث القرآن حرثاً » أي أدرسه وتفقه فيه واقتله علماً .

أما العلاقة في هذا التجوز بين « حَرَثَ » بمعنى فلح الأرض و « حَرَثَ » بمعنى تفقه في الشيء فظاهرة لا تحتاج الى بيان . ولا سيما أمام عباقرة حرثوا العلوم حرثاً ، وقتلوها درساً وبحثاً .

ويشبه هذا التحليل اللغوي في فعل الحرث العربي أن فعل (Cultiver) وهو بمعنى الحرث في اللغة الافرنسية يستعمل على النمط الذي استعمل فيه فعل « الحرث » العربي من حيث الحقيقة والمجاز .

فمعنى Cultiver الحقيقي حَرَثَ زَرَعَ فَلَح . ويستعمل مجازاً في معنى : مارس الفنون وزاولها وتمرن عليها وتدرب بها يقال : Cultiver les arts ويستعمل مجازاً أيضاً في تهذيب النفس وتثقيفها . يقال Cultiver l'esprit وهذان المعنيان المجازيان لفعل Cultiver وخاصة المعنى الأول : معنى التمرس في العلوم والمران عليها — يكاد يكون عين المعنى المجازي لفعل « حَرَثَ » العربي الذي يقال فيه : احرُث القرآن حرثا .

والاسم من فعل (Cultiver) Culture ويفسر بالمعنيين : الحقيقي بمعنى الفلاحة والزراعة والمجازي بمعنى ممارسة الفنون والتدرب بها . وبالمعنى المجازي الثاني وهو تثقيف النفس وتهذيبها .

ومما يزيد في العجب أن « الحرث » ورد في القرآن بمعنى الثواب على العبادة « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه » أي ثواب الآخرة وكذلك (Culte) المشتق من فعل (Cultiver) يستعمل في اللغة الافرنسية بمعنى العبادة والتعبد . فهل كل هذا اتفاق يا ترى ؟ أم ان وراءه سراً ان خفي على الشادي لا يخفى على الراسخ .

ومن تمام هذا البحث في المقارنة بين « الحرث » العربي و (Culture) الافرنسي

وهو مما يتعلق بأعمال مجمعنا هذا وأغراضه الخاصة — أن كلمة (Culture) الافرنسية شاعت على ألسنة أبنائنا المثقفين شيوعاً عظيماً ، فيقولون في مواطن كثيرة من مواطن الكلام على الآداب والفنون Culture , Culture فبماذا نترجمها ؟ وما هو اللفظ العربي الذي نختاره لها ونصطلح عليه مكانها ؟

أما الأتراك فقد جعلوا اللغة العربية قبلتهم ومستمدهم . فقالوا في ترجمة (Culture) (حَرْث) وجعلوا يريدون منها الاشتغال بجدٍ في العلم والأدب والتهذيب العام .

وأما نحن معشر العرب فلم نفعل فعلهم وانما عدلنا عن لفظ « الحرث » اللغوي القرآني الفصيح الى لفظ عربي لا يفهم منه معنى التفقه والتعمق في العلم والفن وان فهم منه معنى تهذيب النفس وتقويمها على ثقاف الأدب — وهو (الثقافة) .

« الغرب » :

هنا رأيان في مادة (غ ر ب) اما أن يكون أصل معناها يدل على النزوح والبعد عن محل الاقامة الى أية جهة كانت ثم خصوا كلمة (الغرب) بجهة مغرب الشمس . هذا رأي ورأي آخر وهو أن (الغرب) في أصل معناه اسم لجهة معينة وهي جهة مغرب الشمس مقابل مشرقها ، وقد ورد في اللغة ما يؤيده وهو قولهم (أغْرَبَ القوم) اذا أتوا جهة الغرب ، هذا هو قول في مدلول (الغرب) ، ثم عادوا فعمموه في الاتجاه لأية جهة كانت من الجهات : مذ يقولون : اغترب فلان غربةً . وغرب في الأرض أمعن فيها . وغرب فلان بعد ونزح . وقالوا (من باب الإفعال) أغْرَبَ زيد أمعن في البلاد . وأغرب القوم اذا انتووا (أي انتقلوا من بلد الى بلد) .

فعلى هذا الرأي يكون أهل اللسان نقلوا معنى (الغرب) من خصوصه في الجهة الواحدة الى عمومه في الجهات . ومنه قول العرب في سؤال الوافد عليهم « هل من مُغرِّبةِ خبر ؟ » أي هل لديك أيها الوافد خبر تُطرفنا به ؟ وهم انما يعنون من أية جهة كانت لا جهة الغرب وحدها . ومنه اسم الطائر الخرافي المشهور الذي

كان يخطف الأطفال في زمن أحد الأنبياء . فشكوه اليه . فدعا عليه ، واسم الطائر (عنقاء مُغرِب) يعنون ان تلك العنقاء كانت تخطف الصبي وتطير به مُغرِبة : أي ممعنة موغلة في أية جهة كانت . لا جهة الغرب خاصة .

هذا في لغتنا العربية وفي اللغة الافرنسية يسمون جهة الشرق (Orient) ثم يقولون اشتقاقاً من كلمة (Orient) (Orienter) و (S'orienter) يريدون الاتجاه الى أية جهة كانت لا جهة الشرق وحدها . وفسر لاروس فعل (Orienter) بقوله (جعل الشيء في الموقع المطلوب الذي ينبغي أن يكون حداً له بالنسبة الى الشرق والى الجهات الأخرى) . وفسر (Orientation) بقوله (هو تحديد موقع المكان الذي توجد أنت فيه بالنسبة الى أية جهة من الجهات الأربعة الأصلية) . ومهما يكن فان الافرنسيين في مشتقات لفظ أوريان (Orient) الخاص بجهة شروق الشمس لم يبقوه على خصوصه بل عمموه في الجهات الأربع . وهذا عين ما فعله العرب في مشتقات لفظ (الغرب) . فهل هذا الاتفاق بين اللغتين من مواطن العجب أو اللاعجب .

« أحلَبَ وبَزَّ » :

يقال في اللغة العربية أحلب فلان فلاناً إذا أعانه وأسعفه . وأصل معناه أن يُعينه في حلب ابله . ثم عمموه في كل معاونة . قال أحد شعراء الحماسة :

(ألهفا بقُرَّى سَحبَل حين أحلَبَتْ علينا الوَلايا والعدوُّ المباسل)

يتحسر الشاعر مما حصل في وقعة (قرَّى سَحبَل) وهو اسم مكان جرت فيه الموقعة : فان القبائل أحلب بعضها بعضاً : أي اعان بعضها بعضاً على محاربة قبيلة الشاعر وكانت القبائل مؤلفة من ولايا : أي حلفاء موالين ومن أعداء مناوئين .

أما ان العرب ينقلون الفعل من معناه الخاص الى المعنى نفسه بعد تعميمه فهو أمر معهود في لغتهم وطريقة من طرائق التفنن في تنميتها . من ذلك فعل (أحذَى) فلانٌ فلاناً : أصل معناه أن يعطيه حِذاءً يلبسه ثم عمموه في اعطاء أي

شيء كان . ومنه الحديث الشريف : « كان صلى الله عليه وسلم يُحذي النساء والصبيان من المغنم » أي يرضخ لهم من الغنائم .

شيء آخر : وهو أن العرب يقولون في أمثالهم فلان « يُسِرّ حَسْواً في ارتغاء » يضرب لمن يُظهر امراً وهو يريد خلافه . والحَسْو الشرب . والارتغاء شرب الرغوة . وحقيقة معنى المثل أن يعمد الرجل الى الإناء فيه اللبن وقد علته الرغوة فيوهم غيره أنه يشرب من الرغوة وانما هو يختلس بشفتيه اللبن من تحتها .

هذان القولان في اللغة العربية (أحلبه) بمعنى أعانه و (يُسِرُّ حَسْواً في ارتغاء) بمعنى اختلس اللبن من تحت الرغوة يصح إعمال المقارنة بينهما وبين قول الفرنسيين في لغتهم (Soustraire) والظاهر أن أصل هذا الفعل مركب من مقطعين (Sous) بمعنى تحت ، و (Traire) بمعنى حلب اللبن . يقال : Traire une chèvre . فلعل معنى (Soustraire) في الأصل (حلب اللبن من تحت) . وهل أرادوا بذلك سرقته ياترى ؟ وعلى فرض ذلك ـ أو مهما يكن من أمر ـ فانهم عادوا فاستعملوا (الحلب من تحت) في معنى السرقة ، سرقة أي شيء كان . وهذا ما فعل العرب مذ نقلوا فعل (أحلب) من معنى الإعانة على حلب اللبن الى معنى الاعانة في مطلق شيء .

قلت هذا في فعل (Soustraire) من عند نفسي ، فان كنت غير موفق فيه فلعلي أكون موفقاً مبارك الرأي في فعل (بَزَّه يبزُّه) فان أصل معناه في اللغة العربية أن يسلب الرجل بزّ غيره . والبزُّ الثوب . والبزّاز بائع الثياب . هذا هو معنى بَزّ في الأصل ومنه حديث خالد الهذلي « ويبزُّ ثوبي » أي يجذب ثوبي اليه ، ثم ان العرب عادوا فنقلوا فعل (بَزّ) من معناه الخاص (أعني سلب الثوب) الى معنى أعم وهو سلب مطلق شيء . ومنه المثل المشهور (من عَزَّ بَزَّ) أي من كان ذا عزة وقوة أمكنه أن يسلب غيره أشياءه لا أثوابه وحدها . ومن الغريب أن يكون في اللغة الافرنسية فعل بمعنى الفعل العربي ، وقد تطور مثل تطوره

وهو قولهم : (Dérober) بمعنى سرق واختلس أيَّ شيء كان . وظاهرٌ أن أصله مركب من حرف (de) وهو اذا ركب مع الافعال أفاد معنى السلب والنزع والازالة — ومن كلمة (Robe) ومعناها الثوب : ففعل Dérober ينبغي أن يكون معناه في الأصل أن ينزع الرجل ثوب الآخر . ثم عمموه في كل سلب واختلاس وهذا عين ما جرى في فعل (بَزَّ) العربي .

ومما له اتصال ومناسبة بما قلنا وإن لم يكن منه كلمة (Terrassier) التي معناها ناقل التراب بالافرنسية واذكر أن العامة في طرابلس الشام يسمون الرجل الذي ينقل الغلة (كالحنطة والشعير) من مكان الى مكان آخر يسمونه (تَرّاس) ويجمعونه على (تَرّاسَة) وصنعته (التِراسة) ويخطر لي أنها كلمة صليبية أبقاها الصليبيون في بلادنا بعد أن جلوا عنها .

ويظهر أن الافرنسيين يجرون على طريقة العرب في تعميم معنى اللفظ بعد أن كان خاصاً : من ذلك فعل (Deblayer) فان المعجم الافرنسي يفسره برفع الردم وغيره من مكانٍ ما أو اخلاء المكان وتفريغه مما فيه مع أن أصل معناه ينبغي أن يكون رفع الحنطة من البيدر .

« قَدٌّ رشيق » :

اشتق العرب من الرشاقة أو الرشق الذي هو من أحوال الرمح وأوصافه وصفاً للقدّ الممشوق الأهيف ، فقالوا : فلان رشيق القوام أو رشيق القد . يعنون أنه كالرمح الذي اذا رشقته أو قلّبته رأيت منه هَيَفاً وليناً وحسن تثني وكذلك الافرنسيون اشتقوا من اسم الرمح الذي هو (Lance) ومن رشقه (Lencer) وصفاً للقوام الجميل المشرق ، فقالوا : élancé de taille .

« فعل صَرَّ » :

يستعمل العرب هذا الفعل في ثلاثة مواطن :

الأول — في حك الأسنان بعضها ببعض : كما يقع ممن يشتد ألمه أو يشتد

غيظاً . يقولون : صرّ أسنانه غيظاً أو ألماً . وفي معنى الغيظ يقولون « فلان (يَحرُق الأُرَّم) » والأُرم أصول الأسنان ، وحرقها حكّ بعضها ببعض . وهذا التعبير اي حرق الأُرم نراه كثيراً في كتب اللغة والأدب ، ولكن ما أحد منا اجترأ على استعماله مع أنه ليس بالقبيح ولا المتنافر . ثم انهم لماذا قالوا الأُرَّم . والأُرَّم أصول الأسنان والحكّ لا يقع عليها وانما يقع على رؤوسها . وقد أولت ذلك بإرادة المبالغة في الحك حتى أن رؤوس الأسنان من شدة الحك تكسرت فبلغ الحكّ أصولها وأسناخها .

الموقع الثاني — لاستعمال فعل صرّ ان يستعمل مع الباب اذا صوت عند فتحه واغلاقه . يقال : صرّ الباب .

الموقع الثالث — تصويت القلم ، فيقال : صرّ القلم . وقد ورد في الآثار « حتى سمع صرير الأقلام » . وبمعنى فعل صر العربي في اللغة الافرنسية فعل (Grincer) فانه يستعمل كاستعمال صرّ العربي في المواطن الثلاثة : Grincer les dents و la porte grince و la plume grince .

(ملاحظة) كان العرب في العهد العباسي يعرفون ضرباً من النعال النفيسة وكانوا يصفونها بقولهم (نعل صَرّار ، ونعلان صرّاران) ولا أظن الافرنسيين يعرفون هذه النعال حتى يستعملوا فعل الصرير (Grincer) معها .

ويقول العرب : صرّ الصقر والبازي ، وصرّ الجندُب ، وصرت الجنادب . وفي أمثالهم (علقت [1] معالقها وصرّ الجندب) والجندب ضرب من الجراد . ولا

(١) يضرب هذا المثل في استحكام الأمر وانبرامه ، والضمير المؤنث في (علقت ومعالقها) راجع الى الدلو . وأصله أن رجلاً أدركه الصيف وخاف على نفسه الهلاك اذا سافر فيه . فوصل الى احدى القبائل وعمد الى دلوه فربطه بحبل دلو سيد القبيلة ثم جاءه قائلاً : بيني وبينك جوار ، فسأله وما هذا الجوار؟ قال ربطت حبلي بحبلك . فاستنكر السيد ذلك وأباه ، فقال الرجل (علقت معالقها وصرّ الجندب) أي أحكم تعليق الدلو في مُعلّقه من حبلك . وقد اشتد حر الصيف وصرّت جنادبه فلم يعد ثمة أمل في الرجوع مما عزمته من النزول عليك .

أظن الافرنسيين أيضاً يعرفون هذه الجنادب ولا صريرها حتى يقولوا les sauterelles grincent . أما البازي فيعرفونه ويعرفون صوته الخاص به كما يعرفون صوت البكَرة التي تدور بالحبل ، ولكن لم أجد لاروس ذكرها عند ذكر فعل (Gincer) مع الأسنان والباب والقلم ، فلم يقل (la poulie grince) ولا (le faucon grince) .

« الطَرَف » :

طَرَفُ الشيء : جانبه واذا أردنا أن نضع له تحديداً لغوياً قلنا (الطرف القطعة من الشيء المتصلة بأيٍّ كان من جوانبه) .

وإذ كان الطرَف جزءاً قليلاً من مجموع أجزاء الشيء ضربه العرب مثلاً للقلة ، فيقولون (شدا الطالب طَرَفاً من النحو) أي قليلاً منه كما يقولون ذِرواً من النحو . وكلمة (Part) التي معناها (الطرف) في اللغة الافرنسية تستعمل الاستعمالين المذكورين الحقيقي والكنائي ، فهم يضربونه مثلاً للقلة فيقولون : J'ai fait une part de toillette أي أخذت قليلاً من الزينة أو إنني لم آخذ كل زينتي . وترجمة التواليت بالزينة يشهد لها قوله تعالى : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) : فالزينة تشمل كل ماله علاقة بتحسين الهيأة الذي يجعل المرء مقبولاً في نفوس الناس كنظافة الجسم وترطيل الشعر وحسن اللباس .

« العِصابة » :

لفظها مشتق من عَصَبَ الشيء اذا شدّه ، ومنه قول الحجاج لأهل العراق مهدداً (لأعصبنَّكم عصب السَلَمَة) والسَلَمَة واحدة شجر السَلَم يُشدُّ عليها وتُخبط بالعصي فيتحاتّ ورقها وتُعلفه الابل . ومن عَصَبَ بمعنى شدَّ جاء اسم العصابة للمنديل ونحوه يشد على العضو . وغلب على عصابة الرأس لصداع ونحوه ثم عادوا فاستعملوا عصابة الرأس في عصابةٍ خاصة تُشَدُّ على مفارق ملوك العرب وتكون في زينتها وزخرفها كالتاج على رؤوس ملوك العجم . وقول

العرب عصّبوا فلاناً هو بمنزلة قول الافرنج توّجوه . ومن هنا جاءت تسمية العمامة عصابة أي تاج أو كالتاج ومنه القول المأثور (العمائم تيجان العرب) .

هذا هو المعنى الأول للعصابة ، أما المعنى الثاني فهو إطلاقها على الجماعة من الناس الذين عَصَبَهم وشدّ بعضهم الى بعض هدفٌ واحد يرمون اليه . ثم عادوا فزادوا العصابة تخصيصاً مذ جعلوا يطلقونها على جماعة اتحدت وشد بعضها أزر بعض في السلب والنهب أو قطع الطريق أو مقاومة الحكومة وتعكير صفو سياستها أحياناً . وهذا المعنى اشتهر في الشؤون التركية الادارية فان الأتراك العثمانيين يسمون هذه الجماعات التي كانت تعيث فساداً في بلاد الروملي عصابات الأشقياء .

فتلخص معنا أن للعصابة ثلاثة معان : المعنى الأول : منديل يُعصب ويُشد .
والمعنى الثاني : جماعة من الناس تجتمع لغرض تقصد اليه في الغالب .
والمعنى الثالث : جماعة من الناس لفّهم وجمع بينهم غرض الشر وهو السلب والنهب والاخلال بالأمن .

ولا أعلم ان كان من العجب أو اللاعجب ان يستعمل الافرنسيون في لغتهم ثلاثة المعاني المذكورة في قولهم (Bande) فهي تطلق على المنديل أو الثوب المشدود على العضو . كما تطلق على الجماعة من الناس مطلقاً . وعلى جماعة (الأشقياء) خاصة .

وأحسب أن هذا المعنى الأخير في تخصيص العصابة Bande بالأشقياء هو من صنع الافرنسيين فأخذه الأتراك مع ما اخذوا من الكلمات الادارية عنهم وأخذناه نحن معشر العرب من الأتراك واستعملناه في هذا المعنى الخاص .

« جناح الطائر وجناح الدار » :

المعنى الحقيقي للجناح في لغة العرب هو يد الطائر المكسوة ريشاً ، ويستعمل الجناح مجازاً في معنى الجانب . وغلب استعماله في جانب الدار ، فيقال : جناح الدار . وفي الافرنسية كذلك : فان كلمة (aile) بمعنى الجناح تستعمل في يد

الطائر حقيقة وفي الدار مجازاً فيقال aile de Maison · وهل يقع مثل هذا التجوز في اللغات الأخرى يا ترى ؟

«حَمَله على كذا» :

ويقال في اللغة العربية حمل فلان فلاناً على كتفه أو على دابته · هذا هو معناه الحقيقي ويستعمل مجازاً في معنى إلجاء آخر الى فعل شيء فيقال : حملت فلاناً على النوم عندي أي ألجأته الى النوم عندي أو جعلته ينام عندي · وهذان الاستعمالان يقعان في فعل Porter الافرنسي يقال Porter quelqu'un à cheval ويقال مجازاً Porter quelqu' un à dormir chez moi ·

«التحرُّق» :

الاحتراق والتحرّق معروف المعنى في اللغة العربية ويستعمل مجازاً في معنى شدة شوق المرء وفرط نشاطه في فعل ما يريد · يقولون : فلان متحرّق لكذا أي كأن ناراً تلذعه فهو لا يهدأ ولا يقرّ له قرار حتى يبلغ حاجته · ووصفوا به الشديد العدو من الخيل · في الأساس (فرس حُراق العدو يكاد يحترق لشدة عدوه) — قال — (ومنه ركبوا في الحَرّاقة وهي سفينة خفيفة المرّ (اه) · والحراقة بفتح فتشديد ويفهم من قول الزمخشري أنها انما سميت بالحرّاقة لتحرقها في جريها كتحرق الفرس · وهذا خلاف ما يفهم من قول الجوهري فانه أشار الى أنها سميت بالحرّاقة لأنّ فيها مراميَ نيران يُرمى بها العدو في البحر ·

وفعل (Brûler) الذي معناه الاحتراق في اللغة الافرنسية يستعمل مجازاً في ما استعمل به الفعل العربي وهو التشوّق الشديد والشعور بالتهاب العاطفة حناناً وشوقاً الى الشيء فهم يقولون فلان يتحرّق لأن يكون في باريز (Il brûle d'être à Paris) ويستعمل فعل Brûler عند الافرنسيين في معنى إسراع الراكب وشدة عدوه فيقولون : Brûler le pavé أي أن الراكب يجدّ السير ويطوي الأرض طيّاً حتى يكاد يحرق بلاط الأرض التي يطؤها ·

ويستعمل أيضاً في نشاط الممثل وفرط حرارته في تمثيل دوره Brûler les planches أي أنه من اهتمامه وفرط حرارته في أداء عمله واتقان تمثيله يكاد يحرق ألواح خشب المرسح التي تحت قدميه .

« حُمْر النَعَم » :

قلما يذكر فصحاء العرب كلمة (النَعَم) وهي الأنعام التي خلقها الله لنا الا قرنوها بوصف الحُمرة فيقولون « حُمْر النَعَم » أي الأنعام الحُمْر ومنه الحديث الشريف : « لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم » ولعل السبب في كثرة استعمال توصيفها بالحمرة أن لون الحمرة هو الغالب عليها أو يقال : « ان الأنعام ذات اللون الأحمر هي أفضل ابل العرب وأكرمها » .

ويذكّر هذا بصنيع الافرنسيين اذا وصفوا البهائم أو الوحوش فانهم يقرنون اسمها بوصف الشُقرة : فيقولون les bêtes fauves et les oiseaux أي البهائم أو الوحوش الشُقر والطيور .

فما الذي ساق الافرنسيين الى استعمال هذا الوصف وما هذا الشبه في الاستعمال بينهم وبين العرب . أهو اتفاق أم ماذا ؟ واذا كان مثله معهوداً في اللغات الأخرى فلا يكون ثمة عجب . ولا سؤال عن السبب .

المغربي

اغلاط اقرب الموارد[1]

- ٤ -

في مادة (خ و ف) جعل خاف يخاف بمعنى فزع من باب منع وليس به لأن هذا الباب لا يكون الا مفتوح العين في الماضي والمضارع الا ما شذ ولم يعدّوا خاف من هذا الشاذ .

وقال في المادة نفسها أمر مخوف يُخاف منه وطريق مخوف يخاف فيه وحائط مخوف يخشى ان يقع والأصلح ان يكتفي بقول الأئمة « ان المخوف والمخيف كل ما يخاف منه فان خيف بنفسه فهو مخيف وان خيف هو فهو مخوف كالطريق ويصح تعاقبها » .

وفي مادة (دأدر) يقول دأدأر الغلام دَأدرة ، لها ولعب . والصواب . انها من مادة دأد قال صاحب القاموس في فصل الدال من باب الدال دَأدَدَ بدَأدِدُ دَأدَأة لَها ولعب .

وفي مادة (د أ ل) دُئِل من أعلامهم والنسبة اليه دُؤَلي وربما قالوا دُوَلي (هكذا بترك الهمز) والأصح أن يقول وربما قالوا دِئلي أو ديلي وخلاصة ما قاله الأئمة ان دُئِل حيٌّ من كنانة رهط أبي الأسود واضع النحو والنسبة اليه دُؤَلي على غير قياس ودُئِلي على القياس وتكسر داله .. وفي الاقتضاب عن السيرافي انّ اهل البصرة يقولون . ابو الأسود الدُؤَلي . بضم الدال وفتح الهمزة وانّ اهل الكوفة يقولون ابو الأسود الدِيلي بكسر الدال وياء ساكنة . وأما الدُوَلي فهو نسبة الى الدُوَل (وزان زور) في بني حنيفة والدِيلي نسبة الى دِيل (وزان زير) في عبد القيس والازدِ وتغلبَ .

(١) تابع ما نشر في المجلد ٢١ ص ٣١٧

وفي مادة (د ب ب) الدَّبّاء القرع واحدتها دَبّاءة (هكذا بفتح الدال) والصواب الدُّبّاء بالضم واحدته دُبّاءة ٠

وفي مادة (د ب ج) : « الديباج ج دبابج ودبابيج بلفظ مفرده » أما دَبابج على زنة مساجد فلم ترد في جمع الديباج بل جمعه ديابيج وهي جمع دِيْباج ودبابيج ببائين كما قالوا دنانير في جمع دينار وفي المادة نفسها ٠ الديباجة : الوجهُ (هكذا على اطلاقه) وليس هو كذلك بل الذي قاله الأئمة « وديباجة الوجه : حسن بشرته » اذ ليس للوجه القبيح ديباجة ٠

وفي مادة (د ب ر) ٠ اورد الشاهد هكذا :

أرجّي ان اعيش وان موتي بأوهد أو بأهون او جبار

ثم فسر اوهد بيوم الأحد وقد غير كلمة يومي في البيت بكلمة موتي وكلمة بأول بكلمة بأوهد ٠

وجعل اوهد ليوم الأحد ٠ قال في اللسان « واهون اسم ليوم الاثنين قال بعض شعراء الجاهلية :

أؤمّل ان أعيش وان يومي بأول أو بأهون أو جبار

او التالي دبارٍ أم فيومي بمؤنس أو عروبةَ أو شيار

قال ابن بري ويقال ليوم الاثنين أيضاً أهود من الوهدة وهي الانحطاط لانخفاض العدد من الأول الى الثاني » ٠

وقد أورد صاحب اللسان هذا الشاهد في مادة (د ب ر) « او التالي دبار فان يفتني » وكذلك جاء به في مادة (ش ي ر) ٠

وفي مادة (د ب ح س) الدُبحَس ، هكذا محركة الحاء وصوابها التسكين ٠

وفي مادة (د ب ر) في حديث النجاشي « واني آذيت رجلاً من المؤمنين » ٠ ونص الحديث رجلاً من المسلمين ٠

وفي مادة (د ب ى) ٠ يقال اقبل الخيل كالدَّبى فبلغ السيلُ الرُّبى (هكذا بالراء المهملة) وصوابه بالزاي المعجمة وهي عبارة الأساس بعينها ٠

وفي مادة (د ج ر) قال علي « تغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار » ونصُّ اللسان « وفي كلام علي عليه السلام تغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار » وهو جمع وكر .

وفي مادة (د ج ل) . الدُجال كغراب : الذهب وقيل ماؤه والصواب الدَجَّال بفتح الدال بعدها جيم مشدّدة وهو أسم كالفدّان والجَبَّان وقد ذكره كذلك صاحب اللسان اكثر من مرّة .

وفي مادة (د ج م) الدُجُم بضمتين : غمرات العشق وظُلَمُهُ . وصوابه الدُجَم بفتح فضم جمع دُجْمَة كغرفة وغرَف . ولكنه جاء بالشاهد على الصواب فما معنى تصريحه اذاً انه بضمتين .

وفي مادة (د خ ب س) . الدَخْبَسُ والدُخابِس « العظيم البطن » (هكذا بالسين المهملة) . وصوابه بالشين المعجمة وهو ايضاً الدخبش بالنون ومن هذا الوادي ايضاً الدخش والدخفش للغليظ وكلها بالدال والشين المعجمة كما ترى . وقد جعل الدخشم بالميم للغليظ ولكنهم فسروه بالضخم الأسود وبالقصير وهو من واديه ايضاً ولكن كان على المؤلف ان لا يتجاوز اقوال الأئمة لولا انها عادة اتخذها في تأليفه هذا .

وفي مادة (د خ ن) الدخن وهو غير الجاورش والصواب الجاورس بالسين المهملة ولعله غلط مطبعي .

وفي مادة (درس) درس الثوب فهو دَرِس ودريس . والصواب فهو دَرْس ودَريس ودِرْس كجَلْد وجليد وخصْب وخصيب

ثم حرّف الشاهد فقال فيه « الاِبْرَاْة واعتذار » وصحته الاَبَراءة واعتذاراً

وفي مادة (د ر ع) جمع الدِرع على ادرع ودِراع (هكذا بوزن جِبال) مضبوطة بالشكل وصوابه وادراع كاحمال ولم اجد من جمعه على فِعال .

وفي المادة نفسها المِدْرَعة بالكسر : الدُرّاعة . وفي كتب اللغة « المِدْرَعة

كالدُرّاعة الا انها لا تكون الا من صوف خاصة . فهي اذاً غيرها وان اشبهتها قال الخليل . فرّقوا بين اسماء الدرع والمدرَعة والدُرّاعة لاختلافها في الصنعة ارادة ايجاز المنطق .

وفي مادة (درص) الدُرانِص العظيم الضخم وصوابه الدُرافِص بالفاء ولعله غلط مطبعي

وفي مادة (د ر ق) الدرّاق : لغة في الترياق ، ضبطها بالفتح وصريح التاج انها بالكسر كدِنّار واخواتها والذي يصح فيه الكسر والفتح هو الترياق لا الدرّاق الذي هو بمعناه .

وفي مادة (د ر ق ل) الدِرقَل كدرهم : ثياب من حرير وصوابه الدرَقْل كهِزَبر او كَسِبَحْل كما في القاموس .

وفي مادة (د ر ه م) الدرهم : خمسون دانقاً ، وهذا غلط فاحش لان الدرهم هو ستة دوانيق والمتبادر منه عند الاطلاق هو الدرهم الشرعي وهو ثماني وأربعون حبة والدانَق ثماني حبات .

وفي مادة (د س ر) الدَوْسَر : نبات اسم حبِّه الزان . وعبارة الأئمة انه نبت يجاوز الزرع وله سنبل وحب دقيق اسمه حب الزَنّ يختلط بالبُر .

وفي مادة (د س م) والدسيم : الكثير الذِكر وأما دسماً في الحديث «لا يذكرون الله الا دسما» صوابه القليل الذكر ، وقد اتبع في غلطه هذا صاحب القاموس . ولكن نص الحديث لا يذكرون الله الا دَسْماً وقد فسره صاحب النهاية بقوله يريد ذكراً قليلاً . والدسيم القليل الذكر .

وفي مادة (د ص ص) دصَّه . ن . دصّاً خدَمه سائساً هكذا اوردها متعدية من باب نصر والصواب انها لازمة من باب ضرب يقال دص ـ دصّاً وداص ـ ديصاً اذا قدم سائساً والثانية من تحويل التضعيف .

وفي مادة (د ط ر) الدوطير : كوثل السفينة ، سقطت من نسخة أصل القاموس الهاء كما نبهوا عليه ولم يلتفت المؤلف الى ذلك .

وفي مادة (د ع ر) الدَعِرَة (هكذا بكسر العين وزان كلمة) وصوابها الدَعَرة وزان عَجَلَة ،وقد تسكن .

وفي مادة (د ع ص) داعصه : غارّه والمداعصة المغارّة هكذا بالغين المعجمة والراء المهملة فيهما والصواب عازّه بالعين المهملة والزاي .

وفي مادة (د ع ك ر) وادعنكر عليهم بالفحش : ابتدأ بالسوء وعبارة الأئمة اندرأ ولا يخفى ان الاندراء وهو الاندفاع غير الابتداء .

وفي مادة (د غ ص) الدَغّاص من الابل التي أصابها الدَغَص وصوابه الدَغاصى وهي جمع دغصَى .

وفي مادة (د غ ف ص) الدِغفِصة : المرأة الضئيلة والصواب الدِعْفِصَة بالعين المهملة وموضعها من الكتاب يدل على أن الخطأ من المؤلف واما الدَغفَصة بالغين المعجمة والدال المفتوحة فهي السِمَن و كثرة اللحم .

وفي مادة (د غ م ر) الدِغمور : السيء الخلق والصواب ضم الدال .

وفي مادة (د ف ن) الدِفَنِي كجمزى : ضرب من الثياب المخططة . وعبارة اللسان « والدَفَنِيّ ضرب من الثياب المخططة وأنشد ابن بري للأعشى :

يمشون في الدَفَنِيّ والابراد

وفي مادة (د ق ش) الدقش : القَفش زنة ومعنى . والصواب الدقش : النقش .

وفي المادة نفسها الدَقشة : دويبة رقطاء اصغر من القطاة والصواب من العظاءة ولكنه في ذلك تبع صاحب القاموس وقد صححه صاحب التاج .

وفي مادة (د ق ق) جعل دق الشيء بالشيء في سياق اللازم من باب ضرب مع انها متعدية وهي من باب نصر .

وفي مادة (د ك ك) قال الدَدَك بالتحريك : اسم من الادك وسيذكر ثم قال في الأدك والاسم منه الدَدَك وقد مرّ .

لكن الصواب ان الاسم منه الدَكَك كما هو واضح للمبتدئ في علم التصريف

وفي مادة (د ل ث ع) الدلثع ايضاً الطريق ... لا خطوط فيه (هكذا بالخاء جمع خط) والصواب لا حطوط فيه بالحاء المهملة أي لا هبوط فيه كما هو صريح التاج .

وفي مادة (د ل م ظ) الدُّلَمِظ : الناب الكبيرة هكذا ضبطها شكلاً كَعُلَبِط ولكن صاحب القاموس نص انها كزِبرج .

وفي مادة (د ل و) شيء يتخذ من حوض وصوابه من خوص وهذا غلط مطبعي .

وفي المادة نفسها الدالي : عنب اسود .. وصوابه الدوالي كما في كتب الأئمة وقد جاء به المؤلف على الصواب في د و ل .

وفي مادة (د م ج) الدمج محركة الضفيرة على حيالها . وضبطها صاحب التاج نصاً وصاحب القاموس شكلاً بالفتح .

وفي مادة (د م س) الدَّمْس : الشخص ومنه « وأتيته دَمْسَ الظلام » . وليس دمس الظلام من الدَّمْس بمعنى الشخص كما خلط المؤلف بل من دَمْس الظلام اشتداده واختلاطه فهو هنا مصدر حل محل الظرف كما في قوله تعالى « وإدبار النجوم »

وفي مادة (د م ش) جعل دمش بمعنى هاج وثار من باب منع والصواب انه من باب سمع .

وفي مادة (د م ق) اندمقت الحاركة ، صوابه الحارقة بالقاف وهي عصبة الورك

وفي مادة (د م ل ج) الدملج كدرهم وقنفذ وصوابه كجندب وقنفذ

وفي مادة (د م ل ك) الدملوك الحجر الأسود المستدير . صوابه الأملس المستدير

وفي مادة (د م م) دُمَّ البعير بالبناء للمفعول : أوقر فهو مدموم . وكلام الأئمة دُمَّ البعير اذا كثر شحمه ولحمه حتى لا يجد اللامس مس حجم عظم فيه وهو من المجاز ولو قال المؤلف أوقر شحماً ولحماً لسلم من هذا الابهام .

وفي مادة (د ن ع) ادنع : اتبع طريقة الصالحين و - تبع طريقة اللئام أما الذي ذكره صاحب اللسان في مادة (د ن ع) و (ن د ع) وذكره

صاحب القاموس في مادة (ن د ع) فهو «اندع الرجل تبع اخلاق اللئام والأنذال وادنع اذا اتبع طريقة الصالحين • حكاه ابن الاعرابي •

وفي مادة (دن ن) دَنَّ الذباب دَنّاً : صوَّت وطنَّ • جاء به من باب نصر والصواب انه من باب ضرب وهو لازم الثلاثي المضاعف

وفي مادة (د هـ د م) الدهدمور: الشديد الأكل • جاء به بالراء المهملة وهو بالزاي وأنشد ابو علي :

لا تكرمنَّ بعدها عجوزاً واسعة الشدقين دهدموزا

وفي مادة (د هـ م) اي دُهم الله هو أي خلق الله • ضبطها شكلاً بالضم وصوابه الفتح كما هو ظاهر كلام الأئمة والدَهم بالفتح الجماعة وهو المناسب لمعنى خلق الله •

وفي مادة (د هـ ن) حرَّف الآية فقال «واذا السماء انشقت فكانت» ونص الآية «فاذا انشقت السماء فكانت» •

وفي مادة (د هـ ي) جعل دهاه اي نسبه الى الدهاء من باب منع والصواب انه من باب ضرب ونصر •

وقال الدهيُّ العاقل ج ادهِيَة ودُهَوَاء وصوابه ادهياء ودُهَوَاء كما في المحكم وهو في هذا الخطأ قد تبع فيه صاحب القاموس •

وفي مادة (د و ء) جعلها من باب منع وهي من باب فهم كخاف ونال وفي وفي المادة نفسها : وتقول اذا اتهمت الرجل قد اَدَاْت يا رجل وصوابه قد دِئتَ وادَّأت يارجل وادّاء جوفك هكذا جاء في القاموس •

وفي مادة (د و ق) يقول الدَوق لغة في الدَوغ للمخض • لكنه لم يذكر في مادة دوغ الدوغ بمعنى المخض وضبطه هناشكلاً بالفتح والمنصوص عليه انه بالضم وفي مادة (د و و) جاء بالدوِي مكسور الواو بلا تشديد والصواب ان تشدد أيضاً

النبطية (جبل عامل) احمد رضا

مخطوطات ومطبوعات

كتاب اعانة الأمة بكشف الغمة

لتقي الدين احمد بن علي المقريزي

قام على نشر هذا الكتاب ، محمد مصطفى زياده : أستاذ مساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وجمال الدين محمد الشيال : مدرس التاريخ بمدرسة العريش الابتدائية الاميرية ، والكتاب من القطع المتوسط ، يقع في ست وثمانين صفحة وهو تاريخ المجاعات والغلوات التي نزلت بمصر منذ أقدم العصور الى سنة ٨٠٨ ﻫ وهي السنة التي ألف فيها المقريزي كتابه .

وكان السبب في ذلك ان مجاعة متقطعة حدثت من سنة ٧٩٦ — ٨٠٨ ﻫ «فرأى ان يبيّن : ان ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد ..»

والكتاب طريف في بابه ، غريب بحوادثه ، بليغ باسلوبه . يذكر لك الوقائع ، كاشفاً عن مقدماتها ، مبيناً عللها وأسبابها ، مقرراً لقواعدها ونتائجها .

نقل عن ابراهيم بن وصيف : ان اول غلاء وقع بمصر كان في زمن الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان — واسمه افروس بن مناوش الذي كان طوفان نوح في زمنه . ثم مضى المؤلف يذكر حوادث المجاعات منذ ذلك الزمن الى أيامه .

قال : وأول غلاء وقع بمصر في الاسلام كان سنة سبع وثمانين . والأمير يومئذ بمصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، من قبل ابيه . فتشاءم به الناس ، ولأنه أول غلاء وأول شدة رآها المسلمون بمصر .

ومن الأمور التي يعددها المؤلف في كثير من المجاعات ، طمع الطحانين والخبازين ، وضربهم بالسيوط (كأنها جمع سوط) وتشهيرهم من أجل ازدحام الناس على الخبز . فكان لا يباع الا مبلولاً وجشع التجار ، وتلاعبهم بالاسعار ؛ واثرائهم من أموال الشعب ودمائه .

وذكر الغلاء الذي وقع ايام المستنصر ، وكان أمده سبع سنين ... وأكلت الكلاب والقطاط . حتى قلت الكلاب ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير .. وأكل الناس بعضهم بعضاً . وتحرز الناس . فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ، ومعهم سلَب وحبال فيها كلاليب ، فاذا مر بهم أحد القوها عليه ، ونشلوه في اسرع وقت وشرحوا لحمه واكلوه . ثم آل الأمر الى ان باع المستنصر كل ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره ، حتى باع حلية قبور آبائه . وصار يجلس على حصير ، وتعطلت دواوينه ، وذهب وقاره . وكانت نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن تصحن : الجوع ! الجوع ! تُردن المسير الى العراق ، فتسقطن عند المصلى وتمتن جوعاً . وجاء الوزير يوماً على بغلته فأكلتها العامة . فشنق طائفة منهم ، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم .

وفي سنة ست وتسعين وخمس مئة في سلطنة العادل ابي بكر بن أيوب وقع غلاء ، وعدم القوت حتى أكل الناس صغار بني آدم من الجوع ، فكان الأب يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً . والمرأة تأكل ولدها ..

ويقول : وكثرت أرباح التجار والباعة ، وازدادت فوائدهم . فكان الواحد من الباعة يستفيد في اليوم المئة والمئتين . ويصيب الأقل من السوقة ربحاً في اليوم ثلاثين درهماً . وكذلك كانت مكاسب ارباب الصنائع . واكتفوا بذلك طول الغلاء . واصيب جماعة كثيرة ممن ربح في الغلال — من الأمراء والجند وغيرهم — في مدة الغلاء ، اما في نفسه بآفة من الآفات ، او باتلاف ماله التلاف الشنيع .

وفي الكتاب كثير من الفوائد التاريخية والاقتصادية ، كتحديد الأسعار وفرضها ، و (تقنين) المواد وتوزيعها ؛ الى غير ذلك من الأمور التي نشاهدها في يومنا هذا ، ويظنها بعضنا من أوضاع هذا العصر ، وهي في الحقيقة من أوضاع كل عصر ، في كل عسر .

عارف النكدي

نَحْلُ عِبَرِ النحل

لتقي الدين احمد بن علي المقريزي

نشر هذا الكتاب الأستاذ جمال الدين الشيال : مدرس التاريخ الاسلامي في كلية الآداب بجامعة فاروق .

والكتاب قيم مفيد . يقول فيه ناشره : « هو كتاب صغير لطيف طريف ، يعجب الكثيرين من القراء ، ففيه فصول مختلفة ، بعضها يتصل بعلم الحيوان ، وبعضها يتصل بعلم اللغة ، او الفقه ، او الحديث ، او الطب ، او النبات ، او الاقتصاد ، او التاريخ ، او الأدب » .

وقد « بدأ المقريزي كتابه بالحديث عن النحل من الناحية الحيوانية ، فتكلم عن اليعاسيب ، ووصفها ، وعن العامل من النحل والبطال ؛ ثم ذكر اسماء النحل في أدوار نموه المختلفة منذ تخلقه برقة الى ان يصير نحلة ، ثم اسماءه وهو يطير جماعات : كالطرد ، والثَّول ، والعنقود والخَشْرَم .. ثم عرض بعد ذلك لألوانه واجسامه ، وصفاته الخلقية والخلقية . مستنبطاً من ذلك كله العظة لبني الانسان .. »

« وتحدث المقريزي عن بيوت النحل او خلاياه ، ما يوجد منها في الجبال او في السهول .. واسمائها اللغوية وهي كثيرة ... »

وقد اعتمد المقريزي في كتابه على كتاب « الحيوان » لأرسطو ، فذكره غير مرة ، وكذلك استند الى آراء ابن سينا . وتكلم عن العسل والشمع وخصائصهما ، وعلى ما يعرض للنحل من امراض وآفات .

والكتاب عامر بالفوائد ، لا يستغني عنه لغوي ولا أديب ، ولا مشتغل بالزراعة .

وقد وقفنا ونحن نقلب الكتاب عند الفاظ احببنا ان نلفت نظر الناشر اليها :
من ذلك قوله في الصفحة الـ ٩٠ « والمغاني تزفهن » وقال في الحاشية : « في السلوك : والمغاني يضربن بدفوفهن » قلنا ولعل الصواب « تزفن » والزَّفن الرقص ، والضرب بالرجل
وفي الصفحة الـ ٩٢ وصف الشمعة : « وان رُفقت لنعاس عرا »
قال في الحاشية : « في الأصل (رففت) وما اثبتناه قراءة ترجيحية »
والأقرب ان تكون « رنّقت » وفي كتب اللغة « ورنّق النوم عينيه غشيها » .
وفي الصفحة الـ ٩٣ ان المآثر في الورى ذريعة ؟
وهو صدر بيت لم يستقم وزنه ، فوضع الى جانب « ذريعة » علامة الاستفهام .
ويخلص من هذا بادخال لام التأكيد فيقول :
ان المآثر في الورى لذريعة
ولا شك ان هذا اصل البيت .
وفي الصفحة الـ ٩٥

وباخل اشعل في بيته في مرة منه لنا شمعه

قوله « في مرة » من التعبير العامي الساقط الذي لا يليق ان يصدر مثله عن المستنجد العباسي ، وهو من رجال القرن السادس للهجرة .
ولعل الصواب :

وباخل أُشعل في بيته في غِرة منه لنا شمعه

أو ما اشبه ذلك
وفي الصفحة الـ ٩٦

غصن بدا من فضة امسى بتبر مسمرا

والصواب « مثمراً »
وفي الصفحة الـ ٩٩

بدت كنجم هوى في اثر عفرية في الأرض فاشتعلت من نواحيها

والصحيح « منها نواجيها »

وفي الصفحة الـ ١٠٢ : وكان غلام البكري معاطياً للراح ، وجاريا في ميدان ذلك الرماح » ولعل الصواب « المراح » .

وفي الصفحة الـ ١٠٣ : الفت بين ضدين معتذراً

والأصوب « بين الضدين »

ومن ذلك

كالشمع يبكي ولا يدري اعبرته من صحبة النار (او من) فرقة العسل

واحسن من ذلك « ام من »

وكذلك

رقصت من الشمع مصفرة وراح تدار كلون العقيق

ولعل الصواب : وقضب من الشمع مصفرة

الى أمثال هذه الهفوات .

ع . ن

العناصر النفسية
في سياسة العرب

حلقة من سلسلة « اقرأ » وضعها الأستاذ شفيق جبري عضو المجمع العلمي ، وأخرجته « دار المعارف للطباعة والنشر » بمصر .

قصد المؤلف بموضوعه هذا الذي عالجه الى بيان أثر العناصر النفسية في سياسة الدول والملوك ، وان العرب لم يهملوا هذه الناحية بل تفطنوا لها ، وكشفوا عن خفاياها ، وعملوا بها ، قال : « ولقد طالعت كتباً في تاريخ العرب وأدبهم ،

فكنت في خلال هذه المطالعة أمر بأمور تدل على معرفة اصحابها بنفوس الناس ، ووقوفهم على طبائعهم وأمزجتهم وأخلاقهم ، وامور تدل على الانحراف عن هذه المعرفة ، وقد تبين لي ان أكثر العمال والأمراء والخلفاء الذين حسنت سياستهم للناس ، فحمد الناس اياهم ؛ انما هم الذين خالطوا نفوس الأفراد والجماعات والأمم ومازجوها ، فانكشفت لهم أسرارها ووقفوا على مواطن الضعف والقوة فيها ، أما الذين كان نصيبهم من هذه المعرفة النفسية قليلاً ، فقد تعبوا في سياستهم ووقعوا في الورطات » .

وضرب على ذلك امثالاً من التاريخ : فمن الرجال : « سيد العرب محمد بن عبد الله » و« علي بن ابي طالب » و « معاوية بن ابي سفيان » و « عبد الملك بن مروان » و « الحجاج » و « موسى بن نصير » و « آخر خلفاء بني مروان » و « هشام بن عبد الملك » وغيرهم .

ومن الحادثات :

« يوم السقيفة » و « الردة » و « الشورى » و « خديعة المصاحف » و « بيعة يزيد » وغيرها .

والكتاب مملوء بالمواعظ والعبر ، مكتوب بلغة بليغة « مجمعية » تكاد في كثير من المواطن تنسجم والعبارات التاريخية التي استشهد المؤلف بها .

وعقد فصلاً اخيراً في السياسة والمال . فكان مما قال فيه : « . . وان لا شيء يغضب الجماعات مثل كنز رجال الحكومة للمال ، واعطائه الزوج والولد والأهل والأصحاب ، ولا شيء يخوضون في ذكره في مجالسهم الخاصة والعامة ، مثل نهب الحكومات للمال ، فان سياسة من هذا الشكل تقضي على الحكومة وعلى الشعب في وقت واحد . فالحكومة التي يكون همها الأكبر سلب المال تتفتح عليها العيون ، فلا تنجو من انبساط الألسن فيها ، وقد تجر سياسة من هذا النوع الى شيء افظع من انطلاق الألسن . . . » .

وختم الأستاذ كتابه بقوله : «فاذا تجرد رجال السياسة من الأخلاق ومن معرفة نفوس الناس، ضاعت سياستهم وضاع الناس وضاعت البلاد في وقت واحد» .

ونريد ان نخالف الأستاذ هنا في بعض آرائه ، او في شطر منها . وهو ما يتعلق «برجال السياسة من الوجهة الاخلاقية» ذلك ان الأمثال التي ضربها المؤلف ، ولا سيما سياسة معاوية في البيعة لابنه يزيد ، وقتل عبد الملك لابن عمه : عمرو بن سعيد الأشدق ، وسيرة الحجاج في اهل العراق ، كلها ختل وغدر، لا تتصل الى الأخلاق بسبب من الأسباب .

وكذلك السياسة القائمة في العالم اليوم ، ان هي الا سياسة كذاب وخداع . غير ان هذا يجب ان يكون — متى كان — في مصلحة الدولة والشعب ، لا في مصلحة الأفراد أنفسهم .

وكذلك نخالفه في قوله : «ان في ممارسة الحجاج لصناعة التعليم سراً من أسرار نجاح سياسته . فقد مكنه هذا التعليم من الوقوف على الطبائع والتغلغل الى مواطن النفوس ، وكشف الغطاء عن مواطن الترغيب والترهيب . وعن مواطن الغضب والرضى ، والطاعة والعصيان ، وعن الزمن الذي تنفع فيه الشدة ، والزمن الذي ينفع فيه اللين ..»

ان رجلاً كالحجاج ، بلغت الثورات التي قامت عليه في مدة حكمه العراق ، عدد سني ولايته — زادت ثورة او نقصت ثورة — لا يقال انه افلح ، الا اذا قيل عن دولة من هذه الدول الاستعمارية التي تحكم مستعمراتها بالشدة والقمع: انها افلحت .

ع . ن

أعلام الاسلام (رفاعة الطهاوي)

تأليف جمال الدين الشيال

الكتاب يقع في خمس وعشرين ومئة صفحة من القطع المتوسط

رفاعه الطهاوي : علم من أعلام الاسلام ، ودعامة من دعائم النهضة العربية .

درس العلوم العربية والاسلامية في مدارس مصر والأزهر • ثم انتقل الى باريس فتعلم اللغة الفرنسية ، وأخذ عن الغربيين كثيراً من علومهم النافعة • وعاد الى مصر يدرّس ، فتخرّج به مئات من التلاميذ ؛ ويترجم ويؤلف ، فأخرج عشرات من الكتب انتفع بها العرب في أمسهم ، ولا يزال كثير منا ينتفعون بكثير منها الى اليوم • ولم يحل عمله العلمي ، دون مشاركته في السياسة المصرية ، مشاركة سببت له متاعب ومصاعب •

وجعل الأستاذ الشيال فصلاً عنوانه : « رفاعة الرجل » قال فيه :

« آمن محمد علي منذ قدم الى مصر ، ان سر تفوق الغرب على الشرق انما هو علوم الغرب ونظمه الجديدة ، ولذلك اتجهت جهوده الاصلاحية كلها الى نقل هذه العلوم وهذه النظم الى مصر • ولقد كان محمد علي حكيماً الحكمة كلها في هذا ، لأنه نقل الغرب الى مصر • ولم ينقل مصر الى الغرب • فاحتفظت مصر ـ وهي تنقل عن الغرب حضارته ـ بشرقيتها •

وكان رفاعة رافع الطهاوي خير نموذج للرجل الذي اراد محمد علي ان يخرجه ، ويكونه للمشاركة في حكم مصر ، وتعليم المصريين العلوم الجديدة • فهو قد قبس قبسين : قبساً من علم الشرق ، وقبساً من علم الغرب » •

وقد احسن المؤلف بوضعه هذا الكتاب ، فأحيا به ذكرى الطهاوي ، وكان سبباً من أسباب التنويه بعظمة الملك الخالد محمد علي • ويا حبذا لو ان مملكي العرب اليوم ، اتبعوا خطة محمد علي في العمل الصالح الحق ، وانشاء الدولة على اساس صحيح • واتبع العلماء خطة الطهاوي في العمل على انهاض الأمة ، وبث ما تحتاج اليه من علم نافع ، ووضع ما تفتقر اليه من تأليف مفيد •

ع • ن

حسنات الاضطهاد

للسيد أديب طيار

كتيب يقع في ست وسبعين صفحة ، جمع فيه مؤلفه مقالات سبق له ان نشرها في الصحف ، وأضاف اليها فصولاً قيمة ، تناول معها سياسة المستعمر الغاشمة ، في الشام عامة وفي موطنه اللاذقية خاصة .

وما كتبه المؤلف - ولا سيما في ايام الانتداب - يدل على وطنية خالصة ، وجرأة صادقة . وفي الكتاب بحث عن المعاهدات السورية الفرنسية ، منها ما ارادت فرنسة ان تعقده مع سورية ، وما اراد بعض رجال سورية ان يعقدوه معها .

فنشكر لهؤلاء المؤلفين والناشرين الفاضلين ، جهودهم الطيبة ، على ما أتحفوا به دور الكتب العربية من هذه المؤلفات القيمة .

ع . ن

الشوامخ (١)

امرؤ القيس (درس وتحليل)

بقلم الدكتور محمد صبري

غاية هم الدكتور محمد صبري في السلسلة الأولى من الشوامخ : امرؤ القيس . « ان يكون وفق بعض التوفيق في اظهار شخصية عاهل الشعر الأول في ضوء جديد يكشف من ناحيةٍ عن الصلة التي تربط بينه وبين صحراء العرب وجاهليتها وشعرها ، ومن ناحية أخرى عن الصلة التي تربط بينه وبين شعراء الافرنج الذين ملأوا الدنيا تغريداً وهفوا على كل ايكةٍ وفنن ، وأصبح تطريبهم سلوة المحزون وعزاء الانسانية البائسة وراحة المتعب ونفثة المصدور » .

أوجز الدكتور في الفصل الأول من كتابه الكلامَ على آفاق امرئ القيس وخصائص أخلاق العرب في الجاهلية ثم اندفع في الفصول الخمسة في الكلام على حياة الشاعر وشخصيته ورأي المتقدمين فيه والتمثيل والتصوير في شعره وحبه وتشبيبه وصناعته وبيانه .

هذه موضوعات الكتاب التي عالجها الدكتور في سلسلته الأولى وقد كان أبعد جهده الاعتناء بنواحي الوصف والتصوير في شعر امرئ القيس ، والحقيقة انه تتبع محاسن هذا الوصف ، ودلّ على مواطنها وجعل القارئ يشعر بها ويدركها فقد يستطيع من يطالع كتاب الدكتور ان يرى صورة امرئ القيس كاملةً في حياته الشعرية كلها ، فلم يَعُدْ امرؤ القيس اول من وقف واستوقف على الأطلال وبكى من ذكر الأحبة ... وغير ذلك مما خلفه لنا المتقدمون من شيوخ النقد وانما أصبح شعره في كتاب الدكتور محمد صبري بمنزلة كائنٍ فيه روح وحياة .

شفيق جبري

الشوامخ (٢)

الشعر الجاهلي

خصائصه وأعلامه (درس وتحليل)

بقلم الدكتور محمد صبري

يقول الدكتور محمد صبري في صدر كتابه : الشعر الجاهلي « ولا ريب ان خير وسيلةٍ لدراسة الشعر العباسي والشعر الحديث بصفة عامة هي دراسة الشعر الجاهلي اولاً والرجوع الى عمود الشعر الذي تكلم عنه مشايخ النقد كما ان خير وسيلةٍ لدراسة الشعر الجاهلي هي الانتباه الى الصلة الدقيقة التي تربط النثر الجاهلي بالشعر الجاهلي وبعبارة أدق درس المحيط والبيئة التي نشأ فيها الشعر وتمكن والى الصلة التي تربط ذلك الشعر بآداب العرب وفنونه من نحت وتصوير » .

***

هذا كلام وجيه فان أدب العرب على مختلف العصور متصل بعضه ببعض ومنحدر بعضه عن بعض ، فلا نفهم الأدب الاسلامي الا اذا فهمنا الأدب الجاهلي ، ولا نفهم الأدب الذي عملت فيه الفلسفة والعلوم الا اذا فهمنا الانقلابات الفلسفية والعلمية في عصورنا ، فغاية ما يلزمنا عمله انما هو ان نصل أدبنا بعضه ببعض حتى نرى أوائله وأواخره متصلة ونرى الأطوار التي تقلب فيها على توالي العصور .

وكذلك اذا أردنا ان نفهم الشعر الجاهلي لزمنا ان نعرف البيئة التي ترعرع فيها هذا الشعر فإنا لا نفهم ذكر شعراء الجاهلية للنجوم والماء والمطر والبرق والرعد والخيل والابل في شعرهم الا اذا عرفنا البيئة التي عاشوا فيها وأدركنا فضل النجوم والمطر والخيل والابل في صحراء عابسة مظلمة مترامية الأطراف ولا نفهم سر وصفهم للأمور الظاهرة في شعرهم دون كثير من التدقيق والتبحر في البواطن الا اذا فهمنا تغنيهم بالطبيعة التي شغلتهم عن النظر في بواطن الأمور فلهذا لا نكاد نجد في غزلهم الا ظواهر المرأة وظواهر اجزاء جسدها اما بواطن النفس فقد كانت محجوبة عن شعراء الجاهلية في معظم شعرهم ·

لقد استطاع الدكتور محمد صبري ان يصف في فصول كتابه الثلاثة شاعرية العرب وخصائص الشعر الجاهلي والتمثيل والتصوير وأثرهما في شعر الفحول وصفاً دقيقاً ولم يكن وصفه مجرداً وانما كان يشير الى مواضع الحسن اشارة حسية بحيث يخرج القارئ من قراءة كتابه ونصب عينيه صورة الشعر الجاهلي في دقائقه وجلائله ·

ش · ج

الشوامخ (٣)

ذو الرمّة (درس وتحليل)

بقلم الدكتور محمد صبري

ذو الرمة في نظر الدكتور محمد صبري أقوى الشعراء شخصية بعد امرئ القيس :

« وليس معنى ذلك انه اعظمهم شأناً بعده ولكن لشعره طابعاً خاصاً يمتاز به دون سواه في أسلوبه ومناهجه فقد عاش في البادية وفي بيئة جاهلية نقية في وقت كان غيره من الشعراء يعيشون في المدن ولهج بوصف رمال الدهناء وطبيعتها فشدّ الى قيثارة الجاهلية اوتاراً جديدة لا تقل في جدتها وروعتها عن أوتار الشعر الافرنجي الحديث » ·

***

هذه خلاصة صورة ذي الرمة وهذه خلاصة خصائصه وقد أخذ الدكتور محمد صبري بعد هذه الخلاصة يفصّل الكلام على هذه الخصائص في الفصل الثاني من كتابه وعنوانه : شخصيته الفنية فقد نبَّه على محاسن هذه الشخصية وعلى أسرارها في مواطن كثيرة من فصله واشتمل كلامه في هذا الفصل على دقائق ذي الرمة فلم يغادر الكاتب الفاضل شيئاً من هذه الدقائق وهنا تظهر براعته في التحليل ٠

ش٠ ج

الشوامخ (٤)

ابو عبادة البحتري (درس وتحليل)

بقلم الدكتور محمد صبري

صدّر الدكتور محمد صبري كتابه هذا بكلمة وجيزة ذكر فيها ان البحتري انما هو أكبر شعراء العربية على الاطلاق فهو في نظره أرقى الشعراء أسلوباً وأقواهم حساً وأوسعهم أفقاً ٠

لا ريب في ان الدكتور محمد صبري قد ذاق حلاوة شعر البحتري وأدرك كثيراً من محاسن هذا الشعر وأحاط بغير يسير من أسراره مثل بعد غوره واتساع مذاهبه وصعوبة ورده وصدره وقوة مخيلته وحسبه الفصل الثالث من كتابه الذي تكلم فيه على تصوير البحتري لأن من أكبر صفات شعر البحتري وخصائصه قوة التصوير ولكن المؤلف الفاضل على الرغم من هذه الاحاطة الواسعة بشعر البحتري قد يزهد في بعض الأحوال في اشباع الكلام على خصائص البحتري ففي الفصل الأول تكلم على شخصية البحتري وقد يفتش القارئ عن خصائص هذه الشخصية ومواطنها ومظاهرها وطبائعها فلا يهتدي الاّ الى قليل منها وفي الفصل الثالث تكلم الدكتور على التصوير في شعر البحتري ولا شك في ان اللغة أكبر ادوات هذا التصوير فيبحث القارئ عن خصائص هذه اللغة التي انقادت الى البحتري فلا يصل الى شيء منها مثل قدرته في التأليف بين الصفات والموصوفات ومثل مهارته في انتخاب الالفاظ التي تنفخ في الموصوفات روحاً واذا كان الكاتب

قد دلّ على شيء من هذه اللغة فالذي دلّ عليه انما هو قليل وأقلّ من القليل ٠

وقد يميل المؤلف الفاضل في بعض مواطن من كتابه الى تشبيه البحتري ببعض شعراء الغرب وكتابه فهو يشبه البحتري مرّة باناتول فرانس ومرّة بلامارتين ، لا شك في ان اناتول فرانس مشهور بسهولة لغته والسهولة من صفات لغة البحتري ولكن اناتول فرانس لا يستكثر في كتاباته من هذه اللغة الشعرية التي طبع بها شعر البحتري واذا كان في بعض كتاباته شيء من آثار اللغة الشعرية فان هذه الآثار على كل حال لاتشبه آثار البحتري فلغة البحتري الشعرية ليست من طبيعة لغة اناتول فرانس ٠

وكذلك لم يصدق تشبيه الدكتور محمد صبري البحتري بلامارتين الصدق كله ، لقد وصف البحتري بركة الجعفري ووصف لامارتين بحيرته المشهورة ولكن الوصفين مختلفان فالبحتري في بركته لم يجعل بينه وبين الطبيعة صلةً فلم يصل نفسه باجزاء هذه الطبيعة ، لم يشركها في افراحها واحزانها ولم تشركه في أفراحه واحزانه أما لامارتين فقد جعل الطبيعة في بحيرته جزءاً من نفسه وجعل نفسه جزءاً من الطبيعة فاستحكمت الصلة بينهما ، هذا في موضوع البركة والبحيرة وفي غير ذلك فان البحتري كان يرى للطبيعة حياة مستقلة ومزاجاً منفرداً فقد فهم البحتري لغة الطبيعة والحانها وعرف وجوهها وألوانها فكان شعره قطعة من هذه الطبيعة ٠

على انه لا سبيل الى التبسط في هذا الموضوع في مقام ضيق مثل هذا المقام وكيف كان الأمر فحسب الدكتور الفاضل محمد صبري انه ذاق كثيراً من محاسن شعر البحتري واستطاع ان يشرك القارئ في ذوق هذه المحاسن وهذا أمر غير يسير ٠

ش٠ ج

الأسرار السياسية لأبطال الثورة المصرية
وآراء الدكتور محجوب ثابت

صالح علي السوداني

تعجبني في المؤلف الأستاذ صالح علي السوداني هذه الثقة العظيمة بنفسه ،

وهذا الظن الحسن والاعتقاد الجميل في قدرته فانه يقول في كلامه على الدكتور محجوب ثابت : اني لموقن بأني قد صورت محجوباً المحبوب المجاهد المصلح تصويراً واضحاً صادقاً ، ثم حللت شخصيته تحليلاً قد جاء موفقاً » .

لم أستغرب هذا النمط من الثقة ، فاني صاحبت المؤلف وخالطته وجالسته في القاهرة فلا أنسى مجالسنا في زاوية من زوايا « الكونتننتال » في آخر سهرات الليل ، فكنت أسأله في أكثر المجالس عن طائفة من رجالات مصر ، فكان يفيض في الكلام عليهم افاضة مدهشة ، يعرف منهم دقائق أخلاقهم وجلائلها ، ويلمس فضائلهم وعيوبهم ، فكان يتبسط في شرح هذه الفضائل اذا أردت التبسط وكان يوجز في الشرح اذا رغبت في الايجاز ويشهد الله ان اكثر ما سمعته منه عن أعاظم مصر كان صحيحاً فقد تتبعت سيرة فريق منهم فوجدت نوعاً من الاتفاق في الرأي بين ما عرفته عنهم وبين ما عرفه المؤلف ، وقد كان يقص عليّ أخبارهم بأسلوب خاص به ، فكان في بعض حديثه يقف موقف الخطيب ، يرفع صوته مرةً ويخفضه مرة ، ويميل برأسه حيناً ذات اليمين وحيناً ذات الشمال ، كل همه ان يصل كلامه الى القلب ، وان يجعل جليسه يؤمن بما يقص عليه .

لم أقدم هذه المقدمة لأصور الأستاذ السوداني وانما قدمتها لصلتها القوية بمؤلفه الطريف ، فاني لما تصفحت هذا الكتاب تصورت صاحبه أمامي في « الكونتننتال » في القاهرة ، يكشف لي عن أسرار الثورة المصرية فكلامه قريب من كتابته وأسلوبه في هذه الكتابة قريب من أسلوبه في الخطابة في خلال احاديثه ، واني اعتقد الاعتقاد كله انه صوّر محجوباً التصوير الواضح الصادق وحلّل بواطنه وظواهره التحليل الموفق ، فليطمئن فكره ، ولينعم باله .

ولقد زادت في رونق هذا الكتاب مقدمة الأستاذ العلاّمة رئيس مجمعنا العلمي العربي فقد عرف صديقه محجوباً من عشرين سنة ، فوصفه في مقدمته الوصف الكامل الذي لا يقدر عليه الا قلم مثل قلم الأستاذ العلاّمة محمد كرد علي بك .

ش . ج

كيف تغلب الانسان على الألم

للدكتور نقولا فياض عضو المجمع العلمي العربي

نشرته دار العلم للملايين في بيروت ، طبع سنة ١٩٤٧ ، عدد صفحاته ١٣٥ من القطع الصغير

ان قصة تغلب الانسان على الألم من أغرب القصص العلمية الاجتماعية وأطرفها . وفيها يظهر بجلاء أثر مساهمة العلماء على اختلاف اممهم ونحلهم في اكتشاف ما يسكن الألم كل بقدر ما أوتي من العلم وما أتيحت له من الفرص والاختبار ، وما أحاط به من سائق الصدف ، إلى جانب عقل وقاد وذكاء نافذ سعياً وراء إماطة اللثام عن وجه الحقيقة بجد بلا كلل ولا وهن . وفيها يتجلى لنا أمر التنافس وتنازع الشهرة بين أولئك الباحثين مما لم يخل منه عصر من العصور . ولم تنج هذه القصة من أثر المتطفلين على موائد العلم والمشعوذين والمناهضين لكل جديد ، فضلاً عمن يستغل سذاجة الدهماء ويستند الى جمود رجال الاكليروس وهي تنتهي كمثيلاتها في التاريخ بظفر العلم على الجهل وانتصار الحق على الباطل ؛ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

لقد كان الألم وما زال من القدم في طليعة البلايا التي اقضّت على الانسان مضجعه ونغصت عليه هانئ عيشه ، ولعله الحافز الأول في الاستطبابـ ـ ـلاستوصاف والبحث عما يدرأ به غائلته ويخفف وطأته حيثما كان ، مما حمله على ان يلتمس في طب الميا كل بادئ ذي بدء ما يريحه من أوصابه ، وعلى ان يستسلم الى شعوذة الكهان بالانقياد الى ما ادّعوه من هبوط الوحي عليهم من الآلهة وما زعموه من ضرورة لتقديم القرابين ونحر الذبائح ناهيك عن حرق البخور وحمل التمائم . وما إن دالت دولة ذاك الطب الخرافي وأشرقت شمس طب الاغريق حتى ولى الموجوع وجهه شطر الاستشفاء بحشائش الأرض وأعشابها مسترشداً بآراء جهابذته واختباراتهم ومشاهداتهم من بقراط الى جالينوس الى نطس اطباء العرب والعجم كالرازي وابن سينا وأضرابهما من الأعلام ، ثم بما كشفه أخيراً علماء العصر الحديث وما

استخرجوه من مواد مؤثرة من النبات وما ركبوه من مواد كيمائية على غرارها ، حتى ظفر الانسان بما كان يصبو اليه منذ آلاف السنين من التغلب على الألم وانقاص شأنه . كل ذلك نقرأه مفصلاً في ما أخرجه زميلنا الفاضل في كتابه كيف تغلب الانسان على الألم .

وقد عنى بالألم — كما قال في تصدير الكتاب — كل ما ينتاب بدن الانسان في أدوار حياته المختلفة بما يتطرق اليه من الفساد او يعتوره من الآفات في اعضائه الظاهرة والباطنة ، فيستعين به بالطبيب او الجراح وكثيراً ما كانت هذه المعونة دون الغاية . ويصف لنا في الباب الأول شوكة الألم من بدء الخليقة ، وكيف فرض على المخلوقات وكيف تلقاه الانسان وعلله بقدر ما توصل اليه علمه زاعماً ان الآلهة في أساطير الأولين لم تنج منه أيضاً . وان في جانب الألم المباغت ألماً محدثاً مجلوباً لا ندري كيف ألهم على اللجوء اليه حتى يحق ان ندعوه مداواة الألم . ولقد كان موقف المضطر الى ركوب هذا المركب الخشن ، بحكم المحكوم عليه بالاعدام ، يحصي لزمن التنفيذ الساعات والدقائق ، ويساق المحتاج الى التوسط الجراحي من كبيره وصغيره الى منضدة العمليات موثوق الأطراف مكموم الفم اخفاتاً لصيحاته وأنينه ، لما يلاقيه المبضوع من ألم مبرح متى شرع المشرط يعمل في بدنه وأحشائه من تقطيع وتفتيت . والويل كل الويل اذا ما أبطأت يد الجراح فهناك القضاء المبرم على الحياة ، مما جعل حذق الجراح مقروناً بسرعة عمله وخفة يده تحسب عليه الدقائق والثواني . ذاك مجمل ما نقرأه في الفصل الأول الذي عنونه بشعوذة وايمان وعلم ، وكيف تدرج الانسان من عصر السحر والسيمياء الى عصر الايمان ثم عصر الكيمياء .

ونجد في (الساحر الأخير) أجمل الوصف للمسمرية التي ذاع صيتها في مطلع القرن السابع عشر وكيف امكنت بها السيطرة على عقول الكثيرين ثم اكتشاف الغازات وما سمي بالغاز المضحك آنذاك وهو أوكسيد الآزوت ، الى اكتشاف الأثير ومادة المورفين .

ويستعرض المؤلف في الباب الثاني الأحداث التي تعاقبت على الشروع في استعمال

الأثير والمنافسة الشديدة بين طبيب الأسنان مورتون والطبيب جاكسون في حوز قصب السبق في اكتشاف التخدير العام .

وفي الباب الثالث اكتشاف الكلوروفورم والمحاولة الجريئة التي اقدم عليها سمسون لتسكين آلام الولادة ، وشن رجال الدين الحرب الشعواء عليه لتصديه الى مخالفة آية العهد القديم خطاباً الى حواء (بالآلام تلدين) والمناظرة بينه وبين اولئك مع من نسج على منوالهم من الأطباء ، ذاك الجدل والتناطح بين القديم والحديث ، والانقياد والتحرر زهاء ست سنوات ولم ينته إلا بصدور ارادة الملكة فيكتوريا لما كانت على وشك الولادة وشاءت ان تلد بلا ألم .

ويعود بنا بعد ذاك الى استعمال الغاز المضحك بعد ما قبع في زاوية النسيان تلك السنين العديدة ، وما تلاه من اكتشاف الأتيلين والكلوروتيل والأفرتين ، وشيوع الاستهواء والتنويم المغناطيسي مع استعراض منافع المخدرات المعروفة ومضارها متبسطاً في وصف الآفة الكبرى وهي الرذيلة باستجلاب السكر والنشوة ، مما جعل وراء هذه المكتشفات العلمية من الهدروئين الى الكوكائين واضرابها فضلاً عن الحشيش التأثير السيء في الجسم والعقل ، واستنباط التخدير الموضعي والتخدير السيسائي . وتنتهي أبحاث الكتاب في فلسفة الألم وفائدته وهل يحق اعتباره (الكلب الحارس للبدن) وهل يسوغ اللجوء الى ما يسمى بالقتل الرحيم .

أما لغة الكتاب فسهلة جذابة قريبة المأخذ غير انها لا تخلو من بعض الهنات كقوله السن المنخور وصوابه السن النخرة ومهر الأطباء بعلامة وصوابه وسمه أو طبعه والفشل وصوابه الاخفاق أو الخيبة وحبذا لو استعاض عن كلمة الكوليرا بالهيضة وابتعد عن بعض الكلمات والتعابير كقوله التأثير المباشر وجهودهم وبأم عينه ودخل الى وتتلاشى الارادة وصعد الى والحياة العائلية وأثرت به ، وهذا مما لا ينقص من قيمة الكتاب الجديد في نوعه فنشكر له عظيم مجهوده لا زالت العلوم والآداب تنتفع بمعارفه وعوارفه .

الدكتور حسني سبح

المخطوطات المصورة والمزوقة عند العرب

بقلم العلامة الفيكنت دي طرازي . (٣٥) صفحة من القطع المتوسط .

طبع بحلب

وصف الأستاذ في هذه الرسالة طائفة مختارة من المخطوطات العربية المصورة المبعثرة في بعض خزائن الكتب الخاصة او دور الكتب العامة، نسقها بحسب مواضيعها، فصور لنا زخارفها وبراعة صنعتها . وقد افتتح رسالته هذه بنظرة اجمالية في فن التصوير عند المسلمين ونشأة التصوير عند العرب، ذهب فيهما مذهب من بحثوا هذا الموضوع وقالوا في تشدد الاسلام في النهي عن التصوير وتحريمه المطلق، معتمداً كغيره على نصوص وأحاديث، معرضاً عن المكتشفات الأثرية الحديثة والدراسات العلمية العميقة التي فتحت للباحثين أفقاً جديداً لاعادة النظر في هذا الحكم الجائر والاقتداء بالسلف في عصرهم الزاهر، يوم كانوا يأخذون من الدين لبابه وينفذون الى صميم روحه وحقيقة تعاليمه، ولا سيما بعد ان أثبتت الشواهد انهم لم يكونوا يستنكرون التصوير كما استنكره من جاء بعدهم في عصر الوهن والانحطاط، ولا أدل على هذا من قول المقريزي بأن معاوية رضي الله عنه ـ وهو الخليفة العالم والصحابي المحدث ـ : «قد ضرب دنانير كثيرة عليها تمثاله متقلداً سيفاً» دون ان يستنكر عمله أحد، ونعرف أمثالاً كثيرة ومنها المخطوطات المصورة الموصوفة في هذه الرسالة تثبت جميعها تسامح العرب والمسلمين في ممارستهم فن التصوير في صدر الاسلام، ولا بد لنا والحالة هذه من ان نبحث العوامل الحقيقية الدخيلة على الاسلام التي اذكت هذا التحريم بالشدة التي نلمس أثرها ونعاني اليوم مغبة نتائجها . ويتضح للمتتبع بأن هذا التعصب بالنهي عن التصوير قد ظهرت بوادره في الاسلام على أثر حركة تحريم

الصور والتماثيل ومحاربتها بشدة في الدولة البيزنطية ومنها انتقلت العدوى الى البلاد الاسلامية المجاورة فتمركزت فيها .

ويضيق بنا المقام ان نتوسع هنا في هذا الموضوع ولذلك نكتفي باشارة اليه عسى أن يعالجه الباحثون فيجلون لنا غوامضه .

جعفر الحسني

دمشق في العصر الأيوبي

تأليف الأستاذ محمد ياسين الحموي بقطع متوسط في (٧٨) ص

نحن في حاجة الى عشرات المؤلفات التي تبحث في تاريخ الشام وبلدانها وآثارها . فكثير من الناس لا يعرفون عن تاريخ بلدانهم وآثارها الا النزر القليل . وكأن الأستاذ الحموي شعر بهذه الحاجة فألف هذا الكتاب لدمشق في العصر الأيوبي . ابتدأه بمقدمة طريفة عن نشأة الدولة الفاطمية واستيلائها على دمشق وكيف تقلص ظلها عنها بواسطة الدول الأتابكية ثم تكلم عن دمشق في العصر الأيوبي من الوجهة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية . ووضع في الكتاب بضع صور لبعض أبنية دمشق الجميلة أكثرها من العصر المماليكي وحبذا لو أطلق المؤلف اسم كتابه فلم يقيده « بالعصر الأيوبي » لأن نحواً من ثلث الكتاب عن العصر المماليكي مما يجعل القارئ لا يميز بين العصرين .

ومما ذكره المؤلف : مدرسة الطب النورية ، ومدرسة الطب القيمرية للمارستانيين النوري والقيمري ، ولا أعلم أحداً قبل المؤلف عدهما في المدارس ، على انه كان في دمشق ثلاث مدارس للطب وهي : الدخوارية ، والدنيسرية ، واللبودية كان يمكن عرضها في الكتاب .

مثل هذا لا يحول دون الاستفادة من هذا الكتاب والاعجاب بجهود مؤلفه التي نشكرها له كما نشكر لمكتب النشر العربي سعيه في نشر هذا الكتاب القيم المفيد .

محمد احمد دهمان

آراء وأنباء

سبط ابن الجوزي ـ القطب اليونيني

أو مرآة الزمان وذيله

ـ جواباً لما طلبه الأستاذ سالم الكرنكوي ـ

نشرت مخلدات تاريخية جليلة في الشرق والغرب ، ولكنها لم تكف لسد غلة المتعطش الى الآثار التاريخية ، فلا تزال السلسلة غير مستكملة ، ولا وافية بالغرض . والحاجة الى الطبع والنشر كبيرة ، بل نحن في ضرورة ملحة الى التعريف بالمؤرخين وآثارهم . ومن أهم المؤلفات التاريخية (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي ، و (ذيله) للقطب اليونيني و (مختصره) له . وكذا ذيوله الأخرى .

١ ـ سبط ابن الجوزي :

ويعرف ايضاً بـ (قز أوغلي) أي ابن البنت . كان من مشاهير المؤرخين ، وكتابه (مرآة الزمان) سجل جامع ، وأثر خالد . ومن الغفلة اهماله . جلا صفحة من تاريخنا تكاد تغني عن غيرها . قام بما لم يستطع القيام به فرد أو جماعة . وقد قيل : « من أرخ بعده فقد تطفل عليه . » اه . وحياته معروفة ، وجاءت في (منتخب المختار) وافية بالغرض ، أخذ عن علماء بغداد والموصل والشام ، وذهب الى مصر ، وجاء ذكره في (تاريخ الاسكندرية) . توفي في ٢١ ذي الحجة سنة ٦٥٤ هـ ـ ١٢٥٧ م[1] .

٢ ـ تاريخه (مرآة الزمان) :

يبدأ قبل الاسلام ، ويمضي في حوادثه الى سنة ٦٥٤ هـ ، وهذه قائمة نسخه التي رأيتها في استانبول في خزانة سراي طوبقبو برقم ٢٩٠٧ :

---

(١) منتخب المختار في علماء بغداد ص ٢٣٦ .

١ — الأول . منه ثلاث نسخ هناك ، وأخرى في مخطوطات الموصل ، وخامسة في خزانة ملّت حكيم أوغلي برقم ٨٠١ .

٢ — الثاني . ومنه نسخة أخرى في كوپريلي برقم ١١٥٤ تمضي الى سنة ٦ ه .

٣ — الثالث . في سيرة الرسول ﷺ . ونسخة أخرى منه هناك .

٤ — الرابع . ومنه نسخة أخرى هناك من سنة ٣٢ الى سنة ٤٨ . وأخرى في كوپريلي برقم ١١٥٥ وتقف حوادثها بسنة ٣١ ه . وقد أصابته الأرضة .

٥ — الخامس . يبتدئ بسنة ١٤ ه وينتهي بخلافة الامام علي رضي الله عنه .

٦ — السادس . من سنة ٦٩ الى سنة ١٠١ ه . وفيه بعض التشويش من جراء التصحيف . ونسخة أخرى منه من سنة ٧٢ ه الى سنة ١٠٤ ه

٧ — السابع . من سنة ١٠٢ وتمتد حوادثه الى سنة ١٤٣ ه . ونسخة أخرى هناك من سنة ١٠٥ الى سنة ١٦٩ .

٨ — الثامن . من سنة ٦٦ وقبلها بقليل الى حوادث سنة ٩٢ ه وآخر يسمى (الثامن) من سنة ١٤٧ الى سنة ١٩٩ ه . وآخر أيضاً من سنة ١٦٠ الى سنة ٢١٧ .

٩ — التاسع . من سنة ٢٠٠ الى سنة ٢٥٥ ه . ومنه نسخة في كوپريلي برقم ١١٥٦ من سنة ٩٦ ه الى سنة ١٢١ ه .

١٠ — العاشر . من سنة ٢٥٦ الى سنة ٣٢٩ ونسخة أخرى من سنة ١١٥ الى سنة ١٤٢ .

١١ — الحادي عشر . من سنة ٣٣٠ ه الى سنة ٤٠٤ ومنه نسخة من سنة ٢٦١ الى سنة ٣٢٦ وأخرى في كوپريلي برقم ١١٥٧ من سنة ٣٥٩ ه الى سنة ٤٣٩ .

١٢ — الثاني عشر . من سنة ٤٠٥ الى سنة ٤٦٣ .

١٣ — الثالث عشر . من سنة ٤٦٤ الى سنة ٥٤٦ ه ومنه نسخة أخرى من سنة ٥٢١ الى سنة ٦٥٤ ه كتبت سنة ٨٨٠ ه .

١٤ — الرابع عشر . من سنة ٥٤٦ الى سنة ٦٢٠ ه .

١٥ — السابع عشر ، من سنة ٤٠١ الى سنة ٤٥٠ .

١٦ — التاسع عشر من سنة ٤٩٠ الى سنة ٥٦١ هـ والظاهر انه المختصر مع الذيل .

هذا ما وجد في سراي طوپقپو ، وفي كوپرلي وفي سنيه تداخل ، فلم يكن بعض المجلدات عين الأخرى . وأما ما وجد منه في متحف الأوقاف الاسلامية فانه في الغالب يكمل ما سبق ، وقد رأينا منه :

١) المجلد الثاني .

٢) المجلد الثالث . يتلوه وتقف حوادثه عند سنة ٢٩ هـ .

٣) المجلد الرابع . من سنة ٣٠ هـ الى سنة ٥٠ هـ .

٤) « الخامس . من سنة ٥٠ هـ الى سنة ٧٤ هـ .

٥) « السادس . من سنة ٦٥ هـ الى سنة ١١٠ هـ .

٦) « السابع . الى سنة ١٧٩ هـ .

٧) « الثامن . من سنة ٨٠ هـ الى سنة ٢٣٧ هـ .

٨) « التاسع . من سنة ٢٣٧ هـ الى سنة ٣١٠ هـ .

٩) « العاشر . من سنة ٣١٠ هـ الى سنة ٣٨٩ هـ .

١٠) « الحادي عشر . من سنة ٣٩٠ هـ إلى سنة ٤٦٣ هـ .

١١) « الثاني عشر . من سنة ٤٦٣ هـ الى سنة ٥٦٠ هـ .

١٢) « الثالث عشر . من سنة ٤٥٠ هـ الى سنة ٥٥٨ هـ .

١٣) « الرابع عشر . من سنة ٥٦٩ هـ الى سنة ٦١٤ هـ .

هذه شاهدتها في متحف الأوقاف الاسلامية باستانبول . وفيها ما يكمل سابقاتها وبينها من المختصر على ما يظن . ولا شك انها تحفة مهمة ، ومن الضروري الاسراع في طبعها . ويصح ان تستخرج منها نسخة كاملة ، وان الأجزاء المفرقة في خزائن الكتب الأخرى تصلح للمقابلة واتقان نسخة صحيحة .

* * *

٣ — القطب اليونيني :

هو شيخ الاسلام، القدوة الزاهد، بقية السلف، وطراز الخلف، قطب الدين ابو الفتح موسى بن الشيخ تقي الدين ابي عبد الله محمد بن الحسين بن احمد اليونيني البعلبكي الحنبلي . اختصر مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، وذيّل عليه . وتوفي في ٣ شوال سنة ٧٢٦ هـ . جاء ذلك في تاريخ ابن الجزري[1] . وهو معروف .

٤ — مختصر مرآة الزمان :

لقطب الدين ومنه في خزانة طوپقپو :

١) الثاني من المختصر لما قبل الاسلام .

٢) الخامس من المختصر . من سنة ١٣ الى سنة ٣٦ .

٣) السادس من المختصر . من سنة ٦٦ الى سنة ٩٢ .

٤) الثاني عشر من المختصر . من سنة ١٨٨ الى سنة ٢١٨ .

وفي متحف الأوقاف الاسلامية من المختصر :

١) الثامن عشر . من سنة ٤٥٠ الى سنة ٦٨٩ هـ . ويدخل فيه مقدار كبير من الذيل . ونسخة أخرى من سنة ١٢٠ الى سنة ٦٦٠ هـ . وهذه أيضاً يدخل فيها قسم من الذيل .

هذا . ونرى النقص ظاهراً في الأجزاء . وان المطبوع من مرآة الزمان يظهر انه المختصر الا انه مغلوط جداً . ومن المحتمل ان يظهر بين اجزاء الأصل من مرآة الزمان ما هو مختصر منه .

٥ — الذيل على مرآة الزمان :

وهو للقطب اليونيني ايضاً . وهذه الأجزاء التي عثرت عليها منه في خزائن كتب استانبول :

١) الأول . في خزانة اياصوفيا برقم ٣١٤٦ وحوادثه من سنة ٦٥٤ الى سنة ٦٦٢ هـ . ويكمله ما في متحف الأوقاف الاسلامية المدرج مع المختصر .

(١) سبق الكلام عليه في هذه المجلة .

٢) الثاني . من سنة ٦٧١ الى سنة ٦٨٩ ونسخة أخرى من سنة ٦٥٦ وتكملة سابقتها الى سنة ٦٦٣ في متحف الأوقاف الاسلامية باستانبول :

٣) الثالث . من سنة ٦٩٠ الى سنة ٧٠١ ومنه نسخة اخرى من سنة ٦٦٤ الى بعض سنة ٦٧٤ هـ ، وأخرى من سنة ٦٧٦ الى ما بعد سنة ٦٨٨ هـ .

٤) الرابع من الذيل . من سنة ٧٠٢ الى سنة ٧١١ هـ . ومنه نسخة أخرى من سنة ٦٧٤ الى سنة ٦٧٩ .

٥) الخامس من الذيل . من سنة ٦٨٠ الى سنة ٦٩٠ .

وهذه الأجزاء ماعدا الأول في خزانة سراي طوبقبو باستانبول . أما ما في متحف الأوقاف الاسلامية منه فهي :

١) جزء من المختصر يدخل فيه قسم من الذيل . مرّ .

٢) جزء من سنة ٦٦٠ هـ الى سنة ٦٧٦ .

٣) جزء آخر . من سنة ٦٦٠ هـ الى سنة ٦٧٦ هـ وهو مكرّر .

٤) جزء من سنة ٦٧٧ هـ الى سنة ٦٩١ هـ .

هذه عدا المتداخل في المختصرات . ومنها نرى أن الذيل قد عرف منه ما كان من سنة ٦٥٤ هـ الى سنة ٧١١ هـ وفي دار الكتب المصرية بعض النسخ والمصورات من الأصل ومن الذيل . وكذا ماذكره الأستاذ سالم الكرنكوي من الأجزاء[1] . وتتكوّن من هذه مجموعة عظيمة لا يستهان بها ، ويصح ان يستخرج منها نسخة صحيحة مستكملة الشروط للنشر والاستفادة من الأصل والذيل معاً ، وان ينتفع من المختصر لما أضافه اليونيني من حوادث .

والقطب اليونيني يفصل التراجم . ويطنب في المباحث بكلّ ما أوتي من سعة . وأول كتابه :

«الحمد لله مصرف الدهور وخالق الأزمنة الخ» . جاء في مقدمته انه رأى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي أجمع التواريخ مقصداً ، وأعذبها مورداً وأحسنها

(١) مجلة المجمع مجلد ٢١ : ٣٧٨ .

بياناً ، وأصحها رواية . يكاد خبره يكون عياناً ... فشرع في اختصاره وآثر أن يذيّله من سنة وفاة المؤلف ووقوفه عند حوادث سنة ٦٥٤ هـ . وربما ذكر وقائع متقدمة فاتته على سبيل الاختصار وانه جمع هذا المذيّل لنفسه ، وذكر ما اتصل بعلمه وسمعه من أفواه الرجال ونقله من خطوط الفضلاء والعهدة في ذلك عليهم لا عليه كما ذكر .

والمهمّ هنا يجب أن لا نقتصر على نسخة واحدة أو نسخ وانما تراجع جميعها وتقابل وتحقق من ناحية التاريخ والضبط والصحة . وبين نسخ استانبول ما هو واضح الخط ، قديم النسخ ، مضبوط ضبطاً تاماً ، فقد رأيت في هذه الخزانة من النسخ ما بهر في اتقانه وصحة خطه وسلامته وضبطه .

وجاء في الاعلان بالتوبيخ :

« وعمل سبطه — سبط ابن الجوزي — أبو المظفر يوسف قز أوغلي تاريخه المسمى (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان) ، فكانت التسمية من المطابقة بمكان ولذا قال هو ليكون اسماً يوافق مسماه ولفظاً يطابق معناه . » اهـ

ثم قال : « وذيل عليه بعد أن اختصره في نحو من نصفه القطب موسى بن الفقيه أبي عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله بن عيسى اليونيني ، اخو الحافظ ابي الحسين علي ، وهو بالمحمودية في اربع مجلدات . ومات في سنة ٧٢٦ هـ . » اهـ [1] .

ومن هنا علمنا ان الاختصار كان سابقاً التذييل ، وان المؤلف شرع في اختصاره ثم ذيله كما أفاد في مقدمة الذيل وكما شوهد من بعض النسخ ، ولم يكن لي حينما شاهدته من الوقت ما يتسع لأدوّن الملاحظات والتتبعات عن كل جلد من هذه المجلدات بتفصيل ، وكفى ان يعيّن موطنها ، وان يتوصل الى تصويرها ثم طبعها .

والأولى أن تتعاون الدول العربية في أمر نشره واظهاره للملأ . وليس هنالك خدمة أكبر من هذه للثقافة العامة واحياء ذكر من خدم الأقطار العربية جمعاء في تاريخه .

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ . طبعة مصر سنة ١٣٤٩هـ ص ١٤٦ .

وهنا لا نمضي دون ان نقول :

وجه عليه الذهبي النقد بقوله : « تراه يأتي فيه - في مرآة الزمان - بمنا كير الحكايات ، وما أظنه بثقة فيما ينقله ، بل يجحف ويجازف . » اهـ .

وقال الصفدي : « وأنا ممن حسده على تسميته (مرآة الزمان) . فانها لائقة بالتاريخ . وكأن الناظر فيه يعاين من ذكر منها الا ان المرآة فيها صدأ المجازفة منه في أماكن . » اهـ

وقال سعد الدين بن العربي في الذيل على مرآة الزمان : « وهذا من الحسد ، فانه في غاية التحرير . ومن أرخ بعده فقد تطفل عليه . لا سيما الذهبي والصفدي . فان نقولها منه في تاريخيهما . » اهـ

أما القطب اليونيني فيقول : « رأيت انه أجمع التواريخ مقصداً ، وأعذبها مورداً ، وأحسنها بياناً وأصحها رواية . ويكاد خبره يكون عياناً . » اهـ

وأقول كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه . واذا تكلم بما لم يرد به خبر صحيح أو ظهر خلافه أخذ بما ظهر ووضع القول موضع التمحيص . وكل كتاب لا يخلو من غمز مهما كانت قيمته ، ولكن لا يهمل أمره لمجرد وقوع النقد ، أو أمر مشكوك فيه ، أو بعض ما يؤاخذ عليه .

نقف عند هذا ، ولا نتوسع في ذكر المختصرات والذيول الأخرى ، أو النقل الى التركية . فكل هذا يحتاج الى بسط . وأمل في هذا كفاية لما طلبه الأستاذ الشهير سالم الكرنكوي .

عباس العزاوي

تعليق على إنسان العيون

ورد في مقالة الأستاذ المحقق عباس العزاوي المترجمة بابن أبي عذيبة وتاريخه[١] الموسوم بتاريخ دول الأعيان: شرح قصيدة نظم الجمان، أنه «رأى منه نسخة بالتصوير الشمسي لدى الأب انستاس ماري الكرملي فصارت لخزانة المعارف، وذكرت بهذا الاسم (إنسان العيون) في مقدّمة الجامع المختصر لابن الساعي فكانت هذه النسخة من مراجع تصحيح الكتاب وهي لابن أبي عذيبة». وفي قوله «ذُكرت» باسناد الفعل الى التاء التي هي ضمير النسخة المصورة ما يوهم أنّ طابع الجامع المختصر — وهو أنا — راجع نسخة الأب العلامة المذكور، وليس الأمر كذلك فاني اطلعتُ على النسخة قبل الأب وذلك في أثناء كينونتي بالقاهرة من سنة ١٩٣٤ ونقلتُ منها فوائد ولا سيما فهرسها الذي صنعه العلامة السعيد أحمد باشا تيمور، ثم احتجت وأنا بباريس الى ترجمة من تراجمها فطلبتُ الى الأب الجليل أن ينسخها لي منها، وبذلك الطلب والتكليف جرى وقوفه عليها ثم تصويره لها.

قال احمد باشا تيمور — وهو ما نقلته من خطه في الكتاب المذكور —

«لم نقف على اسم مؤلفه غير أننا رأيناه في ترجمة ابن سناء الملك ينقل عن ابن حجة الحموي[٢]، ويفهم من ص ٣٢٨ أنه كان في عصر المستكفي بالله العباسي خليفة مصر المتوفى سنة ٨٤٥ فيعلم من ذلك انه من علماء القرن التاسع» ثم قال «وجل اعتماده في التراجم على ابن خلكان والخريدة للعماد الكاتب وقد ينقل عن الصفدي، وغالب من ذكرهم من أعيان اوائل القرن السابع ووسطه لا كما يُفهم من عنوانه» اهـ كلام أحمد باشا تيمور.

والقول بأن الكتاب المذكور هو مجلد من دول الأعيان لابن ابي عذيبة يحتاج الى فضل تحقيق وزيادة تدقيق، فلا اشارة فيه الى القصيدة «نظم الجمان»

(١) مجلة المجمع «مج ٢١ ج ٧، ٨ ص ٣١١ سنة ١٩٤٦».

(٢) توفي ابن حجة سنة «٨٣٧» فيجوز أن ينقل ابن أبي عذيبة عنه.

ولا تصريح للمؤلف باسمه ولا باسم أحد تآليفه — على الضدّ — مما حقق الأستاذ العزاوي الفاضل في أجزائه الأُخرى — وليت شعري هل تطابق الجزءان الجزء التيموري والجزء العزاوي تمام المطابقة ؟ فان كان بينهما فرق كائناً ما كان فلا سبيل الى القول بالاتحاد ، لأنّ وجود ذلك الفرق يؤذن بأن مؤلفه نقل من كتاب ابن أبي عذيبة أو بأنهما نقلا من كتاب واحد .

هذه كلمة أثبتناها لأنا أول من استشهد بذلك الكتاب الموسوم بانسان العيون في مشاهير القرون ولأنّ لنا إلماماً بنعوته ونرجو ألاّ يظن ظان كراهيتنا أن يتحقق ما قاله الأستاذ العزاوي فذلك من الاساءة الى العلم ولكن حب التحقيق يبعث على الاستزادة من التدقيق ، وكان لنا ان نقول إنه جزء من كتاب « النشر » في التاريخ للعلامة عز الدين ابي البركات احمد بن ابراهيم بن برهان الدين الكناني العسقلاني ثم القاهري الحنبلي المتوفى سنة ٨٧٦ قال شمس الدين السخاوي « وله النشر في التاريخ في أحد وأربعين جزءاً جرّد فيه كثيراً من التراجم التي أودعتها في تاريخي الحافل ، وعمل كل مائة من التاريخ في تصنيفين على الحروف والسنين ، أما الثامنة فلخص فيها الدرر الكامنة لشيخنا[1] مع زيادات يسيرة جداً وأما التاسعة فاستمدّ فيها من إنباء شيخنا ومعجمه ومن بعض تعاليقه ، وما عداهما فاستمد فيه من تاريخ الذهبي ولا يخرج عنه إلا في النادر[2] » .

ولكنا لم نجد « انسان العيون » مستوفياً للشروط التي ذكرها السخاوي لأجزاء « النشر في التاريخ » لا في الحروف ولا في السنين لأنه تجاوز القرن السادس الى أول القرن السابع ولم يُراعِ السنين في الوفيات .

وكيفما كان الأمر فانا نرجو من الأستاذ العزاوي أن ينشر في هذه المجلة عدة تراجم متوالية من الكتاب المذكور مستقاةً من المجلدين اللذين يظن اتحادهما صحيحاً لكي يقطع عن تحقيقه كل قالة .

مصطفى جواد

---

(١) يعني شيخه ابن حجر العسقلاني كما يدل عليه الدرر أول وهلة وكما هو معلوم عند المؤرخين

(٢) أصول التاريخ والأدب وهو من مجموعاتنا الخطية ، وقد بلغت عدتها ٣٠ مجلداً « مج ١٧ ص ٢١٥ »

كتاب تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي

المعطيات : ورد اللفظ في ص ٣٧

والمعطيات كتاب في الهندسة لاقليدس نقله الى العربية اسحاق وأصلحه ثابت بن قرة ولنصير الدين الطوسي تحرير للكتاب . موضوعه بايجاز السطوح والخطوط والزوايا والأشكال الهندسية التي تتعين اقدارها ونسبها واوضاعها وصورها (كل ذلك او بعضه) من مقدمات معلومة مع البرهان على ذلك ويعرف عند الفرنجة باسم « The Data of Euclid » .

يحيى النحوي : ص ٣٩

تبين لدى كثير من المحدثين ان الاسلاميين خلطوا بين يحيى النحوي (الاسكندري) الذي عاصر الفتح الاسلامي وبين يحيى النحوي Philopone الفيلسوف المشهور بردوده على أرسطو في موضوع الحركة بصفة خاصة وعلى حسب ما حققه المحدثون فان فيلوبونوس هذا سبق الفتح الاسلامي بحوالي قرن من الزمان . فان كان البيهقي يعني بيحيى النحوي الفيلسوف فيلوبونوس لا يكون لقصته مع علي بن أبي طالب نصيب من الصحة .

المعقولات :

ورد هذا اللفظ في مواضع كثيرة من كتاب البيهقي في معنى مقابل لمعنى «العلم الرياضي» .

فهو يقول (في ص ٥٥) عن ابن سينا :

« من ذاق حلاوة المعقولات يضمن بصرف فكره في الرياضيات .

ويقول (في ص ٧٣) عن البيروني :

« وله مناظرات مع ابن علي (صحته ابي علي) ولم يكن الخوض في بحار المعقولات من شأنه . وكلٌّ ميسرٌ لما خلق له » .

ولا يخفى ان البيروني من أساطين العلم الرياضي والبيهقي نفسه يقول انه « من أجلاء المهندسين »

ويقول (في ص ٨٣) عن الاسفزاري

« له تصانيف في الرياضيات والمعقولات »

ويقول (في ص ٨٥) عن ابن الهيثم

« كان تلو بطليموس في العلوم الرياضية والمعقولات »

ويقول عن الخازن (ص ١٦١)

« وحصّل علوم الهندسة وكل فيها . والمعقولات ماوافقت طبعه مع جهده في تحصيلها » .

وعندي ان هذا يدل على ان البيهقي يميز بين العلم الرياضي او التعليمي وبين « المعقولات » ويعني بالمعقولات الفلسفة النظرية . ولذلك أرجح ان ماورد في الأصل من أقواله عن العابني (ص ٨٩) وهو بلفظه

« وكان مهندساً كاملاً ولم يكن له في المعقولات نصيب » هو المقصود بالفعل .

ميزان الحكمة : (ص ١٦٢)

جاء عن الخازن « وله كتاب في ميزان الحكمة . وهذا الميزان منسوب الى ارشميدس »

و « ميزان الحكمة » الذي هو موضوع كتاب الخازن وان كان مبنياً على مسائل مأخوذة عن ارشميدس وغيره فانه غير الميزان المنسوب الى ارشميدس . فميزان ارشميدس كان يتركب من كفتين ثابتين ومنقلة تنقل على عاتقه (هذا بحسب أقوال الخازن نفسه في كتابه) في حين ان ميزان الحكمة يتركب من خمس كفات بعضها مغمور في الماء وبعضها منقل . والخازن نفسه يقول ان ميزان الحكمة مهدت اليه بحوث الكثيرين من قبله منهم ارشميدس ومانالاوس ثم من الاسلاميين سند بن علي وزكريا الرازي والبيروني وعمر الخيام والاسفزاري وغيرهم . والاسفزاري توفي قبل اتمام الميزان فأتمه من بعده الخازن . ولميزان الاسفزاري قصة ذكرها البيهقي (ص ١٢٥) .

مصطفى نظيف

هدية كتب افرنسية

أهدى رصيفنا الدكتور حسني سبح عضو المجمع العلمي العربي الى المجمع مجموعة من تآليف دوهاميل وموروا من أعضاء المجمع العلمي الباريزي المعاصرين وعددها ١٩ كتاباً فنشكر له غيرته على الآداب .

معرض الكتب المدرسية

الملحق بالمؤتمر الثقافي العربي بلبنان

يقام في لبنان لمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافي العربي في الأسبوع الأول من سبتمبر القادم معرض للكتب المدرسية الموضوعة في مواد اللغة العربية بفروعها المختلفة ، وتيسير الكتابة والنحو والبلاغة ، والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية لكافة مراحل التعليم الأولي والرياضي والابتدائي والمتوسط والثانوي . وقد وجهت الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية الدعوة الى مؤلفي الكتب المدرسية ودور النشر والمكتبات في العالم العربي طالبة اليهم ان يشتركوا في المعرض بالمؤلفات التي وضعها أصحابها في هذه المواد وكذلك بالأدوات التعليمية ووسائل الايضاح المتصلة بتدريس هذه المواد من المصورات والأجهزة والمجسمات وخيّرت العارضين بين ارسال المعروضات الى الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بشارع البستان بالقاهرة أو الى وزارة التربية الوطنية اللبنانية ببيروت في موعد غايته آخر يوليو (تموز ١٩٤٧) .

دعوة الى مؤلفي الكتب المدرسية

ودور النشر والمكتبات في العالم العربي

لمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافي العربي الأول بلبنان في ٢ سبتمبر القادم للبحث

في توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها في نواحي اللغة العربية والمواد الاجتماعية في مراحل رياض الأطفال والتعليم الأولي والابتدائي والمتوسط والثانوي .

يسر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية أن تدعو حضرات المؤلفين ودور النشر والمكتبات في جميع الأقطار العربية الى الاشتراك في هذا المعرض ، بأن يرسلوا اليها :

أولاً — نسختين من الكتب المؤلفة في اللغة العربية بفروعها المختلفة لمراحل التعليم المتقدمة الذكر بما في ذلك الكتب المختصة بتيسير الكتابة والنحو والبلاغة وغيرها .

ثانياً — نسختين من الكتب الموضوعة في مواد التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية في هذه المراحل التعليمية .

ثالثاً — الوسائل العملية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ووسائل الايضاح لمادتي التاريخ والجغرافيا كالصورات والخرائط والمجسمات والأجهزة التي من صنع الأفراد ودور النشر والشركات .

وترجو ادارة الثقافة أن يصل اليها ذلك قبل منتصف شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٤٧ وأن يرسل باسم مدير الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بشارع البستان بالقاهرة .

وسترد المعروضات لأصحابها بعد انتهاء المؤتمر عن طريق الإدارة الثقافية ، الا اذا شاء المؤلف اهداء النسختين أو احداهما لإدارة الثقافة بالجامعة العربية لحفظها لديها تسجيلاً لحركة التأليف المدرسي في هذه المواد ، ورغبة في التعريف بها ، واشاعة الانتفاع منها في أوسع نطاق .

فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد الثاني والعشرين

٢٦٣، ٢٦٤

الجزء التاسع والعاشر المجلد الثاني والعشرون



ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٧ شوال وذو القعدة سنة ١٣٦٦

كنوز الأجداد

— ٥ —

ابن جرير الطبري

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ابو جعفر

(٣١٠)

هذا رجل اشتغل لخدمة القرآن والحديث والفقه والتاريخ ولم يلتفت الى غير ما أخذ من نفسه، وهيأته الفطرة له، وعاش ما عاش وما عهد عليه ان زُنَّ بهناة أو حاد قِيدَ أنملة عن الخطة التي اختطها في خدمة العلم. كان مثالاً باهراً بألمعيته وحريته ودهائه ومضائه. تجسدت فيه الأمانة وهي الصفة الأولى للعالم فوقع الاجماع على قبول كلامه أو كاد. كان عارفاً كل المعرفة بسياسة العلم فوصل بأناته الى ان تم له ما أراده من صنوفه، وسعد بأن كتب البقاء لمصنفاته وستبقى من أهم المراجع ما بقيت اللغة العربية والشريعة المحمدية.

ولد بآمل طبرستان سنة خمس وعشرين ومائتين وتوفي في بغداد . وكان اسمر اعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان ، نبغ في العلم صغيراً فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وصلى بالناس وهو ابن ثماني سنين وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين ، وأخذ الفقه عن داود كما أخذ فقه مالك وفقه الشافعي ، وسمع الحديث في الري وبغداد والكوفة والبصرة والشام ومصر حتى « جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه احد من اهل عصره » و « نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون ابواب الحساب وفي الطب » « وكان كالقارئ الذي لا يعرف الا القرآن وكالمحدث الذي لا يعرف الا الحديث وكالفقيه الذي لا يعرف الا الفقه وكالنحوي الذي لا يعرف الا النحو وكالحاسب الذي لا يعرف الا الحساب ... واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً عن غيرها»

« ولما دخل مصر لم يبق احد من اهل العلم الا لقيه وامتحنه في العلم الذي يتحقق به قال فجاءني رجل فسألني عن شيء من العروض ، ولم أكن نشطت له قبل ذلك ، فقلت عليّ قول الا أتكلم اليوم في شيء من العروض ، فاذا كان في غد فصر اليّ ، وطلبت من صديق العروض للخليل بن احمد ، فجاء به فنظرت فيه ليلتي ، فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً » اي ان الرجل العارف بالقرآن البصير بالمعاني الفقيه بأحكام القرآن العالم بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ، والحافظ اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام والعارف بأيام الناس — لم يحبّ لنفسه جهلها بالعروض فدرسه في ليلته وحذقه كما يحذقه من اشتغل به أعواماً .

هذه اوجه درسه وبحثه والأهم من هذا ما امتاز به من اخلاقه وعقله وبها عدّ اماماً من أئمة العلم « يحكم بقوله ويرجع الى رأيه » «وتفرد بمسائل حفظت عنه » فله مذهب خاص انقطع اتباعه فيه بعد الاربعمائة ، وكان أظهر مذهب الشافعي وأفتى به عشر سنين ، قال الفرغاني فلما اتسع علمه أداه اجتهاده

وبحثه الى ما اختاره في كل صنف من العلوم في كتبه وهذه فقدت أي كتب مذهبه ·

قالوا لما دخل بغداد كانت معه بضاعة يتقوت منها فسرقت فقال له بعض اصدقائه : تنشط لتأديب ولد الوزير ابي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فأجرى عليه عشرة دنانير في الشهر ، فلما كتب الصبي اخذ الخادم اللوح ودخلوا مستبشرين فلم تبق جارية الا أهدت اليه صينية فيها دراهم ودنانير فرد الجميع وقال : قد شورطت على شيء وما هذا لي بحق ، وما آخذ الا ما شورطت عليه · ولما قال له الوزير ان أمهات الأولاد تغممن في رده قال : هؤلاء عبيد والعبيد لا يملكون شيئاً فعظم ذلك في نفس الوزير · وكان ربما اهدى اليه بعض أصدقائه الشيء من المأكول فيقبله اتباعاً للسنة ويكافئه لعظم مروءته أضعافاً ، وربما يجحف به فكان اصدقاؤه يجتنبون مهاداته ·

ولما ورد مصر في سنة ٢٥٦ نزل على الربيع بن سليمان فأمر من يأخذ له داراً قريبة منه قال وجاءني اصحابه فقالوا : تحتاج الى قصرية وزير وحمارين وسدة فقلت اما القصرية فانا لا ولد لي وما حللت سراويلي على حرام ولا على حلال قط وأما الزير فمن الملاهي وليس هذا من شأني ، واما الحماران فان ابي وهب لي بضاعة انا استعين بها في طلب العلم فان صرفتها في ثمن حمارين فبأي شيء أطلب العلم · قال : فتبسموا · فقلت : الى كم يحتاج هذا ؟ فقالوا يحتاج الى درهمين وثلثين وأخذوا ذلك مني وعلمت انها اشياء متفقة وجاءوني بأجنة وجب للماء واربع خشبات قد شدوا وسطها بشريط وقالوا : الزير للماء والقصرية للخبز والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعني ذلك · وكثرت البراغيث فكنت اذا جئت نزعت ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته واتزرت وصعدت الى السدة ·

بقي ابن جرير يعيش من مال ابيه وكان ابوه من اهل اليسار وقد يضيق ولا يسف الى تناول شيء من احد مهما عظمت منزلته ، وظل قانعاً بما يرد عليه من قرية يسيرة خلفها له ابوه بطبرستان وابطأت عليه نفقة والده مرة فاضطر

الى ان يفتق كمي القميص ويبيعهما . اراد المكتفي الخليفة ان يقف وقفاً يجتمع أقاويل العلماء على صحته ويسلم من الخلاف فأحضروا ابن جرير فأملى عليهم كتاباً لذلك فأخرجت له جائزة سنية فأبى ان يقبلها فقيل له لا بد من جائزة أو قضاء حاجة فقال : نعم الحاجة اسأل امير المؤمنين ان يتقدم الى الشرط ان يمنعوا السؤال من دخول المقصورة يوم الجمعة فتقدم بذلك وعظم في نفوسهم .

أرسل العباس بن الحسن الوزير الى ابن جرير قد أحببت ان انظر في الفقه وسأله ان يعمل مختصراً فعمل له كتاب الخفيف وأنفذه ، فوجه اليه الف دينار فلم يقبلها ، فقيل له تصدق بها فلم يفعل . ولما تقلد الخاقاني الوزارة وجه اليه بمال كثير فأبى ان يقبله فعرض عليه القضاء فامتنع فعاتبه اصحابه وقالوا له : لك في هذا ثواب وتحيي سنة قد درست وطمعوا في ان يقبل ولاية المظالم فانتهرهم وقال : قد كنت أظن اني لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه . ونحن نقول ان هذه العطايا لو منحها الامامان ابو يوسف والفخر الرازي لاستحلا أخذها وشكرا عليها وضماها بلباقة الى اموالها العظيمة . وابن جرير بهذا الإباء يبقى اسمه مقدساً بكل شفة ولسان على مر الزمان .

ومن شعر الطبري :

اذا أعسرت لم يعلم رفيقي ... واستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو اني سمحت ببذل وجهي ... لكنت الى الغنى سهل الطريق

وقال : خلقان لا ارضى طريقهما ... بطر الغنى ومذلة الفقر
فاذا غنيتَ فلا تكن بطراً ... واذا افتقرت فَتِه على الدهر

مثال من بعد نظره وسعة عقله وعلمه بزمانه : لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على ابن جرير الطبري فقال : ما الخبر ؟ قيل بويع ابن المعتز ، قال : ومن رشح لوزارته ؟ قيل ابن الجراح . قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : ابو المثنى .

فأطرق ثم قال : هذا أمر لا يتم ، قيل : وكيف ؟ قال : كل واحد من هؤلاء متقدم في معناه ، والزمان مدبر والدنيا مولية ، فما أرى هذا الا الى الاضمحلال . وكان كما قال جرت حرب بين غلمان المريدين للمقتدر وبين المريدين لابن المعتز فانهزم ابن المعتز وتفرق اصحابه ثم امسك وحبس ليلتين وقتل خنقاً فكانت خلافته يوماً واحداً .

واذا عرضنا لذكر تآليف ابن جرير فانا نرى أعظمها تفسيره وتاريخه اما تفسيره فقد جوده وبين فيه أحكام القرآن وناسخه ومنسوخه ومشكله وغريبه ومعانيه واختلاف اهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله والصحيح لديه من ذلك واعراب حروفه والكلام على الملحدين فيه والقصص وأخبار الأمم والقيامة وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب كلمة كلمة وآية آية من الاستعاذة الى ابي جاد ، فلو ادعى عالم ان يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد عجيب مستقصى لفعل . وقد ضرب التوحيدي المثل بتفسير ابن جرير واسمه « جامع البيان » وقال السيوطي من المتأخرين انه يوجه الأقوال ويرجح بعضها على بعض ويعرب ويستنبط فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين .

أطال ابن جرير في تفسيره وفي تاريخه وكانت النعمة على العلم في هذا التطويل . وكان من نيته ان يتوسع اكثر مما توسع فقد ذكروا انه قال لأصحابه قبل وضع هذين الكتابين العظيمين : اتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال ثلاثون الف ورقة ، فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة . ثم قال : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فأجابوا بمثل ذلك فقال : انا لله ماتت الهمم ، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير .

أما تاريخه فقد رتبه على السنين وضمنه ما خلت منه الكتب التي في الأيدي واستفاد الناس من تطويله الذي ما ارتضاه وعده مختصراً . ووصفه المسعودي المؤرخ

فقال انه الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب فقد جمع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على ضروب العلم ، وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، واليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحملة السير والآثار .

وأكثر اعتماد ابن خلدون المؤرخ في النقل على تاريخ ابن جرير هذا ، قال لأنه أوثق من رآه في ذلك وابعد عن المطاعن في كبار الأمة من خيارهم وعدولهم من الصحابة والتابعين . كلام حق وفي كتابه تقرأ تؤدة العلماء ووقار الحكماء وتقتنع انك تنفذ الى حقائق التاريخ لأن مؤلفه متصف بصفات الكمال لا مطعن عليه في شيء حتى صار كتاب «الرسل والملوك» المصدر الأول في التاريخ الاسلامي أخذ عمن تقدمه ومنهم من أهل الأهواء المخالفين لمذهبه كأبي مخنف فاقتبس من كلامه ما راقه واعتقد صحته . اخذ النقاوة وترك النفاوة . كتابه المصدر الوحيد لكل من جاء بعده يجد فيه كل طالب بغيته ويتجسم له الصدق يتدفق من خلال كلامه لا يجرح سليماً ولا يوثق كذوباً ولا يقذف في عظيم ولا يتهم بريئاً .

قال صاحبه الفرغاني كان محمد بن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يعدل في علمه وتبيانه عن حق يلزمه لربه وللمسلمين الى باطل لرغبة ولا رهبة مع عظيم ما كان يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد وأما اهل العلم والدين فغير منكري علمه وفضله وزهده وتركه الدنيا مع اقبالها عليه ، وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة .

تعصب عليه الحنابلة ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم ، ولذلك سبب وهو ان الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ، ولم يذكر فيه احمد بن حنبل ، فقيل له في ذلك فقال : لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً فاشتد ذلك على الحنابلة فشغبوا عليه ، وكانوا في بغداد يشغبون لأقل من هذا ، حتى اضطر اصحابه ان يدفنوه في بيته مخافة ان تطول اليه ايدي الحنابلة بالايذاء بعد وفاته . قال المؤرخون ادعوا عليه الرفض ثم ادعوا عليه الالحاد !

هذه سيرة من أطيب سير الرجال تقلّ في وصف صاحبها ما اعتاد الناس ان يطلقوه من الألفاظ في وصف العلماء العاملين وكفى ان يقال انه كان مأموناً على الاسلام وعلى تاريخه وانه ما حاد ذرة عن هدى ارباب الأخلاق وما عدت له سقطة يسقط فيها اكثر الآدميين ·

المسعودي

ابو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي

(٢٩٦)

قيل انه من ذرية عبد الله بن مسعود الصحابي ، ولد في أرض بابل وسكن بغداد ونزل البصرة ودأب في ريعان العمر على البحث في أخلاق الشعوب وطبائع الأمم ودرس المظاهر الطبيعية والجغرافية والفلكية وكان اخبارياً علامة صاحب غرائب وملح ونوادر ومن المكثرين من التأليف والمجودين فيه ·

سكن الشام ومصر مدة طويلة وفي سنة ٣١٤ كان في طبرية وفي سنة ٣٣٢ زار انطاكية ومدن الحدود الشامية وبعد رحلة قصيرة عاد الى البصرة وتوطن دمشق سنة ٣٣٤ وفي مصرمات سنة ٣٤٥ او ٣٤٦ ترجم له صاحب طبقات الشافعية على انه شافعي وقيل انه كان معتزلي العقيدة وقال صاحب روضات الجنات انه من اصحابه الامامية وانه الشيخ المتقدم الكامل باعتراف العدو والولي · وعده النجاشي من رواة الشيعة وقال ان له كتباً في اثبات الوصية لعلي بن ابي طالب · وقالوا انه مأمون الحديث عند العامة والخاصة · يعنون بالعامة اهل السنة وبالخاصة الشيعة · وظاهر كلامه في كتابه «مروج الذهب» انه عامي او شيعي متقي ولم يقبله بعض رجال الشيعة في جملتهم لأنه ذكر في مروج الذهب ايام خلافة الأول والثاني ثم خلافة علي ثم خلفاء بني أمية ثم بني العباس وذكر سيرهم وآثارهم وقصصهم وأخبارهم على طريقة العامة ونحو تواريخهم من دون

تعرض لذكر مساويهم وقبائحهم كظلمهم أهل البيت وغير ذلك . ومعنى هذا انهم يريدون السكوت عما وقع وان يطعن على كل من ولي الخلافة على غير شرطهم . والمسعودي ممن آمن على ما يظهر بالأمر الواقع وما أحب ان يخرج عن طور المؤرخ في الجملة ولو نظرنا بعض ما قاله في يزيد بن معاوية مما لا يؤيده التاريخ لشهدنا انه خدم التشيع خدمة ناقض فيها ثقات أصحاب الأخبار .

وربما كان المسعودي ممن يهتم للتاريخ اكثر من اهتمامه بأن يقال فيه انه شيعي او سني . ومما امتاز به بين مؤرخي القرون الأولى انه كان من عشاق الرحلات طاف كما قال بلاد السند والزنج والصنف (جنوبي الكوشنشين) والصين والزابج (جاوة) وتقحم الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بواسط وإرمينية واذربيجان والران والبلقان ، وطوراً بالعراق وطوراً بالشام . وقال انه فاوض اصناف الملوك على تغاير اخلاقهم ، وتباين هممهم وتباعد ديارهم ، ومع ان عصره خير عصور العلم في الاسلام شكا من كساده قائلاً ان العلم قد بادت آثاره ، وطمس مناره ، وكثر فيه الغباء وقلّ الفهماء ، فلا تعاين الا مموهاً جاهلاً ، ومتعاطياً ناقصاً .

قد يذهب الظن ان صحت شيعية المسعودي الى انه تأثر بالدعوة الفاطمية او انه كان من دعاة الفاطميين وقد قاموا في أيامه بدعايات منظمة في وادي النيل وما اليه قبل ان يفتحها قائدهم جوهر الصقلي بزمن . ولا يعقل الا يطلع على دعوتهم ويطالبونه او يطالب نفسه بخدمتهم وهو الذي عرف من الخطاط بني العباس في أيامه ما تعالم أمره وله من مذهبه ما يحمله على الدعوة لآل البيت ، على انه لم يتعرض لهم كثيراً فيما وصلنا من كلامه ، وقد ألف كتاب « التنبيه والاشراف » في سنة ٣٤٥ ودولة الفاطميين قامت في افريقية سنة ٢٩٦ وما انفك العبيديون يغزون مصر منذ سنة ٣٠١ ويبثون في الأرجاء دعاتهم ويدعون مصراً الى مذهبهم . هذا رأي لنا والأيام كفيلة بكشف ما اذا كان شيعياً أو جماعياً او في حالة بين بين .

لم نعرف في الواقع نوع الدراسات التي تمحض لها المسعودي لأول أمر وكان من أساتذته نفطويه وابو خليفة الجمحي ، والبادي من كتبه انه عُني بالتاريخ والجغرافيا كل العناية وكذلك الأدب والمقالات والنحل وطبقات الأرض والمعادن والجواهر والفلك والسياسة والرجال . وما نقل من معلومات عن الشعوب والأمم والأجناس وتاريخها كان فيه اماماً عظيماً عاونه على الاجادة ولوعه بالبحث وهو ممن كتبوا عن مشاهدة وما وصفه من الأمصار والأقطار دليل على سعة معارفه وشدة ملاحظته حتى ليكاد يحسب ما كتبه من هذا القبيل المرجع الوحيد في بعض الموضوعات وقد يتفق الا يتعمق في درس بعض المسائل ويذكرها كما رويت له . لذلك أورد أساطير وخرافات أخذها قضية مسلمة ولم يعلق عليها نقداً من عنده ، وليس لنا ان نطعن عليه في ذلك لأن ما نقله كان شائعاً وهو يرمي الى تصوير الأفكار في عصره ويتفلسف ما وسعته بيئته .

ألف المسعودي في ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب « الابانة عن أصول الديانة » وكتاب « المقالات في أصول الديانات » وكتاب « سر الحياة » وكتاب « نظم الأدلة في أصول الملة » وما اشتمل عليه من أصول الفتوى وقوانين الأحكام وكتاب « الاستبصار في الامامة » ووصف اقاويل الناس في ذلك من اصحاب النص والاختيار وكتاب « الصفوة في الامامة » . وكتب في السياسة المدنية واجزاء المدنية والابانة عن المبادئ وكيفية تركيب العوالم والأجسام السماوية ، وما هو محسوس وغير محسوس من الكثيف واللطيف . وبعض كتبه تثبت انه كان صاحب منزع سياسي كما كان داعية علم ومدنية ولذلك رأيناه يعاشر اليهود وغيرهم من أرباب النحل وقد نوه في التنبيه والاشراف بأحبار اليهود في عصره ممن عنوا بترجمة التوراة من العبرية ،

وأهم كتبه المشتهرة « مروج الذهب » و « التنبيه والاشراف » وهو لا يفتأ يحيل في كتابيه هذين على كتاب « أخبار الزمان » وكتابه الأوسط وفنون

المعارف وذخائر العلوم وتدابير الممالك والعساكر والاستذكار لما جرى في سالف الأعصار . وضمن كتابه مروج الذهب خلاصة ما تضمنته كتبه السالفة في التاريخ جعله تحفة للأشراف من الملوك واهل الدرايات وقال انه لم يترك نوعاً من العلوم ، ولا فناً من الأخبار ، ولا طريقة من الآثار ، الا أورده في كتابه مفصلاً أو مجملاً أو اشار اليه واودع كتابه التنبيه والاشراف لُمَاً من ذكر الأفلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وكيفية افعالها والبيان عن قسمة الأزمنة وفصول السنة والرياح ومهابها والأرض وشكلها وتأثيراتها في سكانها . وذكر الأقاليم السبعة وعروض البلدان وأطوالها ، والأهوية وتأثيراتها ، والبحار والأنهار ، ثم تكلم على الدول القديمة كالفرس والسريان والروم وعلى دولة العرب من عصر الجاهلية الى قبيل وفاته سنة ٣٤٥ .

قال انه ما دعاه الى تأليف كتبه هذه في التاريخ واخبار العالم محبة احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء ، وان يبقى له ذكراً محموداً ، وعلماً منظوماً عتيداً ، لأنه وجد مصنفي الكتب بين مجيد ومقصر ، ومسهب ومختصر ، ولأنه وجد الأخبار زائدة وربما غاب البارع منها على الفطن الذكي . ولكل واحد قسطه يخصه بمقدار عنايته ، ولكل اقليم عجائب يقتصر على عملها اهله ، وليس من لزم حجرات وطنه وقنع بما نُمي اليه من الأخبار عن اقليمه ، كمن قسم عمره على قطع الأقطار ، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار . واستخرج كل دقيق من معدنه ، وأثار كل نفيس من مكمنه . قال ولو كان لا يؤلف كتاباً الا من حوى جميع العلوم ، اذاً ما ألف أحد كتاباً ولا تأتى له تصنيف .

قال العلامة بروكلمان ان الاضطراب المتواصل في حياة المسعودي قد عين صورة انتاجه الأدبي وقد خلف عما طافه من البلاد المتاخمة للأقطار الاسلامية معلومات ثمينة . وكان عرضه لما جمعه من المواد يشبه بنقصه بحثه اذ لم يتبع نظاماً معيناً وكان يحيد ابداً عن موضوعه ويستطرد استطرادات يراها ضرورية

وتناولت ابحاثه ما كان يهم معاصريه من المعارف تقريباً كالفلسفة الطبيعية والأدب والسياسة والملل والنحل .

أما العلامة كترمير فقد احسن ظنه بالمسعودي أكثر من هذا وقال انه كان اجدر بالمؤرخين والجغرافيين العرب المتأخرين ان يتخذوا المسعودي اماماً في تاريخ الأديان والعلوم دون هؤلاء المؤرخين الرواة الجهلة المقصرين في التمحيص والنقد وقد حداه على درس أخلاق الشعوب وآرائهم ومذاهبهم حب الاستطلاع العلمي وبراءته من التعصب لرأي من الآراء ومذهب من المذاهب مما حمله على اتصال بالعلماء من كل مذهب ونحلة . وقال العلامة مايرهوف ولسنا نعرف شيئاً عن فلسفته وغاية ما علمنا انه كان على صلة مستديمة مع فلاسفة بغداد ولم يبق من كتبه العشرين تقريباً وياللأسف الا كتاب التنبيه والمروج وجزء من كتاب أخبار الزمان وهي كتب خاصة بالأخبار التاريخية والجغرافية وبأخبار الملل والنحل وضياع كتبه الأخرى خسارة لتاريخ العلوم في مبدئها عند العرب لا يمكن تعويضها .

كشفنا القناع بعض الشيء عن حياة المسعودي وذلك بالرجوع الى كتابيه المروج والتنبيه والى ما قاله من نظروا في سيرته من العرب والافرنج فثبت انه من أفراد الدهر بعلمه وبحثه وبعد همته وغرامه بالتنقل في الآفاق بما لم يوفق الى احتذاء مثاله من سبقوه ولحقوه لا جرم ان المسعودي المؤرخ يعرف مضرة التحزب بسعته فلم يسعه وهو غير راض عن بعض الخلفاء الا ان يذكر تاريخهم ولو بلسان جمجم فيه وتعتع ، وهذه الأخطاء التي ارتكبها عمداً او عن غير عمد فعبث ببهاء الحق في بعض احكامه لم تحل دون الانتفاع بتآليفه . ولشيعية المسعودي مدخل كبير في آرائه لأن من جوزوا الكذب على مخالفيهم وغلوا في حب الطالبيين حتى جعلوهم فوق البشر وزعموا لهم الكمال المطلق وان المعاصي حلال لهم حرام على غيرهم لا يؤتمنون على التاريخ . والمتعصب لفئة يجب الاحتياط في الأخذ عنه بخلاف المتسامح الذي لا ضلع له مع أحد . وما خدم

به المسعودي التشيع لم يرض به الشيعة فهو مخالف للاماميين والجماعيين وكل فريق يريده ان يكون له وحده وان يقبل مذهبه بجذافيره ويدافع عنه بالحق والباطل . والتشيع ما كان باديء ذي بدء الا بتفضيل علي بالامامة على الشيخين حتى ان الشريف الرضي من أكبر أئمتهم كان يترضى عن الشيخين ويشمئز ممن ينالهما بسوء ويقول انهما وليا وعدلا وكذلك شأن جده الأعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان يقول ان ابا بكر وعمر ماظلماني ذرة وان ابا بكر اسلم وانا جذَعَة أي فتى ، أقول فلا يسمع لقولي فكيف اكون أحق بمقام ابي بكر .

عفا الله عن قوم اعمتهم السياسة فأنشأوا من حزب سياسي مذهباً دينياً وكفروا كل من لم يوافقهم على هواهم وجاء متأخروهم فأدخلوا في معتقداتهم ما لم يقل به متقدموهم من اخلص الناس لدعوتهم وفرقوا بين اجزاء القلوب . وأشد ما يرمض النفوس في هذا الباب ان يعبث بالتاريخ من أجل المذهب ويموه السخفاء ليصوروا الاحداث على ما يشأون لتأييد مذهبهم [1] .

ابن خلدون

ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد

(٨٠٨)

جرى أكثر المؤلفين على اتباع سنن من قبلهم في نظام تآليفهم ونظام تفكيرهم لا يخرجون عما كتبوه ولا يبدلون فيما دونوه . وقد بلغ ببعضهم ان يأخذوا من الماضين الفاظهم ومعانيهم لا يخرمون منها حرفاً ، ولذلك هان التأليف على

(١) ومن سفهائهم رجل اسمه شهراشوب من أهل القرن السادس كتب كتاباً في مناقب آل ابي طالب حشاه كذباً واختلافاً ما نظن عاقلاً في الأرض يوافقه عليه . وكتابه من اسخف ما أثر من سلسلة تلك السخافات شتم فيه الصحابة الكرام كلهم ما عدا بضعة منهم كانوا مع عليّ واختلق كل قبيح ألصقه برجال لا يدين الاسلام لغيرهم في انتشاره وأورد من الشعر لاثبات أباطيله ما هو سبة على قائله وناقله على وجه الدهر .

الضعاف وندر الايجاد والاجادة . وفي اهل هذه الطبقة من أرباب التواليف تقرأ مئات من الصفحات ولا تخرج منها الا بزبدة قليلة حتى ليسوء ظنك بالمؤلفين وتعتقد ان منهم من لم يجرؤ على التأليف الا ليحشر نفسه في زمرتهم فقط .

كان ابن خلدون من النوابغ الذين استعملوا عقولهم فيما قرأوا ورددوا رأيهم فيما رووا وفتح لنفسه باب الاستنباط والاستنتاج فتجلى بعد نظره فيما كتب وأتى بالجديد الذي لم يؤثر عمن قبله مذ كان الاسلام . وما قلد القدماء في الموضوع الذي أهمه في فلسفة التاريخ والاجتماع بل ابتدعه ابتداعاً على غير مثال .

وكان التاريخ الى عصر ابن خلدون لا يتعدى نقل الحوادث تنقل بالرواية كما ينقل الحديث وغاية اجادة المجيد فيه ان ينقل ما قرأ وشهد وسمع بأمانة ويترك للقارئ حريته يفكر بنفسه فيما انطوت عليه الحوادث من العبر . وقد تقرأ في التاريخ مجلداً ضخماً للأوائل ولا تقع فيه على فكر لمؤلفه ولا ترجيحاً لرواية على أخرى كأن المؤلف يخشى ان يكفر او يفجر اذا شذّ عن طريق من تقدموه . وقد يكتفي بعض من يترجمون للرجال اذا حاولوا تصوير احدهم على ما يعتقدونه الصواب ان يلعنوا كل من لا ترضيهم سيرته وعقيدته ليثبتوا للملإ صحة اعتقادهم وسلامة احكامهم . والمذاهب عندهم العامل الأعظم في المدح والقدح يجمجمون لا يصرحون فيظلمون الحق بما يتعمدون من القاء الظلام على سيرة من لا يسعهم الا طرده من حظيرة الناجين ، كأن التاريخ بعض كلام الصوفية والباطنية له ظاهر وباطن .

ولما سعد العلم العربي بنبوغ ابن خلدون وطبق في التاريخ الغابر على الحاضر واستخرج من مادته المبعثرة عصارة مفيدة تألف منها علم برأسه ، فيه دخل كبير للعقل ومجال للتفكير جعل منه جسماً حياً وأخرجه بحذاقته من عقمه وجدبه الى خصب وامراع ، ولم يعد روايات مروية وعبارات مسرودة مرصوصة مطولاتها كمختصراتها وغثها كسمينها وآض فناً يتفنن المفتنون في الأخذ منه والقياس على

قواعده وتبدت شخصية المؤلف فيما كتب وظهرت شجاعته في التصريح بالحقائق الرائعة ·

أعظم شرف للعلم العربي ان يكون واضع فلسفة التاريخ والاجتماع عربياً صرفاً بأصله وتربيته ومنشأه · كان اجداد ابن خلدون في حضرموت من عرب اليمن ينسبون الى وائل بن حجر من اقيال العرب · وكان وائل بقية ابناء الملوك دخل على رسول الله وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه وأجلسه عليه مع نفسه وقال : « اللهم بارك في وائل وولده واستعمله النبي على الاقيال من حضرموت » · وقد دخل جد ابن خلدون خالد بن عثمان او خلدون بن عثمان الاندلس في القرن الثالث ونزل بقرمونة في رهط من قومه الحضارمة ثم انتقل الى اشبيلية في جند اليمن · وتولى أفراد أسرته المناصب الجليلة في دول الاندلس ونزلوا في القرن السابع تونس وفيها ولد عبد الرحمن ونشأ وقرأ على علمائها علوم اللسان والشرع وقرأ الفلسفة والمنطق ودخل في خدمة الدولة وهو في الحادية والعشرين من عمره ، ثم اعتزل الخدمة ثم دخل في خدمة صاحب تلمسان ثم استدعي الى فاس بطلب علمائها (٧٥٥) فتقلد امانة سر السلطان واغتنم هذه الفرصة لاتمام علمه على علماء المغرب الأقصى وفي سنة ٧٥٧ غضب عليه الملك وسجنه مرتين فقضى في الحبس سنتين ثم أعيد الى منصبه وجعل قاضياً للقضاة وعاد فنكب أيضاً لما هلك الملك ثم سمح له بالذهاب الى ابن الأحمر صاحب غرناطة وسفر عنه الى ملك قشتالة الاسباني فأنجحت سفارته ·

وبعد زمن عاد الى افريقية (تونس) وتولى منصب الحاجب وجمع بين الحجابة والخطابة والتدريس في بلده · وكانت له سفارات بين صاحب تلمسان وصاحب تونس لعقد تحالف بينهما · وبعد حين تخلى عن منصبه في تلمسان بانهزام صاحبها وتولى لمن جاء بعده ما كان يتولاه من المناصب · وفي سنة ٧٧٤ رحل الى فاس ومنها الى غرناطة فنفاه صاحبها الى تلمسان فلقي من اميرها كل تجلة ، وعندئذ رأى اعتزال خدمة الملوك وانقطع الى قلعة ابن سلامة حيث بدأ بتأليف تاريخه الكبير ·

وحج في سنة ٧٨٤ وجاء الاسكندرية والقاهرة ودرّس في الجامع الأزهر

وعين قاضي المالكية في مصر وفي غضون هذه الأيام نكب ابن خلدون نكبة دونها النكبات وهو ان حرمه وأولاده وامواله حملت في البحر من الغرب الى الاسكندرية فغرقت كلها في ميناء هذا الثغر ولم ينج منهم انسان وفي سنة ٨٠١ رافق سلطان مصر الى الشام في الحملة على تيمورلنك واجتمع الى هذا الفاتح وقدم له هدية هي عبارة عن مصحف وسجادة وعلب حلوى مصرية وسأله الفاتح ان يكتب له رسالة في جغرافية بلدان المغرب فكتبها في اثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع في أيام قليلة . وكان يحاذر ان يأمره تيمور بالشخوص معه الى سمرقند فنجا منه بلباقة ورجع أدراجه الى وادي النيل .

وفي « معلمة الاسلام » ان ابن خلدون ربما ظهرت فيه خصائص سياسية لامعة في المناصب الخطيرة التي تولاها بيد انه لم يتردد قط في الابتعاد عن رئيس له بالأمس ليدخل من الغد في خدمة آخر وان يكون على الملك السالف إلباً ، وكان من مهارته بل من صدقه ان يسير الى جانب القوي . وقد تدخّل مباشرة في عامة سياسة ممالك شمالي افريقية والأندلس لعهده وكان له من جلالة مناصبه ما تمكن معه من الحكم على هذه الدول حكم العارف الدراكة اهـ .

هذه حياة ابن خلدون السياسية التي أوحت اليه وضع تأليفه اعانه على ذلك كما قال عن نفسه انقطاعه اربعة اعوام في قلعة اولاد سلامة متخلياً عن الشواغل وأكمل المقدمة « على ذلك النحو الغريب » الذي اهتدى اليه في تلك الخلوة « فسالت فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها وتألفت نتائجها . » وأملى الكثير من حفظه ثم صحح ونقح وراجع . والمقدمة في طبيعة العمران وما يعرض له قال انا استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاية ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسائله على اكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه ، والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً الى ان يكمل . وقال وهذا الفن الذي لاح لنا النظر منه نجد منه مسائل تجري

بالعرض لأهل العلوم في براهين علومهم الا انها غير مستوفاة فان فاتني شيء في احصائه واشتبهت بغير مسائله فللناظر المحقق اصلاحه ولي الفضل لأني نهجت له السبيل واوضحت له الطريق ·

فلسف ابن خلدون التاريخ في مقدمته ولم يسبقه الى ذلك غير أفراد جاءت على أسلات اقلامهم سوانح قليلة لا تكاد تذكر في جنب هذه الافاضة ، وهذه القواعد التي سنها والدساتير التي اخترعها هي مما لم يختل منه مع الأيام الا ما لا بال له · فقد زيف اقوال الوضاعين في أحاديث المهدي وردها كلها من طريق النقل والعقل وما جسر احد قبله على نقض هذه الخرافة التي قال بها أهل الأهواء ومن سعوا لاستخدام هذا الاسم لانشاء دولة جديدة · وأبطل علم الكيمياء وأنكر ثمرتها وقال باستحالة وجودها وما ينشأ عنها من المفاسد · وقال بفساد صناعة النجوم وتكلم عن الجفر والملاحم فزيف هذين الفنين تزييفاً جيداً وتكلم في الدفائن والكنوز وقال انها لا أصل لها في علم ولا خبر ·

جمع ابن خلدون كل ما تفرق في فقه الشريعة وفقه العلوم وما الى ذلك ونسقها ووحدها ، والقدر الذي جرأ على التصريح به من الأفكار في هذا الباب لا يرتضيه كثير من المنظور اليهم في عصره · وحاول ان يبطل الفلسفة ويبين فساد منتحليها ومع هذا قال ان هذا العلم يشحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجاج لتحصل ملكة الجودة والصواب في البراهين فيستولي الناظر فيهما على ملكة الاتقان والصواب في الحجاج ورأى الا يكب أحد على الفلسفة اذا كان خلواً من علوم الملة وقال وان الفلسفة ببلاد الافرنجة من أهل رومية وما اليها من العدوة الشمالية نافقة الأسواق لعهده وان رسومها هنالك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ·

ودعا الى تعلم الهندسة والعلوم العددية (الحساب والجبر والمقابلة) وعلم الهيئة وعلم المنطق والطب والفلاحة · وجمجم في كلامه على علوم الطلسمات وقال ان الشريعة جعلت السحر والطلسمات والشعوذة باباً واحداً لما فيها من الضرر وخصته بالحظر والتحريم وذكر الاصابة بالعين وما نفاها ونقل كلام غيره القائل ان القائل

بالسحر يقتل والقاتل بالعين لا يقتل لأن هذا ليس مما يريده ويقصده . واطال في بيان أسرار الحرف ونقل عمن لقيهم حقيقة الزايرجة .

ومن أحكامه ما لم تنقضه الأيام مثل قوله « إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته » و « ان خلق التجار نازل عن خلق الاشراف وبعيد عن المروءة » و « ان العلماء بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها » . ومن احكامه ما انتقض مثل العصبية في الدولة لا تدوم الا اربعة بطون اي مائة وعشرون سنة كما لا تدوم الثروة الا هذا القدر من السنين . ومنها غلوه في الانحاء على العرب من انهم اذا نزلوا بلداً أسرع اليه الخراب وانهم أبعد الناس عن سياسة الملك وعن الصنائع ، والغالب انه كان يقصد الأعراب سكان البوادي فهؤلاء لم يكن لهم استعداد اهل المدن والقرى لذلك نزلت الشريعة في أهل المدن وهم الذين قبلوا الدعوة أولاً ونشروها ، ودعواه ان العرب ابعد الناس عن الصنائع ينقضها ما كان للأندلسيين من الصناعات العظيمة التي أدهشت الغربيين لعهدهم وما هي الا من صنع ايدي العرب وقرائح علمائهم ومهندسيهم . ودعواه ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم من العجم غير صحيحة ذلك لأن من كان بعضهم يعدونهم من المؤلفين أعاجم على الأكثر كانت أصول اكثرهم عربية وهم نشأوا في ديار الفرس ثم ان الشعوب غير العربية التي تشرفت بالاسلام اكثر عدداً وأوسع ممالك من سكان جزيرة العرب الذين قاموا بكبر هذه الدعوة في السياسة والجندية والادارة فشغل العرب بالأمر المهم وتركوا الصنائع وما شابهها لأهل البلاد ومع هذا كان من مدنية العرب في جزيرتي صقلية والأندلس ما هو مفخرة الأزمان .

وأخطأ في قوله انه يشترط في الحاكم قلة الافراط في الذكاء ومأخذه من قصة زياد بن أبي سفيان لما عزله عمر بن الخطاب عن العراق وقوله لم عزلتني يا أمير المؤمنين ألعجز أم لخيانة ؟ فقال عمر لم أعزلك لواحدة منها ولكني كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس . فأخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس مثل زياد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص لما يتبع ذلك

من التعسف وسوء الملكة وحمل الوجود على ما ليس من طبعه ، قال وتقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لأنه افراط في الفكر كما ان البلادة افراط في الجمود والطرفان مذمومان الخ وهذا استنتاج في غير محله ذلك لأن الدول في أشد الحاجة الى الأذكياء في جميع فروع اعمالها ولولا ذكاء مشهود في رجال بني أمية ما قاموا بما قاموا به من الفتوح التي زينوها بمدنية كانت أرقى ما عرف من نوعها الى أيامهم . وقوله ان الدول اعماراً طبيعية وان الهرم اذا نزل في الدولة لا يرتفع قد جاءت الأيام بخلافه فان من دول اوربا ما هو قائم منذ قرون وكلامه هذا أخذه من مشاهداته في دول افريقية وما اليها .

خرج ابن خلدون على المألوف وما أحب مع هذا ان يجاري عوام المؤلفين في بعض أحكامهم على ساسة الأمة قديماً ولذلك قال فيه احد المعاصرين انه المدافع عن الدول والحامي عن الأفراد فهو رجل دولة يمعن النظر كثيراً في التقارير التي تعرض عليه فيستخرج منها ما لا يحسن استخراجه كل أحد وقد يعلو في اجتهاده الى درجة السمو ويكبو أحياناً . من ذلك انه هفا هفوة فظيعة لما جارى فيها عامة عصره على خرافاته فأثبت الكشف ومعرفة الغيب بما يستعظم صدوره من مثل عقله فقال وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم . قال وان الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات أمر صحيح غير منكر وان مال بعض العلماء الى انكارها فليس ذلك من الحق ! وغريب قوله وقد يوجد لبعض المتصوفة واصحاب الكرامات تأثير في أحوال العالم ليس معدوداً من جنس السحر وانما هو بالامداد الإلهي لأن طريقتهم ونحلتهم من آثار النبوة وتوابعها ولهم في المدد الإلهي حظ على قدر حالهم وايمانهم .

وبهذا التخريف أثبت انه من المحافظين مغال في صوفيته مأخوذ لمغربيته ، وكان يسعه لو لم يعتقد في هذه الخرافات اعتقاداً جازماً ان يطرح بهذا البحث عُرْض الحائط ولا يضير المقدمة في شيء بل وينقيها من العوسج والبلان . وهذه الهنات في المقدمة كانت بمثابة عوذة لها من العين وبذلك يثبت عجز البشر وتغير افكارهم بتغير القرون والأجيال .

ومما يشير الى انه من المحافظين أيضاً دفاعه عن عثمان وخصومه وعن علي وأولاده وعن يزيد وأبيه وعن الحسين وجماعته وكلهم في نظره مجتهدون وكلهم يريد خدمة الاسلام فقال : واياك ان تعود نفسك أو لسانك التعرض لأحد منهم ولا تشوش قلبك بالريب في شيء مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت فهم أولى الناس بذلك . وبهذا الكلام نزع ابن خلدون ثوب المؤرخ النقاد ولبس ثوب الواعظ القصاص أو هو يريد أن يتأدب أدب السياسي المهذب مع الجماعة لا يقول لصاحب الأمر ما يزعجه فيرضى بالحالة الحاضرة على علاتها ويحاول ان يكمّ أفواه الرعية لأنها اذا قالت فعلت وما حسب حساباً للأهواء البشرية والمطامع الدنيوية فكلهم ما أخطأوا في نظره وكأنه يزعم انهم لا دخل لاراداتهم التي خلقها الله لهم فيما قضوا وامضوا وأغرب من كل هذا قوله وأعتقد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الأمة ليقتدي كل واحد بمن يختار ! وقد قيل أي عالم لا يهفو وأي صارم لا ينبو وأي جواد لا يكبو .

مقدمة ابن خلدون هي درة تاج اعمال صاحبها ، كتب رسائل وكتباً قبلها كانت من نمط تآليف معاصريه : شرح مبهم ، وبسط موجز ، ونقل مايحسن ، وتاريخه الكبير ليس فيه من جديد الا القسم المتعلق بالعرب والبربر وا كثره منقول عن الطبري وابن الأثير اما المقدمة فهي الكتاب الذي احدث ثورة في افكار العرب وعدّ من أمهات كتب العالم ولا نعلم كتاباً علمياً ولا دينياً حاز شهرة المقدمة حاشا الكتب الستة .

ان اختلاط ابن خلدون بملوك عصره واطلاعه على اسرارهم وسياساتهم وما عاناه من أمرهم ومن ظلمهم عرف به ما يستتر في العادة عمن لا يلابسهم ولم يعمل لهم ، وتقلده الوظائف السياسية والادارية والقضائية ومعرفته رجال أكثر الأقطار ورجال كل أفق حتى مصر والشام واطلاعه على نفسية الملوك والعظماء ومنهم تيمورلنك المخرب العظيم — كل ذلك مما تفرد به ولم يتيسر لغيره اضف الى هذا ذاك الذكاء البراق والأحكام الصحيحة التي خص بها دون سائر معاصريه حتى لقد ترجم له صنوه وصديقه لسان الدين بن الخطيب بأنه متقدم في فنون عقلية ونقلية وفخر من مفاخر الغرب قال هذا وابن خلدون في حد الكهولة فماذا كان يقول فيه بعد ان نضج في كل شيء ، لا جرم انه يقول انه مفخرة الغرب والشرق والاسلام والعرب .

ولنا ان ندعي بعد كل هذا ان ابن خلدون كان في تاريخه الكبير محافظاً كسائر من تقدمه وفي المقدمة حراً لأنه صاغها من علم واسع تخمر في قلبه وتقلب في صدره ثم أبرزها في خمسة أشهر في هذه الحلة العجيبة .

ويقضي الانصاف بأن نسلك ابن خلدون في سلك المجددين والمصلحين . ولما فوض اليه منصب الكتابة في الدولة وهو في أول العقد الثالث من عمره صدرت الكتب عن ديوانه خالية من السجع فاستغرب أهل الدولة هذا واتبعوه في طريقته ، وكانت الدول الاسلامية لا يصدر عنها في تلك العصور الا المسجع والمزدوج . وعلى هذه الطريقة سار في مقدمته فأبدع وأفاد ، ولو خلت من الاسجاع المتكلفة في فاتحتها لجاءت كلها كالعقد الثمين خرج من يد صائغ ماهر . وكان ابن خلدون ينظم الشعر وشعره منحط عن نثره بكثير قال انه تخدشت ملكته فيه بما حفظ من المتون المنظومة بالشعر والفقه والقراآت وغيرها . وكان يحفظ القرآن وشيئاً من كلام العرب وشعرائهم لكنه لم يكثر من الحفظ لأنه يقول ان الحفظ عائق عن التفكير فاختار هو طريقاً وسطاً . اسم ابن خلدون يخلد بمقدمته ففيها كل ابداعه .

محمد كرد علي

نفائس المخطوطات العربية

في

خزانة مدرسة اسپهسالار بطهران

— ١ —

في سنة ١٢٩٧ هجرية قمرية شرع الأمير الكبير المرحوم الحاج ميرزا حسين خان اسپهسالار الصدر الأعظم، والذي كان سفيراً لبلاده لدى البلاط العثماني، بعد عودته من تلك الديار ببناء مسجد ومدرسة عظيمين في العاصمة ـ طهران ـ ولما ان أتم بناء المسجد والمدرسة التي أراد ان يجعل منها معهداً عالياً للدراسات الاسلامية شرع في تزويد خزانة كتبها بالمخطوطات والمطبوعات القيمة . وقد جمع عدداً من الكتب القيمة في موضوعاتها أو في خطوطها وتذهيبها وتصويرها وتجليدها .

وقد كان رحمه الله محباً للعلم وأهله غيوراً على الدين وعلومه ولذلك كان يحلم بأن يجعل من مدرسته، العظيمة في بنائها وزخارفها، معهداً عالياً يضارع الأزهر الشريف أو مدرسة القرويين تحفظ التراث العلمي من عقلي ونقلي وأدب ولكنه لم يوفق الى اتمام غرضه فقد انتقل الى جوار ربه بعد ان تم البناء ووقف له الوقوف الضخمة وزود المدرسة بالكتب والنفائس الكثيرة . وقد ظلت هذه المدرسة خالية مما قصد اليه واقتصر القائمون عليها من بعده على جعلها مقراً للعبادة فقط ثم رؤي افتتاحها مدرسة على الغرض الذي بنيت له ففتحت مدرسة دينية ولكنها لم تكن كما أراد واقفها بل كغيرها من المدارس الاسلامية القديمة التي يدخلها الطالب فلا يجد فيها نظاماً ولا برامج وانما يدرس ما يشاء ويتعلم كما يشاء .

فلما كانت سنة ١٣١٣ هـ . ش . صدرت ارادة شاهانية بتأسيس « كلية المعقول والمنقول » التابعة لجامعة طهران، وكان ذلك على الوزير العالم الذي ارتقت

وزارة المعارف في عهده وهو السيد علي أصغر حكمت ، وافتتحت المدرسة رسمياً منذ ذلك الحين على أسس حديثة حكيمة ، وصارت منذ ذلك التاريخ مقراً لمن يريد من طلاب الجامعة التخصص في العلوم الاسلامية من فقه وأصول وحديث وتفسير وحكمة وعرفان وأدب وفق الأنظمة والقوانين التي وضعت لها وبارشاد أفاضل الأساتذة الذين عهد اليهم أمر التدريس والاشراف عليها .

وقد زرت هذه الكلية واستمعت الى بعض دروسها فأعجبت بنشاط الطلاب وغيرتهم على الثقافة الاسلامية والتراث الديني التليد ، وحبذا لو سار الأساتذة على نهج حديث واتصلوا بالقائمين بالأمر في جامعة الأزهر للعمل على توحيد البرامج وتقريب شمل الدارسين والمدرسين والعمل على توحيد الصفوف .

في هذه المدرسة أو الكلية اليوم مكتبة جد قيمة وضع نواة شجرتها المرحوم واقفها الاسپهسالار نفسه كما رأينا ، ثم زاد في كتبها المرحوم اعتضاد السلطنة المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ . ق الذي كان وزيراً للمعارف والذي أهداها عدداً من الكتب وبخاصة الكتب الرياضية فقد كان من الرياضيين الأفذاذ ولما مات السيد اعتضاد اشترى القائمون على وقفها كتب اعتضاد السلطنة جميعها وأضافوها الى الخزانة فغدت من أغنى خزائن طهران كتباً رياضية .

ولم تزد كتب الدار عن (٤١٦) كتاباً – على الرغم من تخصيص الواقف مبلغاً لهذا الغرض – منذ ذلك الحين الى عهد السيد علي اصغر – أي خلال خمسين سنة – فلما جاء السيد علي أصغر اعتنى بها وزاد في كتبها فبلغت (٥٣٢) كتاباً ما بين مخطوط ومطبوع . ثم أخذت الهدايا تتوارد عليها وأخذ القائمون عليها يزيدون في كتبها حتى بلغت في الأيام الأخيرة (٤٣٠١) كتاباً ، يدخل في جملتها (٢٩٤) كتاباً نقلت من احدى مدارس طهران القديمة المندثرة وهي مدرسة قنبر علي خان سعد الدولة ، و (٢١٩) كتاباً نقلت من « مدرسة صدر » احدى مدارس طهران القديمة التي آلت الى الاندثار . ويذكر

الثقات انه قد كان في هاتين المدرستين عدد عظيم من الكتب القيمة ولكنها عبثت بها الأيدي وتفرقت . وممن اهدوا الى خزانة المدرسة الاسپهسالارية كتباً تذكر المرحوم مشير السلطنة احمد خان في سنة ١٣٢٢ هـ. ق ، والمرحوم الشيخ مصطفى فيروز كوهي، والسيد محسن الأمين العاملي المجتهد الأكبر في بلاد الشام وعضو المجمع العلمي العربي ، والسيد العالم الأجل هبة الدين الشهرستاني وغيرهم .

ولما وقعت الفتنة في طهران ايام محمد علي شاه التاجاري سنة ١٣٢٥هـ. ق بين المجلس النيابي والبلاط وقامت في طهران ثورة عظيمة أصيبت خزانة المدرسة بكثير من الكتب كما سرق منها كثير من النفائس .

والأمل معقود في هذه الأيام على متولي المدرسة وأوقافها السيد ظهير الاسلام في ان يزود خزانة الدار ببعض المخطوطات القديمة والمطبوعات الحديثة . فانها ، على الرغم مما فيها من النفائس ، قليلة الكتب محددة النواحي .

ولهذه الخزانة اليوم فهرست مطبوع في مجلدين أشرف عليهما العالم الفاضل السيد ضياء الدين بن الحاج الشيخ يوسف حدائق الشيرازي المعروف بابن يوسف شيرازي ، وبضياء حدائق . وهو من الأفاضل الذين تخرجوا من هذه المدرسة قديماً وقد ذكر في صدر الجزء ما تعريبه «انا المؤلف ضياء الدين .. من خريجي الدور الأول لهذه الكلية ، أمرني وزير المعارف علي اصغر حكمت ان أرتب فهرساً جامعاً لمكتبة اسپهسالار ، على انني ما كنت أراني أهلاً لهذا الأمر وكنت في ذلك الحين مشتغلاً بالتحصيل ، فرأيت من الأدب امتثال امره العالي وتوكلت على الله وشرعت في ترتيب الفهرس المشتمل ، على سبعة اقسام من المخطوطات الفارسية والعربية لهذه المكتبة ، وتمكنت من اتمام العمل على الرغم من الصعوبات الجمة والمشاكل الكثيرة وعدم وجود فهارس كاملة جامعة لمكاتب ايران او المكاتب العالمية الأخرى التي تيسر العمل وتعرف بالكتاب .

الجزء الأول من الفهرس : طبع الجزء الأول من الفهرس في طهران من سنة ١٣١٣ الى سنة ١٣١٥هـ. ش . في (٧٠٠) صفحة وصدره بمقدمة عن

تاريخ المدرسة والمكتبة اقتبسنا منها بعض ما قدمناه آنفاً ، ثم ذكر ثبت الكتب التي رجع اليها ومن بينها بعض المخطوطات القيمة ، مثل كتاب العلامة المؤرخ المعاصر ابي القاسم سحاب ، المسمى «دانشكوه رجال» ، وروضة الشهداء لملا حسين كاشفي المتوفى سنة ٩١٠هـ . ثم أخذ في وصف المخطوطات هكذا :

(١) المصاحف

(٢) الأدعية والأذكار

(٣) التفاسير

(٤) علوم القرآن

(٥) الحديث وشروحه وترجمته

(٦) الفقه

(٧) أصول الفقه

وختم الجزء بفهرس للأعلام وفهرس مفصل للكتب .

أما الجزء الثاني فقد طبع من سنة ١٣١٦ الى سنة ١٣١٨ وهو في ٧٩٦ صحيفة وقد اشتمل على وصف كتب الفنون الآتية :

(١) الخطب والمنشآت	من رقم	(١)	الى رقم (١٥٩)
(٢) اللغة والمعاجم	« «	(١٦٠)	« « (٣٠٢)
(٣) النحو والصرف	« «	(٣٠٣)	« « (٤٠٠)
(٤) كتب علوم البلاغة	« «	(٤٠١)	« « (٤٣٥)
(٥) « العروض والقوافي	« «	(٤٣٦)	« « (٤٥١)
(٦) « الشعر والدواوين	« «	(٤٥٢)	« « (٧٠٥)

ويلي ذلك فهرس للأماكن وثان للكتب المتفرقة ، وثالث للأعلام ورابع لكتب هذا المجلد .

وقد سلك في فهرسته هذا مسلكاً حسناً فوفى كل كتاب حقه ، ولكنه

أطال في ذكر بعض الأشياء المعلومة وفي التراجم حتى للمشهورين ، ولم يكتب بروح علمية خالصة بل حمل بعض حملات على بعض كبار مؤلفي السنة . والفهرس مع ذلك من الفهارس العلمية التي كان لها أثر كبير في تبين محتويات ذخائر الأعلاق المحفوظة في خزائن ايران . وقد كان خير معين لنا في أعمالنا العلمية وبحوثنا في الكتب . وبخاصة في كتابتنا لهذا المقال حول بعض مخطوطات الخزانة القيمة . فللسيد حدائق شكرنا وتقديرنا .

(ا) تفسير القرآن المجيد وعلومه

١ — تفسير القرآن العظيم

منسوب للامام الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي بن موسى (٢٣١ — ٢٦٠)[١]

والنسخة حسنة أولها « بسمله الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً وبعد قال محمد بن علي بن محمد بن جعفر بن رقاق حدثني الشيخان ... » وهي مخرومة الآخر بلغ فيها الى تفسير قوله سبحانه في سورة البقرة « ولا يأبَ الشهداء اذا ما دعوا » وهو تفسير تغلب عليه النزعة الشيعية ولعله لبعض علمائهم والنسخة مكتوبة بخط نسخي جيد سنة ١٢٦٦ ﻫ وعدد صفحاتها ٢٩٣ (في ٢٢ × ١٤ سنت) ورقمها (١٩٩٧) وفي الخزانة نسخة أخرى رقمها (١٩٩٨) وعدد أوراقها (١٧٤) في ٢٤ ١/٢ × ١٥ سنت .

٢ — تفسير غرر المعاني

لزين الأئمة ابي العباس احمد بن محمد بن علي بن الحسين بن دينويه الذي كان حياً في سنة ٥٠٨ ﻫ فقد كتب على الورقة الأولى من الكتاب « غرر المعاني صنعة الشيخ الامام زين الأئمة ابي العباس احمد بن محمد بن علي بن الحسين ابن دينويه حرسه الله » وفي آخر النسخة « كتبه الفقير الى رحمة الله علي بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن اسعونه (?) الرحبي بخط يده لنفسه

(١) انظر اخباره في ابن خلكان ١ : ١٣٥ وروضات الأئمة ص ١٥٨

في شهور سنة ثمان وخمسمائة حامداً لله وحده وصلواته على نبيه محمد وآله» ، والنسخة تشتمل على تفسير القرآن من أوله الى سورة الكهف وهي في ٣٦٦ ورقة (٢٢ ١/٢ × ١٤ ١/٢ سنت) ورقمها ٢٠١٢ .

٣ — كتاب وقوف القرآن الكريم

لمحمد بن طيفور ابي يزيد السجاوندي الغزنوي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ [(١)] والنسخة مخرومة الأول تبدأ هكذا «آمن السفهاء ط ، لايعلمون آمنا ج ص شياطينهم لا ...» والنسخة في ٩٦ ورقة (١٩ × ١١ ١/٢ سنت) ورقمها ٢٠١٤ .

٤ — تفسير آيات الأحكام المسمى كنز العرفان في تفسير فقه القرآن للمقداد بن الجلال عبد الله بن محمد السيوري الأسدي المتوفى حوالي سنة ٨٠٠ هـ [(٢)] . وكان من فقهاء الشيعة ومتكلميهم الكبار وله عندهم كتب معتبرة أشهرها نهج المسترشدين ، وشرح فصول نصير الدين الطوسي ، واللوامع الالهية في المباحث الكلامية .

والنسخة حسنة جداً مكتوبة بقلم نسخي في سنة ١٠٢٢ في ٢٦٠ ورقة (٢٥ ١/٢ × ١٦ سنت) وقد طبعت بطهران سنة ١٣١٣ . وفي خزانتنا نسخة منها .

٥ — تفسير آيات الأحكام

للميرزا فخر الدين محمد بن علي بن ابراهيم الحسيني الاسترابادي المتوفى سنة ١٠٢٨ [(٣)] وكان من كبار رجال الشيعة المتأخرين ومحدثيهم الف ثلاثة كتب في الرجال ؛ كبير ووسيط وصغير ، ولم يبق منها الا «منهج المقال في تحقيق احوال الرجال» وقد طبع مختصره لمحمد بن اسماعيل في النجف سنة ١٣٠٢ ، وكتاب تلخيص المقال في تحقيق أحوال الرجال .

والنسخة مخرومة من أولها وآخرها هكذا «... ولنختم الكلام حامدين لله على جميل احسانه ... فرغ من تسويده مؤلفه العبد المفتقر الى رحمة ربه الهادي

(١) انظر بروكلمان ١ : ٤٠٨ والذيل ١ : ٧٢٤ وطبقات الشعراء لابن الجزري ٢ : ١٥٧

(٢) انظر بروكلمان ٢:١٩٩ والذيل ٢ : ٢٠٩ (٣) بروكلمان ٢:٣٨٥ والذيل ٢:٥٢٠

محمد بن علي بن ابراهيم الاسترابادي تغمدهم الله بغفرانه وأسكنهم بحبوحة جنانه ...
في آخر نهار الثلثاء سابع عشر شهر صفر ختم بالخير والظفر حامداً مصلياً . ورقمها (٣٧) .

٦ — تفسير آيات الأحكام المسمى زبن البنيان في براهين احكام القرآن
للشيخ احمد بن محمد الاردبيلي (— ٩٩٣) وكان كبار علماء الشيعة الامامية معاصراً للشاه عباس وكان يقربه ويحترمه . وقد أتم تأليف كتابه هذا سنة ٩٨٩ وسلك فيه مسلك الفقهاء في كتبهم فبدأ بتفسير الفاتحة وأوله « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله اجمعين وبعد فاعلم ان ههنا فوائد ... »

والنسخة مكتوبة بقلم نسخي حسن كتبها سيد قاسم بن ميرك سنة ١٠٣٣ في ٢٣٨ ورقة (٣٠ × ١٧ سنت) ورقمها ٢٠٤٩ .

وفي المكتبة نسخ أخرى أرقامها ٢٠٤٨ ، ٢٠٥٠ ، ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢

(ب) الكتب المذهبية

٧ — (انتصار الشيعة) او (الانتصار)

للشريف المرتضى ذي المجدين ابي القاسم علي بن الحسين (٣٥٥ — ٤٣٦) [1] .
وهو اخو الشريف الرضي وقد كان مؤلفاً وشاعراً وقدبقي ديوانه ولما يطبع بعد ومنه نسخ في ايران .

وكتاب الانتصار هذا من أمهات كتب الفقه عند الامامية وقد طبع عدة مرات في ايران والنجف . وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخي نفيس جداً عدد أوراقها ٢٦٣ (٢١ × ١١ سنت) ورقمها ٢٣٠٢ .

٨ — الاختصاص

لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري الحارثي البغدادي الملقب بالشيخ المفيد بن المعلم (— ٤١٣) وهو معتمد عند الشيعة وله آثار كثيرة بقي منها الرسالة المقنعة وقد طبعت بتبريز ، والمجالس ، والارشاد في

(١) انظر بروكلمان الذيل ١ : ٧٠٤

معرفة حجج الله على العباد وهو في تاريخ الأئمة وقد طبع بطهران والنكت الاعتقادية وقد طبع ببغداد، وخلاصة الايجاز في أحكام المتعة، وكتاب تصحيح اعتقاد الامامة، وحرب الجمل .

وكتاب الاختصاص هذا كتاب جامع لكثير من الأخبار الشيعية والخطب والقصص وأوله «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر ....» وهي مكتوبة بخط نسخي سنة ١١١٨ بخط احمد بن عبد الله ابن احمد البحراني في ٨٥ ورقة (٢٨١/٢ × ١٨ سنت) ورقمه ١٨٧٢ .

٩ — الألفية في فرض الصلاة اليومية

لشمس الدين ابي عبد الله محمد بن جمال الدين مكي النبطي العاملي الجزّي الملقب بالشهيد الأول والشيخ الأول (٧٣٤ — ٧٨٢/٧٨٦)[1] كان من كبار محدثيهم ومجتهديهم وقد جرت بينه وبين الامام ابن جماعة مناظرات كثيرة . وله آثار في الفقه والأصول والعقليات بقي منها : اللمعة الدمشقية في أحوال الأئمة الاثني عشر وقد شرحها زين الدين بن علي العاملي الملقب بالشهيد الثاني وطبعت مرات وهناك شروح كثيرة عليها ذكرها بروكلمان ومن كتبه : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، والدروس الشرعية في احكام الامامية، وغاية المراد في شرح الارشاد .

والالفية كتاب فيه الف مسألة تتعلق بالصلاة وقد شرحها جماعة منهم الشهيد الثاني وعز الدين بن الحسين والد البهاء العاملي، ومحمد بن النظام الاسترابادي . وقد طبعت مرات . والنسخة الموجودة نسخة جد نفيسة عليها تعليقات قيمة في ٤٦ ورقة ١٣١/٢ × ٩١/٢ سنت) ورقمها ٢٥٢٥ .

١٠ — ارشاد الأذهان

لجمال الدين الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن المطهر الحلي

---

(١) انظر روضات الجنات ص ٦١٧ وأمل الآمل ص ٣٠ وابن يوسف الشيرازي ١ :٣٥٨ وبروكلمان ٢ : ١٠٨ والذيل ٢ : ١٣١ .

آية الله (٦٤٨ — ٧٢٦ ﻫ) من كبار رجالاتهم المشهورين ومؤلفيهم المعتبرين ومن آثاره الباقية نظم البراهين في أصول الدين، ارشاد الأذهان الى احكام الامام، قواعد الاحكام في معرفة الحلال والحرام، نهج الحق وكشف الصدق، منهاج الكرامة في معرفة الامامة، منهاج اليقين في أصول الدين، تهذيب الوصول الى علم الأصول، تحرير الأحكام الشرعية وغيرها، والارشاد من أمهات كتبهم وعليه نحو من عشرين شرحاً والنسخة مكتوبة بخط نسخي جيد سنة ٩٣٥ بقلم علي بن احمد بن محمد الغراري وفي آخرها اجازة بخط البهاء العاملي سنة ١٠٢٥ وهي في ٣٢٦ ورقة (٣٠ × ٢٠) ورقمها ٢٤٦٩.

١١ — الوافي في الفقه

لمحمد بن مرتضى بن شاه محمود الكاشاني المشهور بملا محسن فيض (١٠٠٧— ١٠٩١) وكان من كبار رجال الشيعة المتأخرين تلقى عن الملا صدرا وله آثار في الفقه والحديث والحكمة والأدب. ومن آثاره الباقية الكلمات المكنونة في علوم اهل الحكمة والمعرفة وأقوالهم، الصافي في تفسير كلام الله الوافي وقد طبع بطهران سنة ١٢٤٤، مفتاح الشريعة وعليه عدة شروح واحواش بالعربية والفارسية ومفتاح الأحكام، ونور الأنوار، الكافي في الفقه، تقويم المحسنين في معرفة الساعات والأيام والشهور، من لا يحضره الفقيه وهو من أمهات كتبهم الفقهية [1].

وكتاب الوافي في الفقه معتمد عندهم انتقى فصوله من كتابيه الكافي ومن لايحضره الفقيه ومن التهذيب والاستبصار للطوسي، وهو في خمس عشرة مجلدة كبيرة أتمه سنة ١٠٦٧ والنسخ كثيرة من هذا الكتاب وأرقامها من ١٩٢٩ — ١٩٣٧.

١٢ — الكافي في علم الدين

لمحمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي (— ٣٢٨) كان من كبار محدثي

(١) انظر أخباره في سلافة العصر لابن معصوم ٤٩٩، وأمل الآمل ٦٨ وروضات الجنات ٥٤٢ وبروكلمان ٢: ٤٠٦ والذيل ٢: ٥٨٤

الشيعة ومؤلفيهم الموثوقين ومن آثاره كتاب الرسائل ، والرد على القرامطة ، وتعبير الرؤيا ولم يبق منها الا الكافي . وعليه عدة شروح وحواش وأفضلها شرح الملا صدرا[1]

وكتاب الكافي هو أحد الكتب الأربعة المعتبرة في الدرجة الأولى عند الشيعة والثلاثة الأخرى كتابا التهذيب والاستبصار للطوسي ، وكتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق بن بابويه محمد بن علي القمي . وهم يروون عبارة عن ابي الحسن علي بن محمد السمري قالها فيه وهي «الكافي كاف لشيعتنا» وهو مؤلف من ثلاثة أقسام (١) الأصول ويشتمل على كتب العقل والجهل ، والتوحيد والحجة والايمان والكفر والدعاء وفضل القرآن (٢) الفروع ويشتمل على كتب الطهارة والحيض والجنائز والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والمعيشة والتجارة والنكاح والعقيقة والطلاق والعتق والتدبير والكتابة والصيد والذبائح والأطعمة والأشربة والتجمل والدواجن والوصايا والفرائض والمواريث والحدود والديات والشهادات والايمان والنذور والكفارات (٣) الروضه وتشتمل على احكام الخمس والكتاب مشتمل على ١٦١٩٩ حديثاً .

ومن هذا الكتاب نسخ في الخزانة أرقامها ١٧٠١ ، ١٧٠٣ ، ١٧٠٥ ، ١٧٠٦ ، ١٧٠٧ ، ١٧١٨ ، ١٧١٩ .

١٣ — تهذيب الأحكام

لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي ابي جعفر وهو رئيس الامامية وعظيم القدر عندهم وكان عارفاً بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب وله تصانيف في كل الفنون وهو الذي هذب المذهب في الأصول والفروع . وهو تلميذ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٨٥ — ٤٦٠) ودفن بالمشهد الغروي[2] والكتاب أحد كتبهم الأربعة الموثقة ويليها في الاعتبار : الوافي ، والوسائل وبحار الأنوار ، ومستدرك الوسائل .

---

(١) أنظر انساب السمعاني ٤٨٦ ، والروضات ٥٥ وبروكلمان ١ : ١٨٧ والذيل ١ : ٣٢٠ .

(٢) انظر اخباره في نقد الرجال للتفرشي ص ٣٥١ وابن يوسف الشيرازي في فهرس سبهسالار ١ : ٢٣٦ .

وقد طبع الكتاب مرات في طهران والنسخ كثيرة من هذا الكتاب ارقامها ٢٤٣٥ ، ٣٣٥٧ ، ٢٤٣١ ، ٢٤٣٣ ، ٢٤٣٢ ، ٢٤٣٤ ، ٣٣٥١ .

١٤ — بحار الأنوار

لمحمد باقر بن محمد تقي بن مقصود بن علي الملقب بالأكمل المجلسي الاصفهاني (١٠٣٧ — ١١١٠) كان من كبار مؤلفيهم وفضلائهم المتأخرين ومن آثاره الباقية مرآة العقول في شرح أخبار الرسول ، وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، رسالة في القياس ، زاد المعاد ، رسالة في الأمداد والأرطال وتسمى ميزان المقادير . وقد طبعت في بمبي سنة ١٣٠٨ ، وكتاب سؤالات المأمون من الرضى عن بعض آي القرآن ، وخلاصة المقال في اسماء الرجال وقد طبع في ايران سنة ١٣١٥ ، واللآلي الاعتقادية .

وبحار الأنوار هذا في ٢٦ مجلداً كبيراً وقد اختصره نور الدين محمد بن محمد الكاشي وسماه درر البحار وقد طبع في ايران سنة ١٣٠١ . كما اختصره آخرون وترجموه الى الفارسية ورقم النسخة ١٧٧٨ . وفي الخزانة عدة نسخ أخرى .

١٥ — الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار

لشيخ الطائفة مؤلف تهذيب الأحكام (انظر رقم ١٣)

وهو مختصر كتابه « التهذيب » والنسخة حسنة كتبها علي بن محمد الحلي بقلم نسخي وسط سنة ١٠٣٩ . وعدد أوراقها (٣٣٢) في ٢٦×٢٠ سنت ورقها ١٩٠٠ .

١٦ — اكمال الدراية واتمام النعمة ويسمى أيضاً كمال الدين وتمام النعمة

للشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (— ٣٨١) كان من كبار محدثيهم ومشاهير مؤلفيهم وفقهائهم المعتبرين وكان ناقداً للأخبار والرجال ولم ير في القميين مثله في حفظه وضبطه وله نحو من ثلاثمائة مصنف في الدين والتاريخ وقد احصاها صاحب الروضات من ص ٥٥٧ الى ص ٦٦٠ كما ذكر بعضها صاحب أمل الآمل . وقد استدعاه ركن الدولة الديلمي الى حضرته

وحضر مجالسه ومناظراته . وقد بقي من كتبه : معاني الأخبار أو جامع الأخبار ، مجالس المواعظ في الحديث ، عيون أخبار الرضى ، ومن لا يحضره الفقيه [1] والاعتقادات الامامية ، مناظراته مع ركن الدولة ، كتاب الخصال ، ثواب الأعمال ، المقنع وأكثرها طبع .

وكتاب اكمال البداية في الغيبة وأخبارها وما ورد في الأخبار الصحيحة عن المنتظر . والنسخة مكتوبة بقلم نستعليق حسن سنة ١٠٨٠ في ٢٧٦ ورقة (٢٣ × ١٥ سنت) ورقمها ١٨٣٣ .

١٧ — مصباح المجتهد لشيخ الطائفة مؤلف التهذيب والاستبصار (انظر رقم ١٥٦١٣)

وهو من كتب الشيعة المعتبرة أيضاً فصل فيه أعمال اليوم والليلة وأثبته بالآيات والأحاديث والآثار وأوله « الحمد لله ولي الحمد ومستحقه وصلى الله على خيرته من خلقه محمد وآله الطاهرين .... » وقد اختصره المؤلف

وقد طبع الكتاب عن نسخة جيدة مؤرخة سنة ٥٠٢ في طهران سنة ١٣٣٨ . والنسخة حسنة الخط مضبوطة ورقمها ١٠٣٥ وفي الخزانة نسخة أخرى رقمها ١٠٣٦ .

١٨ — الدروس او الدروس الشرعية في احكام الامامية

للشهيد الأول (انظر رقم ٩)

وهو من أجمع كتبهم في الفقه ومنه نسخة بخط المؤلف في المكتبة الفاضلية بخراسان كما هو مذكور في فهرست هذه المكتبة ص ١٠٥ . وللكتاب شروح ثلاثة (١) للشيخ الجواد بن سعيد تلميذ البهاء العاملي (٢) للميرزا محمد مهدي بن آية الله الموسوي الاصفهاني (٣) لحسين الخونساري وقد طبع هذا الشرح في طهران سنة ١٣١١ .

---

(١) أول من ألف كتابا باسم « من لا يحضر » هو الطبيب محمد بن زكريا الرازي الذي ألف « من لا يحضره الطبيب » كما ذكر ذلك الصدوق في مقدمة كتابه « من لا يحضره الفقيه » ثم ألف البهاء العاملي « من لا يحضره الامام » ثم ألف عبد الله الماهيجي « من لا يحضره النبيه » شرح من لا يحضره الفقيه . ثم الف مولانا محسن فيض كتاب « من لا يحضره التقويم » .

والنسخة حسنة في ١٩٥ ورقة (٢٦ × ٢٠ سنت) رقمها ٢٠٣٥ .

١٩ — كشف الغمة في معرفة الأئمة

لأبي الحسن بهاء الدين علي بن عيسى بن فخر الدين ابي الفتح الاربلي (— ٦٩٢) كان من فضلائهم ومحدثيهم تلقى عن رضي الدين طاوس وعبد الحميد جلال الدين الموسوي وغيرهم من علماء السنة والشيعة [1] ومن آثاره رسالة في الطيف ، وديوان شعر ، ومجموعة قصائد في مدائح أهل البيت الأطهار .

وكتاب الكشف هذا في أحوال الرسول عليه الصلاة والسلام وأخبار فاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر ومناقبهم وكراماتهم .

والنسخة في ٢٢٢ ورقة (٢٨½ × ١٨½) ورقمها ١٩٠٣ .

٢٠ — الأنوار لأعمال الأبرار

لجمال الدين يوسف بن عز الدين ابرهيم الأردبيلي الشافعي (— ٧٧٦/٧٩٩) [2] .

كان من فضلاء الشافعية وكتابه هذا من أمهات كتبهم المعتبرة المتداولة وعليه شروح وحواش مهمة ومشهورة أوله « الحمد لله الحميد المجيد المبدئ المعيد ... » والنسخة جيدة كتبها ابو الفضل بن عبد الله بن يحيى بن المؤيد سنة ٩٠١ وهي تشتمل على النصف الثاني من الكتاب تبدأ بكتاب الصلح وتنتهي بآخر الكتاب وعدد أوراقها (٣٨٠) (٢٥ × ١٧) ورقمها ٢٣٨٠ .

يتبع : (طهران) اسعد طلس

---

(١) انظر فوات الوفيات وروضات الجنات ص ٣٩٧ وأمل الآمل ص ٥٤ وابن يوسف الشيرازي في الفهرست ١ : ٢٩٧ (٢) اضبارة في كشف الظنون ١ : ١٦٧ وطبقات السبكي وابن يوسف الشيرازي الفهرست ١ : ٣٦٦ وبروكلمان ٢ : ١٩٩ والذيل ٢ : ١٧١ .

كتاب روضة الفصاحة

تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل زين الدين محمد بن أبي بكر
ابن عبد القادر الرازي الحنفي تغمده الله برحمته ورضي عنه آمين

هذه هي العبارة المحررة في أول صفحة من هذا المخطوط الصغير الحجم المحفوظ في مكتبة مسجد احمد باشا الجزار في مدينة عكا من أعمال فلسطين وقياس هذه المخطوطة ٢/١ ٧ × ٢/١ ٥ من السانتيمترات . وفي كل صفحة منها ١٩ سطراً وفي كل سطر ١١ كلمة أو أقل . وقد سطت الأرضة على صفحات الكتاب فقرضت منها ما شاءت ان تقرض حتى ضاعت بعض الكلمات . وقد جاء في أوّله :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال الامام العالم الفصيح جمال الأدباء زين البلغاء محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي تغمده الله برحمته ورضوانه

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان وأرهف سيف .. الكتاب وزين سنان لسانه بفصل الخطاب وفتح ببيان بيانه معاقل البلاغة وحصونها وذلل سهولها وحزونها وأبرز له الدر المكنون من لجة بحرها .. الى نظم العقود بحل العقد من نفثات سحرها وأعطاه من العقل محلّ النقد وألقى اليه زمام الحل والعقد ونصب له معيار التمييز ليفصل به الخبث والابريز واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تطابقت في العذوبة والصفاء موارد اخلاصها وتسابقت الى منازل القبول نجائب فلاحها واشهد ان محمداً عبده المنتقى ورسوله المنتخب صلى الله عليه وعلى آله مفاتيح الحكم ومصابيح الظلم ما اهتزّت سمر الرماح واعتزّت بيض الصفاح .

وبعد فلما كان علم البيان الذي يسميه بعض المتأخرين صناعة البديع في وجنة علم الأدب كالخَفَر وفي مقلته كالحَوَر وفي عرنينه كالشمم وفي ديباجته كالعلم وفي ثغره كاللعس وفي حه كالقبس لكونه العلم الذي أصبح لخزائن اسرار القرآن العزيز مفتاحا ولسالكيه نجماً هادياً ومصباحا وهو الطريق الواضح الى معرفة بدائع اعجازه وبلاغة ايجازه وهو محك نقد الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب الذي لا خلاف في انه كان في ميدانهم اذا تجاروا في مضمار الفصاحة والبيان وتنازعوا فيها قصب الرهان ولولاه لم ترَ لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدر وينفث السحر ولولاه لأظلمت آفاق البلاغة واستمر السرار بأهلتها واستولى الخفاء على تفصيلها وجملتها فليس في فنون الأدب فن هو أرسخ أصلاً وأبسق فرعاً وأحلى جنى وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً به يتميز بين ضعيف الكلام ومتينه وغثه وسمينه ولُجينه ولَجينه [1] وهجانه وهجينه [2] ومستملحه ومستقبحه ومستحسنه ومستهجنه فهو العلم الذي تمت حسناته ودلت على اعجازه سوره وآياته . وكأن الناس قد ألقوا الواحه وأطفأوا مصباحه ودرسوا معالمه وطمسوا مراسمه حتى ان اكثرهم لا يفرق بين اسمه ومسماه ولا يميز بين حقيقة لفظه ومعناه .

أحببت ان اصنع فيه مختصراً مسمى «روضة الفصاحة» جامعاً بين الايجاز المعجز والاعجاز الموجز والأمثلة الفائقة والأشعار الرائقة والعبارات الرشيقة والاشارات الدقيقة لم يوضع مثله في شرف نثره ونظمه على صغر قدره وحجمه ليكون سبباً لاحياء معالم هذا العلم ورسومه ووسيلة الى اظهار مضمره ومكتومه والله المسئول ان ينتفع به طالبه ويسامحني بما وقع من الخطأ والزلل فيه بفضله وكرمه .

---

(١) الأُجين الفضة واللجين الوسخ وأصلها اللجن .

(٢) الهجان الخيار والرجل الحسيب والهجين اللئيم .

فصل : في معنى الفصاحة والبلاغة والوجازة والبيان

اعلم ان اكثر العلماء لا يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الاسمين المترادفين على اسم واحد ومنهم الجوهري فانه سوى في الصحاح بين البلاغة والفصاحة والبيان وجعل الكلام القصير هو الوجيز .

وقال بعض البلغاء البلاغة حسن معاني الكلام والفصاحة حسن الفاظه وعذوبتها .

وللعلماء في الفرق بين هذه الألفاظ الأربعة كلام طويل لا يحله هذا المختصر وأحسن ما قيل فيه ان الفصاحة خلوص الكلام عن التعقيد ومنه قولهم فصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة قال الشاعر :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح

وليست الفصاحة عند المدققين من اربابها والمحققين من اصحابها استعمال اللفظ الذي لا يفهم والغريب الذي لا يعلم والبلاغة ان يبلغ الرجل بعبارته حقيقة ما في قلبه مع الايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال والبيان قريب من الفصاحة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «ان من البيان لسحراً» .

والايجاز التعبير عن المعنى بأقل ما يمكن وهو على قسمين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر هو تقليل اللفظ وتكثير المعنى مثاله قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ : فاصدع بما تؤمر فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع معاني الرسالة .

وقوله تعالى : خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذه الكلمات جمعت مكارم الأخلاق .

وقوله تعالى : مدهامتان معناه مسودتان من شدة الخضرة

〃 〃 : لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان تحت ذلك أشياء كثيرة

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : استعينوا على أموركم بالكتمان

وقوله عليه الصلاة والسلام : دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان تحت كل واحد من هذه الأحاديث الثلاثة معاني كثيرة وفوائد غزيرة

والايجاز الحذف هو الاستغناء بالمذكور عما لا يذكر مثاله قوله تعالى : ولكنّ البرّ من اتقى وقوله تعالى : واسأل القرية معناه واسأل أهل القرية وقوله تعالى : وآتنا ماوعدتنا على رسلك أي على ألسنة رسلك .

« « : ولو أن قرآناً سيرت به الجبال وقطعت به الأرض او كلّم به الموتى ، معناه لكان هذا القرآن فحذف جواب لو .

وقوله تعالى : أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، معناه أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبه خيراً ممن هو ليس كذلك قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فحذف الخبر الأول وهمزة الاستفهام والمبتدأ والخبر الثاني وهذا أبلغ ما يكون من الايجاز وهذا القسم كثير في كلام الله تعالى وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام وانما يحسن ذلك اذا دلّ الدليل عليه .

فصل

اعلم ان أشرف فنون هذا العلم واعلاها عشر فنون وهي :

التشبيه ، والاستعارة ، والتورية ، والتناسب ، والتأكيد ، والتضمين ، والاقتباس ، وعكس الجمل ، والقلب ، والتجنيس . ثم يأخذ المؤلف بتعريف هذه الفنون في اللغة والاصطلاح ويأتي بالشواهد من أشعار الفحول بايجاز معجز حقاً ويحشر أحياناً نفسه بينهم فيقول في القسم الثالث وهو تشبيه التفضيل ويعرّفه بأنه تشبيه شيء بشيء ثم الرجوع فتفضيل المشبّه على المشبّه به وقولي في مولانا السلطان نجم الدين [1] خلد الله دولته من أبيات :

هو النجم الا انه غير آفل ِ يضيء اذا ما غابت الأنجم الزهر

---

(١) هو السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الارتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين في سنة ٦٩١ ﻫ ١٢٩١ م .

قال ومن التشبيه المؤكد أيضاً جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً مثاله قولي في مولانا السلطان خلد الله دولته :

من ضلّ عن طرق السماح فدونه نجماً عطاء الدهر من أنعامه
البدر مثل جبينه والبحر مثـــل يمينه والدر مثل كلامه

وقد ذكر في ختام فصل التشبيه :

ولا يحتمل هذا المختصر في التشبيه أكثر من هذا الكلام ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتابي الذي ألفته في الفنون الثلاثة خاصة وهي التشبيه والاستعارة والتورية وسميته دوحة البلاغة فانه كتاب شريف وفيه من الأمثلة اللطيفة من النثر والنظم للمتقدمين والمتأخرين من المشارقة والمغاربة أحسن ما وقع فيه منها وانما جعلته مقصوراً على هذه الفنون الثلاثة فنون علم البيان وصناعة البديع وألطفها عند كل ناقد بصير وفاضل نحرير . اهـ .

وقال في فصل الاستعارة :

ومن الاستعارات اللطيفة قولي في بعض الرسائل : ما ترقرق ظلم ثنايا مرشف وتألّق برق زجاج وأشرقت شمس قرقف .

وقال في فصل التورية :

ومن التورية اللطيفة قولي في مولانا السلطان نجم الدين خلد الله ملكه :

وكيف يكون من أضحى وأمسى اليــه ينظر النجم السعيد

وقد فقدت بعض الأوراق من الكتاب عندما بدأ في فصل التناسب وقال عنه انه يسمى مراعاة النظير والملاءمة والتلفيق أيضاً وهو من أشرف صنائع البديع ويظهر انها كثيرة العدد لأنه لم يأت ذكر للتأكيد والتضمين والاقتباس وعكس الجمل والقلب والتجنيس بل ان بقية ما ورد في الكتاب هو في الترصيع والتسجيع ورد العجز على الصدر الذي يقول عنه انه يسمى التصدير والتطبيق أيضاً .

قال في مثال القسم العاشر وهو فرع القسم الخامس منه

وقولي من أبيات :

خليليّ ما هبت رياح ملامة   على اذني الاّ تعود هبآء

وقال في مثال القسم الرابع عشر وهو فرع القسم الرابع

وقولي من أبيات :

وزهرة روضة الدنيا غوان   بنادمن المتيّم بالأغاني

وقال في مثال القسم السابع عشر وهو فرع القسم الثاني

وقولي من أبيات :

يا خليّ الفؤاد رفقاً بصبٍّ   سابل دمعه بهجرك سائل

وقال في مثال القسم الثامن عشر وهو فرع القسم الثالث

وقولي من أبيات :

أبدى نجوم الدمع بعد غروبها   قمرٌ تغار لحسنه الأقمار

وقال في مثال القسم التاسع عشر وهو فرع القسم الرابع

وقولي من أبيات :

لم يلهني عن مقالٍ قد سعيتُ لها   راح وخصر ومحبوب وريحان

وقال في مثال القسم الحادي والعشرين وهو فرع الأول

وقولي من أبيات :

وكيف يفيق القلب من حبّ شادنٍ   ومن لفظه درٌّ ومن لحظه سحرُ

وقال في مثال القسم الثاني والعشرين وهو فرع القسم الثاني

وقولي من أبيات :

فيمينه بن لقاصد جوده   وبلوغ نجح واليسار يسار

وقال في مثال القسم الثالث والعشرين وهو فرع القسم الثالث

وقولي من أبيات :

لم تزل في اقتناء حمد ومدح   وثناء حتى سموت سموّا

وقال في فصل التضاد

وقولي من أبيات في مولانا السلطان الملك السعيد نجم الدنيا والدين أعزّ الله ملكه

بك أصبح الدين الحنيف مفضضاً والمذهب الحنفيّ أضحى مذهبا

وقال في «فصل في المتزلزل»

وقولي من أبيات :

فأصبح من أعرضت عنه مدمَّراً سليماً بلا ريب وانت المدمِّرُ

وأضاف الى ذلك قوله واذا فتحت الميم الثانية من لفظة المدمر في الأول وكسرتها من لفظة المدمر في الثاني كان مدحاً ولو عكست ذلك كان هجواً .

ويظهر مما أورده في الفصل المذكور وفي الفصول الملحقة به ولا سيما في الموشَّح وفي الملمَّع من الشواهد الفارسية انه يجيد اللغة المذكورة أيضاً تمام الاجادة .

وقد انتهى الكتاب بفصل يبتدئ بقوله ومن دقائق البلاغة حفظ مراتب التقديم والتأخير ومعرفة ذلك يتعلق بمعرفة النحو خاصة ومنها معرفة الوصل والفصل وذلك يتعلق بمعرفة مواضع العطف والاستيئناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف في مواضعها وهذا باب له شأن عند البلغاء ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال البلاغة معرفة الوصل والفصل وما ذلك الا لغموضه ودقة مسلكه وقد قيل ان العرب كانت تتكلم بالكلام ثم ينزل به الوحي وقد تغيرت فيه الفاء واواً والواو فاءً لا غير فيصير بذلك معجزاً والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وهذا آخر الكتاب والحمد لله أولاً وآخرا وباطناً وظاهرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . نقله من خط الشيخ محمد الخوانكي مهمر ? الغنيمي في سنة ١٠٤٩ رحمه الله تعالى .

ومن الحق ان اشير الى ان الصفحة الأخيرة المنقول عنها هذا الكلام ليست بخط الناسخ الأصلي الذي يدل شكل خطه المشرق الجميل على انه من نساخ

القرن الثامن او التاسع بينا ان خط ناسخ الصفحة المذكورة من الخطوط الرديئة التي يصعب قراءتها .

مؤلف الكتاب

أما مؤلف هذا المختصر البديع فانه لم يترجم له أحد من العلماء واشتبه عليهم أمره فظن بعضهم انه توفي في سنة (٦٦٠) وظن آخرون انه مات في سنة (٧٦٠) مما حملني على استقصاء أخباره والبحث عن مؤلفاته فوجدت انه توفي بعد سنة (٦٦٦) ه (١٢٦٧) م في مدينة قونية او ما اليها وانه حضر بعض السماع على الصدر القونوي وهو محمد بن اسحق بن محمد بن يوسف بن علي المتوفى سنة (٦٧٣) ه (١٢٧٤) م وهذا الأخير هو ربيب محيي الدين بن عربي دفين دمشق المتوفى سنة (٦٣٨) ه (١٢٤٠) م حيث كان تزوج من أمه ولم أتشدد في ان المؤلف ظلّ حيًا الى ما بعد سنة ٦٩١ ه ١٢٩١ م بسبب تأليفه كتابه هذا المسمى « روضة الفصاحة » برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأرتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين في السنة المذكورة لأنني لم أقف على هذا الكتاب اذ ذاك وقد نشرتُ مقالة مسهبة عن المؤلف وتآليفه في المجلد الثامن من مجلة المجمع العلمي العربي بسنة (١٣٤٦) ه (١٩٢٨) م من الصفحة ٦٤١ الى الصفحة ٦٦٥ ونقلت اليها من السماع الموقّع بذيله من قبل الصدر القونوي المشار اليه عبارة أرى ان هذه المناسبة تبيح لي ان اعيد ذكرها هنا أيضًا وهي بصدد سماعه كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول وهذه هي العبارة المذكورة :

« الشيخ الامام العالم العامل الفاضل سيد العلماء ، قدوة الفضلاء محيي السنة ناصر الشريعة زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مدّ الله في حياته » .

مما يدلّ على مكانة المؤلف العلمية في نظر كبار العلماء في زمانه وبعده
ومما لا يسعني اغفاله هو ذكر مؤلَّف للمؤلِف اسمه « دوحة البلاغة » قال عنه انه ألفه في الفنون الثلاثة خاصة وفي التشبيه والاستعارة والتورية في عرض كلامه بكتاب روضة الفصاحة الذي نحن بصدده لأنني لم أطلع على اسم هذا الكتاب عندما استجمعت اسماء مؤلفاته المطبوعة والتي لا تزال مخطوطة بيد ان هذه الدوحة لا يعلم من أمرها ومكان وجودها شيء الآن . ولذلك وجب عليّ ان اضيفها الى ثبت مؤلفاته بالرغم من أنها مفقودة .

وأراني بعد ما اطلعت على كتاب روضة الفصاحة الذي أُلف برسم السلطان منصور نجم الدين غازي بن قرا ارسلان الأرتقي ملك ماردين انني مضطر بحكم هذه الوثيقة الى تصحيح تاريخ وفاة المؤلف والقول بأنه قد توفي بعد سنة ٦٩١ هـ ١٢٩١م بدلاً من سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٧ م التي رجّحتها على الأولى في مقالي السابق والله أعلم بالحقائق .

عبد الله مخلص

العدد في اللغة العربية

- ١ -

مقدمة عامة :

العدد لغةً مصدر عددت الشيء إذا أحصيته والعدد الاسم أيضاً فهو يطلق على اللفظ الدال على الكمية . أما تعريف العدد علمياً سواء عند النحويين أم الرياضيين فقد اختلف فيه وان لم يختلف في جوهر مفهومه وكثير من هذه التعاريف قد أخرج الواحد والاثنين من جملة الأعداد لا لشيء الا لأن التعريف لم يشملهما .

فإخوان الصفاء لا يعدون الواحد من العدد وان كان أصله ويعدون أول الأعداد الاثنين ويذكرون خواص الأعداد وأن كلاً منها يساوي نصف مجموع حاشيتيه ويقولون ان الواحد ليس له إلا حاشية واحدة — وذلك لأن القدماء لم يكونوا يعدون الصفر عدداً ولا يزال الاختلاف فيه إلى الآن قائماً بين الرياضيين — هي الاثنان وأنه نصفها والواحد عندهم أصل الأعداد ويطلق لفظه على معنيين (رسائل إخوان الصفا ج ١ ص ٢٤) لأن الشيء أعم الألفاظ والشيء إما أن يكون واحداً او أكثر من واحد فالواحد يقال على الوجهين إما بالحقيقة وإما بالمجاز فالواحد بالحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة ولا ينقسم وكل ما لا ينقسم فهو واحد من تلك الجهة التي بها لا ينقسم وإن شئت قلت الواحد ما ليس فيه غيره بما هو واحد وأما الواحد بالمجاز فهو كل جملة يقال لها واحد كما يقال عشرة واحدة ومائة واحدة ... والوحدة صفة للواحد كما أن الأسود أسود بالسواد . والكثرة نوعان إما عدد وإما معدود والفرق

بينهما أن العدد انما هو كمية صور الأشياء في نفس العاد وأما المعدودات فهي الأشياء نفسها ٠ والواحد الذي قبل الاثنين هو أصل العدد ومبدؤه ومنه ينشأ العدد كله صحيحه وكسوره بالتزايد والتجزؤ وكما يتألف العدد من الواحد بالتركيب فالعدد ينحل إلى الواحد بالتحليل ٠

وسنرى فيما بعد كيف يخالف إخوان الصفاء نظريتهم هذه فيقولون ان الأعداد تتألف من الأرقام الأربعة الأولى وأولها الواحد وذلك تحت تأثير فكرة فلسفية ومذهبية خاصة ٠

وقال التهانوي صاحب «كشاف اصطلاحات العلوم» :

«العدد عند جميع النحاة وبعض المحاسبين هو الكمية والألفاظ الدالة على الكمية بحسب الوضع تسمى أسماء العدد ، والكمية كلمة نسبة أي الصفة المنسوبة إلى كم أي ما به يجاب عن السؤال بكم ثم يقول :

«العدد هو الواحد وما يتحصل منه إما بالتجزئة كالكسور أو بالتكرار كالصحاح أو بهما كالمختلطات أو يقال هو ما يقع في مراتب العدد» ٠

وعلى هذا فالوحدة والكسور معدودة من العدد وقد أوضح إخوان الصفاء في رسائلهم ص ٢٤ من الجزء الأول هذه الرابطة القوية بين الكسور والأعداد ببيانهم كيفية نشوئها منها وذلك أننا إذا كتبنا سلسلة الأعداد الطبيعية المتزايدة اعتباراً من الواحد ثم أخذنا الواحد بالنسبة الى عدد الاثنين وجدناه يساوي نصفه وبالنسبة إلى عدد الثلاثة ثلثه وهكذا بنسبة الواحد الى بقية الأعداد تنشأ جميع الكسور فهي تنشأ إذاً من نسبة الواحد الى الأعداد الصحيحة باعتبار كل منها واحداً صحيحاً وهذه بدورها ناشئة من انضمام الواحد الى نفسه وما فوقه من الأعداد ٠

وقد اختلف العرب كما قدمت في عدّ الوحدة من العدد وأجاب أغلب علماء الرياضة منهم على ذلك بالنفي وكان كثير منهم يرون أن النسبة بين الوحدة

والمجموعة العددية هي نفس النسبة بين الآتوم (الجوهر الفرد) والمادة ومع أنها أساس جميع الأعداد فهي نفسها ليست عدداً .

وذكر صاحب دائرة المعارف الاسلامية تعريفاً آخر للعدد كان هو الغالب الذائع بين علماء العرب مع اختلاف في صيغ التعبير وبموجبه يكون العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات .

وإذا تأملنا في تعريف التهانوي الأول وجدنا أن طبيعة الإجابة في اللغة العربية عن السؤال بكم تخرج الواحد والاثنين من جملة الأعداد وذلك لأنها فيما يتعلق بالواحد وبالاثنين تجيب بلفظ الواحد من الشيء أو مثناه لا بالعدد مرفوقاً بتمييزه .

وعلى هذا نجد أن خير تعريف وضعه العرب للعدد هو أنه الوحدة وما ينتج عنها بالتقسيم أو التكرار أو باجتماعها معاً وباختصار أكثر هو الواحد وما يتحصل منه .

وهذه التعاريف للعدد إنما نشأت بعد اطلاع العرب على علوم الامم المتمدينة وترجمة كتبها ولم يكونوا في جاهليتهم يعنون أو يعرفون هذه القواعد النظرية والعملية في علم الحساب بل ربما كانت طبيعة حياتهم الفقيرة الخشنة لاتضطر أكثرهم الى الاطلاع على أعداد اكبر من الألف أو استعمالها .

على ان هذا يجب أن لا يذهب بنا الى الاعتقاد بأن كل العرب كانوا لا يعرفون وراء الألف عدداً فإن المثقفين منهم والتجار كانوا يخالطون في أسفارهم أمم الشمال والجنوب والشرق والغرب فكانوا مسوقين بدافع اختلاطهم وتجارتهم ورقيهم الى استعمال ارقام كبيرة من عقود الألف فنرى القرآن وقد نزل بلسان عربي مبين يسجل رقم « المائة ألف » في حديثه عن قوم يونس « الآية ١٤٧ من سورة الصافات » فيقول : « وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون » . وهذا دليل قاطع على أن العرب كانوا يعرفون استعمال الأرقام الكبيرة .

واذا رجعنا الى ألفاظ الأعداد التي كان يستعملها العرب والتي ورد بعضها في القرآن عرفنا أن العرب كانوا يعدون بالطريقة العشرية منذ القديم لأن استعمالهم العشرة والعشرين وبقية العقود كالتسعين والمائة والألف والعشرة آلاف دليل على أن نظام التعداد عندهم كان عشرياً ولكنهم كانوا قوماً أميين يقلّ فيهم بل يندر من يعرف القراءة والكتابة ولهذا لم يكن لهم أرقام يرمزون بها الى الأعداد قبل الاسلام في أرجح الظن ولم يستعملوا الترقيم العشري كما نعرفه الآن إلا في زمن متأخر يرجع الى القرن الثامن الميلادي على الأغلب كما سنراه فيما يأتي والمهم الآن ان نقول ان نظام التعداد العشري قديم فيهم بل في غيرهم من الأمم السامية والآرية وكان اليونان يعرفونه أيضاً ويقول سيديو في كتابه : (« Materiaux pour servir à l'histoire comparée des sciences mathèmatiques chez les grecs les orientaux . par M. G. AAA. Sédillot » ص ١٢٨) :

« إن مبدأ التعداد هذا وهو الكثير البساطة العظيم الشأن محاط بالغموض والظلام والحقيقة الراهنة هي أننا لا نستطيع أن نرجع بنسبة نظام التعداد العشري هذا الى أمة من الأمم أو عصر من العصور لأن ألفاظه موجودة لدى أمم كثيرة من قديم الزمان » . ولكن النظام العشري ليس إلا مجرد اصطلاح لتسهيل العدد والحساب .

وقد أشار إخوان الصفاء في الجزء الأول من رسائلهم ص ٢٦ الى أن المراتب الأربعة العشرية من آحاد وعشرات ومئات وألوف هي من مصطلحات العلماء .

وقد استعمل العرب في التعداد العشري منذ القديم اثنتي عشرة لفظة وهي : « واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة ، مائة ، الف » . وبتركيبها بعضها مع بعض يمكن أن تركب جميع الأعداد التي عرفوها لعهدهم بل تركيب أي عدد يمكن ان نسميه في تعدادنا في هذا العصر .

ومما يدل على قدم التعداد العشري قدم ألفاظه في العربية ومشاركة غير اللغة العربية من اللغات السامية في جل هذه الألفاظ بحيث لا نجد كبير فرق بين اللفظة العربية وما يقابلها في هذه اللغات السامية الأُخرى وغالباً يقوم هذا الفرق على إبدال السين شيناً أو الدال ذالاً أو الثاء تاء وهو ليس أكثر من تبادل الحروف المتقاربة المخارج في النطق بعضها مع بعض مما يحصل مثله كثيراً في العربية . ومن الصعب أن نتبين أي اللغات أقدم استعمالاً لألفاظ العدد من غيرها ولكننا نرجح أن تكون العربية لكون العرب أقل الأُمم السامية اختلاطاً وتأثراً بغيرهم من الشعوب ولذلك تكون اللغة العربية أكثر اللغات السامية احتفاظاً بطابعها القديم .

وقد أورد ڤون كارل برو كمان في ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ من كتابه «Kurzgefasste Vergleichende grammatik der Semitisher sprachen» جدولاً للألفاظ العددية العشرية من ١ — ١٠ في خمس لغات سامية هي العربية والحبشية والعبرية والآرامية والآشورية ولفائدته في بيان تقارب الفاظ العدد في هذه اللغات أورده هنا وها هو :

	عربي	حبشي	عبري	آرامي	آشوري
مذكر	أحد	أحدو	إحاذ	حاذ	إدو
مؤنث	إحدى	أحاتِي	أحاث	حِذى	. .
مذكر	اثنان	كلئيتو	شنيئيم	تيرين	شينا
مؤنث	اثنتان (أو) ثنتان	كلئيتى	شيتائيم (أو) شتائيم	تارتين	شبتا
مذكر	ثلاث	شالاس	شالوش	تِلات	ثلاشى
مؤنث	ثلاثة	شلاستو	شلوشا	تلاثا	ثلاشتى
مذكر	أربع	أربع	أربع	أربع	أربئى

	عربي	حبشي	عبري	آرامي	آشوري
مؤنث	أربعه	أرباعتو	أرباعا	أربعا	ايربيتيِ
مذكر	خمس	خاميس	حاميش	حاميش	خمشي
مؤنث	خمسة	خاميستو	حميشا	خمشا	خاملِت
مذكر	ست	سيسو	شيش	شيتَ	شيشِ
مؤنث	سته	سِدِستو	شيشا	شيتا	(أنوربشتا) شِه شِت
مذكر	سبع	شبعو	شَفَعْ	شِبَعْ	سِب
مؤنث	سبعه	سبعتو	شفعا	شفعا	سِبتو
مذكر	ثمان	سماني	شِموني	تماني	سمانو
مؤنث	ثمانية	سمانيتو	شمونا	تمانيا	سمانتو
مذكر	تسع	تسعو	تِشَع	تشاع	تِشي
مؤنث	تسعة	تسعتو	تِشعا	تشعا	تِلْتُ ، تشيت
مذكر	عشر	عشرو	عسر	عسر	إشر
مؤنث	عشره	عشرتو	عسرا	عِشرا	إشرتُ ، إشرت

وقد ذكر بروكلمان أيضاً أن لفظتي المائة والألف مشتركتان في هذه اللغات السامية الخمسة الشقيقة . وألفاظ العقود فوق الألف المستعملة الآن كالميرياد والمليون والمليار والترليون والكاترليون وغيرها غريبة عن اللغات العربية بل هي حديثة الاستعمال في اللغات الأوربية الحديثة وهي مشتقة إما من اللغة اليونانية وإما من اللغة اللاتينية أو منهما معاً وقد دعا العلم في العصر الحديث إلى اشتقاقها واستعمالها .

ولم يكن اليونان في القديم يستعملونها فقد ذكر في ص ٢٩ من رسائل إخوان الصفاء الجزء الأول بعد ان ورد أن مراتب الأعداد عند الأمم أربعة أن مراتب الأعداد عند الفيثاغوريين ستة عشر وذكر إخوان الصفاء أسماءها وأرجح انهم ترجموها عن اليونانية ترجمة فليطالعها هناك من شاء . على أن العرب

لم يستعملوا الفاظ المراتب التي ذكر اخوان الصفاء ترجمتها عن الفيثاغوريين وإنما كانوا يستعملون في تعداد المراتب الكبيرة الألف مكررة عدداً من المرات بقدر ما تدعو اليه الحاجة ولجأوا الى طريقة الهنود وأكثر الأمم في جعل المراتب أربعة بصورة رئيسية وهي مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف في الجملة الأولى البسيطة التي نسميها جملة الآحاد ثم استعمال هذه المراتب نفسها في جملة الألوف فيقال آحاد ألوف عشرات ألوف مئات الألوف ألوف الألوف وهكذا ٠

وقد استخدم اخوان الصفاء مراتب الأعداد الأربع هذه في شرح عقائدهم الفلسفية والمذهبية وأعطوها معاني ميتافيزيقية فقد قالوا في بحث العدد في الجزء الأول من رسائلهم ص ٢٩ وما بعدها : « وكون العدد على أربعة مراتب آحاد وعشرات ومئات وألوف ليس أمراً ضرورياً لازماً لطبيعة العدد ولكنه أمر وضعي رتبته الحكماء باختيار منهم وإنما فعلوا ذلك لتكون الأمور العددية مطابقة لمراتب الأمور الطبيعية وذلك أن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها الباري مربعات مثل الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض ٠

ونسبة الباري من الموجودات كنسبة الواحد من العدد ونسبة العقل منها كنسبة الاثنين من العدد ونسبة النفس من الموجودات كنسبة الثلاثة من العدد ونسبة الهيولى الأولى كنسبة الأربعة » ٠

ومن الطريف أن يكون ميلهم لجعل أقسام كل الأشياء أربعة حملهم على أن يجعلوا أساس الأعداد كلها بالغة ما بلغت الأرقام الأولى الأربعة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ وأن كل الأعداد إنما تتألف منها فالخمسة مثلاً تتألف من إضافة الواحد إلى الأربعة ولا أدري كيف لم ينتبهوا إلى أن الأعداد كلها غير الواحد بما فيها الأعداد ٢ و٣ و ٤ انما تحصل من إضافة الواحد الى نفسه ثم

إلى غيره من الأعداد المتألفة منه . ثم ان سعيهم في تأييد مذهبهم بفكرة الأربعة أوقعهم في التناقض مع ما ذكروه قبل في ص ٢٤ من الجزء الأول من رسائلهم من أن العدد يتركب من الواحد ويتحلل اليه .

وفضلاً عن ذلك نرى إخوان الصفاء يربطون بين كيفية خلق الله للأشياء في رأيهم وبين تركب الاعداد من الواحد مع انعدام التشابه ، ذلك أنهم قالوا ان الله خلق من نور وحدانيته أول كل شيء جوهراً بسيطاً يقال له العقل الفعال كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار فأي علاقة نرى بين العقل الفعال وبين فكرة الاثنين إلا التجني على الفكرة وتحميلها من التشبيه ما لا تحمل .

ثم هم يأخذون من فكرة الواحد دليلاً على وحدانية الله فكما تتألف الأعداد من الواحد دون ان تتأثر وحدته فكذلك خلق الله الأشياء دون ان تتأثر وحدانيته (ص ٢٩ الجزء الأول من الرسائل) ويقولون ان الله أول الأشياء وآخرها كما ان الواحد اول الأعداد وآخرها وما أدري كيف يكون الواحد آخر الأعداد الا إذا قصدوا بذلك ان الأعداد تنحل اليه .

وقد عدّ ابن يعيش المراتب فجعلها ثلاثة : آحاد وعشرات ومئات ولم يعتبر الألوف مرتبة خاصة وإنما جعلها مشتقة من الثلاث الأولى وجعل جملة الألوف تتكون من آحاد الألوف وعشرات الألوف ومئات الألوف وهكذا .

ومن شاء الاطلاع على اصل اشتقاق الفاظ العدد الأعجمية التي نستعملها الآن فوق الالف كالمليون فليرجع الى لاروس القرن العشرين الكبير . وكما عرف العرب نظام التعداد العشري استعمالاً لفظياً لا كتابياً وحسابياً منذ القدم فكذلك عرفوا استعمال الكسور منذ القدم ايضاً ويشهد بذلك القرآن الذي استعمل في آيات الميراث وغيرها الفاظ الكسور المعروفة لديهم وكما يدل الحديث النبوي أيضاً .

ومن الواضح ان العرب لم يطلعوا على نظام الكسور العشرية إلا بعد أن تقدموا في علم الحساب واتصلوا بالهند واليونان فقد وجد في بعض مؤلفاتهم مايدل

على انهم استعملوا الكسر العشري وان لم يثبت تماماً أنهم استعملوا الفاصلة لفصل المراتب العشرية عن المراتب الصحيحة .

وذكر حافظ طوقان (في كتابه العلوم الرياضية عند العرب ص ٢٤) : « ان احد علمائهم وهو الكاشي وضع عند حساب النسبة التقريبية (ط = π) قيمتها على الشكل الآتي : ١٤١٥٩٢٦٥٨٩٨٧٣٢ ٣ وقال « ولم نستطع ان نتأكد من استعمال الفاصلة في الكسر العشري وهذا الوضع يشير الى ان المسلمين في زمن الكاشي كانوا يعرفون شيئاً من الكسر العشري وانهم بذلك سبقوا الأوربيين في استعمال النظام العشري » .

وقد استعمل العرب في وصف الكسور والجذور اصطلاحي الكسور والجذور المنطقة والكسور والجذور الاصمة كما ذكر ابن خلدون في مقدمته وكما ذكر الخوارزمي وغيره من مؤلفي كتب الرياضة ولكن هذا — كما قال في دائرة المعارف الاسلامية — لا يعني أنهم أرادوا بهذين التعبيرين ما نفهمه منهما الآن في علوم الرياضة الحديثة فالكسر الأصم عندهم ليس الكسر الذي لا يمكن حله وإنما هو الكسر الذي مخرجه اكبر من العشرة ولا يمكن التعبير عنه بلفظة واحدة وكذلك الجذر الأصم ليس عندهم الجذر الذي لا يمكن حله كالعدد السالب تحت علامة الجذر بل هو الجذر الذي لا يساوي بالضبط عدداً صحيحاً بل فيه كسر قد يكون دورياً مثل $\sqrt{٢}$.

وبقي العرب يستعملون النظام العشري في التعداد الشفهي دون الترقيم المعروف أو وضع الرموز للأعداد حتى الفتح العربي الاسلامي ويظهر أن المثقفين القليلين الذين كانوا يعرفون الكتابة كانوا في مراسلاتهم ومعاملاتهم التجارية يكتبون الأعداد كتابة من اليمين الى اليسار حسب أصول الكتابة العربية وتلفظ العدد في اللغة العربية فيبدأ في كتابة عدد خمسة وعشرين بالخمسة ثم بحرف العطف ثم بالعشرين وهكذا في بقية الأعداد ؛ وهكذا كتب الأعداد التي ورد

ذكرها في القرآن . ومن المؤسف ان التاريخ لم يحفظ لنا شيئاً من هذه المراسلات أو النصوص القديمة التي تظهرنا على هذه الناحية أو على غيرها من نواحي حياة العرب والنص الوحيد المحفوظ لنا هو القرآن .

ولما فتح العرب الممالك واتسعت آفاق حياتهم ومعارفهم واحتكوا بغيرهم من الأمم وأشير على عمر بتدوين الدواوين اضطر العرب طبعاً الى كتابة الأعداد في مراسلاتهم واستعمالها في معاملاتهم فكانوا في بادئ الأمر — كما ذكرنا — يكتبونها بحروفها تامة مرتبة حسب الترتيب الطبيعي للنطق بها كما كانوا يفعلون في جاهليتهم وزمن النبي في كتابة القرآن وذكر في دائرة المعارف الاسلامية أن اختزال الكتابة بهذه الطريقة أدى بالعرب الى وضع رموز الترقيم العددي بالطريقة المعروفة بالطريقة الديوانية .

ثم أدى اتصال العرب بالأقباط في مصر وبالرومان في سورية الى معرفتهم بالطريقة الأبجدية في الترقيم وهي طريقة يرمز بها للأعداد البسيطة والعقود بحروف الهجاء فتسهل كتابة الأعداد بعض الشيء . فقد رأى العرب الأقباط في مصر يستعملون الحروف القبطية للدلالة على الأعداد كما وجدوا في سورية الحروف الرومانية تستخدم في نفس السبيل فأدى بهم هذا الى وضع طريقة الترقيم الأبجدية التي تستخدم رموز الحروف في العربية للدلالة على الأعداد وسموا هذه الطريقة بطريقة ابي جاد (دائرة المعارف وحافظ طوقان وكشاف التهانوي وإخوان الصفاء) وذكر الخوارزمي صاحب كتاب مفاتيح العلوم أن ألفاظ ابي جاد في الأصل أسماء لملوك من العرب قدماء والذي يعنينا هنا أنهم اعطوا كل حرف قيمة ثابتة وفق ما يلي :

أ = ١ ب = ٢ ج = ٣ د = ٤ هـ = ٥ و = ٦ ز = ٧
ح = ٨ ط = ٩ ى = ١٠ ك = ٢٠ ل = ٣٠ م = ٤٠ ن = ٥٠
س = ٦٠ ع = ٧٠ ف = ٨٠ ص = ٩٠ ق = ١٠٠ ر = ٢٠٠ ش = ٣٠٠
ت = ٤٠٠ ث = ٥٠٠ خ = ٦٠٠ ذ = ٧٠٠ ض = ٨٠٠ ظ = ٩٠٠ غ = ١٠٠٠

وهذا الجدول هو الجدول الذي ذكر في رسائل اخوان الصفاء وقد أوقف في دائرة المعارف الاسلامية رموز أبي جاد عند حرف التاء التي تساوي ٤٠٠ وقال انهم اذا أرادوا الدلالة على عدد اكبر منه ضموا رقماً الى آخر ووصلوا بينهما على ان يكتب الصغير قبل الكبير ونحن نرى هنا أنهم قد وصلوا في الرموز الى أبعد من ت = ٤٠٠ ورمزوا الى الألف بحرف الغين .

أما الأعداد فوق الألف فقد كتبوها حروفاً موصولة بحيث يكون الصغير في القيمة قبل الكبير وعلى ذلك يكون :

بغ = ٢٠٠٠ جغ = ٣٠٠٠ يغ = ١٠٠٠٠ وهكذا حتى ظغ = ٩٠٠٠٠٠

واذا أرادوا أن يكتبوا عدداً مثل ٣٢٦ فكانوا يكتبون طبعاً بالاتجاه من اليمين الى اليسار كغيرهم من الساميين الحروف المقابلة من ألف باء (و ك ش) .

وهذه الطريقة كما نرى تؤمن الحاجة الى قراءة وكتابة الأعداد ولكنها لا تكفي للدلالة على ما وضعت الأرقام من أجله من إجراء العمليات الحسابية وبيان خواص الأعداد وليست مرنة وعملية وسهلة التداول بحيث يركن اليها وكان يجب السعي لأن تكون الأرقام المبينة للأعداد ذات طابع ومرونة يجعلانها تؤخذ كأساس للحساب .

وقد وصل العرب الى هذه النتيجة بعد اتصالهم بالهنود وأخذهم عنهم على التتابع الأرقام التسعة ثم الصفر وكذلك النظام العشري في الترقيم والعالم مدين للهنود في نظام الترقيم العشري ووضع الأرقام وفيها الصفر للدلالة على أعداد الآحاد البسيطة كما ان اوربا مدينة للعرب الذين نقلوا هذا النظام العشري اليها .

عرف العرب الأرقام الهندية على الأرجح في القرن الثامن الميلادي وقد كان الهنود يستعملون مجموعات كثيرة من الرموز للدلالة على الأرقام فانتخب العرب منها مجموعتين هما السائدتان الآن في جل أنحاء المعمورة ؛ المجموعة

الأولى سماها العرب بالهندية وهي الأرقام المستعملة في بلاد العرب الشرقية كسورية ومصر والعراق والجزيرة العربية وفارس وهي أرقام هندية خضعت لبعض التطور حتى أخذت الشكل الحالي الذي نعرفه الآن والذي استعمله أجدادنا العرب والمجموعة الثانية هي المجموعة التي سماها العرب بالغبارية وهي مجموعة الأرقام التي سادت في البلاد العربية الغربية كتونس ومراكش والجزائر والأندلس في الماضي والحاضر وهي نفس الأرقام التي تستعملها أوربا وأمريكا باسم الأرقام العربية باعتبار أن الأوربيين إنما اقتبسوها عن العرب في الأندلس في القرن العاشر الميلادي على الغالب الى جانب نظام الترقيم العشري كما رجّح ذلك سيديو في ص ٤٢٨ من كتابه «مواد للتاريخ المقارن في العلوم الرياضية بين اليونان والشرقيين Materiaux pour servir à l'histoire comparée des sciences chez les grecs et les orientaux M. C. AAA. Sédillot».

أما الصفر فقد اقتبسه العرب عن الهنود أيضاً وقد كان هؤلاء يسمونه «سونيا» أي الفراغ ويرمزون له بدائرة صغيرة . وهناك من يدعي ان الصفر انما اهتدى اليه بعض علماء العرب وعلى كل حال فقد رمز العرب للصفر بادئ الأمر بالدائرة الصغيرة كالهنود ولما رأوا أنه يلتبس حينئذ بالخمسة في الأرقام السائدة بينهم أبدلوا الدائرة بالنقطة أما الصفر في أوربا فلا يزال رمزه عبارة عن دائرة ولكنهم جعلوها دائرة بيضية الشكل «اهليلج» .

وذكر حافظ طوقان في هامش ص ٢٢ من كتابه العلوم الرياضية عند العرب أنه وجد في مخطوطة بالمكتبة الخالدية بالقدس أن بهاء الدين العاملي استعمل الدائرة لتدل على الصفر في الأرقام الهندية كما استعمل (8) لتدل على عدد (٥) .

وأخذ الأوربيون عن العرب لفظة الصفر للدلالة على معنى رقم بلفظ Chiffre ومن الصفر أتت كلمة Zephyr و Cipher وتقلصت عن طريق النحت في القرن الثامن عشر فأصبحت Zero (ص ٢٣ العلوم الرياضية : حافظ طوقان) .

والواضح في تاريخ علم الحساب عند العرب أنهم تأثروا فيه بالهنود أكثر من تأثرهم باليونان وذلك لأن هؤلاء لم يصلوا في الحساب والجبر درجة تساوي الدرجة التي بلغوها في الهندسة لعدم معرفتهم بالنظام العشري في الترقيم ولأنهم كانوا ينظرون الى الأعداد نظرة تقديس ولكنهم في الحقيقة خدموا علم العدد كثيراً من حيث أنهم بحثوا في خواص الأعداد . (طوقان ، العلوم الرياضية ص ١٥) .

وقد اهتم علماء العرب بعلم العدد وأشبعوه بحثاً وكانوا يبدؤون به حين دراسة العلوم الرياضية لأن هذا العلم في رأيهم مركوز في كل نفس بالقوة وإنما يحتاج الإنسان الى التأمل بالقوة الفكرية فحسب من غير ان يأخذ لها مثالاً من علم آخر وأن يستند على غيره .

وقالوا بأن العدد الذي هو موضوع علم الحساب لا يفتقر الى المادة في الوجود الخارجي لأنه يمكن أن يتجرد منها ويحصل مفهومه في الذهن بدونها بخلاف العلم الطبيعي ومن هذا ندرك مبلغ ماوصل اليه العرب في تجريد علم العدد وجعله نظرياً بحتاً .

وقد ذكر في رسائل إخوان الصفاء وفي دائرة المعارف الاسلامية وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي كثيراً من خواص الأعداد التي عرفها العرب وبعض القوانين التي أوجدوها لها كقانون العددين المتحابين الرياضي المستند على خواص الأعداد الأولية والقوى النونية والأسس وقد ذكره طوقان في كتابه ص ٣٣ فليرجع اليه من شاء .

* * *

مصادر مقدمة بحث العدد

دائرة المعارف الاسلامية « النسخة الفرنسية » مادة ADAD .

لاروس القرن العشرين الكبير .

شرح المفصل لابن يعيش
خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي
ابن سيده (المخصص)
نار القرى لناصيف اليازجي بيروت ١٨٨٢
مفاتيح العلوم للخوارزمي
مفصل الزمخشري

وهذه مراجع دائرة المعارف الاسلامية في بحث مادة ADAD

كشاف اصطلاحات العلوم للتهانوي
العلوم الرياضية عند العرب لحافظ طوقان
كليات أبي البقاء
الفخري في باب الفتوحات وإحصاء الغنائم
رسائل إخوان الصفاء : الجزء الأول
كتاب مواد للتاريخ المقارن في العلوم الرياضية بين اليونان والشرقيين : لسيديو
Materiaux pour servir à l'histoire comparée des sciences mathématiques chez leo grecs et les orientaux . par M. C. AAA Sédillot .
كتاب في مقارنة قواعد اللغات السامية لبروكلمان (ڤون كارل)
Kurzgefasste Vergleichende Grammatik der Semitisben Spra - chen . Von Karl Broklemen .

يتبع :

نعيم الحمصي

مخطوطات ومطبوعات

عقيدة وجهاد

درس في الدولة اللبنانية
دفاعاً عن الوطن
الفوضى السياسية والادارية في الجمهورية اللبنانية

هذه هي العناوين التي يحملها الكتيّب القيّم الذي وضعه الأستاذ عمر فروخ الدكتور في الفلسفة . ولعلها اول مرة يجرؤ فيها رجل مسلم ان يرفع صوته بالحقيقة في هذا الساحل العربي من القطر الشامي ، بعد هذا الاستقلال الذي جعله مفاليس القلوب والجيوب ، مستغلاً يتأثلون به المال ، ويعتقدون به المزارع والضياع

فما قاله الدكتور في كلمته الأولى :

٣ — ليس للدولة اتجاه واضح ، فنحن لا نعلم مثلاً اذا كانت هذه الدولة طائفية أو علمانية . انها طائفية لأن وظائفها موزعة على أساس الطائفية ولأنها تترك بعض رجال الدين يصرحون باسمها في مناسبات كثيرة من غير ان تزجرهم ، ثم هي علمانية اذا اعتبرنا انها لا تتجه اتجاهاً دينياً مكشوفاً ، ولأن المسؤولين من رجالها يدعون في كل مناسبة الى نبذ الطائفية والى التمسك بالقومية .

وغاية هذا الكتيّب الاشارة الى ذلك كله ببعض التفصيل .

ويقول في : « تمهيدات »

... « ان هذا الوطن الذي نحبه ، لا نحبه لأنه يجب ان يكون وطناً لفلان أو لفلان من الذين أنزلتهم الأيام على سفوح جباله ، بل لأنه وطن اولئك الذين جبلوا ترابه بعرق أبدانهم ، وسقوا أرضه بدمائهم ، وحفظوا استقلاله الصحيح ببذل أرواحهم » .

... «وليذكر الناس ان الذين حفظوا استقلال لبنان ليسوا بعض الذين يتربعون اليوم على كراسيه ، ويتنعمون بخيراته ، ويتشدقون بأوهام في رؤوسهم ، بل أولئك الذين سارت دبابات المستعمر على أجسادهم في طرابلس وبيروت وصيدا ...»

قلنا : وقد فات الأستاذ أن الدبابات سارت على غير أجساد من « في طرابلس وبيروت وصيدا » ثم يقول :

«ويجب ان نعلم نحن في لبنان انه لولا غضبة البلاد العربية لمحنة لبنان ... لذهبت تلك الدماء الزكية هدراً ..»

قلنا : هذا كلام أولى بالصحف الهازلة ، منه بالكتب الرضية كهذا الكتاب ، يصدره الدكتور فروخ ؛ فالقضية كانت قضية مستعمر زحزح مستعمراً من طريقه ، لا غضبة الأقطار المجاورة ؛ والا فليتفضل هؤلاء الاخوان ويغضبوا لفلسطين ، وفلسطين اليوم في شر مما كان عليه الشام : داخله وساحله . وفلسطين اذا تهودت — لا سمح الله — ونقول لا سمح الله لأنها ليس لها الا الله وحده ، لم يبق شام ولا عراق ولا حجاز ولا يمان .

وينتقل المؤلف من هذا الذي كنا نريد ان لا يقوله — الى التحدث عن « الوطن المريض » يصف داءه ، ثم يصف دواءه . ودواؤه في رأيه اربع كلمات :

١ — القضاء على الفوضى الداخلية

٢ — ايجاد اتجاه سياسي واضح

٣ — انصاف المواهب في جميع عناصر الشعب على السواء

٤ — هجر السياسة السوداء

« وهو يريد ان يعرف هذه الأسباب غير الذين يحتكرون معرفتها ، ثم يستغلون كتمانها في سبيل شهواتهم في الحكم والمال والجاه . »

ويتساءل الأستاذ فروخ « ولعل بعضهم يقول : ولكن ما الفائدة من الكلام ؟ فيجيب : وما الفائدة من السكوت » ؟

ويعقب على ذلك بقوله : « والحقيقة ان السكوت يفيد أفراداً معدودين . أما الكلام فيفيد الناس كلهم » .

ويخلص المؤلف من هذا الحديث الى الحديث عن : « الاتجار بالطائفية » و « مكمن الخطر ومداه » و « اين يرجى الاصلاح » . ويطوي الفصل الأول على « الجهاز الخارجي والتمثيل السياسي » والفصل الثاني على « الجهاز الداخلي والعدل الاداري » .

وكأنه في نشره لتصريح المطران مبارك ، ولحديث البطريرك الماروني ، وتعرضه لمشاكل الجنسية القومية في لبنان يريد ان يتهم غير المسلمين بالتعصب ، وهو لو أنصف لاتهم (زعماء) المسلمين بالضعف والجبن عن طلاب حقهم ، واباعتهم المصالح العامة بالمصالح الخاصة .

والكتاب — اذا صح بعض ما رواه فيه المؤلف — يدل على ان العدل في لبنان اسم بلا جسم . والويل لوطن لا يقوم بنيانه على دعائم من النصفة والعدل .

عارف النكدي

نحو التعاون العربي

للدكتور عمر فروخ

وهذا كتاب آخر للأستاذ فروخ « وهو درس في امكانيات البلاد العربية والنواحي التي يجدي فيها التعاون بينها » وتقرير لاتجاه التاريخ في الوطن الكبير نحو اشتباك الحوادث وتداخل المصالح ووحدة الشعور » .

يقول المؤلف في « الكلمة الأولى » ... « ان ترف اوربة ، وقوتها المادية تقومان على استغلال الثروات في الشرق ، وعلى استعباد الشرقيين لأمة الصناعة والتجارة الغربية . وهذا الترف ، وهذه القوة المادية لا يمكن ان يدوما لأوربة إلاّ اذا بقي الشرقيون — والعرب منهم — غافلين عما يكنّ صدر بلادهم من الثروات الطبيعية ، وصدور ابنائهم من القوى المعنوية .

لقد خاض العرب حربين عالميتين ، وكان الحلفاء يعدونهم في كل حرب ، بتحقيق أقصى احلامهم القومية ، فيستنيم العرب بما وقر في صدرهم من حب الصدق ، وتصديق الرجال الى تلك الوعود . فما ان تضع الحرب أوزارها حتى تجد حلفاء الأمس خصوم اليوم ، واذا الحرية والاستقلال وحق تقرير المصير قطع من الفاكهة المطبوخة بالسكر ، يعللنا حلفاؤنا بها كما تعلل الأم الجاهلة طفلها بحلمة من المطاط .

قلنا : ولو قال المؤلف : كما تعلل الأم المحتالة طفلها الغر ، لكان التمثيل أصدق . واما استنامتنا فليست « لما وقر في صدورنا من حب الصدق » ولكنها لما غلب علينا من حب البَلَدَ القومي ، ومن التجرد من الاخلاص الحق ، والايمان الصدق .

قال النبي العربي (ﷺ) : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وقال عمر (رض) : لست بخب ولا الخب يخدعني . هكذا كان العرب يوم كانوا ، ويوم كان الصدق قد وقر فعلاً في صدورهم . بيد انهم كانوا مؤمنين ! ...

ويحسن الأستاذ اذ يقول : « .. وجب ان يعتمد الشرقيون (كذا ! ..) — ونحن العرب منهم — على انفسهم اذا أرادوا حياة قوية شريفة مطمئنة . واعني باعتمادنا على أنفسنا توجيه قوى الشباب ، الذين لم يتذوقوا طعم الاستعمار ولم يألفوا الحياة المستعبدة ، توجيهاً منظماً .

« ... فيا أطباء الأمة العربية ، ان الأموال التي تجنونها ، والمناصب التي تعلونها لا قيمة لها اذا زالت عظمة العرب القومية غداً من صفحات التاريخ . يجب ألا يصبح العرب غداً قبائل كقبائل الزنوج في اوسترالية وافريقية ، ولا افراداً مبعثرين كالأسكيمو على ثلوج القطب الشمالي ، كل ذلك في سبيل أفراد قلائل منا يحبون ان يعلن عنهم انهم دخلوا في مجالس النواب .

... على الشباب الواعي العاقل ان يدرك ان المرض مرض ، سواء أكانت العدوى من شخص غريب أم من شخص قريب » .

وينتقل المؤلف بعد هذا الى «سير التاريخ في الوطن العربي» ثم الى «وحدة الأرض» فـ «وحدة الجنس» فـ «وحدة اللغة» فـ «وحدة التاريخ» فـ «وحدة الثقافة» فـ «وحدة الشعور» فـ «وحدة الأماني والأهداف» ثم الى «التعاون والأهداف القصوى» فـ «النهضة العلمية الحديثة» فـ «معالم الحضارة» ثم بحث في «عظم الثروة» وفي «الضعف الذي يخلق القوة» .

وهذه الأبحاث أيّد المؤلف كثيراً منهـا بشواهد من تاريخنا ، ومن وقائع الغرب . فجاء الكتاب على صغر حجمه جليل الفائدة ، عميم النفع ؛ خليق بكل عربي أن يطلع عليه ، فيفيد منه ، وطنية وثقافة .

ع . ن

مجلس الدولة

الكتاب التذكاري بافتتاح داره

مجلس الدولة — كما سمته مصر — ومجلس الشورى — كما نسميه نحن — مجلس يتصل نسبه التاريخي بمجلس الملك في فرنسة ، وهو المجلس الذي كان على عهد الملكية الفرنسية القديمة . وفي سنة ١٧٩١ ابدلت به الجمعية التأسيسية ثم أعيد في ايام الثورة . وقد طرأ على هذا المجلس تطورات عديدة ، ومرّ في أدوار مختلفة الى أن استقر على حاله الحاضرة .

والأمم التي تابعت فرنسة في قوانينها ، أخذت — في جملة ما أخذته عنها — هذا المجلس .

والغريب ان حظ مجلس الشورى ، ومجلس الدولة كاد يكون واحداً في جميع الأقطار التي أنشئ فيها . فكان يُحدث ، ثم يُلغى ، ثم يُعاد . وهكذا دواليك

وأول ما فكرت مصر في انشاء هذا المجلس كان سنة ١٨٧٩ ايام اسماعيل . وظل «الأمر العالي» بانشائه حبراً على ورق الى ان عادت هذه الفكرة مرة ثانية سنة ١٩٤٦ في عهد الفاروق .

ولعله من الخير كان لمصر ، ان لا يكون فيها هذا المجلس في تلك الأيام ، لأنه كان يراد تأليفه من هيأة مختلطة ، يتساوى فيها الأجانب بالمصريين . فكان يكون قيداً آخر في عنق الوطنيين .

وقد جمع هذا الكتاب « الأمر العالي » الذي أصدره اسماعيل ، والقانون الأخير الذي أقره مجلس النواب ومجلس الشيوخ . وبذلك تمت هـذه الحلقة التاريخية في حياة القضاء الاداري المصري .

ومن المفيد ان يوجد هذا الاسم في القطرين العربيين الشام ومصر . فهو هناك مجلس الدولة ، وهو هنا مجلس الشورى . وهما هما تأليفاً واختصاصاً .

ومثل هذا التوحيد يتطلب دراسة وتساهلاً . فاخواننا في مصر يأخذون علينا ان هذا المجلس ليس بمجلس شورى ، فتسميته لا تنطبق على الواقع ومثل هذا يرد أيضاً على « مجلس الدولة » فهو ليس بمجلس للدولة ولكنه مجلس من جملة اختصاصاته ان يقضي المنازعات بين الحكومة وبين الأفراد . فكيف يسمى — والحالة هذه — مجلس الدولة ؟

وقد جاء هذا الاختلاف في الاسم من الاختلاف في الترجمة فمصر ترجمت اللفظة الفرنسية ترجمة حرفية والدولة العثمانية — ونحن أخذنا عنها — ترجمت ترجمة معنوية وتاريخية .

أما الشوري او مجلس الدولة من حيث « الرأي والاشتراع » فله اصل في الاسلام ، وله اصل ايضاً عند العرب في الجاهلية .

ع . ن

الناطقون بالضاد في أميركة

كتيِّب قيم يقع في مئة صفحة من القطع المتوسط مطبوع طبعاً متقناً كل الاتقان ، في المطبعة التجارية بالقدس . نشر هذا الكتيب معهد الشؤون العربية الأميركية في نيويورك . ونقله الى العربية الأستاذ يعقوب العودات المعروف بـ « البدوي الملثم » . وعلق عليه بحواشي مفيدة . وعرف الأستاذ قدري حافظ طوقان « هذا الكتاب » بأنه :

« يتناول العرب الذين نزحوا الى المهاجر ، واستطاعوا بجدهم ونشاطهم ان يبرزوا في التجارة والصناعة والعلم والادب ؛ وان يكتبوا لوطنهم العربي في سجل الخلود ، صفحات مشرقة تدل على عبقريتهم ، وتشهد بعظمتهم ، وتشير الى نبوغهم » .

« ... وان هذا الكتاب لدليل قاطع على ان في العربي « قابلية » للابداع ، واستعداداً لحمل الرسالات الانسانية وادائها – اذا ما واتته الظروف — على احسن وجه ، وأقوم سبيل » .

وبعد ذلك تعريف بـ « معهد الشؤون العربية الأميركية » الذي أصدر هذا الكتاب . وهو معهد أنشئ للدعاية العربية « وانماء شعور التفاهم وحسن النية المشتركة بين الولايات المتحدة والشعوب الناطقة بالضاد » ...

واول فصول الكتاب : « الناطقون بالضاد في اميركة : بيئتهم واثرهم في الحياة الأميركية » ثم تعريف بهم وبأوطانهم ومهاجرهم . ومبدأ الهجرة وأسبابها . وذكر للصناعات التي زاولوها ونشروها . وللتجارب التي عملوا فيها .

ثم ما كان منهم في ميادين العلم ، والأدب ، والموسيقى ، والغناء ، والتأليف ، والاختراع ، والسياسة ؛ واسماء المشهورين في كل موضوع من هذه الموضوعات . والخدمات التي أدوها لوطنهم : القديم والجديد .

فالشكر ، للمعهد الذي اخرج هذا الكتيب الممتع ، وللأستاذ العودات الذي نقله الى العربية فأحسن نقله .

قواعد النقد الأدبي

تأليف لاسل آبركرُمبي

استاذ الأدب الانكليزي بجامعة لندن

نقله الى العربية

الدكتور محمد عوض محمد

وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ليس بالأمر اليسير تلخيص ما اشتمل عليه كتاب : قواعد النقد الأدبي ، نظراً الى كثافة أفكاره ، فالمؤلف يفرق بين نظم الشاعر لشعره ونقده لهذا الشعر وبين المقدرة على تذوق الأدب والمقدرة على تحليله المنطقي وهو يذكر ان للأدب ثلاث ملكات ، ملكة الانتاج أو الانشاء وملكة التذوق وملكة النقد ، وهو يحاول أن يبني النقد على القواعد العقلية « لنظرية الأدب » لا على مقارنات بين صفات ومزايا خاصة لأن الصفات والمزايا الخاصة لا يمكن القطع بأنها ضرورية لا غنى عنها ، أما القواعد التي تبين لنا طبيعة الأدب عامة ووظيفته التي يؤديها هي وحدها التي تستطيع ان تقرر لنا ما هو لازم وما هو ليس بلازم لكل نوع من أنواع الأدب .

على أني اذا أشرت الى هذه الآراء المبثوثة في الكتاب فلا أعتقد اني عرضت على القارئ خلاصة هذا الكتاب فخير له أن يطالع فصوله الخمسة : المقدمة وفن الأدب وكتاب ارسطو في الشعر وبعد ارسطو والخاتمة حتى يتصور ذهنه الأدب والنقد كما يتصورهما أدباء الغرب ونقاده اذ أن هذه المعاني حديثة في أدبنا .

لا شك في ان فهم الأدب والاصطلاح على نقده كان موضوع اختلاف في الرأي من قديم الدهر فقد جاءت عصور كان لشاعر من الشعراء فيها المقام الأول ثم مضت تلك العصور وجاءت غيرها فلم يكن لذلك الشاعر فيها المقام

الذي كان له من قبل ، فكم شاعرٍ يرفعونه في عصرٍ ثم يخفضونه في عصرٍ آخر وكم شاعرٍ يخفضونه في عصرٍ ثم يرفعونه في عصرٍ آخر ، فهل معنى هذا ان النقد ليس له قواعد ثابتة مثل القواعد الرياضية وانما هو تابع لأذواق تختلف من عصرٍ الى عصرٍ ، وهذا ما يجعل صناعة النقد من أصعب الصناعات وأدقها فما أستحسنه من الشعر لا يستحسنه غيري وما يستقبحه غيري لا أستقبحه أنا فليس من سهل الأمور ان نضع قواعد نقيّد بها أذواقنا كما يضع العلماء قواعد يقيدون بها علومهم ، وكيف كان الأمر فلا ينبغي للنقد ان يكون فوضى بحيث يستطيع كل من يمسك بيده القلم ان يحكم على شاعرٍ او على كاتب حكمه الذي يمليه عليه ذوقه ولهذا كان همّ النقاد في كل العصور تقييد النقد حتى لا يكون فوضى وحتى يكون للناس قواعد عامة يصطلحون فيها على محاسن الفن ومقابحه على قدر الامكان .

شفيق جبري

أشهر الرسائل العالمية

من أقدم الأزمنة الى الوقت الحاضر

اختارها وترجمها

محمد بدران

الجزء الأول

من القرن الرابع قبل الميلاد الى آخر القرن الثامن عشر

عُني الأستاذ محمد بدران بترجمة طائفةٍ من الرسائل الخاصة من القرن الرابع قبل الميلاد الى آخر القرن الثامن عشر ، ولم يقتصر على نوع واحدٍ من الرسائل بل حاول تنويعها ما استطاع الى ذلك سبيلاً فترجم منها ما يصف عواطف كاتبها من حب واستعطاف وما يعنى بالحادثات الهامة التي غيرت مجرى التأريخ او بالأعلام البارزين الذين كان لهم أعظم الأثر في هذا العالم كالملوك والفلاسفة

ورجال الدين والنساء ولم يكتف بايراد الرسائل وحدها بل صدّر كل رسالة ببيان واف للباعث على كتابتها ووضّح بعض ما حوته من اشارات غامضة وقد أتبع كل رسالة بالردّ عليها تارة وبخلاصة هذا الردّ تارة اخرى أو بما كان لها من اثر ونتائج ان لم يكن لها رد ٠

وقد اجتهد في اختيارها في ان تمثل اكثر ما يمكن تمثيله من ألوان الأدب او ان توضّح اكثر ما يمكن توضيحه من أهم حوادث التأريخ ، واذا كان لا بدّ من رأي في هذه الرسائل فالرأي فيها ما بيّنه الأستاذ المترجم نفسه فان الرسائل الخاصة تشتمل على متعة وطرافة فرسائل الشخص انما هي روحه السافرة ومرآة قلبه الصادقة ، وصندوق الرسائل كما قال « شيشرون » انما هو مستودع مقدّس يضع الناس فيه أسرارهم وهم واثقون بأنهم قد ألقوا بها في مكان أمين وان ما حوته من الأسرار ان يطلع عليه الا المرسلة اليهم ٠

ولغة هذه الرسائل المترجمة لغة سهلة واضحة ٠

ش ٠ ج

فصول من المثنوي

لجلال الدين الرومي

ترجمها وقدّم لها عبد الوهاب عزام

عميد كلية الآداب

عرض الأستاذ عبد الوهاب عزّام في « كتيّبه » على نحو ما قال : صوراً من كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي ، وهو الكتاب الذي سماه الشيخ عبد الرحمن الجامي ، فشاعت تسميته « القرآن في اللغة الفارسية » ٠

ترجم الأستاذ فصلين من الجزء الأول من الكتاب وفاتحة الجزء الثالث وأثبت مقدمة عربية قصيرة كتبها الناظم للجزء الثالث وقدّم قبل الترجمة سيرة

الشاعر مجملة وقصد بهذا «الكتيب» الى التعريف بالصوفي العظيم جلال الدين وبالأدب الصوفي الذي زخرت به اللغة الفارسية .

وهذا عمل لا يخلو من بعض المشقة فان الأستاذ عزّام ترجم ما ترجمه دون حذفٍ وتغيير على نحو ما أشار الى ذلك في بعض كلامه ، فقد أراد ان ينقل الى قارئ العربية صوراً صادقة من هذا الكتاب ، فلم يثبت أبياتاً ويدع اخرى ، مختاراً الأبيات البليغة والصور الجميلة ولكن ترجم الفصل كله ، جيده ووسطه ورديئه ، واضحه وغامضه ، مقيداً بحدود المعنى في الأصل وقيود النظم في الترجمة .

وهكذا فقد فتح لنا الأستاذ عزام في الفصول القليلة التي ترجمها باباً لرياضتنا الروحية نطرح بها عن أجسامنا كثيراً من عناء الحياة وقلقها في وقتٍ كاد الناس فيه ينفصلون عن عالم الأرواح بالمرّة ويلصقون بالمادة وحدها دون أن تطمح أبصارهم الى ما فوق الأرض !

ش . ج

المرأة

هذا اللغز الأدبي

سامي الكيالي

« ليس هذا الكتيب تحليلاً لطباع المرأة ، انما هو لمحات منثرة كتبت في ظروف مختلفة من هذه الظلال التي تُعكس طباعها وخصائصها مع تصوير باهت لمركزها السامق في المجتمع وأثرها في حياة الأدب والأدباء » .

***

هكذا عرّف الأستاذ سامي الكيالي كتابه : المرأة ، فاذا كان هذا « الكتيب » عبارةً عن لمحات منثرة فان هذه اللمحات تشتمل على أشياء كثيرة تتصل بالمرأة اتصالاً قوياً وخاصة هذه الأقوال الحكيمة الصادرة عن طائفة

من أكابر أدباء الغرب والشرق التي صوّر بها أصحابها اثر المرأة في الأدب وفي حياة الأدباء أو هذه القصص اللطيفة التي حلّل فيها الكاتب هذا «اللغز الأبدي» .

وبعدُ فلست أدري لماذا يرى الأستاذ سامي الكيالي في المرأة لغزاً أبدياً استعصى حله على كبار الأدباء وأعاظم الفلاسفة فما أظن ان المرأة بلغت هذا المبلغ من الغموض لقد حلل عواطفها كثير من الكتاب وكشفوا عن بواطنها وأحاطوا بدقائقها وجلائلها وما اكثر الروايات التي تضمنت هذا التحليل والكشف والاحاطة ، ولماذا تكون المرأة لغزاً ، انها جزء من هذه الانسانية ، تجمع ما تجمعه الانسانية من المناقضات ، والحياة كلها مناقضات على نحو ما قال احد كتاب الغرب ، يكره الرجل الكذب وحياته سلسلة أكاذيب ، فهو سريع وبطيء في وقت واحد ، مقدام وجبان ، رحيم وقاسٍ ، مؤمن وشاك ، عاقل ومجنون ، هذه هي الحياة ، والمرأة قسم من هذه الحياة ، فلا ينبغي لنا ان يهولنا أمرها ، وعلى كل حال فاذا أصرَّ الأستاذ سامي الكيالي على ان يرى في المرأة «لغزاً أبدياً» فقد أتاح لنا ان نعيش في «لحانه» نصف ساعة مع هذا اللغز نذوق فيها فتنته ونتمتع من سحره وجماله .

ش . ج

رائد التراث العربي

وضعه باللغة الافرنسية الأستاذ جان سوفاجيه ونقله الى العربية الأستاذ صلاح الدين المنجد . (١٨٢) صفحة من القطع المتوسط وهو من مطبوعات دار العلم للملايين في عام ١٩٤٧ .

كتاب لا يقدر قيمته الا من عانى البحث والتحقيق وتشمل فائدته العرب والمستعربين ولا سيما المبتدئين منهم . وهذا الكتاب «هو مسرد نقدي جامع لكل ما ألفه علماء المشرقيات عن التراث العربي في مختلف العصور والموضوعات» فهو خير هدية تهدى للباحثين ترشدهم الى المصادر المطلوبة وتيسر لهم البحث عنها .

وقد احسن الأستاذ المنجد عملاً باقتباسه هذا الكتاب الذي سيصبح مرجعاً

يعتمد عليه المبتدئ ولا يستغني عنه المحترف . فهي خدمة علمية جليلة يحمد عليها ويشكر .

وقد جاء في صفحة ١٢٣ اسم السلطان (Barkiarok) فترجمه الأستاذ بالسلطان (برقوق) وهذا خطأ وصوابه (بركياروق) الملقب ركن الدين ابن السلطان الب ارسلان احد ملوك السلجوقية ولذلك اقتضى التنبيه اليه وهنالك بعض اغلاط مطبعية لا تخفى على القارئ .

فنشكر للأستاذ المنجد همته ونشاطه العلمي المتواصل .

جعفر الحسني

الجزء الأول من الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة

للشيخ نجم الدين الغزي

حققه وضبط نصه الأستاذ جبرائيل سليمان جبور

المطبعة الأميركية في بيروت سنة (١٩٤٥) في (٣٢٢) ص عدا المقدمة

احسن الأستاذ جبرائيل سليمان جبور كل الاحسان في نشر هذا الكتاب القيم وتحقيقه بعد ان كان العلماء والباحثون يترقبون نشره . والقرن العاشر الهجري جدير بالبحث والدراسة فهو العصر الذي فقدت فيه مصر والشام استقلالها وانهارت فيه حكومتها بعد ان دفعت الشعب بأجمعه الى الانهيار في عقله وتفكيره واقتصادياته واجتماعياته ، ولا يزال حتى اليوم يأن من هذا الانهيار الموجع الأليم .

ولعل هذا الكتاب هو اجمع كتاب للقرن العاشر وتراجم اهله . فهو قد ترجم لرجالات مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وبلاد المغرب والهند وايران والأناضول ، واعطى صوراً متعددة عن هذا العصر القاتم المظلم ، ويلاحظ فيه كيف اختفت اسماء المدارس وخلفها في الذكر اسماء الزوايا وارباب الطرق ، فقل من رجال العلم في ذلك العصر من لم يأخذ الطريق ، ويلاحظ ايضاً ان هذه البضاعة اصبحت ترد البلاد العربية عن طريق بلاد المغرب بعد ان كانت

ترد من جهات بلاد العجم، واصبح رجالات العلم والدراسة يتقبلون مثل هذه الاتجاهات بعد ان كانت خاصة بالعوام .

وقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاث طبقات : الطبقة الأولى فيمن وقعت وفاته من اول القرن العاشر الى ختام سنة (٩٣٣) والطبقة الثانية فيمن وقعت وفاته من اول سنة (٩٣٤ - ٩٦٦) والطبقة الثالثة فيمن وقعت وفاته من اول سنة (٩٦٧) الى نهاية سنة الف .

فالجزء الأول الذي نحن بصدد الكلام عنه يحتوي على تراجم الطبقة الأولى من هذا الكتاب فقط اي من سنة (٩٠٠ — ٩٣٣) .

والمطلع على هذا الجزء يشعر بالجهد العظيم والعناية الشديدة التي بذلها الاستاذ جبور في تحقيق هذا الكتاب وتقريبه من الصحة ، ورغماً عما استفرغ فيه من جهد فقد مررنا عفواً على بعض اغلاط وقعت فيه ونحن نتصفحه . ولدى الرجوع الى الأصل المخطوط بالظاهرية (وهي التي اعتمد عليه الناشر) اتضح لنا ان الناشر المذكور حافظ على هذا الأصل المخطوط محافظة شديدة رغم وجود الخطأ فيه وهو ما اشار اليه في ص (ز) فقال : ولقد حاولت جهدي ان اتقيد بالنص فلا احيد عنه اذ غاية الناشر ان يثبت الأصل كما هو . واذا كان لا بد من اصلاح كلمة يراها الناشر من خطأ النساخ او جهلهم فالأولى ان يشير الى شكلها الأصلي حين يغيرها . وحبذا لو يتقيد الناشرون في البلاد العربية بهذا الأمر ، لان الناشر مهما أوتي من المهارة والعلم فليس يسلم من العثور في الخطأ ، وليس غريباً ان يكون اصلاح الناشر خطأ ، وليس غريباً ايضاً ان يكون هناك مجال لاجتهاد آخر تقرأ فيه الكلمة على شكل آخر هو اقرب الى الصواب . هذا كلام الناشر .

وهذه امثلة مما ورد في هذا الجزء من الأخطاء (٥١ : ١٠) راس نوبة المنوب . والصواب : رأس نوبة النوب (٥٥ : ١٣) يدعو الى المولى وينفر دينه . والصواب : يدعو الى المولى وينصر دينه (٥٥ : ١٥) اضحى طريحاً في القبور وغبرة .

والصواب : اضحى طريحاً في القبور وعبرة (٨٣ : ٤ و ٥) يبلغ بمحراب الحنفية المخصوص الآن بالشافعية من باب العنبرانية وباب الخطابة . والصواب : بين باب العنبرانية وباب الخطابة (١٥٠ : ١٦) وطلع هو وهي الى بستان بالمزار فنزل عليه (السوقة) ليلاً فقتلوه . والصواب : وطلع هو وهي الى بستان بالمزاز[1] فنزل عليه السرقة ليلاً فقتلوه (١٥١ : ٢) جامع بردسك . والصواب : جامع برد بيك (١٦٩ : ٢١ و ٢٢) واوقع الحمويين في امر مذبح . والصواب : في امر مريج (١٦٩ : ٢٦) ونصب منجنيقاً في داخل القلعة ليرمي بها الحاضرين لها . والصواب : ليرمي بها الحاصرين لها (١٧٤ : ٥) فقال لهم ان يقدر شيخكم . والصواب : فقال لهم : هل يقدر شيخكم (١٧٧ : ١٠) وتوفي بالمدرسة الباذرائية . والصواب : بالمدرسة بالبادرائية . لأن منشئها هو نجم الدين البادرائي منسوب الى بادرايا قرية من اعمال واسط . ولا يزال بائعو التمر في دمشق ينادون على تمرهم « يا مال بادرايا » وهذه اللفظة مما عم الخطأ بها في كثير من الأصول الخطية وعند بعض الخواص (١٨١ : ٢٤) وولي نظر الماردانية والمرشدية . والصواب : وولي نظر الماردانية والشبلية[2] (١٩٢ : ٨) حفظاً لطهارته . والصواب : حفظاً لطهارتها (٢٥٩ : ١٧) وكان من (مشافه) تلامذة ابن حجر . وفي مخطوطة الظاهرية : وكان من مشان تلامذة ابن حجر والصواب وكان من شبان تلامذة ابن حجر (٢٧٥ : ١٩) في التحذير للتبرك ونحوهم من الظلم . والصواب : في التحذير للترك ونحوهم من الظلم (٢٧٩ : ١٥) وكتب اشياء من مؤلفات بيننا والصواب : من مؤلفات بيتنا (يعني بيت المؤلف) (٢٨٥ : ١) ابن مفلح الرامسي الأصل الصالحي الدمشقي . والصواب ابن مفلح الراميني . لأن بني مفلح ينسبون الى رامين قرية في جبل نابلس (٢٨٥ : ٩) للشهادة بدركات باب البريد والصواب بدكات باب البريد . جمع دكة وهي المسطبة . وكان

(١) محلة خارج الباب الصغير بدمشق لا تزال تعرف بهذا الاسم وهي في حي الشاغور

(٢) راجع القلائد الجوهرية (١ ـ ١٣٠ : ٢)

للشهود مسطبات يجلسون عليها على ابواب الجامع الأموي في البداية لابن كثير (١٣ : ٣١١) سنة (٦٨٧) ان عبد الرحمن المقدمي استجد مساطب باب الساعات للشهود . وباب الساعات هو باب الجامع الأموي الشرقي كما ان باب البريد هو الباب الغربي (٢٩٣ : ٨) بدرية بنت الملك المؤيد شيخ[ه] فزيادة الهاء في آخر شيخ من المصحح والصواب حذفها لأن الملك المؤيد اسمه « شيخ » راجع شذرات الذهب (٧ : ١٦٤) (٢٩٧ : ١٠ و ١١) فوقع الحرب بينهم فرفع عليهم العسكر الرومي بالعربات ورموا بها عليهم فأظلم الأفق وصار له دوي . والصواب : فوقع الحرب بينهم فدفع عليهم العسكر الرومي بالعرادات . والعرادات نوع من المدافع المستعملة في القرن العاشر الهجري (٢٩٨ : ١٠) صاحب دبوان الانشاد . والصواب : صاحب ديوان الانشاء (٣٠٠ : ١٨) عرب هتيم وكذا في المخطوطة الظاهرية . وفي اعلام الورى لابن طولون « عرب هُزيم » ولذلك يترجح في تصويبها انها « هُثيم » بالثاء المثلثة لأنها تكون باللفظ قريبة من لفظة « هزيم » (٣٠٤ : ٧) معاملتي بالالطف والعسر واليسر . والصواب : معاملتي باللطف في العسر واليسر (٣١٧ : ٣) بالتربة الركنية بمحلة مسجد الذبان . والصواب بالتربة المنجكية (٣١٨ : ٨) وشك السلموني في الحديد . والصواب ومسك السلموني في الحديد .

هذه امثلة وقع نظرنا عليها عفواً من غير تتبع ، يرجع الخطأ في اكثرها الى التصحيف الواقع في الأصول الخطية ، كما ان بعضها واضح الخطأ مما كنا نظنه خطأ مطبعياً لولا ان رأيناه مثبتاً في مخطوطة الظاهرية .

وأخيراً فلا يسعنا الا شكر الاستاذ جبور على جهوده ونشره لهذا السفر العظيم راجين له التوفيق والنجاح في اكمال الباقي منه .

محمد احمد دهمان

فهارس المكتبة العربية في الخافقين

للسيد يوسف اسعد داغر

عدد صفحاتها ٢٠٢ ، بقطع متوسط ، طبعت بمطابع صادر - ريحاني ببيروت

قسم المؤلف كتابه الى سبعة مطالب ، وألحق بها لمحة عامة عن علم الببليوغرافيا ، وفهارس الفهارس .

ذكر في المطلب الأول فهارس الكتب العربية في الشرق .

وفي المطلب الثاني فهارس المخطوطات العربية في لبنان وسورية وفلسطين ومصر والعراق وشمالي افريقية والجزائر وتونس والمغرب الأقصى والهند ، ومجاميع المخطوطات في بعض الخزائن الخاصة في لبنان وسورية وفلسطين والعراق ومصر وايران ، ثم وصف بعض المخطوطات النادرة في العالم العربي وتزويقها وتذهيبها .

وفي المطلب الثالث فهارس الكتب العربية في الغرب ، فذكر أولاً فهارس المطبوعات الشرقية عامة ، ثم فهارس المطبوعات العربية خاصة .

وفي المطلب الرابع المخطوطات في المانيا وانكلترا وفرنسا وايطاليا واسبانيا وروسيا وهولندا وسكنديناقيا والولايات المتحدة .

وفي المطلب الخامس فهارس المجلات الاستشراقية وفهارس الناشرين والكتبيين المستشرقين في فرنسا وانكلترا والمانيا وهولندا ، ثم ذكر حدود الاستشراق وتعريفه ومؤتمراته والاستشراق في الدول الكبرى .

وفي المطلب السادس فهارس المحفوظات الشرقية ، فذكر أهم دور المحفوظات الشرقية ، والدول العربية والمحفوظات التأريخية ، وأهم ودائع محفوظات التاريخ العربي الاسلامي ، ومنشورات الوثائق الرسمية في لبنان وسورية ومصر ، ومجموعة المعاهدات الخاصة ببلدان الشرق العربي .

وفي المطلب السابع مصادر الثقافة العربية .

واتبع هذه المطالب بكلمة عن علم الببليوغرافيا ، والفهارس العامة في الآداب القومية ، فذكر فهارس الآداب الانكليزية والاميركية والفرنسية والايطالية

والألمانية ، وفهارس الاسماء المستعارة في الآداب العالمية ، ثم ختم كتابه بذكر معاهد المكتبات الحديثة في الغرب وحاجة الشرق الى مثلها .

ثم وضع لمؤلفه هذا ستة فهارس (١) للمجلات العربية (٢) لخزائن الكتب والمكتبات (٣) لأسماء الكتب والمؤلفات (٤) للأعلام (٥) للبلدان والأمكنة (٦) للموضوعات

وبالرغم من الجهود التي بذلها الأستاذ داغر في تصحيح كتابه ، فقد عثرنا على كثير من الأخطاء المطبعية وقليل من الأخطاء في أعلام البلدان والرجال واسماء الكتب والمجلات وقواعد اللغة العربية ، ندرج اهمها في هذه العجالة ليتسنى للمؤلف تصحيحها في الطبعة الثانية :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٣٧ و ١٣٥	سوريا	سورية [١]
١٠٩	افريقيا	افريقية [٢]
٥٨	ابن الخطيب الناصرية	ابن خطيب الناصرية
٢٢	جعفر الكتانة	محمد بن جعفر الكتاني
٦٠	عبد الباسط العلوي	عبد الباسط العلموي
٢٢	الرسالة المستطرفة لبيان شهود كتب السنة	الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة
٦٤	مجلة المشرق	مجلة المجمع العلمي
٦٣	المصايد والمصادر	المصايد والمطارد
١٩٦	فهارس	فهرس
٨٠	سبعة مجلدات [٣]	سبع مجلدات

وبالختام نشكر للمؤلف جهوده التي بذلها في تأليف هذا الكتاب ، الجامع الكثير من الموضوعات القيمة ، التي تعود بالخير الجم على المؤلفين والباحثين .

عمر رضا كحالة

(١) انظر: معجم البلدان (٢) انظر : معجم البلدان (٣) انظر : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وقد تكرر أمثالها في عدة مواضع من الكتاب .

اراء وأنباء

حول احياء الغريب

قرأت في بعض المجلات ما يشبه أن يكون تهكماً باللغة الفصحى ، وتهزأة بالذين يستعملونها ، من دون أن يفرق المستهزؤون بين الغريب الحوشي الذي نبه علماء البلاغة الى استهجانه ، ووجوب اطراحه ، وبين الغريب الحائز لشروط الفصاحة ، وهو الذي كتبت به آثار السلف ودونت به أخبارهم ، ولا يخفى أن العناية بالألفاظ الفصيحة هو عناية بسلامة اللغة التي جعلها قانون مجمعنا من أهم أغراضه ، وأشرف أعماله ، ومما يزيد في أزمة التشاؤم بهذه الألفاظ ما يجري على ألسنة بعض الفضلاء أحياناً من القول : بأن اهم ما يجب على المجامع اللغوية أن تسجل ما يستعمله الكتاب من الألفاظ : بحجة أن لغة كل قوم ما يتفاهمون به ، لا ما ضُمت عليه المعاجم ، لا جرم أن هذا القول يصرف القلوب عن فصيح اللغة الى ضعف الثقة به ، ثم هجرانه ، واطراح استعماله ،

واذا عملنا بهذا الرأي ، وأخذنا نحفل بالمستعمل الجديد من الألفاظ ، ونسعى في التقاطه من هنا وهناك ، وننسى أو نتناسى الاهتمام بغريب اللغة والفصيح من كلماتها يوشك أن لا يمضي جيل أو جيلان حتى تقوم الكلمة الجديدة مقام الكلمة القديمة في لغة القرآن ، كما تقوم اللبنة مقام اللبنة في هيكل البنيان ، وعلى تمادي الزمن تصبح لنا لغة جديدة خلاسية ، وهي المركبة من شذاذ الألفاظ — ولغة تاريخية قديمة مقدسة وهي التي احتضنتها المعاجم ، واذا ذُكرت هذه اللغة القديمة فانما تذكر بجانب الهيروغليفية والسنسكريتية واللاتينية العتيقة التي تجزّأت فتبع ذلك تجزؤ في الأمم المتكلمة بها ،

وتفادياً من سوء هذا المصير لأمتنا العربية ينبغي أن نعمل على احياء الألفاظ القاموسية الفصيحة .

ولا يخفى أن نمو اللغات يكون باحياء الألفاظ القديمة الفصيحة الصالحة للاستعمال كما يكون باستعمال الألفاظ الدخيلة المولدة التي لا مفرّ من حدوثها أو استحداثها .

واحياء الغريب الفصيح إن صعب على الأفراد ما كان ليصعب على المجامع اللغوية التي تملك من الوسائل ما لا يملكه الفرد .

ولم أر من مجامعنا اللغوية عنايةً بهذا الموضوع «موضوع احياء الفصيح الغريب» اللهم الا ما كان من مجمعنا الدمشقي فانه كان يوجه الأنظار اليه تارةً في مجلته وطوراً في محاضراته . وقد خطر لي أن أعرض بشأن احياء الغريب الفصيح اقتراحاً أراه وسيلة عملية سهلة التناول ، لا نظريه خيالية يكثر فيها القول ، ويقل العمل .

ذلك أن يختار المجمع من فصيح الألفاظ القاموسية مئة كلمة تجمع بين خفة اللفظ وقرب المعنى . وأريد بقرب المعنى قربه من متناول حاجات عصرنا ، ومطالب حياتنا الجديدة .

هذه الكلمات المئة توزع على عشرة من أعضاء المجامع الذين عرفوا باقبال القراء على كتاباتهم وتتبع آثارهم . وخاصة أولئك المسيطرين على السوق ، سوق النشر والصحافة والتأليف ، وهم الذين عناهم الأستاذ (طه حسين) مذ قال : «من الكتّاب والشعراء من يسعده الحظ فتروج ألفاظه وأساليبه ويقبلها الناس ويتهالكون عليها حتى تشيع وتصبح جزء من اللغة المألوفة . ومنهم من يخطئه هذا الحظ : فلا يحفل الناس بما أدخل ولا بما استعمل» . يتبنّى كل واحد من هؤلاء العشرة المقروئين عشر كلمات فقط من المئة المختارة تكتب في لوحة خاصة وتوضع على مكتبه تحت مواقع لَحاته . وبهذه الطريقة تبقى في ذاكرته ، حتى

اذا سنحت له مناسبة لاستعمال واحدة منها — وما أكثر سنوح المناسبات لأمثاله — أدخلها في كتابته . وأوردها في سياق موضوعه إيراداً يغنيها عن التفسير . ولو فعل وفسرها (بين هلالين أو في الذيل) لحسن وما ضرّ . وتبقى هذه الكلمات المئة في ميدان العمل نحو سنة ثم ينظر المجمع في نتيجة (العملية) وفي نجاح هذه القضية أو عدم نجاحها كما يسمع ملاحظات الأعضاء وغيرهم عليها : فان كانت النتيجة حسنة . وظهر أثر لشيوع الكلمات المئة على الألسن والأقلام ، أعاد التجربة في كلمات أخرى ووجه نظره الى تكليف كتّاب آخرين يشاركون الأولين في العمل . وما يدرينا أن غير الأعضاء من الكتاب الحراص على سلامة لغتهم : اذا آنسوا حسن هذه الطريقة ويسرها . قلدوا الأعضاء ونبشوا من معادن المعاجم ما فيه متعة وفائدة من ألفاظها . وفصيح مفرداتها . وبالطبع لا يحيى من ذلك كله الا الصالح للحياة .

واذا عاش من الكلمات المئة ثلثها — والثلث كثير — واستُعملت بجانب الكلمات الجديدة التي وضعتها واصطلحت عليها المجامع كان ذلك من خير ما يُحيي اللغة وينمّيها ويبقيها عروة اتصال بيننا وبين ثقافتنا القديمة المكتوبة باللغة الفصحى .

اذا نجحت هذه الوسيلة في إحياء فصيح اللغة نشط محبّو اللغة الى استخدام وسائل أخرى كالراديو والسينما والتمثيل والموسيقى . فسخّروها لغرضهم ، ونشر لغتهم . ولا تَسْخَرُوا أيها الاخوان من هذا التسخير . وتذكّروا كلمة (السمات) الواردة في لحن (ذهبي الشعر شرقي السمات) فان (السمات) أصبحت مستقرة في الأذهان ، سهلة الاستعمال على كل لسان ، ولو قيل مكانها (قسمات) وهي بمعناها لعاشت وحييت كما حييت (سمات) . تقولون ان الناس ينطقونها ولا يفهمونها . نعم يقع هذا في أول الأمر غير أن القرائن تعود فتفهمهم اياها . وان لم يفهمه كلهم فهمه من يهمّه الفهم منهم . وفي ذلك غناء . ولو ادعى مدع بأن طائفة كبيرة من فصيح كلمات اللغة المستعمل الى اليوم في لغتنا إنما وصلت الينا من أغاني المغنّين في عهد الأمويين والعباسيين لو تأتّى مثال على ذلك لما كان حانثاً

ولا عابثاً . ولعل قوماً يرون في هذا الاقتراح غرابة او كلفة تجعله غير قابل التطبيق . نعم ولكنه يصف للقارئ مبلغ الحاجة الى إحياء الغريب ، والانتفاع بثروته في تنمية لغة القرآن ، وبقائها حية ، تجمع الشمل . وتعصب الفرع بالأصل . والا فيوشك أن يأتي يوم تبكي نفسها ، وتندب حظها ، وتعاتب أهلها بقول حافظ ابراهيم :

فلا تكلوني للزمان فانني أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أو يقول الشاعر القديم :

يا ويح أهلي أبلى تحت أعينهم على الفراش ولا يدرون ما دائي

المغربي

المستجاد من فعلات الأجواد

كتب العلامة كرينكو (سالم الكرنكوي) الى ناشر كتاب المستجاد يقول :

كنت في سنة ١٩٣٢ أقرأ هذا الكتاب حرفاً حرفاً مع تلميذي ليوپولي في جامعة بون ثم جاءت الحرب فكأن البلاد ابتلعته فلا ادري الى الآن أين وقع وكنت عند القراءة أشك في حقيقة مصنف الكتاب فأحرضه على البحث عن هذه المسألة لأني كنت أتردد في المؤلف : أهوَ المحسِّن أم ولده عليّ وقد جزم ليوپولي بأنه الوالد يعني المحسن كما تعتقد أنت أيضاً .

قد كنت استعرت من صديقي القديم السيد حبيب الرحمن خان نزيل حبيب گنج من بلاد الهند نسخة قديمة العهد فسمح بإرسالها لي الى بون وهي التي طبعت بالعكوس في الطبعة التي نشرها في المانية عند بداية الحرب واستعرت أيضاً من الجزائر نسخة غير ذات بال اذ هي نسخة حديثة العهد بالخط المغربي .. ومن العجائب ان بعض النسخ الموجودة في هذه البلاد منسوبة الى ابي منصور الثعالبي كالنسخة المحفوظة في المتحف البريطاني ولهذا السبب قابلت هذه النسخة

لافادة الدكتور پولي فوجدتها توافق النسخ الأُخَر باختلافٍ طفيف ومما أعجب منه انّ پولي لم يذكر شيئًا في مقدمته لمساعدتي في عمله ٠

والآن اجيء الى مسألة مهمة بعد مطالعة دقيقة للكتاب المطبوع بعنايتك فأعتقد انه ليس لأحد التنوخيين ولا لأبي منصور الثعالبي بل منحولٌ في أكثر النسخ الى المحسِّن التنوخي بعد ان انتشرت النسخ في البلاد لا سيما في العراق ولا شك بأن الجامع لهذه القصص كان شيعي المذهب وهذا يدل أيضًا على وقت تأليفه يعني قبل استيلاء السلجوقية أي أيام الدولة البويهية في العراق وفي الكتاب نفسه دلائل على انه صنف في وقت غير بعيد عن وفاة المحسن ٠ وقد كنت أذكر وقت قراءتي الابتدائية كثرة ذكر علي بن المحسن في الاسانيد ونحن نعرف من المجلدات الثلاث من كتاب نشوار المحاضرة وكتاب الفرج بعد الشدة التي لا شك فيها بأنها من تأليف المحسن كيفية ايراد المسانيد ولكن هذا الكتاب سيطول لو ذكرت البراهين كلها التي أؤكد بها رأيي واني عازم على على كتابة بحث أنشره في المجلة الهندية Islamic Culture في حيدر آباد باللغة الانكليزية أتبسّطُ فيه ان شاء الله ٠

(كمبردج) سالم الكرنكوي

نقد المستجاد

١ — جاء في ص ١١ من الكتاب « قال: فما فعلتَ بالخمسمائة دينار ؟ » والمألوف في كلام العرب ولا سيما المعاصرين للراشدين أن يسندوا « فَعَل » في مثل هذا الى الشيء نفسه فيقولوا « ما فعَلَتِ الخمسمائة ؟ » و « ما فعَلَ حصانك » و « ما فعَلَ شيئك » ٠ ومن ذلك ما ورد في كامل المبرد « ج ٣ ص ٤٦ » من طبعة الدلجموني « ما فعَلَت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها ؟ » ٠

٢ — وجاء في ص ١٦ « فقال : والله لأعلمنّ الشيطان أني عدوُّه ٠ فعال محاويجهم ففتح الحواصل » ٠ وقلتم في الحاشية « في الأصل : السلطان » ٠ وأنا أرى

أنّ الأصل وحده هو الصواب ، لأنّ السلطان أي رئيس الدولة هو الذي خسر بفتح الوالي لمخازن الحبوب التابعة للدولة ، لأنّ الدولة كانت تقبض أكثر الخراج من جنس الحاصل وتبيعه كما يبيعه التجار .

٣ — وورد في ص ١٨ « قال : أطويْ بومي هذا » بجعل « أطويْ » على وزن أرمي ، والصواب « أطوى » على وزن أبقى من الطوى أي الجوع يريد « أجوعُ بومي هذا » ولا محلَّ للطيّ .

٤ — وجاء فيها « وصِرْ إليَّ فترضيني » ولعل الأصل « فترضّني وهو أمر للمذكر المخاطب من الترضّي ولم يُرد التوكيد .

٥ — وفي ص ٢٢ « فقلتُ : مُزْنةُ ! ما أتاك » والظاهر « ما أتى بك » على أنه يجوز « أتاك » في غير هذا .

٦ — وفي ص ٢٨ « فارتابت لذلك فشقت جيبها » والمعروف « فارتابت بذلك » . ولعله من خطأ الطبع كالرابع .

٧ — وفي ص ٣٨ « فوكّل بداري وجميع ما أملكه » وقد شرحتم ذلك بقولكم « توكل بالأمر اذا ضمن القيام به » . والشرح غير مطابق لما يُراد بالمشروح ، فان التوكيل هنا هو الضبط والاعتقال لنيةٍ مكروهة ، ويجوز ان يكون لنيّةٍ حسنة كقول نصيب :

أهيمُ بدعد ما حييتُ وإنْ أمتْ أوكّلْ بدعد مَن يهيمُ بها بعدي

وفي ص ٢٢٩ من المستجاد :

ولكنني أخشى رقيباً موكلاً بأنفسنا لا يستريحُ مُراقبُهْ

٨ — وجاء في ص ٤٠ « الى أن رأيت أوائل عسكره مُقبل من مصر » . والصواب « مقبلاً » و « مقبلةً » على الحاليّة .

٩ — وفي ص ٤٣ « وأما الشحام والرقام والثوري وجماعة » . والصواب « النُّوري » لا الثوري قال الذهبي في المشتبه « ص ٦٠ » : ونسبة الى نُور الوَعظ ،

الزاهد ابو الحسين النوري احمد بن محمد ، مات سنة ٢٩٥ ، وترجمه الخطيب البغدادي باسم « احمد بن محمد ابو الحسين النوري شيخ الصوفية في وقته » (ج ٥ ص ١٣٠) وذكر قصة غلام الخليل في ص ١٣٤ س ١ منه ، وذكرها ابن النجار في التاريخ المجدد لمدينة السلام في ترجمة « عمر البنّاء المزوّق البغدادي » ولعلّ هذا الجزء في المكتبة الظاهرية .

١٠ — وفي ص ٤٦ « ليلزمه من زمامك ما يؤدّي به » ولعل الأصل « من ذمامك » بالذال لا بالزاي فغلط الطابع .

١١ — وفي حاشية ص ٥٣ « وزعم أن فيه تأويل الابستار وهو كتاب المجوس » . والمعروف « الابستا » بغير راء ومنهم من يسميه « أبسطا » بقلب التاء طاء كما في شرح ابن ابي الحديد « ج ١ ص ٣٥ » وورد الكتاب مصحفاً في المروج « نسياه » وما أشبه ذلك « ج ١ ص ١٩٤ » طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد . ولعله يقال فيه « بستاه » فصارت الهاء راء .

١٢ — وفي ص ٥٦ « ما اسماهما وما كُناهما ؟ » والصواب « ما أسماؤهما وما كُناهُما » بالجمع في الاسمين هذه لغة العرب المشهورة وبها جاء القرآن الكريم « فقد صغت قلوبكما » . وفي جمع الكنية في هذه العبارة تنبية على جمع الاسم .

١٣ — وفي ص ٥٩ « ما للمنازل لا تجبن حزينا ؟ » والصواب « لا يُجِبن » ولعله من خطأ الطبع أيضاً .

١٤ — وفي ص٦٢ « ووالله لينزلن» يعني بهن أمه وأخته والصواب « لينزلانِ » . وان أراد بهما جمع المؤنث قال « لينزلْنانِّ » كما هو معلوم .

١٥ — وفي ص ٧٤ « كان ابراهيم بن المهدي قد ادّعى الخلافة لنفسه بالريّ » . والصواب « بالحضرة » يعني بغداد ولم يدعها ابن شكلة بالريّ قط . وكذلك الحال في قوله في ص ٧٥ « لما دخل المأمون الريّ » والصواب « الحضرة » .

١٦ — وجاء في حاشية ص ٧٩ أنّ القطرميز Bocal وعاء من زجاج يصان

فيه النقل . والمراد في النص أنه كان يستعمل للشراب وكذلك ورد في شفاء الغليل «ص ١٦٥» وفي الأغاني «ج ٥ ص ٣٠٦» من طبعة دار الكتب .

١٧ — وفي ص ٨٠ «وأخرجت له حُراقاً علته في جرحه وعصبته» . والصحيح «غَلَّتْه في جرحه» اي أدخل الحراق في الجرح وعصبه ، كما يفعل اليوم كثير من العامة أعني أسوَهم الجراحات بالحراق يغلّونه فيها ويشدونها .

١٨ — وفي ص ٨٣ «البرُّ لي منك وطء العذر عندك لي» . والصواب «وطّا» مخفف «وطّأ» من التوطئة والتوطي. .

١٩ — وفي ص ٨٦ «حدثنا محمد بن زكريا العلاني» . والصواب «الغلابي» بالغين المعجمة كما في أنساب السمعاني وكتب التراجم والرجل مشهور جداً بالرواية والنقل .

٢٠ — وفي ص ٨٩ «وقد أغاظه مدحه لهم» والصواب «غاظه» بطرح الهمزة أو لعل ذلك لغة ضعيفة .

٢١ — وفي ص ١٠٥ «رأى اسحاق بن ابراهيم الظاهريّ» والصحيح «الطاهريّ» بالطاء المهملة نسبة الى طاهر بن الحسين قائد المأمون .

٢٢ — وفي ص ١١٦ «فأصبحت لا أدري أيأساً تصبُّري ؟» والصواب «أيأسٌ» وهو خبر المبتدأ المؤخر «تصبري» .

٢٣ — وفي ص ١٢٦ «ثم قال : أوّاه !!» . والصحيح «أوْه» بلا الف والأوّاه فعّال من اسم الفعل فهو اسم فاعل للمبالغة .

٢٤ — وفي ص ١٢٦ أيضاً «فأهجن منك بلابل الصدر» . ولعل الأصل «فاهتَجْنَ منك بلابل الصدر» من اهتاجه .

٢٥ — وفي ص ١٢٨ «فرأيتُ غلاماً لما بقَل عذارُهُ» . والصحيح «كما بقَلَ عذارُهُ» أيْ لم يمض على ذلك كبير وقتٍ . وهو يقابل Il vient d'être .

٢٦ — وفي ص ١٣٢ «أقسم لا أزوجنّك أبداً به» . والصواب «لا أزوجك به» لأن شرط توكيده اثباته والنفي ناقض له .

٢٧ — وفي ص ١٣٥ « فتلقاه فتىً من الأبناء مُملك » . وفي الحاشية قلتم إنّ الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة (كذا) أبناوي وبنوي » . ولعلكم أردتم مَن وُلد من أبناء العجم باليمن كما في كتاب الأنساب للسمعاني في « الأبناوي » على أنّ هؤلاء غير مرادين في المتن فالقصة ببغداد حدثت وانما هؤلاء أبناء جند الفرس الذين نصروا الدولة العباسية واستولوا على العراق وغيره من البلاد ، فانهم كانوا يعرفون بالأبناويين كما في الطبري وغيره .

٢٨ — وفي ص ١٤٥ « قل لجاريتك تغني لنا صوتاً » . والصواب « تغنِّ » بالجزم لأنه مجزوم بجواب الطلب .

٢٩ — وفي حاشية ص ١٥٩ فسرتم « استحطّه » بسأله إعفاءه من الدين . والصحيح أنه سأله إعفاءه من بعضه ومن ذلك اشتقت « الحطيطة » في الحساب ويؤيده قوله في ص ١٥٨ « فيشفّعني فيه ببعض ما عليه » .

٣٠ — وفي ص ١٦٢ « بادخال الجارية الى دار الحُرم » . والصواب « الحُرَم » جمع حُرْمة ولعله من غلط الطبع .

٣١ — وفي ص ١٦٦ « ليس يخفض رافعته غير الهجاء » . وفسرتم الرافعة بالجماعة صفتها كيت وكيت مع أنها غير مرادة ، ولعل الأصل « يخفض رفعته » ، فان كانت الرافعة ثابتة في الأصل فهي اسم مصدر كالواعية والنائرة والكاذبة .

٣٢ — وفي ص ١٦٨ « فقال : شيخ من حمدان » ولعل الأصل « من همدان » وهو من سقط الطبع .

٣٣ — وفي ص ١٧١ « فنُذِر به وقُبض عليه » . والمعروف « فنَذِر » بالبناء للمعلوم ، وفي مختار الصحاح « ونَذِر القوم بالعدوّ علموا به وبابه طرب » .

٣٤ — وفي ص ١٧٩ « إن أهلي علموا بموضعك فتوقوا فيما أنفذوه اليك » . والصحيح « فتنوّقوا » من التنوّق وهو مقلوب التأنق ، ومقتضى الحال لا يجيز غير التأنق والتنوق والنيقة .

٣٥ — وفي ص ١٨٦ « فشدّ المنصور على الغلام » ، ولعل الأصل « فشدّد المنصور » لأن الشدّ الحملة ولا محلّ لها هنا .

٣٦ — وفي ص ١٩٥ « قال معاوية للحصين بن المنذر » والصواب « الحضين » بالضاد المعجمة لا بالصاد ، وهو من الأسماء المنبه عليها في المؤتلف والمختلف والمشتبه .

٣٧ — وفي ص ٢٠٣ « عشرة أرؤس من الغنم » . والصواب « من النَّعم » يدل على ذلك قوله « واذا هو قد ذبح الغنم بأمره » فلو كان غنماً حقاً ما جاز له ان يذكّرها ، قال الجوهري في « ابل » ما هذا نصه « الإبل : لا واحد لها من لفظها وهي مؤنثة لأن اسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لازم لها » . قلت : وشذّ من ذلك النَعم وفي الصحاح « النَعَم واحد الأنعام وهي المالُ الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الابل ، قال الفرّاء هو ذكر لا يؤنث ، يقولون : هذا نعم وارد[1] » . وعليه يجوز أن يقال « قد ذبح النعم بأمره » وإلا قيل « بأمرها » لوجوب تأنيث الغنم .

٣٨ — وفي ص ٢٠٩ « فدخلت فوجدته في شِمَلّة » . والصحيح « الشَمْلَة » على وزن تمرة وهي كساء واسع يشتمل به .

٣٩ — وفي ص ٢٢٨ « لطيف الحشا لا يحتويه مصاحبه » والصواب « لا يجتويه » أي لا يكرهه ولا يملّ منه من الاجتواء .

٤٠ — وفي ص ٢٣٠ « فلما صرت بصور » . لعل الأصل « ببصرى » وهي بصرى عكبرا في الجانب الغربي الشمالي من بغداد .

٤١ — وفي ص ٢٣٧ « فأخرج اليهم بُردي محرق » وفسرتم المحرق بشيء بعيد وانما هو « المحرّق » رجل من الغساسنة فالبردان مضافان الى الملك المذكور الملقب بمحرق ، قال الجوهري في الصحاح « ومحرّق أيضاً لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة وانما سمي بذلك لأنه أول من حرق العرب في ديارهم » .

(١) وفي المصباح المنير « قال ابو عبيد : النعم الجمال فقط ويؤنث ويذكر وجمعه نعمان » .

أو هو محرّق اللخمي وهو امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ اللخمي كما في الصحاح أيضاً وهو الصحيح عندي ، لأن سلبهم بردي محرّق الغساني غير ثابت في التاريخ ولأنه لا فخر للملك بأبراد عدوّه الا في حالة خاصه .

٤٢ — وفي ص ٢٣٦ « بينا خالد بن عبد الله القسري في مطلة له » . وأراه « مِظلة » بالظاء لا بالطاء المهملة .

٤٣ — وفي ص ٢٣٩ « أرعتُهما ختلاً فلم استطعها » والصحيح « أرغتهما » من الاراغة أي الارادة والطلب .

٤٤ — وفي ٢٣٩ أيضاً « غزالان مكتنان مؤتلفان » وفي الأغاني « ج ٩ ص ٢٩٠ » من طبعة دار الكتب « مكحولان » وكلاهما جائز .

٤٥ — وفي الصفحة المذكورة « حضور » اسم امرأة استغربتموه وهو في الأغاني في الموضع الذي أشرنا اليه .

٤٦ — وفيها « به غيرٌ من دائه وهو صالح » . والصواب « غُبَّرٌ » على وزن « قُبَّر » وهو البقية ولا سيما بقية الداء ومنه قول ابي كبير الهذلي :

ومبرأ من كل غُبَّر حيضةٍ وفساد مرضعة وداء مُغيل

٤٧ — وجاء في ص ٢٤٠ « فغني لنا [فيه] من وراء الستارة » . ولا حاجة الى ما بين العضادتين [ ] لأنه يقال « غنيتُ بالشعر وغنيته » بمعنى واحد وكذلك ورد في الأغاني « ج ٩ ص ٢٩١ » .

٤٨ — وفي ص ٢٤٠ أيضاً « ولا أفقدنيها منك ربك » . والصحيح « وبك » ولا حاجة الى تكرار لفظ الجلالة بعد تقدمه في كلمة الدعاء « فأطال الله بقاك » . وقد أراد بقوله « وبك » أي كونه سبباً للفقدان فدعا الله تعالى ان لا يجعله كذلك .

٤٩ — وفي ص ٢٤٨ « إنَّ أظرف ما استظرفت له : . . . » والأولى « ان أطرف ما استطرفت » فالشيء يُستطرَف ولا يُستظرَف والانسان يستظرف ولا يستطرف ، أما كتاب « المستطرف المستظرف » فهو من التسمية المتأخرة وضعت زمان فساد اللغة .

٥٠— وجاء في ص ٢٤٩ « قال لي عبد الله بن أبي السمط » وقلتم في الحاشية : في الأذكياء « ابن ابي حفصة الشاعر » وهما شاعر واحد فإنّ مروان الأكبر ابن ابي حفصة يكنى « ابا السمط » ويكون عبد الله « ابنًا له » ومن سماه « ابن ابي حفصة » لم يخطئ ، وقد بحثت عن « عبد الله بن ابي السمط » فاذا هو في الخطيب البغدادي « ج ٩ ص ٤٧٠ ، ٤٨٥ » عبد الله بن السمط . وذلك خطأ لما قدمتُ من أن ابا السمط كنية أبيه مروان قال الخطيب « عبد الله ابن السمط بن مروان (كذا) بن ابي حفصة ، شاعر كان ببغداد أيام المأمون يجيد قول الشعر وله مدائح في عدّة من الأكابر » .

٥١ — وفي ص ٢٥١ « قد كان اسماعيل ابن أمة واسحاق بن حرّة » . والصواب « اسحاق ابن حرّة » لأن « ابنًا » ليست بين علمين بل بين علم ونكرة كما هو ظاهر ولعله من حذلقة الطابع .

٥٢ — وجاء في ص ٢٦٢ « عبد المسيح بن نفيلة » والمعروف « بُقيلة » تصغير البقلة وهو رجل مشهور .

هذا ما استوقفني في أثناء قراءتي للكتاب والله الهادي الى الصواب .

(بغداد) **مصطفى جواد**

المسائل السفرية

نبه ذاكرتي ماكتبه البحاثة الأستاذ عبد الله مخلص عن كتاب (موقد الأذهان وموقظ الوسنان) في الجزء السادس من المجلد (الـ ٢٣) من هذه المجلة الراقية الى كتاب يضم بين دفتيه هذا الكتاب وكتاب (المسائل السفرية) وهو لامام النحاة ابن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ ١٣٥٩ م .

والكتاب المشتمل على هذين الكتابين مما أهداه العلامة الجليل السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني الى الصديق الأستاذ الشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان الغراء .

اما الكتاب الأول فقد كفاني مؤونة التعريف به والتعليق عليه الاستاذ مخلص حفظه الله . وأما الكتاب الثاني فهو ما أفرده بالكلام .

وصف الكتاب

هو من القطع الصغير ورقه اصفر من نوع العباوي طول الصفحة ١٩ س بعرض ١٦ س . وفي كل صفحة ٢١ سطراً وكلمات كل سطر ١٠ — ١١ كلمة من الحرف الثاني وخطه جلي .

أما موقد الأذهان فيقع في عشر صفحات والمسائل السفرية في عشرين صفحة .

ناسخ الكتابين

أما ناسخ الكتابين فهو كما في خاتمة المسائل السفرية محمد بن حسن بن علي التولعي [1] وكان الفراغ من نسخه في نصف جمادى الأولى سنة ٨٣٣ .

تاريخ تأليف الكتابين

أما الأول فيقول ابن هشام : نجز جميعه في التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٧٣٧ والثاني وقد ختم بهذه الجملة .. تمت المسائل السفرية التي سئل عنها الشيخ جمال الدين بن هشام قدس الله روحه بالحجاز الشريف عام ٧٤٧

فاتحة الكتاب وسبب تأليفه

قال ابن هشام بعد خطبة وجيزة : فاني ذاكر في هذه الأوراق مسائل سئلت عنها في بعض الأسفار . وأجوبة أجبت بها على سبيل الاختصار . ومسائل ظهرت لي في تلك السفرة يعم ان شاء الله تعالى نفعها ويعظم عند اللبيب وقعها وبالله أعتصم واسأله العصمة مما يعد الخ .

محتوياته وموضوعه

يحتوي على ست واربعين مسئلة والجواب عليها وكلها في موضوع اعراب أي من القرآن الكريم بعضها مما يتفق عليه ولكنه يحتاج الى الايضاح والبيان

(١) نسبة الى تولع بالعين المهملة كما في مراصد الاطلاع .

وبعضها مما اختلف الأئمة في اعرابه • وبعضها مما وردت فيه قراآت فاختلف باختلافها • وفي جميع ذلك توخى الاختصار •

نموذج منه

أول المسائل • مسئلة • علام انتصب عرفاً ؟

الجواب • ان كانت المرسلات الملائكة • والعَرف المعروف • فعرفًا اما مفعول لأجله • واما منصوب على نزع الخافض وهو الباء والتقدير أقسم بالملائكة المرسلة للمعروف او بالمعروف • وان كانت المرسلات الأرواح الى الملائكة • وعُرفًا بمعنى متتابعة فانتصابها على الحال والتقدير أقسم بالأرواح الى الملائكة المرسلة متتابعة •

(٢) مسئلة علام انتصب الحقان في قوله تعالى : قال فالحق والحق أقول •

الجواب • الحق الأول منصوب بنزع القسم والحق الثاني منصوب بالفعل الذي بعده ولأملأن جواب للقسم والجملة بينهما معترضة لتقوية الكلام والتقدير اقسم بالحق لأملأن جهنم واقول الحق •

(٣) مسئلة ما اعراب أحوى من قوله تعالى : فجعله غثاء احوى •

الجواب ان فسر بالأخضر كان حالاً من المرعى أو بالأسود كان صفة للغثاء •

(٤) مسئلة علام انتصب عينا من قوله تعالى : عينًا يشرب بها عباد الله

الجواب اما على البدل من (كافورا) او من كاس على الموضع • او بتقدير فعل اي يشربون عينًا وعلى الأول فلا بد من تقدير مضاف اي ماء عين فهو كقول حسان رضي الله عنه :

يَسقُون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل

أي ماء بردى • وجوز بعضهم وجهًا رابعًا وهو ان يكون حالاً من الضمير المضاف اليه المزاج وفيه بعد •

(٥) مسئلة علام انتصب عاليهم ؟

الجواب على الحال من مفعول (جزاهم) وعن ثعلب ان نصبه على الظرف

بمنزلة فوقهم وهو مردود لأن عالي الدار وداخلها وخارجها ونحو ذلك من الأماكن المختصة فلا يجوز نصبها على الظرفية . وارتفاع الثياب على الأول (بعاليهم) وعلى الثاني به او بالابتداء (وعاليهم) الخبر .

(٦) مسئلة . لِمَ أجمعوا على النصب في (فشربوا) منه الا قليلاً . واختلفوا في (ما فعلوه الا قليل) .

الجواب لأن قليلاً الأول استثناء من موجب والثاني استثناء من منفي .. فقيل : فلِمَ أجمعوا على النصب في (فلا مؤمنون الا قليلاً) مع انه استثناء من غير موجب ؟ . فقلت : لأن هذا استثناء مفرغ وهو نعت لمصدر محذوف فالتقدير : فلا يؤمنون الا ايماناً قليلاً . فقيل : ما معنى وصف الايمان بالقلة .. فقلت : لأنه باللسان دون القلب .

(٧) مسئلة يحكم بها النبيون الذين أسلموا ؛ والنبيون كلهم مسلمون . فما هذا التقيد ؟

الجواب هذه صفة مدح مثلها في (هو الله الخالق) لا صفة تقييد مثلها في رأيت زيداً التاجر .

(٨) مسئلة ما الكفل ؟

الجواب . النصب . قال الله تعالى : ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها . فقيل : فلِمَ غاير بين الاثنين ؟ فقيل في الأول : نصب . وفي الثانية : كفل . فأجيب بأن تلوين اللفظ وتنويعه أعذب من تكراره . فقيل : زعم بعضهم ان الكفل ليس النصب مطلقاً بل النصب من الشر فكان ذكره في الثانية أنسب . فقلت : هذا مردود بقوله تعالى : « يؤتكم كفلين من رحمته » .

هذا نموذج من هذا الكتاب المفيد وكله من هذا الطراز الأنيق وحبذا لو مثل بالطبع ان لم يطبع بعد .

سليمان ظاهر

روض البشر

اطلعت على ما كتبتموه في العدد الأخير من مجلتكم عن كتابنا (روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر) فوجدت أنكم انتقدتم الكتاب من جملة نواح (الأولى) الاهتمام للفقهاء والمحدثين خاصة (الثانية) ادخال المتوسطين ومن دونهم في جملتهم (الثالثة) ان هناك صفات خلقت لأناس لم يحرزوها (الرابعة) انه تغتفر الترجمة لرجال ليس فيهم الا أفراد قلائل – ما دمنا مجمعين على ان هذا القرن هو أحط القرون الاسلامية (الخامسة) انا جرينا على طريقة من ترجموا للقرون الماضية اذ ترجمنا في الجملة جماعة من المجاذيب (السادسة) الاسفاف في شعر اصحاب التراجم ·

وقد تراءى لي في الجواب على هذه النواحي ما يأتي :

(أولاً) كان اهتمامنا بالفقهاء والمحدثين جرياً على طريقة من تقدمنا من المؤرخين أمثال النجم الغزي والمفتي المرادي ، ولأن الكاتب أدرى بأهل فنه منه بغيرهم ·

(ثانياً) ان تمييز المبرزين من المتوسطين ومن دونهم هو من اختصاص أهل الفن لا غيرهم واذا شئتم عينوا لنا اسماء لنتناقش في أحوال أصحابها ·

(ثالثاً) ان ما ذكرناه من صفات لأصحاب التراجم اما ان تكون منقولة عن الغير فالعهدة عليه او تكون من قلمنا فهي مثل تمييز المبرزين من غيرهم بمعنى اننا نقبل النقاش فيها ·

(رابعاً) ان دعوى الاجماع على ان القرن الثالث عشر هو أحط قرون الاسلام دعوى غير مسلمة وقد تكون طعنة كبرى في أئمة هذا القرن المتفق على جلالتهم أمثال الشمس الكزبري وولده الشيخ عبد الرحمن والشهاب العطار وولده الشيخ حامد والشيخ خالد النقشبندي والشيخ سعيد الحلبي أستاذ النابغة السيد محمد عابدين وغيرهم وليس النبوغ في التأليف فحسب فان التربية والتعليم

نبوغ أيضاً وكثيراً ماربى مثلُ من ذكرناهم مؤلفين عظاماً أفيكون هؤلاء نابغين وأساتذتهم الذين ربوهم وعلموهم مخطين ؟

(خامساً) ان ترجمة المجاذيب كما قلتم قد كتبت بعقلية قرنهم لا بعقلية هذا القرن على أن فيهم صوفية لهم اصطلاحهم وعقيدتهم فلا ننكر عليهم ما لا نفهمه من كلامهم .

(سادساً) الاسفاف ؟ في الشعر يوجد في كل عصر حتى في هذا العصر الذي ارتقى فيه الشعر الى حده الأعلى أما انه لا يوجد شعر جيد في ذلك القرن فهذا منقوض بمثل القصيدة النونية التي مُدح بها ابراهيم باشا المصري في ترجمته ، والقصيدة التي مُدح بها علي افندي المرادي في ترجمة علي الصفدي ، والقصيدة التي مدح بها مصطفى الشطي في ترجمته وغير ذلك .

وبالجملة فعذرنا في غالب ما تكلمتم عليه النقل والعزو كما قررناه في مقدمة الكتاب ومع هذا كله فالعصمة لله وحده وجل من لا يخطئ .

محمد جميل الشطي

رد على انتقاد الأمير جعفر الحسني لكتاب

« مختصر تاريخ الحضارة العربية »

طالعنا في الجزء التاسع والعاشر من المجلد الحادي والعشرين من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق انتقاد الأمير جعفر الحسني لكتابنا « مختصر تاريخ الحضارة العربية » الذي ظهر في دمشق منذ سنتين . وقد كنا نريد أن لا تنسب لكتابنا أخطاء هي في الحقيقة عين الصواب ، راجين من الناقدين عامة التمحيص والتدقيق قبل اللوم والانتقاد . والى حضرات القراء بيان ذلك .

أولاً : اعترض حضرة الناقد علينا أننا ذكرنا (ص ٣٣٢) أن مدينة ليون واقعة في إسبانيا ، وصحح ذلك قائلاً إنها كائنة في فرنسا . وقد استغربنا عدم

معرفة الناقد بأن هناك في اسبانيا مدينة تسمى ليون ، مع أنا أتبعناها بكلمة (باسبانيا) تمييزاً لها من مدينة ليون الفرنسية . يضاف الى ذلك أنه كانت هناك في اسبانيا مملكة معروفة بهذا الاسم في العصور الوسطى ، كانت احدى الممالك الاسبانية التي قاومت عرب الأندلس .

ثانياً : صحح الناقد كلمة Monophysistes الواردة في صفحة ٤٣١ من كتابنا ، بكلمة Monophysisme . ولكن ربما نسي حضرته أن الكلمة الأولى تعني « أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح » ، وأن الكلمة الثانية تعني المذهب نفسه . ولو رجع الى العبارة التي وردت فيها هذه الكلمة في كتابنا ، لرأى أنها تتعلق بأصحاب المذهب . وإذاً فنحن على صواب وهو على خطأ .

ثالثاً : وكذلك الأمر في كلمة Monothelites الواردة في صفحة ٤٣١ من كتابنا ، فقد صححها حضرة الناقد بكلمة (Monotheisme) ؛ والكلمة الأولى تعني « أصحاب مذهب المشيئة الواحدة للسيد المسيح » ، والثانية تعني المذهب نفسه . ولو دقق الناقد في مجرى الحديث لرأى أنا نقصد اصحاب المشيئة الواحدة ، لا مذهب المشيئة الواحدة . ولذا فنحن المصيبون وهو المخطئ .

رابعاً : قال الناقد ان مؤلفي الكتاب ذكرا مكتبة الاسكندرية واكتفيا بالقول بجملة « التي اتهم العرب باحراقها » وذلك صفحة ٤٣٦ ، وأن الواجب يقضي برد هذه التهمة عن العرب . غير أنه لم يلاحظ ان اسم مكتبة الاسكندرية قد ورد في تلك الصفحة عرضاً حين البحث عن مراكز تسرب الثقافات الأجنبية الى العرب : والظاهر أن الناقد من محبي الاستطراد في غير موضعه ، لأن بحثنا لا يتعلق بمكتبة الاسكندرية ، وانما بمدينة الاسكندرية من حيث هي مركز من مراكز تسرب الثقافات ، فكيف يريدنا أن نترك الأصل ، لنسهب القول في الفرع . ومهما يكن من أمر ، فان حضرة الناقد لو كلف نفسه قليلاً من

الجهد وأكمل قراءة الكتاب وبلغ الفصل الذي نبحث فيه المكاتب (ص ٥٣٤) لرأى أننا قد دفعنا هذه التهمة الباطلة عن العرب .

خامساً : تمنى الناقد لو تجنب مؤلفا الكتاب في ابحاثهما بعض المسائل الخلافية والتوسع فيهـا ، وإذاً «لسلم الكتاب من الزلات والأخطاء والجدل الذي تشوش على التلميذ ولا ينتفع بها ...» ونحن نريد أن نسأل حضرة الناقد ما هي هذه المسائل الخلافية التي يعنيها كي نناقشه في أمرها ؟ ثم إن الكتاب لم يوضع فقط للطلاب كما زعم حضرته ، لكي نورده بالشكل المبسط الذي يريده ! لأنه لو رجع الى مقدمة الكتاب لقرأ أنا قد وضعناه لكافة المثقفين من أبناء العروبة ومن جملتهم الطلاب طبعاً .

سادساً : يعيب حضرة الناقد على كتابنا الاسراف في بحث منشأ الحضارة العربية حتى يكاد يتخيلها القارئ حضارة ملفقة من أنقاض حضارات بائدة انتحلها العرب لأنفسهم ... الخ . ولكننا نؤكد لحضرته أن الذين امتد خيالهم الواسع الى هذا الاستنتاج ، بعد قراءة كتابنا ، هم أقلية بحمد الله . لأنه لو عاد الى الكتاب وأمعن في قراءته لرأى أننا عند بحثنا لكل قسم من أقسام الحضارة العربية ، كنا نمهد له بذكر عناصره الغريبة الأجنبية ثم ما بذله العرب من الجهد في هضم وصهر ما أخذوه وتبيان ما أضافوه بنتيجة عبقريتهم وجهودهم . وهذا ولا شك لا يعيب الحضارة العربية ولا يضع من قيمتها ، لأن الرجوع الى الماضي والاقتباس من القديم او المعاصر من مقومات حضارة كل أمة في جميع أزمنة التاريخ . ولا بد من القول انه لا يمكن فهم حضارة من الحضارات إلا بعد التمهيد لها بذكر العناصر المقومة لها .

راتب الحسامي جورج حداد

جواب الأمير جعفر الحسني على رد الأستاذين

راتب الحسامي وجورج حداد

نسب إلي الأستاذان نفي وجود مدينة (ليون) الاسبانية ، مع انني ما أنكرت وجودها ، فقد جاء في الكتاب ذكر قطعة نسيج موجودة في (مدينة ليون باسبانيا) فصححتها في (مدينة ليون في فرنسا) التي فيها متحف عظيم الشأن للمنسوجات ، وقد شاهدت فيه القطعة المذكورة أو شبيهاً بها .

وكذلك الأمر في كلمتي (Monophysisme) و (Monothélisme) فقد اعتمدت في تصحيحي على عبارة الكتاب التي تبحث عن المذهب لا اصحابه . ومن شاء التحقيق فليرجع للمتن ليحكم من منا هو المصيب .

وأما قولهما في قضية احراق مكتبة الاسكندرية ، فانني أكتفي بنقل عبارة الأستاذين فقد جاء في كتابهما : « ولما فتح العرب هذه المدينة (اي الاسكندرية) وجدوا فيها تلك المكتبة العظيمة التي طارت سمعتها في الآفاق والتي اتهم العرب باحراقها » وأرجو من القارئ الكريم ان يحكم بين هذه العبارة ودفاعهما ، وعما اذا كانت تقبل التأويل .

وأما استفهامها عن المسائل الخلافية التي تمنيت لهما تجنبها فاني احيلهما على الذين كفوني مؤنة سرد بعضها بحملتهم الصادقة واحتجاجهم الصارخ على ما جاء في الكتاب في هذا البحث . واعتقد انه ليس من مصلحة الأستاذين ولا كتابهما إثارته من جديد .

وأما بقية اعتراضاتهما فلم أجد فيها ما يبررها ، فقد أبديت رأيي في هذا الكتاب — وحرية الفكر محترمة — دون تهجم أو خروج عن الصدد ، وأعتقد أنني لم انتقص قيمة الكتاب حينما قلت : « ويتبين للقارئ ما بذله المصنفان من جهد للتوفيق بين حاجة الطالب في أفقه المحدود ورغبة المطالع الطامع في زيادة المعرفة والاستفادة . وهذا الكتاب هو غني بمادته واسع بأبحاثه ... »

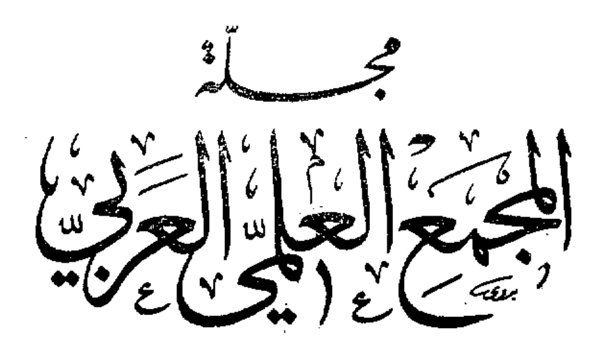
جعفر الحسني

بادروا الى الاشتراك

في المؤتمر الثقافي العربي الأول

تلفت ادارة الثقافة بالجامعة العربية أنظار حضرات المدرسين ورجال التربية والآداب والتعليم الى أن موعد الاشتراك في المؤتمر الثقافي العربي الأول الذي سيعقد في بيت مري بلبنان من (٢) الى (٩) سبتمبر سنة ١٩٤٧ قد أوشك أن ينتهي ، لذلك فهي ترجو ممن يرغب الاشتراك أن يبادر فوراً بتقديم طلبه الى الادارة المذكورة .

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد الثاني والعشرين



تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٤٧ ذو الحجة ١٣٦٦ والمحرم ١٣٦٧

كنوز الأجداد

- ٦ -

الصفدي

صلاح الدين خليل بن أيبك

(٧٦٤)

نبغ في القرن الثامن زمرة من المؤرخين في الشام ومصر اشتهروا بما نشروا وأمتعوا بما دونوا . فكان في مصر ابن المتوج والادفوي والنُّويري وابن الفرات وابن دقماق وبيبرس المنصوري . وفي الشام البرزالي وابن كثير والذهبي وابن فضل الله العمري وابو الفداء وابن مفلح وابن شاكر وابن الوردي . وكان بعض المؤرخين في هذا العصر من الشاميين أرجح وزناً من المصريين . ومن نوابغ المؤرخين في الشام ابو الصفاء صلاح الدين الصفدي . كان والده من المماليك من عنصر تركي . وولد ابنه في صفد ونشأ على ما ينشأ عليه أبناء المماليك نشأة عربية خالصة « وتعانى صناعة الرسم فمهر فيها ، ثم حُبب اليه الأدب فولع به ، وكتب الخط

الجيد ، وذكر عن نفسه ان اباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة ، فطلب بنفسه وقال الشعر الحسن ، ثم أكثر من النظم والنثر والترسل والتواقيع . »
وكان من ولوعه بالرسم لأول نشأته ما أخرج منه خطاطاً مبدعاً ، وقوى فيه موهبة التصوير في الشعر والنثر ، وجمّل أدبه في كتبه .

لم يجد الصفدي بغيته من العلم عند علماء بلده ، وكان فيها جماعة مشهورون في الحديث والرواية والأدب ، فرحل الى دمشق يقرأ على علمائها وكانوا من أجل الرجال أمثال ابن نباتة وأبي حيان النحوي والحافظ المزي وابن جماعة والحافظ الذهبي وابن سيد الناس وعن الأول أخذ الشعر وعن الثاني اللغة وعن الثالث والرابع الفقه على مذهب الشافعي وعن الخامس التاريخ وعن السادس المغازي والسير ، وولي المناصب في دواوين الانشاء والأموال في صفد والقاهرة ودمشق وحلب والرحبة ولا ندري ان كان برّز في خدمة الدولة كما برّز بتآليفه ، وقد أتقن علوم الأدب والحديث والفقه والتاريخ وغلب عليه التاريخ ولا سيما تاريخ الرجال . قال من ترجموا له انه من بقايا الرؤساء الأخيار وانه كان اليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وكان محبباً الى الناس . حسن العشرة ، جميل المودة .

أدب الصفدي من أفعد أساليب الأدب في دهره لا يلتزم السجع كثيراً ، خصوصاً اذا ترجم للرجال ، وشعره كثير وبعضه جيد وأجود ، ويعد في باب التأليف من المكثرين المجوّدين . كتب بيده كما قال ما يقارب خمسمائة مجلد دخلت في خمسين مصنفاً . قال ولعل الذي كتبته في ديوان الانشاء ضعفا ذلك .

وفي كتابة التاريخ راعى ما يراعيه كبار المؤرخين من القيود قال مقتبساً عن غيره : « يشترط في المؤرخ الصدق ، واذا نقل يعتمد اللفظ والمعنى ، والا يكون الذي نقله أخذه من الذاكرة وكتبه بعد ذلك ، وان يسمي المنقول عنه ، فهذه شروط أربعة فيما ينقله ، ويشترط أيضاً لما يترجمه من عند نفسه ولما عساه يطول

في التراجم من القول أو يقصر أن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً ودينًا وغيرهما من الصفات ، وهذا عزيز جداً ، وان يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ ، وان يكون حسن التصور ، حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، والا يغلبه الهوى ، فيخيل اليه هواه الاطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره ، بل ان يكون مجرداً عن الهوى وهو عزيز ، وان يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ، ويسلك طريق الانصاف . فهذه شروط اربعة أخرى ، ولك ان تجعلها خمسة ، لأن حسن تصوره وعلمه قد لا يحصل معها الاستحضار حين التصنيف ، فيجعل حضور التصور زائداً على حسن التصور والعلم ، فهي تسعة شروط في المؤرخ ، وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم فانه يحتاج الى المشاركة في علمه ، والقرب منه حتى يعرف مرتبته . »

عمل الصفدي بهذه الشروط شروط المؤرخ في عصره فما استهدف لغضب المترجم لهم ، ولا أثار حفائظ الملوك والأمراء ، وهو لم يعتن كثيراً بتاريخ السياسة وتدوين وقائع الملوك . وساعده على الظفر بالمواد اللازمة له تنقله في ربوع مصر والشام ، وخزائن الكتب يومئذ موفورة ، والملوك وأهل الخير من العلماء والأعيان يمدون المدارس والجوامع وغيرها بالكتب ، ويتنافس المسلمون في اقتناء كل جيد ، ويحرصون كل الحرص على الظهور بمظهر الخير ، وعمل كل ما يجلبه لهم وللناس .

كتب الصفدي في الأدب والتاريخ كثيراً ، وكتبه في الأدب شروح وتعاليق وتقاييد وكناشات وبعضها مطبوع . وقد طبع له كتاب « نَكت الهميان في نُكت العميان » وهو في تراجم من أصيبوا بالعمى منذ خلقوا او أصيبوا به على كبر . وهو منسق تنسيقاً جميلاً كسائر ما طالعناه من كتبه ، ومقدمة نكت الهميان من أبدع المقدمات في موضوعه ، وابداعه في كتبه يظهر من مقدماتها وله كتاب « الشعور بالعور » (تحت الطبع) ، وشرح لامية العجم للطغرائي

(٥١٤) أثبت فيه تمكنه من علوم العربية وقد اورد فيه شيئاً من المجون ومنها الفاحش وحلى كتابه بنكات وفوائد وأشعار وأخبار تلذّ وتشوق ٠

أما كتابه العظيم الذي خلد به ذكره ، وما وصلت همم الجمعيات العلمية الى تصنيف أعظم منه ، وهو يغني عن عشرات من الكتب ، ويعد معلمة رجال الاسلام في ثمانية قرون ، فهو « الوافي بالوفيات » دخل في ثلاثين مجلداً وفيه نحو اربعة عشر الف ترجمة ترجم فيه للخلفاء والصحابة والتابعين والأُمراء والقضاة والعمال والوزراء والقراء والمحدثين والفقهاء والشيوخ والأتقياء والأولياء والنحاة والأدباء والكتاب والشعراء والأطباء والعلماء وأهل العقل والذكاء وأرباب المقالات ورؤساء المذاهب والمتفلسفين ، وكل من اشتهروا بعلم وشأن ٠ وقد يطيل ويوجز في ترجمة من ترجم لهم بحسب ما لديه من المواد او بقدر ما يليق ان يكسوهم من حلة تليق بهم ٠

ومقدمة هذا الكتاب العظيم من أمتع ما كتب مؤرخ تدل على سعة اطلاعه وسمو أدبه وعلى تدقيقه واستقصائه ٠ وفي كتابه ما في وفيات الأعيان لابن خلكان وطبقات الأدباء لياقوت مع زيادات كثيرة فاتت هذين المؤلفين أو حدثت بعدهما ٠

يقول العلامة كرينكو انا نجد في كتاب الوافي تراجم كثيرة نحاول عبثاً الظفر بمثلها في الكتب التي تماثل الوافي بموضوعها ، والفهرس التام لأسماء الأشخاص الذين وردت تراجمهم في الأجزاء المعروفة من هذا الكتاب يتألف منها مجلد ضخم ٠

افتتح الوافي فيمن اسمه محمد فبدأه باسم صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام وثنى بمن اسمه محمد من الأعيان ، ثم عاد فساق التراجم على حروف المعجم بعبارة تقرأ فيها التحقيق بهذا الانشاء الرقيق ٠ وقد خص المقدمة بمصطلحات الأمم ولا سيما العرب والفرس واليهود في حساب السنين والتاريخ وكيفية كتابة التاريخ وفي الأنساب والكنى والألقاب والعلم وفي الهجاء والاملاء والاختصار وفيمن كتب في التاريخ وفيما يراد بالوفاة والوفيات ، وفي فائدة التاريخ وصفات

المؤرخ وتواريخ الشرق وقد ساق اسم ٢٨٢ تاريخاً من تواريخ المشرق وتاريخ المغرب والتواريخ الجامعة وتواريخ الملوك والوزراء والعمال والقضاة والقراء والعلماء والشعراء . قال واما كتب الجرح والتعديل والأنساب ومعاجم المحدثين ومشيخات الحفاظ والرواة فانها شيء لا يحصره حد ، ولا يقصره عدّ ، ولا يستقصيه ضبط ، ولا يستدنيه ربط .

وهذا نموذج من ترجمته :

ناصر الدين ابن المقدمي : ولي سنة ٦٧٨ وكالة بيت المال ونظر جميع الأوقاف بدمشق وفتح ابواب الظلم وخلع عليه بطرحة غير مرة ، وخافه الناس وظلم وعسف ، وعدا طوره وتحامق حتى تبرم بهِ النائب ومن دونهُ ، وكاتبوا فيه فجاء الجواب بالكشف عما أكل من الأوقاف ، ومن أموال السلطان والبرطيل ، فرسموا عليه بالعذراوية ، وضربوه بالمقارع فباع ما يقدر عليه ، وحمل جملة وذاق الهوان ، واشتفى منه الأعادي ، وكان قد أخذ من الناصري الزنبقية ، وكان يباشر شهادة جامع العقيبة فحصل بينه وبين قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي نفرة فتوجه الى مصر ودخل على الشجاعي فأدخله على السلطان وأخبره بأشياء ، منها أمر بنت الملك الأشرف موسى بن العادل وانها باعت املاكها وهي سفيهة تساوي اضعاف ماباعته ، فوكله السلطان وكالة خاصة وعامة فرجع الى دمشق وطلب مشترى املاكها بعد أن أثبت سفهها فأبطل بيعها ، واسترجع الأملاك من السيف السامري وغيره ، وأخذ منهم تفاوت المغل وأخذ الخان الذي بناه الملك الناصر قرب الزنجيلية وبساتين بالنيرب ونصف حزرما ودار السعادة وغير ذلك الخ ثم طُلب الى مصر فوجد مشنوقاً بعمامته .

وقال في ترجمة رجار صاحب صقلية : رجار ملك الفرنج صاحب صقلية هلك في الخوانيق سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، ويقال فيه اجار بهمزة بدل الراء وجيم مشددة وبعد الألف راء ، كان فيه محبة لأهل العلوم الفلسفية ، وهو الذي استقدم اليه الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق

الآفاق من العُدْوَة ليصنع له شيئاً في شكل صورة العالم، فلما وصل اليه أكرم نزله، وبالغ في تعظيمه، فطلب منه شيئاً من المعادن ليصنع منه ما يريد، فحمل اليه من الفضة الحجر وزن اربعمائة الف درهم، فصنع منها دوائر كهيئة الأفلاك وركب بعضاً على بعض، ثم شكلها له على الوضع المخصوص، فأعجب بها رجار ودخل في ذلك ثلث الفضة وأرجح بقليل، وفضل له ما يقارب الثلثين، فتركه له اجازة، واضاف لذلك مائة الف درهم ومركباً موسقاً كان قد جاء اليه من برشلونة بأنواع الأجلاب الرومية التي تجلب للملوك، وسأله المقام عنده قائلاً: ومتى كنت في بلاد المسلمين لا تأمن ملوكهم على نفسك ومتى كنت عندي أمنت على نفسك، فأجابه الى ذلك ورتب له كفاية لا تكون الا للملوك، وكان يجيء اليه راكب بغلة فاذا صار عنده يتنحى له عن مجلسه فيأتي فيجلسان معاً وقال له: أريد تحقيق أخبار البلاد بالمعاينة، لا بما ينقل من الكتب، فوقع اختياره على أناس ألباء فطناء أذكياء وجهزهم رجار الى اقاليم الشرق والغرب جنوباً وشمالاً، وسفر معهم مصوّرين ليصوروا ما يشاهدونه عياناً، وأمرهم بالتقصي والاستيعاب لما لا بد من معرفته. وكان اذا حضر احد منهم بشكل أثبته الشريف الادريسي حتى تكامل ما أراد وجعله مصنفاً، وهو كتاب نزهة المشتاق الذي للشريف الادريسي. وكان رجار المذكور قد أخذ طرابلس الغرب عَنوة بالسيف في يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقتل أهلها وسبى الحريم والأطفال وأخذ الأموال، ثم انه شرع في تحصينها بالرجال والعدد، ثم انه أخذ المهدية سنة ثلاث واربعين وخمسمائة لأن صاحبها الحسين بن علي ابن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي عجز عن مقاومته فخرج من المهدية هارباً بما خف من النفائس وخرج من قدر على الخروج. ولما هلك رجار ملك بعده ولده غليلم وعليه قدم ابن قلاقس الاسكندري سنة ثلاث عشرة وستين وخمسمائة وامتدحه بقصيدة الى آخر ما قال.

وانظر الى هذا النموذج من تحقيقه العلمي أتى عليه بالمناسبة في شرح لامية العجم وذلك رأيه في سلامة الترجمة من اللغات الأعجمية الى العربية قال : وللتراجمة في النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما وهو ألا ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الأخرى وكذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجهين احدهما انه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها . الثاني ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة اخرى دائماً . وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . الطريق الثاني في التعريب طريقة حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وهو ان يأتي الى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها . وهذه الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق الى تهذيب الا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي فان الذي عربه منها لم يحتج الى اصلاح فأما اوقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحراني وكذلك المجسطي والمتوسطات منها اهـ .

ابن فضل الله العمري

شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله

ولد في دمشق سنة ٧٠٠ ومات فيها سنة ٧٤٩ ويتصل نسبه بعمر بن الخطاب فهو قرشي عدوي عمري وبيته بيت رياسة وعلم جاء نقي الدم سامي البيئة . قرأ العربية على ابن قاضي شهبة ثم على قاضي القضاة شمس الدين مسلم وتفقه على

قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله وعلى الشيخ برهان الدين الفزاري ولعله ابن الفركاح وقرأ الأحكام الصغرى على الشيخ تقي الدين بن تيمية والعروض على الشهاب محمود وعلاء الدين الوداعي وقرأ عليه جملة من دواوين العرب والأصول على الشيخ شمس الدين الاصفهاني وأخذ اللغة عن الشيخ اثير الدين وأجازه العارفون ان يفتي على مذهب الشافعي وروى الحديث عن كثير من الرجال والنساء ومنهن ست الوزراء وست القضاة وفي بيته وعن أبيه أخذ فن السياسة وزاده تمرسه بها في ديوان القاهرة لما غدا أمين سر السلطان والسلطان يومئذ الناصر قلاوون أرقى سلاطين المماليك ، والدولة المصرية في عهده متصلة بالغرب اتصالاً وثيقاً وترهبها اوربا لقوتها .

هذا علمه وهؤلاء من تخرج بهم وهم من الأفذاذ في فنونهم فكأنه خريج مدرسة جامعة في هذا العصر تعاورت تثقيفه ايدي اخصائيين معروفين ونمى معلوماته بالعمل اكثر من النظر ومن تأمل أساتذته وما تلقاه عنهم من المعارف لا يحكم الا بأنه عالم ديني تبحر في علوم الأدب فقط ولكنه اعتمد على مطالعاته الخاصة فجاء منه مؤرخ وجغرافي وفلكي وسياسي ومهندس ومصور « وكان يكتب من رأس القلم ما يعجز عنه غيره في مدة » وأجمل ما فيه اخلاقه النبيلة واخلاصه في عامة حالاته .

وصفه ابن كثير بأنه « يشبه القاضي الفاضل في زمانه وانه كان حسن الذاكرة ، سريع الاستحضار ، جيد الحفظ ، فصيح اللسان ، حسن الأخلاق ، يحب العلماء والفقراء » وله مواطن تجلى فيها شدة اخلاصه لدينه وعقيدته وأمانته لسلطانه ودولته . حدث ان ارسل ملك فرنسا « ريد فرنس » الى السلطان قلاوون رسولاً يطلب بيت المقدس على ان يبذل مائتي الف دينار تعجل ويحمل في كل سنة دخل نصف البلاد ويطرف بغرائب التحف والهدايا . وحسّن هذا

كتاب من كتبة القبط كانوا صاروا رؤساء في الدولة فقام مؤلفنا هو وأبوه ليلويا السلطان عن رأيه ان أصغى الى اولئك الأفكة وازمعا ان يكلما السلطان وان خضبت ثيابهما بالدم . ولما ولي ابوه كتابة السر في القاهرة كان هو يقرأ كتب البريد على السلطان ثم غضب هذا عليه وصادره واعتقله ثم رضي عنه واستدعاه واستخلفه على المناصحة فباشر الانشاء وبعد سنتين عزل ورتب له مرتبات عظيمة وبقي بطالاً الى إن هلك بحمى الربع يوم عرفة عن تسع واربعين سنة .

وصفه المقريزي بحدة المزاج وشراسة الخلق وقوة النفس . وان صحت هذه الشراسة فلا تكون في غير مصلحة الدولة : مثال ذلك ان السلطان قرر في كتابة السر علم الدين ابن القطب فغض ابن فضل الله من القطب وقال انه قبطي فلم يلتفت السلطان لذلك فكتب له توقيعه على كره وامره ان يكتب فيه زيادة في معلومه فامتنع فعاوده فنفر وقام بين يدي السلطان مغضباً وقال : خدمتك عليَّ حرام . فلفظة شراسة شديدة والأولى ان يوصف بصلابة العود أو يكتفى بقوة النفس .

لابن فضل الله كتابان جليلان لا نظير لهما في بابهما قل ان ظهرت بعد عصره تآليف في معناهما بلغت المبالغ من التنقيح وعدم الحشو . الأول اوحى اليه تأليفه صلته بديوان الانشاء وهو « كتاب التعريف بالمصلح الشريف » وهو سفر بديع لم يبق شاردة في تراتيب الدولة الا أتى عليها ففيه نموذجات مما يكتب به الى ملوك الأطراف وكل ما يتعلق بدواوين الملك من رتب المكاتبات وعادات العهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم والمناشير ونسخ الايمان والأمانات والدفن والهدن والمواضعات والمفاسخات وما هو داخل في نطاق كل مملكة وما هو مضاف اليها من المدن والقلاع والرساتيق .

أما كتابه الثاني الذي ينادى على وجه الدهر باتساع علمه ومعرفته في تقويم البلدان والتاريخ والرجال والأدب والاجتماع والهندسة والسياسة والفلك والنقش

والتصوير والبناء فهو كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» جاء الأصل في سبعة وعشرين مجلداً تحمل الشيء الكثير من تحقيقات صاحبه وحسن تأتيه في بحثه فلم يذكر عجيبة حتى فحص عنها ولا غريبة حتى ذكر الناقل لها لتكون عهدتها عليه ويتبرأ هو منها ·

وطريقته في نقل الأخبار التحقيق لأكثر ما يعرف بتكرار السؤال واحداً بعد واحد عما علمه من احوال بلاده وما فيها وما اشتملت عليه في الغالب قال وكنت أسأل الرجل عن بلاده ثم أسأل الآخر لأقف على الحق فما اتفقت عليه أقوالهم او تقاربت أثبته وما اختلفت فيه اقوالهم او اضطربت تركته · ثم اني اترك الرجل المسؤول مدة أناسيه فيها عما قال ثم أعيد عليه السؤال عن بعض ما كنت سألت فان ثبت على قوله الأول أثبت مقاله وان تزلزل اذهبت في الريح اقواله · كل هذا لأتروى في الرواية وأتوثق في التصحيح ·

شرع في وضع مسالك الأبصار ايام الناصر محمد بن قلاوون ووشحه باسمه مشفوعاً بألقاب ضخمة ، وسمه باسم عظيم عاش في نعمته ، وكان آل بيت فضل الله في اسبابه ومن صنائعه ·

ومن أجمل ما كتب في التعريف بابن فضل الله قول الصلاح الصفدي في حقه « هو الامام الفاضل البليغ المفوه الحافظ حجة الكتاب امام اهل الأدب احد رجالات الزمان كتابة وترسلاً وتوسلاً الى غايات المعالي وتوصلاً ، واقداماً على الأسود في غاباتها ، وارغاماً لأعدائه بمنع رغائها ··· صرف الزمان أمراً ونهياً ، ودبر الممالك تنفيذاً ورأياً ، ووصل الأرزاق بقلمه ، ورويت تواقيعه وهي سجلات لحكمه وحِكَمه · ولا أرى ان اسم الكاتب يصدق على غيره ولا يطلق على سواه ··· ولا أعتقد ان بينه وبين القاضي الفاضل من جاء مثله ··· هذا مع ما فيه من لطف اخلاق ، وسعة صدر ، وبشر محيا · رزقه الله اربعة اشياء لم ارها اجتمعت في غيره وهي الحافظة فما طالع شيئاً الا كان مستحضراً لأكثره ،

والذاكرة التي اذا أراد ذكر شيء من زمن متقدم كان ذلك حاضراً كأنه انما مرّ به بالأمس ، والذكاء الذي يتسلط به على ما أراد ، وحسن القريحة في النظم والنثر . اما فكره فلعله في ذروة كان اوج الفاضل لها حضيضاً ، ولا ارى احداً يلحقه فيه جودة وسرعة . واما نظمه فلعله لا يلحقه فيه الا الأفراد ، وأضاف الله تعالى له الى ذلك كله حسن الذوق الذي هو العمدة في كل فن ، وهو احد الأدباء الكملة الذين رأيتهم . واعني بالكملة الذين يقومون بالأدب علماً وعملاً في النظم والنثر ومعرفة تراجم اهل عصره ، وقد تقدمهم على اختلاف طبقاتهم وبخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة . ثم انه شارك من رأيته من الكملة في أشياء وانفرد عنهم بأشياء بلغ فيها الغاية لأنه جود في الانشاء ، والنثر وهو فيه آية ، والنظم وسائر فنونه والترسل البارع عن الملوك . ولم أرَ من يعرف تواريخ الملوك المغل من لدن جنكيز خان وهلمّ جراً معرفته ، وكذلك ملوك الهند والأتراك . واما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان وخواصها فانه فيها امام وقته وكذلك معرفة الاصطرلاب وحلّ التقويم وصور الكواكب . وقد اذن له العلامة شمس الدين الاصفهاني في الافتاء على المذهب الشافعي فهو حينئذ أكمل الكملة الذين رأيتهم . ولقد استطرد الكلام يوماً في ذكر القضاة فسرد ذاكراً القضاة الأربعة الذين عاصرهم شاماً ومصراً والقابهم واسماءهم وعلامة كل قاض منهم حتى أتى على ما كدت أقضي العجب مما رأيت ...

هذا هو العظيم الذي جمع الى معرفة السياسة علماً عظيماً وما عاقه التصرف للسلطان عن الاكثار من التأليف والاجادة فيه . لم يعمر كثيراً وكان انتاجه بالقياس الى ايام عمره عظيماً جداً واعجب الناس بما كتب في شبابه وكهولته وماذا كان يتم على يده لو بلغ الشيخوخة . أثر في الدولة بعقله واخلاصه . وأثر في اندية الأدباء والعلماء بأدبه وفنه فهو واسع أفق النظر بليغ تام الثقافة لا يصلح الا امثاله لدواوين الملك لم يجمد على ما قرأ وأخذ من بيئته كل نافع حتى . انه

ربما كان الفرد الذي يعرف ديار الغرب وامم الافرنج وفيهم صنف كتاباً لم يصلنا ولا عجب ان عرف المغل والترك وغيرهم من امم الشرق معرفة لم يدانه فيها مدانٍ وان يتمثل علمه تمثلاً قلما بلغه مؤلف في عصره وبعد عصره .

ذكر له الصلاح الكتبي ابياتاً تنم عن حسن ذوقه وجمال ادبه منها :

سل شجياً عن فؤاد نزحا وخلياً فيهم كيف صحا
ومحباً لم يذق بعدهم غير تبريح بهم ما برحا
مزج الدمع بذكرى لهم مثل خدي من سقاه القدحا
زاره الطيف وهذا عجب شبح كيف يلاقي شبحا

وقال

أأحبابنا والعذر منا اليكم اذا ما شغلنا بالنوى ان نودعا
ابثكمو شوقاً أباري ببعضه حَمام العشايا رنة وتوجعا
ابيت سمير البرق قلبي مثله اقضي به الليل التمام مروّعا
وما هو شوق مدة ثم ينقضي ولا انه يلقى محباً مفجعا
ولكنه شوق على القرب والنوى اغصّ الاماقي مدمعاً ثم مدمعا
ومن فارق الاحباب في العمر ساعة كمن فارق الاحباب في العمر اجمعا

شيخ الربوة

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الانصاري

(٧٢٧)

قال فيه صاحب الدرر الكامنة : انه كان يصنف في كل علم سواء عرفه أم لا لفرط ذكائه . وحكمه هذا جائر منبعث والله أعلم من كون شيخ الربوة لم يؤلف كثيراً في علوم الدين كما كان شأن معاصريه وألف في علوم لم يعرفوها .

قال الصفدي : ولد سنة ٦٤٥ وعانى الأشغال فمهر في علم الرمل والأوفاق ونحو ذلك وكان ذكياً وعبارته حلوة ما تمل محاضرته . وكان يدعي انه يعرف

الكيمياء ودخل على الأفرم فأوهمه شيئاً من ذلك فولاه مشيخة الربوة وله السياسة في الفراسة وله غيره ومن شعره :

للنفس وجهان لا تنفك قابلة   مما تقابل من عال ومستفل
كنحلة طرفاها في مقابلة   فيها من اللسع ما فيها من العسل

ومن شعره في الغوطة :

شموس وأقمار من النَّوْر طلع   لذي اللهو في أكنافها متمتع
كأن عليها من مجاجة ظلها   لآلئ الا انهــا منه ألمع
نشاوى تثنيها الرياح فتنثني   يعانق بعض بعضها ثم يرجع

ولد في دمشق وتوفي في صفد بعد أن لحقه صمم قبل موته وذهبت عينه الواحدة وكان صبوراً على الفقر والوحدة ، كثير الآلام والأوجاع ، وكتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر « في العلم بهيئة الأرض وأقاليمها وتقاسيمها ، واختلاف القدماء في ذلك وعلاماتهــا ومعمورها من البحار المتصلة والمنفصلة ، والجزائر والجبال والأنهار والحرّات والآجام العظيمة والعيون والممالك ومسالكها ، والأمصار الكبار ورساتيقها والآثار القديمة والعمائر العظيمة والعيون والآبار والينابيع العجيبة ، والحيوان النادر الشكل ، والنبات الغريب ، والمعادن الذائبة والمتطرقة وتوابعها في المعدنية والأحجار الشريفة الثمينة والتي تليها وتشبهها في الشرف والقيمة والتي تلي ذلك مما هو ممتاز من التراب لوصف خاص او خاصة ذاتها ووصف الوان الأحجار الثمينة وطبائعها وخواصها ونعت بقاعها ومعادنها وذكر اسباب توليدها على ما ذكره الأقدمون ، وذكر مساحة الأرض ومسافات اقسامها بالساعات والأميال والبُرُد والفراسخ ، والدرج الفلكية وأطوال الجبال وعرضها ونعت الأمم المبثوثين فيها ، وذكر معالم أنسابهم وآبائهم الأولين وذكر عامة اختلاف الأمم المشهورين منهم ونعت خلقهم ، وذكر خصائص البلاد المختصة ببقعة دون بقعة ، وبلد دون بلد ، وذكر ظواهر خصائص البشر المشركة فيها النوع

الانساني دون باقي الحيوانات ونعت معالم رسوم المليين وأسماء شهورهم واعيادهم وقرابينهم على ما وجد من آثار علومهم وما يتعلق بلوازم ذلك ولواحقه .

قال : وختمته بصورة جغرافية دهاناً بالاصباغ وتخطيطاً محرراً على مثل مواقع الأطوال والعروض والأصقاع في المعمور لتكون مثالاً حسياً مشاهداً بالحس ، يشهد منه ما وضعت وصفه من الهيئة وليكون الوصف برهاناً لما مثلت أمثلته بالجغرافية المذكورة ، وكل ما هو من الدهان بها أزرق فهو مثال بحر مالح صَغُر او كَبُر ، دقّ او عرض ، وفي الزرقة من لون مخالف فهو مثال جبل او جزيرة وكل ما هو في ذلك وفي باقيها من لون اخضر فهو مثال بحيرة حلوة ونهر جار وكذلك طال او قصر دق او عرض وكل ما هو فيها من لون جلناري أو خمري أو اصفر أو حجري او ابيض او غير مستطيل مخطط خطوطاً بالسواد فهو مثال جبال وربوات مشهورة وكل ما هو صورة خط اسود مستطيل من مشرق الجغرافية الى مغربها فهو مثال فصل ما بين اقليم واقليم من الأقاليم السبعة وما وراءها وما خلف خط الاستواء منها وكل ما صورة عمارة وتفصيل حجارة بالتخطيط فهو مثال سور أو برج أو مدينة او هيكل مشهور في الأرض » .

وكتابه عدا فن الجغرافيا يحوي فنوناً كثيرة مثل علم طبقات الأرض وعلم المعادن وعلم خصائص الشعوب وعلم الانسان وعلم الحيوان وعلم الأنساب والتاريخ والآثار وغير ذلك وقد أجاد في وصف جغرافية الشام فصور حالتها في القرن السابع والثامن والأرجح انه طافها كلها ، ولم يقصر في جغرافية مصر عن هذه الغاية . اما في بحثه عن الآثار فانه في الغالب يتلقى كلامه عن الأفواه او عمن ألفوا في القصص والحكايات والغرائب واذ وسم كتابه بعجائب البر والبحر فهو يحشوه من هذا القبيل ومنها المفيد مع ذلك ومنها ما لا يقبله العقل .

اما في الجغرافية فقد وصف بلاد السودان والزنج والبربر وغيرهم في أواسط افريقية مما لم يطلع عليه علماء الجغرافية الا في العهد الأخير ، وكذلك وصف

من أمم جزائر البحر المحيط الهندي وما والاه من الأمم وأورد من اسمائهم ما لا يعرف الآن أما في اوربا فقد ألمَّ الماماً خفيفاً ببعض مدن جنوبها اما شمالها فاكتفى على عادة اكثر جغرافيي العرب بأن قال انه يسكنها أقوام من الافرنج اما اميركا فلم تكن قد كشفت في عهده ولكن أجاد في الكلام على بحر الظلمات والاقيانوس الاطلانطي وما فيه من الجزر وعلى سواحله من المدن وما فيه من الصور يدل على تفنن فيه وان العرب ايام كانوا أشبه بالغربيين اليوم يميلون الى تصوير المواد العلمية ·

وقال في ذكر توليد الجبال والهضاب والرمال والكلام على كيفية تكوين ذلك وعلته وسببه : قال العلماء بذلك ان الجبال الصغار والتلال قد تكون من الزلازل الكائنة من الرياح المحقونة في الأرض المتموجة تحتها حيث ترفع بعضاً وتخفض بعضاً ومن صحة ذلك انه في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة كان المطر في الشام قليلاً وقصرت ينابيع العيون ارسل الله عز وجل زلزلة في ايام الصيف فخرجت العيون وزادت الأنهار زيادة بقدر ما كانت ثلاث مرار واربع مرار وهذا صحيح وقد يكون باستيلاء الرياح العاصفة على بعض اجزاء الأرض بالكشف والحفر الى ان يصير ما غلبت عليه غوراً ومن صحة ذلك انه في سنة تسع عشرة وسبعمائة كان على الجبل الأقرع شجر زيتون كثير نيف على ثلاثمائة فحمله الريح الى ارض بعيدة بترابه وكأنه لم يكن مخلوقاً الا من تلك الأرض وكأنه لم يكن على الجبل شجر مزروع قط وفي تلك السنة أيضاً حملت الريح ديراً يقال له دير سمعان قريب من تلك الأرض بحجارته ورهبانه وما كان في الدير من قمحهم وخزينهم وبقرهم ودوابهم وعددهم حتى كأنهم لم يكونوا ولم يعلم لهم خبر ولم يطلع لهم على أثر وسطر بذلك محضر شرعي وطلعوا به الى السلطان محمد بن قلاوون خلد الله سلطانه ورحم ملوك المسلمين اجمعين · وفي سنة سبعمائة نزل جبل عال شامخ في بيت المقدس بقرب من عين

فروج التي على الطريق فبقدر ما كان مرتفعاً توطأ في الأرض وهو الى الآن ارق مياه تتفق لها حركة على جزء من الأرض دون الآخر فيحفر ما يسيل فيه ويبقى ما لا يسيل فيه رابياً ثم لا تزال السيول تغوض في الجزء الأول الى ان يعود غوراً ويبقى ما انحرف عنه سامياً . ومن العجب العجيب مغارة بالشام يخرج منها جدول ماء ما يجاوز كعبي قدم الخائض فيه فاذا دخلها الانسان وجدها واسعة طويلة المدى نحواً من اربعة آلاف خطوة تحت الأرض والماء يقطر من جوانبها وهي كصورة الأزج الطويل والقبو المبني ولكنها مغارة منحوتة وتجد تحت كل ماء قطر من سقفها حجارة جامدة من الماء المتقاطر مختلفة الألوان والشكل فمنها كهيئة العسل في لونه وكهيئة الثمار وهيئة النجوم وهيئة الأعضاء وهيئة الحبوب وهيئة النقل وهيئات منوعة وكلها حجارة جامدة من تقاطر الماء . أصباغها صادقة في الحمرة والسواد وغيره وسميت مغارة العجب لذلك قالوا وقد تتكون أنواع الحجارة في النار .

وقال في ذكر نوادر الأحجار الثمينة المهدي بها بعض الملوك الى بعض وذكر قيمتها ومن ذلك ما وجد في خزائن الخلفاء والوزراء من الجوهر النفيس والذخائر الفاخرة الدرة اليتيمة وسميت بذلك لأنها لم يوجد لها في الدنيا نظير حملها مسلم بن عبد الله العراقي الى الرشيد فابتاعها منه بتسعين الف دينار ومنه الفص الياقوت الأحمر المسمى بالجبل كان وزنه اربعة عشر مثقالاً ونصفاً اشتراه الرشيد بثمانين الف دينار . وكان للمتوكل فص ياقوت احمر وزنه ستة قراريط اشتراه بستة آلاف دينار وكان له سبحة فيها مائة حبة جوهر وزن كل حبة مثقال اشتريت كل حبة بالف مثقال . وأهدى بعض ملوك الهند الى الرشيد قضيب زمرد اطول من ذراع على رأسه تمثال طائر ياقوت أحمر لا قيمة له فقوم هذا الطائر بمائة الف دينار . ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى مولاه زياد فصاً من الياقوت الأحمر وقال : أنج بهذا . كانت قيمته الف الف درهم . وسقط من يد الرشيد فص من أرض كان يتصيد بها فاغتم لفقده فذكر له فص ابتاعه صالح

صاحب المصلى بعشرين الف دينار فأحضره ليكون عوضاً عما سقط منه فلم يره عوضاً . ووهب المأمون للحسن بن سهل عقداً قيمته الف الف درهم ومائه الف درهم وستة عشر الف درهم . وكان فيما أهدى ملك الهند الى كسرى جام ياقوت احمر فتحة شبر في شبر مملوء دراً قيمة كل درة الف وخمس مائة مثقال . وكان لمحمود صاحب غزنة حجر ياقوت كنصاب المرآة اذا ركب قبض عليه بيمينه فتبين طرفاه من جانبي يده حيث ينظر اليه الناس .

ولما انهزم ابو الفوارس بن بهاء الدولة من اخيه سلطان الدولة بن بويه اباع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه لزين الدولة بعشرين الف دينار فقال له : من غلطك تجعل هذا على جبهة فرسك وهذه قيمتها . ووجد في خزائن مروان ابن محمد مائدة جزع أرضها بيضاء فيها خطوط سود وحمر وسعتها ثلاثة أشبار وأرجلها ذهب يقال انها صنعت على شكل المشتري من أكل عليها لا يشبع ولا يتخم ووجد في خزائنه أيضاً جام زجاج فرعوني محكم غلظ اصبع وفتحة شبر وفي وسطه أسد ثابت وقدامه رجل جاث على ركبتيه وقد وضع سهماً في قوس بيده يريد ان يرمي الأسد ولم تعرف له خاصية . وكان لأنوشروان بساط يسميه بساط الشتاء مرصع بأزرق الجوهر واحمره واصفره وابيضه واخضره فعمل اخضره مكان أغصان الأشجار وألوانه بموضع الزهر والنوار فلما أخذ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وقعة القادسية حمل اليه في الفيء فلما رآه عمر قال ان أمة ادت هذا الى اميرها لأمناء ثم فرقه فوقع منه لعلي بن ابي طالب قطعة في قسمه مقدارها شبر في شبر باعها بخمسة عشر الف دينار .

ولما فتح الملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله سيس دخل بعض الغلمان الى دار صاحب سيس فوجد نرداً بيادقه ياقوت احمر واصفر وسكرجته من حجر الماس ورقعته زركش فخطف الغلام النرد فوقع منه قطعتان تركهما داهشاً فوقعت القطعتان المنسيتان في يد الملك الظاهر فقال ما كان الا كاملاً فاستدعى بعريف سوق الصرف وأراه القطعتين وقال له ان مسكت من هذا قطعة مع

احد الناس فعلت معك كل خير فما كان الا قليلاً وقد اتى الغلام ليبيعها فمسك واتي به الى الملك الظاهر فوجدوا الباقي معه فأخذه الملك الظاهر ودفع الى الغلام عشرة آلاف درهم ٠

ولما كان الملك المنصور قلاوون رحمه الله بدمشق سنة اثنتين وثمانين وستمائة احضر اليه من المدرسة الجوهرية مائدة ذهب وزنها ثمانية ارطال وربع بالدمشقي وعليها تمثال دجاجة من ذهب وصيصان من ذهب في منقار كل واحد لؤلؤة بقدر الحمصة وفي منقار الدجاجة درّة بقدر البندقة وفي وسط المائدة سكرجة من زمرد سعتها مثل كفة الميزان التي للدرهم السوقي الكبير مملوءة حبات من الدر قيل ان الملك الناصر صاحب حلب اودعها لنجم الدين الجوهري فأ كنزها بدهليز مدرسته فوشى بها الى الملك المنصور جارية من جواري الجوهري وكان على جميع المائدة شبكة من ذهب منسوج صغيرة الأعين حاوية لكل ما في المائدة ولها ثمان قوائم ٠

وأهدى مقدم زاوية عكا الى الملك المنصور طشتاً من ذهب في وسطه بيت مربع له أربعة خروق في أسفله يدخل منها دم الفصاد الى داخل البيت وفي البيت بسقفه تمثال انسان متواري في البيت ورأسه وعنقه بارز من سقفه وكلما سقط في الطشت من دم الفصاد وزن عشرة دراهم ارتفع ذلك التمثال بصدره وظهرت على صدره كتابة عشرة الدراهم ولا يزال كذلك الى مقدار ثلاث اواق دمشقية فيقف التمثال قائماً ويسمع من جوفه كلمة يونانية معناها حسبك حسبك اه ٠

* * *

وكتابه الثاني « السياسة في علم الفراسة » قال فيه ان أصول هذا العلم مستندة الى العلم الطبيعي وتفاريعه متقررة بالتجارب فكان مثل الطب سواء وقال انه على قسمين أحدهما ان يحصل خاطر في القلب بأن هذا الانسان من صفته كيت وكيت من غير حصول امارة جسمانية ولا علامة محسوسة والثاني الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة وهو علم يقيني الأصول ظني الفروع ٠ تكلم في القيافة (النظر الى بشرات الناس وجلودهم)

والريافة (معرفة الماء المستجن في الأرض) والعيافة (تتبع آثار الاقدام والاخفاف والحوافر في الطرق) وعرض للبحث في أخلاق الحيوان الاول سباع البهائم أو ذوات الاظلاف والاخفاف والطيور وغيرها ، ونظر في الكفوف والاصابع والاظفار والصدور والبطون والافخاذ والاعجاز والاوراك واعضاء النسل والساق والركب والضحك والتبسم والقهقهة وعلامات الرجل الجاهل الشرير المؤذي ، والرجل الخيّر الديّن الحميد الطبع ، والكافر والفاجر والسفاك والشجاع والوقح والكذاب والجبان والكسلان والسخي وتكلم عن الأفلاك والبروج .

ومما قاله في بيان اخلاق اهل الآفاق : فأهل مصر يغلب عليهم العقل ، ونقص الغيرة ، وقلة الفطنة ، وظهور الشح ، وتزكية النفس ، وكثرة الشبق في النساء ، وفيهم المحاكاة والتخيل ، وقلة الاعتناء بالأمور ، ولا يكادون يحققون علماً ، ولا يعمقون في بحث . واهل بربر فطناء وغلاظ حريصون حفاظ أشحاء كذابون جفاة ونساؤهم لطاف ، والمكر فيهن قليل . وأهل الشام غفول متكبرون مبذرون ممارون شرهون ، سليمة قلوبهم منقادون ، والغالب عليهم اللهو والعبث بالناس ، مللون متكرمون دعابون ، باطنهم الخير وظاهرهم الكبر ، مأمونو الغائلة ، كثيرو التصديق ، فصحاء يحبون المحمدة . وأهل الروم غلاظ متكلفون صلفون فيهم وفاء أشحاء ، وفيهم الغفلة فاشية ، ويغلب عليهم الجبن والجهل والهلع وحب جمع المال . واهل الحجاز أذكياء كرماء مواسون اهل وفاء فهماء حفاظ ، رقاق الأنفس بشجاعة واقدام وفهم ، وفيهم الدعابة والشبق والتعشق والتحيل والخداع بالنطق ، وتأنيث الشمائل وحب اللهو والمعازف ، وفي نسائهم الغلمة والكرم . واهل العراق غدارون ماكرون منافقون مستهزئون أشحاء ممارون متكبرون ، اولو فطنة وذكاء وفهم ، ودهاء وخديعة وطمع ، وتخيل باستملاء ، وفيهم الشبق وعدم المبالاة وقلة الوفاء ، وفي النساء اغتلام شديد وتحبب الى الرجال . واهل العجم أذكياء عقلاء أقوياء الأبدان والنفوس أشحاء اولو فهم ، متكبرون محتقرون من سواهم ، يحبون الطرب ويشتهون الاحداث من دون النساء ، ونساؤهم جيدات الطبع

متحببات الى الرجال ، وأهل بذخشان أذكياء فطناء اريحيون عصبيون يحبون المحمدة وسفك الدماء . وأهل بذخشان الأسفل أهل طرب ومعازف وتغزل ، والجمال فيهم ظاهر . وسيما كورة واسكندرية فارس والشح فيهم . وأهل الهند الأعلى شجعان جهلة غفل غدارون كثيرو الشبق خوانون كذابون سيئة أخلاقهم ، صبرهم قليل والنحيمة فيهم . وأهل الجزرات الهندية صالحون عقلاء حكماء أوفياء ، سهل عليهم هلاك أنفسهم بأيديهم . وأهل الصين طياشون مكرة حسدة فطناء أذكياء محاكون ، متقنو الصنائع بأيديهم ، وفيهم الغدر والنفاق والجبن ظاهر . وأهل التبت والخطا أشبه بأهل الصين وفيهم الوفاء وحسن المعاملة، وقل ان يكونوا غير مسرورين . وأهل اليمن مصدقون منقادون ، ضعاف النفوس ، فيهم الشبق ، مأمونو الغائلة وفيهم تحيل وعجز وغفلة . وأهل الحبشة أهل غفلة وديانة وأمانة ، ووفاء وحسن محبة ، ونقص فهم وغلظ طبع . وأهل النوبة أهل لعب وعبث وطيش وشح وخيانة وسوء خلق وجهالة وخبث وشبق ودناءة . وأهل السواحل غالباً أهل أمانة ووفاء وذكاء وشبق ونقص غيرة وسرعة فهم وبطء حفظ . وأهل الجبال غالباً أهل غفلة وغلظة طبع وشح واضطراب حال وعقول وفكر . وأهل المغرب أذكياء ذو فطن أشحاء سيئون في أخلاقهم متحيلون مهتمون (كذا) غلاظ الطبع أشرار . وأهل الشرق أذكياء فطناء ذو همم علية ، وأنفس أبية وبصائر ثاقبة وكبر ومماراة وشح وسياسة واعتناء بالأمور وعقول رزينة بها مكرة . واليونان علماء عقلاء حكماء أذكياء فطناء فهماء وفيهم الصلف ورقة الطبع وعلو الهمم . ويقال ظهرت الحكمة بأدمغة اليونان وألسنة العرب وأيدي الصين .

هذا فصل من فصول كتاب الفراسة وفيه الصحيح وفيه غيره أوردته نموذجاً من علم المؤلف وبحثه . يقول ناشر كتاب نخبة الدهر ان شيخ الربوة من المؤلفين الجامعيين سار على خطة المسعودي وأبي عبيد البكري ومع ذلك خص كتابه بالكلام على المعادن والأحجار الثمينة مما لم يتأت القيام بمثله لمؤلف حتى اليوم .

محمد كرد علي

نفائس المخطوطات العربية

في

خزانة مدرسة اسپهسالار بطهران

- ٣ -

(ج) كتب اللغة

٢٠ : مقاييس اللغة

لأبي الحسن الامام احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني الهمذاني الرازي (- ٣٩٥) [١]

امام اللغة العربية وأستاذ بديع الزمان ، والصاحب بن عباد ، ألف كتباً كثيرة بقي منها المجمل ، وفقه اللغة الصاحبي ، وكتاب الثلاثة أو المثلث ، وذم الخطأ في الشعر ويسمى نقد الشعر ومختصر سيرة رسول الله ويسمى أيضاً المختصر في نسب النبي ومواليده ونشأته ومبعثه وقد طبع في بمباي باسم أوجز السير ، ومقالة في أعضاء الانسان ، ومقالة (كلا) وما جاء منها في كتاب الله وقد طبعها الراجكوتي المرحوم في مصر في مجموعة اسمها ثلاث رسائل سنة ١٣٤٠ ، وكتاب النيروز ، وكتاب اللامات ، والاتباع والمزاوجة ، وتمام الفصيح ، وفتيا فقيه العرب ، ومقاييس اللغة من أمهات كتبه وقد اعتمد فيه على كتاب العين للخليل ، وكتاب ابي عبيدة في الغريب ، وكتاب اصلاح المنطق لابن السكيت ،

(١) أخباره في معجم الأدباء ٢ : ٢٦٦ وابن خلكان ١ : ٣٥ وبغية الوعاة ص ١٩٠ والروضات ١ : ٥٦ والشذرات ٣ : ١٣٢ وكشف الظنون ٢ : ٧٠ ويتيمة الدهر ٤ : ٢٨٩ وبروكلمان ١ : ١٣٠ والذيل ١ : ١٩٧

وجمهرة ابن دريد . وقد قال في المقدمة (... إن للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولاً يتفرع منها فروع وقد اختلف الناس في جوامع اللغة فألفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ولا أصل من الأصول والذي أومأنا اليه باب من العلم جليل ، وله خطر عظيم وقد صدرنا كل فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه ، وبناء الأمر في سائر ما ذكرنا على كتب مشهورة عالية تحتوي أكثر اللغة ... »

والنسخة حسنة الخط مكتوبة بقلم نسخي بقلم علم الهدى بن صفي سنة ١٠٩٤ وهي في (٣١٩) ورقة (٣٠ × ٢٨) ورقمها ٧٢ .

٢٣ : تهذيب اللغة

لأبي منصور محمد بن احمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الشافعي الهروي (٢٨٣ — ٣٧٠)

كان من الأئمة في العربية والدين والمكثرين تأليفاً فيهما ، وقد بقي من آثاره كتاب الظاهر في غريب الفاظ الامام الشافعي .

والتهذيب من أمهات كتب اللغة المعتبرة رتبه بحسب مخارج الحروف فبدأ بالحروف الحلقية [ع ح هـ خ غ] ثم اللهوية [ق ك] ثم الشجرية [ج ش ض] ثم الاسلية [ص س ز] ثم النطعية [ط د ت] ثم اللثوية [ظ ذ ث] ثم الزلقية [ل ر ن] ثم الشفوية [ف ب م] ثم الهوائية [ي و ا] وفي المكتبة خمسة أجزاء

(١) وفيه حرف العين من الحاء الى الياء ، وحرف الحاء مع القاف والفاء وأوله « الحمد لله بكل ما حمده به أقرب عباده اليه وأكرم خلائقه عليه .... » وهو في (٤١٠) ورقات (٣٠ × ١٩ سنت) ورقمه ٥٧ .

(٢) فيه كتاب الحاء ومن كتاب الخاء الى مادة (بخس) وهو في (٤٢٥) ورقة ورقمه ٥٨

(٣) فيه من كتاب الخاء ومن الزاي الى الكاف وهو في (٥٢٥) ورقة ورقمه ٥٩
(٤) 〃 〃 〃 الجيم الى كتاب السين وهو في (٣٥٣) ورقة ورقمه ٦٠
(٥) 〃 〃 〃 السين الى آخر الكتاب وهو في (٣٨٩) ورقة ورقمه ٦١

٢٣ : مجمع البحرين ومطلع النيرين

لفخر الدين بن محمد بن علي بن احمد المشهور بطريح النجفي المتوفى سنة ١٠٨٥ .

كان من كبار فضلاء الشيعة الامامية المتأخرين وهو معاصر الشيخ الحر العاملي صاحب أمل الآمل وقد ترجمه هناك ترجمة مطولة وأثنى على فضله ودينه وأدبه . ومن كتبه : مجمع المقال في تمييز المشترك من الرجال ، والفخرية الصغرى والكبرى في الفتاوى ، والضوء اللامع في شرح مختصر الجامع وشرح رسالة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني ، والاثني عشر في الأصول ، وكشف غوامض القرآن وجواهر المطالب في فضائل علي بن أبي طالب ، ومراثي الحسين في ثلاثة أجزاء كبير ووسيط وصغير ، ومستطرفات نهج البلاغة .

ومجمع البحرين كتاب ضخم في اللغة بحجم القاموس المحيط جمع فيه الكلمات المشكلة من مفردات الغريبين ، القرآن والحديث من الكتب المعتبرة عند الشيعة . ورتب ذلك بترتيب القاموس وفي الخزانة عدة نسخ أرقامها ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٨ه .

وفي خزانتنا نسخة رائعة الخط حسنة التذهيب جيدة الضبط منها .

٢٤ : طراز اللغة

لصدر الدين علي بن الأمير نظام الدين احمد بن الأمير محمد معصوم الحسني الحسيني الدشتكي الشيرازي المعروف بالسيد علي خان الكبير (١٠٥٣ — ١١١٨) [1]

وكان من أعيان شيراز ووجهائها وعلمائها الأفذاذ الذين أحيوا لغة العرب

(١) انظر بروكلمان ٢ : ٤٢١ والذيل ٢ : ٦٢٧ وأمل الآمل ٥٢ والروضات : ٤١١ وتاريخ الآداب لجرجي زيدان ٣ : ٢٨٥

في آدابها في فارس في القرنين الحادي والثاني عشر وأعاد اليها ذكرى الأيام السالفة بما ألقى فيها من دروس ومحاضرات ، وبما ألف من كتب قيمة ، وكان كثير التنقل في العالم الاسلامي ذهب الى الهند والبحرين وكان علما حيثما حل ، ومن آثاره الكثيرة بقي :

شرح الارشاد في النحو ، والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، وسلوة القريب وأسوة الغريب في رحلته الى حيدر آباد ، وشرح الصحيفة الكاملة ، وديوان شعره . وقد طبع من كتبه الكتاب المشهور : « سلافة العصر في محاسن أعيان العصر » والبديعية المسماة بأنوار الربيع في أنواع البديع .

ومن كتبه المفقودة رسالة في أغلاط قاموس الفيروزآبادي ، وكتاب أحوال الصحابة والتابعين ، وكتاب الزهرة في النحو ، وكتاب التذكرة في الفوائد النادرة ، ونظم الكافية ، ومنظومة غنيمة الأمان في معاشرة الاخوان وأولها :

بقول راجي الصمد علي بن احمد
حمداً لمن هداني بالنطق والبيان
قال الصديق من صدق في حبه وما مذق

ورسائل كثيرة أخرى متفرقة

وطراز اللغة هذا كتاب واسع جمع فيه أقوال الأئمة من المتقدمين والمتأخرين ولا تعرف نسخة كاملة منه في مكان . وفي الخزانة ثلاثة أجزاء (١) جزء مكتوب سنة ١٢٥٧ بخط نسخي جيد جداً يشتمل على الجزء الأول من الكتاب وآخره مادة (عبد) وهو في ٢٤٢ ورقة (٣١ × ٢١½ سنت) ورقمه ٢٩ .

(٢) جزء مكتوب بقلم نسخي سنة ١٢٨٣ وفيه من أول الكتاب الى مادة (عبد) أيضاً ورقمه (٢٣) ولعله منقول عن النسخة السابقة .

(٣) جزء فيه من باب حرف الراء فصل الألف الى باب السين وفصل العين وهو بخط نسخي حسن كتب سنة ١١٢٤ ورقمه ٢٤٣ .

٢٥ : الجموع والمصادر

لمحمد يحيى بن محمد شفيع القزويني الذي كان حياً في أيام السلطان شاه حسين الصفوي (—) والذي ترجم قاموس الفيروزآبادي الى الفارسية وطبع هذا الشرح مستقلاً سنة ١٢٧٣ في طهران كما طبع على هامش القاموس سنة ١٢٧٧ باسم (ترجمان اللغة يا شرح قاموس) .

وشفيع هذا أحصى في كتابه « الجموع والمصادر » التي أهملها الفيروزآبادي في القاموس وأوله « الحمد لله الذي جعل الجموع . . » والنسخة مكتوبة بخط نفيس جداً عدد أوراقها ٥٦ (٢١ × ١٥) سنت) ورقمها (٣١١٠) .

٢٦ : مختصر [تقويم « غلط » اللسان] ويسمى أيضاً [تقويم اللغة]

لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن ابي الحسن بن علي الجوزي (— ٥٩٧)[1]

كتاب قيم بحث فيه عن الأغلاط الشائعة على ألسنة الخاصة والعامة ولا يعرف صاحب المختصر وأوله « الحمد لله رب العالمين . . . . باب الألف تقول استهتر فلان بكذا بتائين الأولى منهما مضمومة والأخرى مكسورة على ما لم يسم فاعله . . . »

والنسخة مكتوبة بخط نسخي جيد جداً يشبه خط ياقوت المستعصمي المشهور ولا شك في انه يرجع الى القرن السابع . وقد كتب على ظهر الورقة الأولى « اين كتاب تقويم اللسان خط مولانا صيرفي . . . » وصيرفي هذا كان من علماء وخطاطي اذربيجان واسمه الخواجه عبد الله وكان من تلاميذ ياقوت المستعصمي ومشهوري الخطاطين توفي سنة ٧٤٢ .

وجلد النسخة مذهب حسن التذهيب وهي في ٣٨ ورقة (١٨ × ١٣ سنت) ورقمها ١٠٢ .

(١) انظر بروكلمان ١ : ٥٠٠ والذيل ١ : ٩١٤

٢٧ : تنقيح الصحاح لأبي نصر الجوهري (— ٣٩٣)[١]

لمحمود بن احمد بن محمود بن بختيار الزنجاني ابي الثناء (— ٦٥٦)[٢] وقد ذكر في مقدمته أنه اختصره في المرة الأولى بنحو خمسه وسماه « ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح » ثم عاد فاختصر هذا المختصر جداً وسماه تنقيح الصحاح وهو نحو عشر الكتاب الأصلي . وقد حذف منه الشواهد والأمثال والمكرر ومسائل الصرف والنحو .

والنسخة حسنة الخط أولها « بسمله الحمد لله حق حمده والصلاة على خير خلقه محمد وآله وصحبه ... » وقد أصاب النسخ بعض الماء ولكن الكتابة محفوظة وهي مخروقة الورقة الأخيرة وآخرها « ... وقا ... فيما مضى وأما اليوم فهي عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم والجمع الأواقي » .

وخطها يرجع الى القرن العاشر وعدد أوراقها ١١٧ (٢٦ × ١٨ سنت) ورقمها (٩٤) . وقد طبع هذا الكتاب في لكنو سنة ١٢٨٩ .

(د) كتب العربية

٢٨ : ديوان الأدب

لأبي ابرهيم اسحق بن ابرهيم الفارابي التركستاني (— ٣٥)[٣]

كان من أئمة اللغة والأدب والعربية وقد ألف كتباً في هذه الفنون ضاعت ولم يبق من آثاره الا هذا « الديوان » ألفه لأتسز بن خوارزمشاه وقد قسمه الى ستة كتب (١) كتاب السالم (٢) كتاب المضاعف (٣) كتاب المثال (٤) كتاب ذوات الثلاثة وهو ما كان في وسطه حرف علة (٥) كتاب ذوات الأربعة وهو ما كان في آخره حرف علة (٦) كتاب الهمزة .

وأول النسخة : « قال اسحق بن ابرهيم تولاه الله بعصمته في الدارين الحمد لله

---

(١) انظر بروكلمان ١ : ١٢٨ والذيل ١ : ١٩٦ (٢) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ١٥٤ (٣) انظر بروكلمان ١ : ١٢٧ والذيل ١ : ١٩٥ وكشف الظنون ١ : ٥٠٣

رب العالمين حمداً يبلغ رضاه ويمتري المزيد منه ويستوجب به ماأعد من الكرامة ... وصلى الله على خير البرية المخصوص بالرفعة والفضيلة الذي اقسم بعمره وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر محمد خاتم النبيين وعلى آله اجمعين ... » واليك نمطاً من أسلوب بحثه :

(باب فعل[1] بضم الفاء وضم العين [ث] يقال رجل حَدُث وحَدث أي كثير الحديث [ح] يقال رجل فَرُح وفَرِح بمعنى [د] العبُد استعمله الشاعر في موضع العَبد قال الفراء هو من ضرورة الشعر وهو قوله :

أبني لُبينى ان أمكم أمة وان أباكم عَبُدُ

ويقال رجل نَجُد ونَجْد أي شجاع [ر] يقال رجل بكُر في حاجته وبكر . ورجل حَذُر وحَذِر ، والسمن من العضاه ، ويقال وظيف عَجُر وعَجْر للغليظ ، ويقال رجل نِكر ونَكُر [ز] هو العُجز يذكر ويؤنث [س] يقال نَدْس ونَدُس اي فطن ، ونَطِس ونَطُس للمبالغ في الشيء (ش) يقال مكان عَطِش وعَطُش لقليل الماء ... »

وهذه النسخة جد نفيسة مؤلفة من جزأين يشتمل الأول على كتاب السالم الى آخر باب التفعيل ، والثاني من كتاب المفاعلة الى آخر الكتاب . وهي مكتوبة بقلم نسخي حسن يرجع الى القرن الخامس . والجزء الأول مؤلف من (٢٤٣) ورقة (٢٨ × ٢٠ سنت) ورقمه ١٠٥ . والثاني من (٢٣٣) ورقة (٢٩ × ٢٠ سنت) ورقمه ١٠٦ . ولكن نقص من آخر هذا الجزء بعض اوراق .

٢٩ : الضوء في شرح المصباح لناصر الدين بن عبد السيدالمطرزي (— ٦١٠)[2]

والشارح هو تاج الدين محمد بن محمد بن احمد المعروف بالفاضل الاسفرائيني (— ٦٨٤) وقد طبع هذا الشرح في لكنؤ سنة ١٨٥٠ م والنسخة مكتوبة بقلم نستعليق جيدة كتبت سنة ١١٢٧ ورقمها ٣١٠١ .

(١) كذا في الأصل (٢) انظر بروكلمان ١ : ٢٩٣ والذيل ١ : ٥١٤ .

٣٠ : اغناء الأديب في فهم مغني اللبيب لابن هشام [1]

لمحمد مهدي بن علي اصغر القزويني الذي كان معاصراً للشيخ الحر العاملي مؤلف أمل الآمل (١٠٣٣ — ١١٠٤)

وقد ذكر له من الكتب : عين الحياة في الأدعية، والانتقاد في النحو، وشرح جمل الملا خليل القزويني، وشرح شواهد الانتقاد، ورسالة في تحقيق لفظ الجلالة، وغنية الطلاب في الفقه، ورسالة في المؤنثات السماعية، وفهرس بديعية الصفي الحلي، حاشية على شرح توحيد الملا خليل القزويني .

وأوله «الحمد لله الذي رفع لواء الكلام والخطب ....» وهو في ١٨٦ ورقة (٢٩ × ٢٠½ سنت) ورقمه (٣٢٣١) وفي الخزانة نسخة اخرى رقمها ٣٢٣٠ بخط محمد بن عبد الرحيم الحسيني سنة ١٢٦٨ .

٣١ : منتهى أمل الأديب من الكلام على مغني اللبيب

لأحمد بن محمد بن علي المشهور بابن المنلا (— ٩٧٤) وقيل (— ٩٩٠) وقد تلقى العلم عن الرضي محمد بن ابرهيم بن يوسف الحلبي (— ٩٧١) وكان بارعاً في العربية والفقه، وخلف كتباً قيمة [2] والمنتهى هذا كتاب شرع فيه ولم يتمه بل بلغ فيه الى (أما) . والنسخة قيمة جمع فيها جميع ما قال الأقدمون في الموضوع وأولها «حمداً لمن شرح صدورنا لفهم اسرار العربية ....»

وهي حسنة الخط مكتوبة بقلم نستعليق، مذهبة في (١٧٠) ورقة (٢٨½ × ١٨½ سنت) ورقمها ٣٢٢٩ .

٣٢ : المحصل شرح المفصل لفخر خوارزم الزمخشري

لأبي القاسم (محمد) علم الدين القاسم بن احمد بن موفق بن جعفر المرمي اللورقي الأندلسي (٥٧٥ — ٦٦١) . وكان من الفقهاء وعلماء العربية والقراءات

---

(١) انظر بروكلمان ١ : ٢ : ٢٣ والذيل ٢ : ١٩

(٢) « الروضات ص ٩٣ وكشف الظنون ٢ : ٤٧٥

تتلمذ على شيخ قراء الشام تاج الدين الكندي (٥٢٠ — ٦١٣) وألف كتباً كثيرة لا نعرف منها الا شرحه على الشاطبية ، — حرز الأماني — وكتاب المحصل هذا . وقد ألفه باسم السلطان الأشرف عيسى بن الملك العادل الأيوبي الذي كان شديد الحب لمفصل الزمخشري حتى إنهم رووا أنه كان يعطي من يحفظه هدية حسنة وأوله «شرح ما في الخطبة من الغريب . افتتح رحمه الله خطبته بقوله : الله احمد مقدماً لاسم الله تعالى تبركاً واهتماماً على عادة العرب في تقديم ما هو الأهم ...»

ولا يوجد من الكتاب الا نصفه الأول ويغلب على الظن انها مسودة المؤلف وهي في ٢٣٦ ورقة (٢٥ × ١٦ سنت) رقمها ٣١٥١

ولا يعرف نسخة ثانية من هذا الكتاب في أية مكتبة أخرى فيما نعلم .

٣٣ : شرح شافية ابن الحاجب عثمان بن عمر (— ٦٤٦)

لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسن المشهور بالنظام الأعرج القمي النيسابوري تلميذ نصر الدين الطوسي وقطب الدين الشيرازي وكان حياً في سنة ٧١٠ هـ وألف كتباً في الرياضيات والعربية [1] بقي منها غرائب القرآن ورغائب الفرقان وقد طبع بطهران سنة ١٢٨٠ ، والرسالة الشمسية في الحساب وعليها عدة شروح ، وشرح تحرير المجسطي ، وشرح التذكرة الناصرية المسمى بالتوضيح وشرح الشافية هذا أوله « احمدك اللهم على أن وفقتني لصرف ريعان الشباب في اقتناء العلوم والآداب ...» وهو في ١٥٨ ورقة (١٥ ١/٢ × ٩ سنت) ورقمه ٣١٣٢

وفي المكتبة نسختان اخريان رقمها ٣١٢٧ ، ٣١٢٦ .

(١) انظر أخباره في بغية الوعاة للسيوطي ٢٣٠ وروضات الجنات ٢٢٥ وبروكلمان ٢ : ٢١١ والذيل ٢ : ٢٧٢

(هـ) الدواوين الشعرية

٣٤ : ديوان ذي الرمة

لأبي الحارث غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة العدوي (٧٧—١١٧) [١]

نسخة جيدة جداً مكتوبة بقلم نسخي حسن في آخرها ما نصه « كتبه جعفر بن شمس الخلافة » وجعفر هذا هو الأديب المؤلف المشهور بمجيد الملك ابي الفضل (٥٤٣ — ٦٢٢) وقد طبع له كتاب الآداب بعناية مكتبة الخانجي بمصر [٢] .

والديوان في ١٤٦ ورقة (٢٣½ × ١٧½ سنت) ورقمه ٣٣٣٧ .

٣٥ : ديوان سبط ابن التعاويذي

لأبي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله (٥١٩ — ٥٨٣/٥٨٤)

نسخة حسنة الخط ترجع الى القرن السابع وقد أصابها بعض الخروم من أولها وآخرها ولكنها تمت بخط حديث وهي في (١٤٣) ورقة (٢٤ × ١١ سنت) ورقمها ٢٧١٩

٣٦ : ديوان الرضي

للسيد الشريف ابي الحسن ذي الحسبين محمد بن الطاهر ابي احمد الحسين الموسوي (٣٥٩ — ٤٠٤/٤٠٦)

جامع نهج البلاغة ، ومؤلف خصائص الأئمة ، ومجازات الآثار النبوية ، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل ، وسيرة والده الطاهر ، ومجموع رسائله ، وما دار بينه وبين أبي اسحق الصابي ، وكتاب زيادات شعر ابي تمام ، مختار شعر الصابي ، الحسن من شعر الحسين (بن الحجاج) أخبار قضاة بغداد ، تعليق خلاف الفقهاء ، حاشية على ايضاح ابي علي الفارسي .

(١) بروكلمان ١ : ٥٨ والذيل ١ : ٨٧ (٢) بروكلمان ١ : ٢٦٢ والذيل ١ : ٢٦٢

وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة الشريف الرضي ان جماعة اعتنوا بجمع ديوانه ومنهم ابو الحكيم عبد الله بن ابرهيم بن عبد الله الخبرى أحدفقهاء الشافعية[1] (— ٤٧٦) وقد اضطرب الناس في ضبط نسبة ابي الحكيم فقال جرجي زيدان في تاريخ الآداب العربية ٢/٢٥٧ انه الخيرى [بالياء المثناة من تحت] وقال فريد وجدي انه الحيرى [بالحاء المهملة] . والصواب الخپرى بالباء الفارسية المثلثة من تحت [P] وربما قالوا [خبرى] بالباء العربية او [خفرى] بابدال الباء [فاء] كما في اصفهان ، واسفهسلار ، وفسا ، وفارس . وقد ذكر الاصطخري في كتاب بلدانه [خبر] فقال هي بالخاء المعجمة المفتوحة والباء الموحدة من تحت والراء المهملة وفي ايران موضعان بهذا الاسم أحدهما بكورة اصطخر وتسمى اليوم [خفر] والآخر في دارا بجرد ، ويقول الأستاذ ابن يوسف الشيرازي ناشر فهرست كتب مدرسة اسپهسالار في ٢/١٥٣ انه يرى ان صواب اسمه هو ابو الحكيم [الخيرى] بالياء المثناة من تحت كما نقل ذلك من كلام ناصرى في كتابه فارس نامه ٢/١٧٨ . وانها كانت شمال الاصطهبانات .

والديوان قد طبع مرتين احداهما في سنة ١٣٠٦ في بمبئ والثانية في سنة ١٣٠٧ في بيروت بمجلدين . والنسخة مكتوبة بخطحسن حديث يرجع الى القرن الثالث عشر مرتبة على الحروف الأبجدية . وعدد أوراقها [٢٠٠] (١٠ × ٢٠ سنت) ورقمها ٢٧٤٧ .

٣٧ : ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (— ٥٤ وقيل سنة ٤٠)[2]

والنسخة حسنة الخط كتبت بقلم نستعليق في سنة ١٢٨٤ أو قبلها بقليل لأنها خلف السيد اعتضاد السلطنة في ذلك العهد كما هو مذكور فيها . وقد فسرت بعض مفرداتها الغريبة على الهامش وأولها :

---

(١) انظر أخباره في طبقات الشافعية للسبكي ٣ : ٢٠٣ (٢) انظر خزانة الأدب والأغاني ، وشذرات الذهب ١ : ٦٠ وروضات الجنات ٢ : ٣٩

عفت ذات الأصابع فالجواء الى عذراء منزلهـا خلاء

وهي في (٩٠) ورقة (٢٢ × ١٤ سنت) في كل صفحة ١٢ بيتا ورقمها (٣٣٤٦)

٣٨ : ديوان ابن خفاجة

ابي اسحق ابرهيم بن ابي الفتح بن عبد الله الأندلسي (٤٥٠ — ٥٣٣)[١]

والنسخة نفيسة نقلت عن نسخة كتب في آخرها ما نصه « كمل شعر الوزير الفقيه الجليل ابي اسحق ابرهيم بن ابي الفتح بن خفاجة أعزه الله وذلك في السابع عشر من شهر شعبان المكرم على ست وتسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى آمين »

وهي في ٧٧ ورقة ($21\frac{1}{2} \times 13\frac{1}{2}$ سنت) وفي كل صفحة ٢٥ بيتاً ورقمها (١٥٢).

(و) كتب الأدب

٣٩ : شرح نهج البلاغة

لعز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن ابي الحديد المدائني المعتزلي البغدادي (٥٨٦ — ٦٥٥) وكان من كبار متكلمي المعتزلة الشيعيين وأدبائهم الفضلاء ومؤلفيهم ومن آثاره الباقية الفلك الدائر على المثل السائر ، ونظم فصيح ثعلب والقصائد السبع العلويات — وفي خزائننا شرح عليها — والمستنصريات ، وشرح الآيات البينات[٢] .

وهذا الشرح معروف ومطبوع بايران ومصر وقد ترجمه الى الفارسية وطبع مرات وللقوم عليه تعليقات ونقود واختصارات كثيرة أحصاها السيد ابن يوسف الشيرازي[٣] .

والنسخة خطها جميل جداً مضبوطة رقمها ٣٠٧٦ وهنالك نسختان اخريان رقمها ٣٠٧٧ و ٣٠٧٨

(١) انظر ابن خلكان ١ : ١٤ وقلائد العقيان ٢٣٠ . (٢) انظر بروكلمان ١ : ٢٦٩ و ٢٨٢ والذيل ١ : ٤٩٧ وفوات الوفيات ١ : ٢٤٨ وروضات الجنات ٤٢٢ وأمل الآمل ٢ : ٧

(٣) فهرست اسپهسالار ٢ : ٦١

٤٠ : شرح نهج البلاغة ويسمى مصباح السالكين لنهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (— ٦٩٩) وكان من كبار علماء الامامية وحكمائهم وفضلائهم ولقبه (العالم الرباني) وقد ألف كتباً كثيرة ضاع أكثرها منها شرح الاشارات لأستاذه الشيخ علي بن سليمان البحراني ٠ وقواعد المرام في علم الكلام ، وشرح مائة حكمة ، ونجاة القيامة في تحقيق الامامة ، ورسالة في الوحي والالهام وأخرى في آداب البحث ٠

وقد ألف شرح النهج باسم الوزير الخواجة علاء الدين عطاء ملك الجويني المتوفى سنة ٦٨٠ ٠ وهذا الشرح مؤلف من خمسة اقسام (١) يشتمل على المقدمة وشرح الخطب من أول الكتاب الى الخطبة التي يذكر فيها بيعة طلحة والزبير (٢) يشتمل على شرح تلك الخطبة الى الخطبة التي أولها « نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون (٣) يشتمل على شرح تلك الخطبة الى الخطبة التي رثى فيها السيدة فاطمة (٤) يشتمل على شرح تلك الخطبة الى وصية الحسن (٥) يشتمل على شرح تلك الخطبة الى آخر النهج ٠

وقد اختصره جماعة منهم نظام الدين الكيلاني الملقب بحكيم الملك وسماه « أنوار الفصاحة وأسرار البراعة » وأوله « الحمد لله الذي دل على ذاته ٠٠٠ » ومنه نسخة بخط المؤلف عند السيد محمد عليخان تربيت ، ومنهم العلامة الحلي ٠

والنسخه حسنة الخط مكتوبة بقلم نفيس جداً بقلم عبد القادر بن محمد شريف المكي سنة ١٠٤٠ وفي صدرها لوحة مذهبة جيدة وقد كتب في آخرها ما نصه « كنت الباعث على استكتاب هذا الكتاب المبارك لنفسي وأنا الفقير الى الله تعالى الغني بهاء الدين بن محمد العاملي سنة ١٠٤٣ » وعدد أوراقها ٧١٢ (٣٣ × ٢٠ سنت) ورقمها ٣٠٦٩

وقد طبع شرح ابن ميثم هذا في ايران ولكن الطبعة جد مشوهة وفي خزانتنا نسخة جيدة مضبوطة ٠

٤١ : شرح النهج واسمه حدائق الحقائق

لعلاء الدين محمد بن الأمير شاه ابي تراب محمد علي الحسيني الملقب بعلاء الدين ككستانه (— ١١٠٠ هـ) وكان من فضلاء الامامية وأدبائهم المتأخرين ألف شرحين على النهج أحدهما هذا والثاني يسمى بهجة الحدائق [١] .

وقد سلك في شرحه هذا مسلك الأدباء والمحاضرين فذكر في كل خبر منه ما يضارعه من الأخبار من كلام القدماء والمحدثين ، لا كما فعل ابن ابي الحديد فقد سلك في شرحه مسلك الكلاميين والمؤرخين ، ولا كما فعل ابن ميثم الذي سلك فيه مسلك الحكماء والالهيين . ولكن من المؤسف ان المؤلف لم يتم هذا الشرح

والنسخة مكتوبة بقلم نسخي جيد وأولها « الحمد لله الذي رفع لنا أعلام المجد .... » وهي في ١٧٥ ورقة (٢٤ × ١٦ سنت) ورقمها (٣٣٤٢) و (٣٣٤٣)

٤٢ : خريدة القصر وجريدة أهل العصر

لمحمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن آله عماد الدين الكاتب الاصفهاني (٥١٩ — ٥٩٧ هـ) [٢] صاحب الآثار القيمة التي يعرف منها الفتح القسي في الفتح القدسي ، والبرق الشامي ، ونصرة الفترة من تاريخ آل سلجوق ، ورسالة العتبى والعقبى ، وخطفة البارق وعطفة الشارق ، وديوان شعره .

والخريدة قد ذيل بها « زينة الدهر » لأبي المعالي سعد بن علي الوراق (— ٥٦٨) التي ذيل بها دمية العصر للباخرزي (— ٤٦١) [٣] التي ذيل بها اليتيمة والتتمة [٤] للثعالبي (— ٤٢٩) .

---

(١) انظر أخباره في هدية الأحباب ص ٢٠١ وتنقيح المقال ٢ : ٢٥٨ وروضات الجنات ٤ : ٦٥

(٢) روضات الجنات ٢ : ٧٤ ، الشذرات ٤ : ٣٦٣ ، الوافي للصفدي ١ : ١٣٢ ، بروكلمان ١ : ٣١٥ والذيل ١ : ٥٤٩ (٣) طبع الشيخ راغب الطباخ قطعة صغيرة من الدمية طبعاً مشوهاً في حلب من نسخة المكتبة الأحمدية الناقصة (٤) طبع التتمة في جزأين صديقنا العلامة عباس اقبال في طهران .

والخريدة في اثني عشر مجلداً ولا تعرف منها نسخة كاملة في مكان ففي باريس ستة أجزاء يشتمل أولها على شعراء العراق (بغداد وواسط والبصرة) ومجلد آخر يشتمل على شعراء مصر، وثالث على شعراء الشام ومصر وفلسطين والموصل والحجاز واليمن، ومجلدان آخران هما الحادي عشر والثاني عشر ويشتملان على شعراء صقلية والمغرب .

وفي الخزانة الجزء الأول فقط ويشتمل على شعراء العراق (بغداد وواسط والبصرة) وخطه يرجع الى القرن التاسع وهو في ٢٤٨ ورقة (٢٠/½ × ١٤/½ سنت) ورقمه ١٨٣ .

(المراجع)

آثار الشيعة الامامية لعبد العزيز وعلي جواهر كلام طبع طهران ١٣٠٧ بالفارسية
أحسن الوديعة للسيد محمد مهدي طبع بغداد سنة ١٣٤٨ في مجلدين بالعربية
أمل الآمل للشيخ الحر العاملي (— ١٢٣٤) طبع طهران ١٣٠٢ «
بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي من رجال القرن العاشر طبع القرن الرابع عشر للهجرة في طهران بالعربية

بغية الوعاة للسيوطي طبع مصر ١٣٢٦
تاريخ مغول للسيد عباس اقبال آشيتاني طبع تهران ١٣٠٢ هـ ش بالفارسية
الذريعة الى تصانيف الشيعة لآقا شيخ بزرك طهران طبع النجف وطهران سنة ١٣١٧ وما بعدها في ٧ مجلدات
روضات الجنات للحاج سيد محمد باقر الخونساري (-١٣٠٣) طبع طهران سنة ١٣٠٧
شذرات الذهب لابن العماد (— ١٠٨٠) طبع القاهرة ١٣٥٠
فارسنامه ناصري للحاج ميرزا حسن فسائي شيرازي (— ١٣١٢ بالفارسية طبع طهران سنة ١٣١٣

فهرست كتابخانة آستان قدس في المشهد الرضوي لآقاي اكتائي في ٣ مجلدات طبع مشهد سنة ١٣٤٥

〃 〃 〃 مجلس لاقاي يوسف اعتصامي (— ١٣١١) طبع طهران سنة ١٣١١

〃 〃 سپهسالار لاقاي ابن يوسف الشيرازي 〃 〃 سنة ١٣١٣ الى سنة ١٣١٨

〃 〃 مدرسة فاضلية (فاضل خان مشهد) اشاهزاده أوكتالي طبع مشهد سنة ١٣٠٩ هش

〃 〃 معارف لعبدالعزيزجواهر الكلام طبع طهران سنة ١٣١٣ ه·ش

كشف الحجب والاستار لسيد اعجاز حسين طبع كلكتة ١٣٣٠ ه

كشف الظنون للحاج خليفة چلبي طبع استانبول ١٣١٠ — ١٣١١ ه

كتاب لؤلؤتي البحرين للشيخ يوسف البحراني (— ١١١٨) طبع طهران بدون تاريخ

منتهى المقال لأبي علي القالي الرجالي (— ١٢١٥) طبع طهران بالعربية سنة ١٣٠٢

وتاريخ الآداب العربية لبروكلمان G.A.L. طبع برلين ١٩٠٢ مع ذيله ·

(طهران) اسعد طلس

العامي والفصيح

— ٧ —

د ق ر ن — الدِقرانة عند العامة خشبة ليست بذات غِلظ تنصب للتعريش في كروم العنب ونحوها وهي في الفصيح الدِجران واحدته دجرانة والعامة جاءت بالقاف مكان الجيم وهما يتعاقبان في الفصيح مثل تزلج وتزلق واقتث واجتث

د ك ر ب — ويقولون دَكْرَبه ودرْكَبَه (على القلب) اذا ألقاه من علو الى سفل (راجع د ر ك ب) وزيادة عما هناك ان دركبه ربما كانت من درباه زيدت فيها الكاف وهي في اللغة بمعنى ألقاه في ما يكره عن ابن الاعرابي وأنشد :

اعلوّطا عَمْرًا ليشبياه في كل سوء ويُدَرْبياه [1]

د ك س — يقولون العامليون دكس فلان اذا عاوده المرض وهو محرف من انتكس ويقولون دكس من الحمّى اذا أصابه منها غيبوبة أو ما يشبهها وهو من الدُكاس وهو في اللغة ما يغشى المرء في النعاس ويتراكب عليه

د ك ش — ويقولون داكشه اذا أعطاه شيئًا بشيء مبادلة والشيء داكيشة والاسم المداكشة وهي دخيلة تركية ومصدرها في التركية دگيشدرمك . وفصيحها المبادلة وفصيح الداكيشه البَدَل وفصيحها أيضًا المعاوضة والعِوَض .

والدَكش عندهم عصا ذات حديدة في رأسها لها شعبتان وهي كُلّوبٌ يصاد به الصيد من جحره وفصيحها المِحْرَش من قولهم حرش الضب واحترشه اذا صاده (وأما الدكش فهي دخيلة) .

---

(١) اعلوطا بألف الاثنين أخذاه وحبساه أو تفحا عليه . ليشبياه ويدرباه كلاهما بمعنى ليلقياه في ما يكره .

د ك ك — ويقولون دك البارودة ودك المدفع اذا حشاهما بالبارود والرصاص ولبّد حشوهما ليطلقهما ناراً

وهي اما من دك السراويل فيكون مجازاً أو من قولهم دك الأرض اذا لبّد ترابها والفصيح في ذلك حشاه وقالوا دك السراويل ودككها اذا ادخل فيها الدِركه بالمِدَك وكل هذا في اللغة بالتاء المثناة الفوقية استَتَكّ التكة بالمِتَك ، والتِكّة هي رباط السراويل ج تِكَك .

د ك م — يقولون باعه دَكْمَة أي جملة واحدة مجموعة ويصح ان نقول انها من دَكَم الشيء دَكماً اذا جمع بعضه على بعض قاله الجوهري وأصل الدكم الدفع والزحمة .

د ك ى — ويقولون تدكّى عليه اذا مال وألقى ببعض ثقله وربما كان مع انبساط ورفع كلفة وفي اللغة قال في اللسان وهم يتدكلون على السلطان أي يتدللون وتدكّل عليه تدلّل وانبسط وأنشد أبو زيد :

يا ناقتي مالك تدألينا على بالدهنا تدكّلينا [1]

فأصل العامية على هذا تدكّل وكأنهم ابدلوا اللام الفاً لينة تخفيفاً

وربما كانت من توكأ فسهلوا الهمزة كعادتهم في كل همز وجعلوا مكان الواو دالاً والواو تعاقب التاء أخت الدال . وتبدل عنها كالتراث والتقاة وتجاه وتخمه من ورث ورقى ووخم ووجه .

د ل ع — وقالوا دلعت المرأة وامرأة دالعة اذا تبرجت وتكشفت وقلّ حياؤها وهي دَلَع من التسمية بالمصدر .

وفي اللغة جَلِعَت بالجيم اذا تبرجت او تركت الحياء . قال في اللسان جَلِعت المرأة بالكسر جَلَعاً فهي جَلِعَة وجالعة وجَلَعت بالفتح فهي جالع وجالعت وهي مجالع كله اذا تركت الحياء وتكلمت بالقبيح وقيل اذا كانت متبرجة ...

(١) الدَألى والدَألان مشيٌ فيه ضعف وعجلة والدهنا اسم مكان وتدكل عليه تدلل وانبسط

والاسم الجَلاعة ويقولون هو صبي دَلِع ومدلوع اذا نشأ على قلة الحياء والاسم الدَلاعة والدَلْعنَة وهو من الجَلاعة والدال تعاقب الجيم وتقدم مثال ذلك في د ش ر

وأما الدلعنة فهو مصدر له نظائر عند العامة كالوَلْدَنة لمن يعبث عبث الأولاد والزَعْرَنة لمن يعمل عمل الزعران (اطلب ز ع ر) والحَرْمَنة لمن يتعاطى الحرام أي السرقة والحرامي اللص ٠

د ل ف — غير بعيد عن الصواب ان يكون دَلَف البيت عند العامة بمعنى وكف وانصب الماء من سقفه نقطاً متتابعة مأخوذة من اندلف عليّ اذا انصب عن ابن عبّاد وأصل الدَلَف محركة المشيُ الرويد ودَلَف البيت ينصب نقطاً متتابعة وقال بعض الباحثين انها من الإرَمية ٠

د م س — الفول المُدَمَّس والعامة تقول دمَّس الفول اذا طبخه بالفرن في جرة مغطاة مغلقة ثم عالجه بالتوابل وهذا هو الفول المُدمَّس وهو استعمال فصيح وفي اللغة دمَّس الشيء اذا دفنه وغطاه ودمَّس الخمر أغلق عليها دنّها ومنه الديماس للقبر وللسجن والدِماس لكل ما غطاك من شيء ٠

د م ش ق — ويقولون دمْشَق نفسه وهو مُدَمْشَق اذا أحسن زينته في ملبسه وزيّه وهو في اللغة كذلك كما في اللسان فأل دمشق الشيء زيّنه قال أبونخيلة :

« دُمشِق ذاك الصخر المُصَخَّر »

د م ر — الدُوَمري يقولون ما في الدار دُوْمري أي ليس فيها أحد ولا يكون الا في حيز النفي وهو كذلك في اللغة ويأتي فيها بالدال وبالتاء اذ تقول العرب ما فيها تومري وما رأيت تومرياً أحسن منه ٠

د ن د ل — ويقولون دندل الشيء اذا أرخاه وتركه ينوس وهو في اللغة باللام مكان النون ٠ دَلْدَلَه دلدلة ودِلْدالاً فتدلدل اذا تهدل وتحرك والعامة أبدلت كما أبدلت العرب في الفصيح فقالوا اصيلال واصيلان وقالوا خامل الذكر وخامنه وأسود حالك وحانك ٠

د ن ق — وقالوا لمن يشتد عليه البرد حتى يجمد دمه دَنِق فهو دَنقان وكذلك يقولون لمن يشتد عليه النعاس

وفي اللغة دنِق المريض ودنّق دَنِف وحَرِض وفي اللسان دنّق وجهه اذا اصفر من المرض ودنّق مات ودنّق للموت دنا منه وقال ابو عمرو مريض دانق اذا كان مدنقاً ممرّضاً .

فاستعمال العامة على هذا صحيح على طريق الاستعارة

د ن ك س — تقول عامتنا دنكس فلان اذا لوى طربوشه أو عمامته على رأسه الى الامام فغطّى به جبهته أو بعضها زهواً و كِبْراً

ولكنه في الفصيح دنقس بالقاف ويراد به عكس المعنى العامي قال الليث الدَنْقَسَة تطأطؤ الرأس ذلاً وخفض البصر خضوعاً وأنشد :

« اذا رآني من بعيد دَنْقَسا »

وقد تأتي العامة باللفظ الفصيح وتجعله على عكس المراد كما في الشاطر فانه عند العامة الذكي البارع ولكنه أكثر ما يراد به في الفصيح الخبيث الماكر وسمعت بعض العامة يقول مجّ الماء بمعنى مصّه أو عبّه .

د ه س — وقالت العامة دهسته السيارة اذا اجتاحته في سيرها ودهَسه اذا وطئه بخفّه أو قدمه وهو في كلام العرب رَهَسَه بالراء المهملة وفي اللسان رَهَسَه يرهَسُه رهساً : وطئه وطأً شديداً .

وتقول العامة أيضاً دَعَسَه وهَرَسه والراء والدال يتعاقبان في الفصيح مثل دَجَن الحمام ورجن واختضر النبت واختضده اذا قطعه .

د ه ك — ويقولون دهكه التعب ودهكته الحمى اذا نهكت جسمه وقالوا دهدكته الأسفار اذا أتعبته وأخذت من قوة بدنه والتضعيف للمبالغة والتكثير

وفي مستدرك التاج الدهّاكة بالتشديد مولدة وفي اللسان دهك الشيء يدهَكه دَهكاً اذا طحنه و كسره والدَهْك الطحن والدق عن كراع وقد رويت بالراء وجاء أيضاً في اللغة دهدكه ودهدقه اذا كسر عظامه .

د وخ — الدَوْخة عندهم دُوارٌ في الرأس · وفي اللغة دوّخ رأسه الوجع اذا أداره فالاستعمال صحيح فصيح والدَوْخة عند العامة دُوّار البحر وسميت بالدوخة لأنها دُوار في الرأس وهي في اللغة الهُدام ·

دور — ويسمون بالمدْوَر وزان منبر الحديدة التي تدور في اللجام والفصيح فيها المِرْود والعامة قلبت وفي شفاء الغليل دار عليه ودار به اذا أحاط والعامة تقول دار عليه اذا طلبه يَبْحَث ويُنَقِّر أقول وعامتنا تقول في ذلك دار عليه ودوّر عليه بالتضعيف للتكثير و لمعنى العامي مجازي بمعنى أحاطه من جميع الوجوه بالطلب والبحث ·

دوس — الدَوْسة بقول العامليون فلان أبٌّ الدوسة بمعنى هرب يشتدّ في عدوه ويسرع في هربه وأبّ يركض عندهم اشتدّ في ركضه (راجع اب ب)
والدَوْسَةُ في اللغة بالثاء المثلثة ومعناها الهزيمة كما في القاموس وقد أهملها الجوهري وصاحب اللسان ·

د وش — الدَوْشَة وقالوا عمل لنا دوشة وطَوْشَة ودَوْكة وكلها يرادُ بها الشر والاختلاط والاضطراب والدوشة والطوشة أكثر ما يراد بها الاضطراب في الفكر ويحصل منه دُوار في الرأس وهذا الدُوار هو الطوشة أيضاً يقولون أنا من هذا الأمر طوْشان وبرأسي منه طوشة والأصل في ذلك كله الدَوْكة وهي في اللغة الشر والاختلاط ·

د وش — دوشاش وقالوا فلان دُوْشاش أي ضعيفُ البصر وهو في اللغة الأَدْوَش قال في اللسان الدَوَش ظلمة البصر وقيل هو ضعف في البصر وضيق في العين دَوِش دَوَشاً فهو أدْوش وقد دَوِشت عينه فهي دوشاء ·

د و ى — الدواية تطلق العامة في لبنان وجبل عامل على الساقية بين المزارع وهي غالباً تشاد بالجص والشيد وذلك فيما أرى لشبهها بدواية الكاتب العربية القديمة وقد أدركنا آخر أيامها بل لا تزال معروفة عند الكثير في العراق وايران وهي تتخذ على شكل مستطيل أجوف مفتوح من أعلاه كقناة الماء وفي رأسه

كرة مجوفة يوضع فيها الحبر وفي الشكل المستطيل توضع الأقلام والمبراة أما دواية الزرع فهي في اللغة الدَبْرة وفسرها أهل اللغة بالساقية بين المزراع جمعها دِبار .

ذ

ذ ب ب – وقالوا ذبَّ الشيء بمعنى طرحه وألقاه عراقية وفي الديار الشامية يقولون دبَّه بالدال المهملة (راجع د ب ب) وهذا الابدال بين الدال والذال معروف عند العامة والعراقيون يقولون هو على ذَبَّة فلان أي على شكله أو على طريقته وجاء في الأساس ذَبَّ فلاناً وذَبَّبه اذا أخذ طريقته .

ذرر – المذراية . ويسمون الخشبة ذات الأصابع التي يذرّى بها الكدس ويجمع ويفرق فيها التبن المذراية أي المذراة وهي صحيحة في الاشتقاق ولكن اسمها في الفصيح الحِفْراة والمِعْزَقة والعَضم وفي التاج الحِفْراة عند أهل اليمن خشبة ذات أصابع يذرّى بها الحنطة أو هي الخشبة المصمتة الرأس فأما المفرج فهو العضم والمِعزقة وفي اللسان . والمِعْزَقةُ في غير هذا . المَرُّ .

والذي عليه عامتنا اليوم ان المفرّج الأصابع هو المِذراة والمذراية والمصمت هو الرفش ويسمي الراحة استعارة من راحة الكف حيث لا تفرج أصابعها .

ذ ر و – ويقولون مكان ذِرْوٌ وذِرْوَة اذا اكنّك من الريح الباردة ومن ذلك مَثَلُهم المشهور « الذِرْوَة خير من فَرْوة » والفصيح فيه الذَرَى قال في اللسان والذَرَى ما اكنّك من الريح الباردة من حائط أو شجر ويقال تذرّى من الشمال بِذَرًى ويقال أيضاً سوّوا للسُّول ذَرًى من البرد . ومنه قولهم : فلان في ذَرى فلان اي في ظلّه وكذلك تذرّي واستذرى بمعنى اكتنّ .

ذ ف ر - الذِفْر أو الزِفْر على الشائع عند الكثير من العامة من قلب الذال حيث كانت زاياً هو ما يكون في مؤخر السرج يجعل تحت ذنب الدابة ليمنع السرج من ان يزل ويتقدم فوق كتفها الى عنقها ويكون ذلك للابل ويسمى ما يكون للبغال عند العامة المُبين أيضاً ويسمى في مصر الطفر ولكنه في أهل اللغة الثَفَر بالثاء المثلثة قال ابن سيده الثَفَر بحركة السير الذي في مؤخر السرج

وأثفرَ الدابةَ عمل لها ثَفَراً أو شدها به وهو أيضاً في اللغة العَقرب قال في اللسان والعقرب سير مضفور في طرفه ابزيم يشد به ثفر الدابة في السرج ·

ذ ك ر — ويسمي فلاحو جبل عامل الخشبة التي يشدّ عليها حديدة الفدان وهي التي تمسك السكة لتشق الأرض (الذَّكر) محركة ولكنه في الفصيح الدَّجْر والعامة أبدلت ·

ذ م م — الذِمُّ عند عامتنا الرجل الكثير الخضوع والاستخذاء وفي اللغة كما في التاج الذِمُّ المفرط الهزال شبه الهالك ومنه حديث يونس ان الحوت قاءه رذياً ذِماً وفسره في النهاية مذموماً شبه الهالك والذِم والمذمور واحد وقالت العامة في هذا المعنى ذمَّ الشيء اذا هزل وتقبض وهو من الذِمّ المفرط الهزال وسموا به من يستخذي ويذل لأنه يتصاغر ويتضاءل في استخذائه فهو على سبيل الاستعارة ·

ذ ه ب — المَذْهب وسمعت بعض عامة الجولان يسمون الجوالق (بالمذهب) وأحسب انه من اسم مكيال لأهل اليمن قال في اللسان والذَهَب بفتح الهاء مكيال معروف لأهل اليمن والجمع ذِهاب واذهاب واذاهيب واذاهب جمع الجمع وفي النهاية في حديث عكرمة سُئِل عن أذاهب من بُرّ وأذاهب من شعير فقال يضم بعضها الى بعض ثم تزكى · وقال في التاج ورأيت في هامش نسخة لسان العرب ما صورته في نسخة التهذيب الذَهْب بسكون الهاء اه ·

وكأن جوالق الجولان يسع مقدار هذا المكيال فسمي به ·

ذ ر و — المِذْوِرَة وقالوا في الكلبة وغيرها من المتهالكات على الفحل هي مِذْوِرَة وهي مأخوذ من مادة الفصيح ففي اللغة هي المستذربة قال صاحب اللسان استذرت المعزى أي اشتهت الفحل مثل استدرّت وهي في الفصيح أيضاً الضُوْرَى وفسروها بأنها البقرة الضَبِعة أي التي تشتهي الفحل ولا فعل لها وربما قالوا استظأرت الكلبة فهي مستظئر ·

النبطية : (جبل عاملة) احمد رضا

كتاب تحرير التحبير

في علم البديع

في خزانة كتب مسجد احمد باشا الجزار بمدينة عكا نسخة من كتاب تحرير التحبير لابن ابي الأصبع مخرومة الآخر ولذلك لم يمكن تعيين زمن نسخها أو اسم ناسخها الا ان شكل الخط يدل على انه من خطوط القرن الثامن على أقل تقدير ·

وقد جاء في اول صفحة من الكتاب هذه العبارة :

وقف الله تعالى

أوقف وحبس وتصدّق بهذا الكتاب الحاج احمد باشا الجزار في جامعه الذي بعكا « النور الأحمدية » على طالب العلم وانه لا يطلع من محلّه وقفاً صحيحاً شرعياً لا يباع ولا يرهن ولا يبدل فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم تحريراً ـ ا ٢٣ صفر ١١٩٧

وتحت ذلك خاتم هذا مثاله :

وما توفيقي الا بالله هذا وقف

الحاج احمد باشا الجزار

« وصف المخطوطة »

هي بالقطع الصغير طول الصفحة منها ١٧ سانتيمتراً وعرضها ١٢ سانتيمتراً وفي كل صفحة ١٥ سطراً وفي السطر من سبع الى عشر كلمات وهي بخط مشرقٍ جميلٍ لولا أن الأرضة قرضتها بعض كلماتها وحروفها بدون اعجام ·

« مقدمة الكتاب »

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

قال العبد الفقير الى ربه المستغفر من ذنبه عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن ذي الأصبع (كذا) عفى (كذا) الله تعالى عنه

الحمد لله حمداً يستعذب الحامد مساغه والصلاة على من كانت أعظم آياته البلاغه وعلى آله وصحبه مازان حلى الكلام من صيغ له ومن صاغه

وبعد فاني رأيت ألقاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت الى عدد منه فروع وأصول .

فأصوله ما أشار اليها ابن المعتز في بديعه وقدامة في نقده لأنهما أول من عني بتأليف ذلك .

أما ابن المعتز فهو الذي سماه بالبديع واقتصر في كتابه بهذه التسمية على أبواب وهي استعارة انفرد بها .

على ان قدامة قد ذكرها في العيوب في ضمن ذكر المعاظلة لأنه قال : ولا أرى المعاظلة إلاّ ما حسُن من الاستعارة فاقتضى كلامه ان يكون من الاستعارة قبيح وحسن فالقبيح منه ما سماه معاظلة والحسن منها سماه ابن المعتز بديعاً الى ان يقول المؤلف في مقدمته :

ولقد وقفت في هذا العلم على أربعين كتاباً منها ما هو منفرد به وما هذا العلم او بعضه داخل في ضمنه كنقدي قدامة وابن المعتز وحلية المحاضرة وكشفتُ عن الحالي والعاطل الذي ذكره الحاتمي في الحلية فلم أجد من يعترف بوقوفه عليه سوى ابن منقذ في بديعه وكالصناعتين للعسكري والعمدة لابن رشيق وتزييف النقد له ورسالة ابن بشر الآمدي في الرد على قدامة وكشف الظلامة للموفق عبد اللطيف والنكت في الاعجاز للرماني والجامع الكبير له في التفسير والتعريف والإعلام للسهيلي ورسالة ابن أفلح ، ونظم القرآن للجاحظ واعجاز القرآن لابن الباقلاني والكاشف للزمخشري واعجاز الجرجاني وأسرار البلاغة له واعجاز ابن الخطيب ورسالة الصولي التي قدمها على شعر أبي نواس ورسالته في أخبار ابي تمام وشروح ابي العلاء الثلاثة وهي ذكرا ابن حبيب وعبث الوليد ومعجز أحمد والمنصف لابن وكيع والموازنة للآمدي والوساطة للجرجاني والغُرر والدُرر

للمرتضى والمجاز لأخيه الراضي وشرح حديث أم زرع وما لخصه من بديعه القاضي عياض رحمه الله والحديقة للحجاري وسر الفصاحة للخفاجي وبديع التبريزي وبديع ابن عبّاد والمثل السائر لابن الأثير وبديع ابي اسحق الأجدابي وبديع شرف الدين التيفاشي وهو آخر من ألّف فيه تأليفاً قبلي فيما بلغني وجمع ما لم يجمعه غيره لولا مواضع نقلها ولم ينعم النظر فيها وبعض ابواب تداخلت عليه كغيره ولو أنعم النظر في ذلك لم يفته ما استدركته عليه فان الرجل أمثل من لقيته من أهل هذه الصناعة في وقتي هذا ٠

واذا وصلت الى بديع ابن منقذ في التداخل والتوارد وضمّ غير البديع والمحاسن الى البديع كأنواع العيوب وأصناف السرقات ومخالفة الشواهد والتراجم وتغيير كلام الناس مما لا تعطيه الفاظهم وفنون من الخَلَل والزَلَل وصلت الى كنزٍ من الخبط والفساد ما وصل اليه غيره ولا وقف على علمه سواه وان كان قلّ ما رأيت تأليفاً في هذا الشأن خلا عن بعض ما ذكرتُ بحسب منزلة مؤلفه من العلم والفهم فمن كثيرٍ ومن قليلٍ وكلّ واحد مأخوذ من قوله ومتروك الا من عَصِمِ الله من أنبيائه وحمى من خواص أصفيائه والسعيد من عُدّت سقطاته وما أبرئ نفسي ولا أدعي سلامة وضعي دون ابناء جنسي غير اني توجّهت بتحرير ما جمعت من هذه الكتب جهدي ودقّقتُ النظر بحسب طاقتي فنقّحت ما قدرت على تنقيحه وصحّحت ما قويتُ على تصحيحه وغيّرت ما وجب تغييره ووضعت كل شاهد في موضعه وربما أثبتُّ اسم الباب دون مسماه اذ رأيت اسمه لا يدلّ على معناه الى انحجمت جميع ما في كتب الناس من الأبواب على ما قدمتُ من الشروط فكان ما جمعته من ذلك بعد ما قدمته من أصول الأبواب ستين باباً من الفروع وهي :

الاحتراس ، الموازنة ، الترديد ، التعطف ، التفويض ، التسهيم ، التورية ، التوشيع ، الاستخدام ، التغاير ، الطاعة والعصيان ، التسميط ، المماثلة ، التجربة ،

النسجيع ، الترصيع ، التصريع ، التسطير ، التعليل ، التطريز ، التوشيح ، العكس ، الاغراق ، الغلوّ ، القسم ، الاستدراك ، الاستثناء ، الاشتراك ، جمع المختلف والمؤتلف ، التوهيم ، الاطّراد ، التكميل ، المناسبة ، التفريع ، التكرار ، نفي الشيء بايجابه ، الاتباع ، الاستعانة ، الموازنة ، التذييل ، المشاكلة ، المواردة ، التهذيب ، حسن النسق ، براعة التخلص ، الانسجام ، الحلّ والعقد ، التعليق ، الادماج والازدواج ، الاتّساع ، المجاز ، الايجاز ، سلامة الاختراع من الاتّباع ، حسن الاتباع ، حسن البيان ، التوليد ، التنكيت ، الاتفاق ، الاغراب ، الطرفة

وأضفت هذه الأبواب الستين الفروع الى الثلاثين الأصول فصارت الفذلكة تسعين باباً ورأيت الأجدابيّ قد ذكر من محاسن القافية اربعة ابواب منها بابان هما باب واحد سماهما بتسميتين غير مطابقتين لمعناهما فجعلتهما باباً واحداً على حكم ما أخذت به نفسي من حذفي المتداخل وسميته الالتزام وعند ذكر شواهده تعلم مطابقة هذه التسمية لمسماها وبابان غير متداخلين سماهما اسمين غير لائقين بمعناهما سميت الواحد تشابه الأطراف والآخر القوم فسلمت للأجدابي ثلاثة أبواب عوّضت بها ما تداخل في باب التهذيب من بابي ائتلاف اللفظ مع الوزن والمعنى مع الوزن وما تداخل في باب التمكين من ائتلاف القافية مع ما يدلّ عليه سائر البيت لتصبح عدة الأبواب تسعين باباً كلها من المحاسن ليس فيها شيء من ضروب العيوب سليمة من كل ما وقع فيه غيري في ابوابه والله أعلم

ولما خطر لي ان اتحف به الجناب العالي المولوي العالمي الفاضلي رئيس الأصحاب أفضل الكتاب فاضل العصر علاّمة الزمان ، أوحد الشامين فريد العراقين مفتي الفِرَق كمال الدين ابو القاسم ابن أبي الحسن احمد بن هبة الله العقيلي البصري الحلبيّ المولد والمنشأ رحم الله سلفه كما رحم به من عرّفه وأمتعه بفضائله كما أمتع الفضلاء بفواضله .

الى ان يقول :

وهذا أوان سياقة أبوابي التي استنبطتها وأنواعي التي اخترعتها وهي :

التحبير ، التدبيج ، التمزيج ، الاستقصاء ، البسط ، الهجاء في معرض المدح ، العنوان ، الايضاح ، التشكيك ، الحيز ، الايغال ، الشماتة ، التهكّم ، التدبّر ، الانتحال بعد المغالطة ، الفرائد ، التصرف ، النزاهة ، التسليم ، الافتنان ، المراجعة ، السلب والايجاب ، الابهام ، القول بالموجب ، حصر الجزئيّ والحاقه بالكليّ ، المقارنة ، المناقضة ، الانفصال ، الابداع ، حسن الخاتمة .

وألحقت ذلك بما تقدم من الأبواب فصارت عدة أبواب الكتاب مائة باب وعشرين باباً سوى ما انشعب من أبواب الائتلاف وغيره كالجناس والطباق والتصدير وسميته تحرير التحبير .

وجملة هذه الأبواب على ضربين ضرب يختصُّ بالشعر وضرب يعمّ الشعر والنثر وذلك ظاهر لمن يبحر في هذا الكتاب والله سبحانه وتعالى المسئول في حسن التوفيق الى التحقيق لنهتدي الى سبيل الرشد ونهج الصواب وسعادة يُرزق بها هذا التأليف حسن القبول من رئيس الأصحاب وممن ينظر فيه من ذوي الألباب انه الكريم الوهاب وهذا اوان الشروع في تفصيل جملة الأبواب .

وبدأ المؤلف في باب الاستعارة ثم أتى على باب التجنيس وفرّعه الى تجنيس التغاير ، والتجنيس المستوفى ، وتجنيس التماثل ، وتجنيس التصحيف ، وتجنيس التحريف ، وتجنيس التصريف ، وتجنيس الترجيع ، وتجنيس العكس ، وتجنيس التركيب ، والتجنيس المضاف .

ثم أتى على باب الطباق فباب ردّ الاعجاز على الصدور (يقول المؤلف) وهو الذي سماه المتأخرون التصدير فباب المذهب الكلامي فباب الالتفات فباب التمام أو التتميم فباب الاستطراد فباب تأكيد المدح بما يشبه الذمّ فباب تجاهل العارف فباب الهزل الذي يراد به الجدّ فباب حسن التضمين فباب الكناية فباب

الافراط في الصفة فباب التشبيه فباب عتاب المرء نفسه فباب حسن الابتداءآت وفرع المتأخرون منه براعة الاستهلال فباب صحة الأقسام فباب صحة المقابلات فباب صحة التفسير والتبيين فباب ائتلاف اللفظ مع المعنى فباب المساواة فباب الاشارة فباب الإرداف والسبيع فباب التمثيل فباب ائتلاف اللفظ مع الوزن فباب ائتلاف المعنى مع الوزن ، فباب ائتلاف القافية مع ما يدلّ عليه سائر البيت .

وقبل أن ينتهي هذا الباب يبدأ الخرْم في الكتاب

والمؤسف انه لم يشرح من الأبواب سوى ٢٨ باباً وضاع علينا في الخرم بقية الثلاثين الأصلية كما ضاعت الأبواب التسعين التي أضافها .

وقد تأنق المؤلف في انتقاء الشواهد فنقل عن الفرزدق :

لكل امرئ نفسان نفس كريمة ونفس يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى اذا قلّ من أحرارهن شفيعها

وعن امرئ القيس :

وليلٍ كموج البحر مرخٍ سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

وعن البحتري :

اذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

شواجر أرماحٍ تقطع بينهم شواجر أرحامٍ ملوم قطوعها

وعن حسان :

وانما الشعر لبّ المرء يعرضه على المجالس ان كيسا وان حمقا

فانّ أشعر بيتٍ أنت قائله بيتٌ يقال اذا أنشدته صدقا

ونختم بحثنا هذا بنقل ما أورده ملاّ كاتب چلبي الشهير بحاجي خليفة أيضاً في كتابه كشف الظنون عن هذا الكتاب قال [1] :

(١) كشف الظنون طبع الأستانة جزء ١ ص ١٩٠

«ثم تصدّى لها (يعني لأنواع البديع) ركن الدين عبد العظيم بن ابي الأصبع المتوفى سنة ٦٥٤ فأوصلها الى التسعين وأضاف اليها من مستخرجاته ثلاثين سلماً له منها عشرون وأخرى تلك الأنواع في الآيات القرآنية وسماه التحرير وهو أصح كتاب صنف فيه لأنه لم يتكل على النقل دون النقد وذكر انه وقف على أربعين كتاباً في هذا العلم».

قلنا ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تقع في ٢٨٠ صفحة جاء فيها جدّه باسم ابي الأصبع بينا هو في مخطوطتنا هذه باسم ذي الأصبع وهذا من خطأ الناسخ الماسخ .

ولابن ابي الأصبع غير هذا الكتاب كتاب بديع القرآن وكتاب الجواهر والسوانح في سرائر القرائح وغيرها من المؤلفات يضاف الى ذلك ان عبد الحيّ ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ قد ترجم له في كتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» فقال [1] :

«وفي سنة ٦٥٤ توفي زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري وعُرف بابن ابي الأصبع صنف كتاب تحرير التحبير في البديع لم يصنف مثله».

قلنا وقد جاء لقبه في هذه الترجمة زكيّ الدين ولكنه جاء في كشف الظنون ركن الدين وقد يتشابهان .

وقال الفيروزابادي في القاموس المحيط [2] في مادة ص.ب.ع وابن ابي الأصبع متأخر كتب عنه الحافظ الدمياطي ...

— كمال الدين الذي ألف الكتاب باسمه وأتحف به —

يظهر ان كمال الدين ابا القاسم عمر بن ابي الحسن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم المتوفى سنة ٦٦٦ هـ «١٢٦٧ — ١٢٦٨ م»

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٥

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٥٠ طبعة الميمنية بمصر

كما ذكره محمد بن شاكر بن احمد الكتبي في فوات الوفيات « ج ٢ ص ١٠١ »
كان يملك خزانة كتب حافلة بالمؤلفات الممتعة فقد جاء بطرة الجزء الرابع من
كتاب المُغْرِب في حُلى المَغْرِب الذي صنفه بالموارثة في مائة وخمس عشرة
سنة ابو محمد الحجاري ، عبد الملك بن سعيد ، احمد بن عبد الملك ، محمد بن
عبد الملك ، موسى بن محمد ، علي بن موسى ما يلي :

« كتبه بخطه للخزانة العلية الجليلة الصاحبية الكمالية عمرها الله ببقاء صدر
الصدور الشامية رئيس الأئمة الحنفية سيد الوزراء والأصحاب الصاحب الكبير
كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي أحيى الله
بطول حياته دولة الفضائل وأبقى بدوام بقائه نجح الوسائل مكمّل تصنيفه باعانته
علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد
ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمار
ابن ياسر العنسي الأندلسي » .

وقد نقل علي بن موسى هذا عن كمال الدين تقييدات مفيدة وقصائد مدحه
بها شعراء زمانه كما نقل من كتب أخذها من خزانته حقائق تاريخية حرية
بالتدوين والذكر ولم يدع سانحة الا انتهزها للثناء عليه وامتداحه .

عبد الله مخلص

العدد في اللغة العربية

-٢-

العدد في علم النحو

اذا اطلق لفظ العدد في علم النحو فإنما يراد به الألفاظ الدالة على الأعداد . ولكن النحويين أو جلهم لم يكتفوا بهذا بل كانوا يعرفون العدد بما عرفه به الرياضيون من علاقات عددية تفسر طبيعة تكوين العدد ، أو ينطبق عليها اي عدد كان . وقد قدمت اكثر هذه التعاريف في مقدمة البحث ولا حاجة بي الى اعادتها الآن ويكفي ان اشير هنا الى أن كثيراً من النحويين ككثير من الرياضيين قد اخرجوا الواحد والاثنين من العدد لأنه ليس للواحد إلا حاشية واحدة بعده وهي الاثنان وهو يساوي نصفها فخرج بذلك عن أحد تعاريفهم للعدد ، هذا من جهة ومن جهة أخرى لأن الجواب عن السؤال بكم حينما يكون متعلقاً بالواحد او الاثنين لا يكون بلفظهما وانما بلفظ الواحد او المثنى من الشيء المراد الاستفسار عن كميته بعكس سائر الأعداد فانما يجاب على الأسئلة عنها بالعدد الدال على الكمية مصحوباً بالشيء المعدود الدال على الجنسية .

وليس من بحث في علم النحو كله فيه من الشذوذ والخروج عن القواعد المألوفة للغة العربية ما في بحث العدد فيكاد يكون لنفسه قواعد خاصة كثيرة المخالفة لقواعد النحو العربية العامة وكثيرة التفرع والانحراف فيما بينها بحيث أننا نرى نصاً قديماً يخالف القاعدة التي تستنتج من نص قديم آخر . ونرى ظاهرة أخرى في بحث العدد في علم النحو وهي كثرة مسائله ونواحيه التي تتعلق به وتشتق منه والتي يختلف النحاة في مأخذها وفهمها ودراستها .

وقد أشار الى هذا الشذوذ في علم العدد أكثر من واحد من الباحثين في النحو سواء من القدماء أو الباحثين المستشرقين فنرى ابن يعيش في ص ٢٧ من الجزء السادس من شرح المفصل يلاحظ أنهم شذوا في العدد في كل شيء فذكروه مع المؤنث وأنثوه مع المذكر وسكن الحجازيون شين عشرة حينما تستعمل مركبة للمؤنث وكسرها التميميون مع ان لغة الحجازيين في وزن مثلها كسر الثاني ولغة التميميين إسكانه فيقول الحجازيون نَبِقَة ويقول التميميون نَبْقَة أما في العدد فقد انعكس اللغتان وكذلك ثنوا عشرة على عشرين بكسر العين خلافاً للقاعدة .

وما لاحظه الزمخشري وابن يعيش صحيح وهو بعض من كل وسأشير الى كل شذوذ في موضعه من البحث .

وزاد الطين بلة أن النحويين لم يكتفوا — شأنهم في كل أبحاثهم النحوية — في استخراج القواعد الرئيسية العامة من اللغة الغالبة وتقديمها أمثلة تحتذى في الكتابة بل تمسكوا بكل مثال سواء أكان جاء على لغة شاذة أو كان موضوعاً أو خطأً وحاولوا ان يخرجوه ويضعوا له قاعدة تنطبق عليه أكثر من ان يطلبوا ان ينطبق هو على القاعدة العامة فجاءت تأويلاتهم سمجة يظهر فيها التمحك والتصنع وزادت في تعقيد هذا البحث بحيث تجعل المطلع عليه او الباحث فيه في حيرة فلا يدري ما يدع وما يأخذ حتى إنه ليمعن في الخطأ والتردد كلما أمعن في البحث والاطلاع وكان يكفي بعد إيجاد قواعد عامة مستخرجة من الشواهد والنصوص المشهورة المتداولة في الاستعمال ان يهمل ما عداها وان يصاغ او يجمع لهذه القواعد الأمثلة بحيث يطلع الباحث على صورة استعمال هذه القواعد وعلى أمثلتها فيحفظها بالتكرار والاستعمال والممارسة دون ان يجد حاجة إلى حفظ مثل هذه القواعد الجافة التي تذهب ببهاء اللغة ورونق الأدب وتكره الطالب باللغة العربية . ولكن كان في نفوس النحاة ما يشغلهم عن توخي المصالح العامة وخدمة

العلم للعلم على ما يظهر فكيف يستطيعون بغير هذا التصعيب ان يكونوا مؤدبين لأبناء الملوك في القصور ولأولياء عهودهم ومن أين لهم ، لولاه ، بالذهب الذي كان يغدقه عليهم الأمراء بسخاء ولم يكن هذا ما يضطرهم الى هذه الطريقة في البحث فقط بل كان عقلهم قد طبع على الجدل والمنطق الجاف فأدخلوا كثيراً من الفلسفة والمنطق في أبحاث النحو واللغة فأفسدوها ولهذا السبب نجد كثيراً من التعليلات النظرية لأمثلة شاذة او مألوفة وردت في اللغة وكثيراً من النظرات المنطقية والفلسفية التي يشهد الله أن اللغة والنصوص الأدبية وطبيعة اللغة براء منها وكانت هذه الفلسفة في النحو ، وبصورة خاصة في بحث العدد منه الذي هو موضوع بحثنا الآن ، ثالثة الأثافي في زيادة غموضه وتعقيده .

ونلاحظ أننا إذا جردناه من هذه التعليلات الفلسفية — التي هي فلسفة النحو اكثر مما هي نحو — والمنطقية وأبعدنا عنه ما ورد من الشواهد في لغات شاذة استطعنا ان نقربه من أفهام طلبة المدارس الثانوية وغيرها بحيث يكون مستساغاً عذباً وخصوصاً اذا مرنوا على استعمال تعابيره كثيراً دون تلقن قواعده مجردة جافة وهذا برغم ما في قواعده العامة ايضاً من شذوذ ولكن بعض الشر أهون من بعض وما لا يدرك كله لا يترك جله .

وقد رأيت بعد دراسة العدد في مراجع مختلفة ان اعالج البحث بحيث ألم به ما استطعت من جميع اطرافه وأقدمه بشكل واضح بسيط مفهوم بريء من التعقيد والتكلف وآثرت ان اتكلم اولاً على الفاظ العدد منفردة والآراء المختلفة فيها وكيف تكون بعضها من بعض ثم عن المعدود معها حين يكون جنساً في الحالات المختلفة وفي كلا الأمرين أقدم تعليلات علماء النحو للأوضاع المختلفة والألفاظ المتعددة ثم أتكلم على المعدود حينما يكون اسم جنس وحينما يكون اسم جمع وحين يكون جمعاً ثم حينما يكون محذوفاً مقدراً وتنوب عنه صفته وحينما لا تنوب عنه صفته وإنما يفهم من السياق ثم حين يكون وصفاً ثم حين يكون موصوفاً

ثم أتكلم على حال الصفة حين توافق معدوده ثم حين يكون مردفاً بلفظين أحدهما مذكر والآخر مؤنث ويشملها معاً أو يعد كلاً منهما على انفراد وأنتقل بعد ذلك الى تعريف العدد والمعدود وإضافة العدد الى مستحقه ثم أتكلم على النسبة الى العدد وأنتقل بعد ذلك الى الصفات العددية المشتقة من ألفاظ العدد والتي تفيد اعطاء درجته او رتبته تفيد الترتيب كما يقول الفرنجة — في استعمالاتها المختلفة ووجوه إعرابها والأفعال المشتقة من اسماء العدد ثم أتكلم على الفاظ الأعداد المعدولة وسبب منعها من الصرف ثم على الأبعاض والكسور والفاظها ثم على الألفاظ التي تدل على اعداد وليست داخلة في الفاظ سلسلة الأعداد الطبيعية بل فيها شيء من الإبهام ثم عن كلمة النيف وبضع وبضعة واستعمالاتها في اللغة ثم على التأريخ بالليالي والأيام وأنهي البحث بالكلام على كنايات العدد كم وكأين وكذا وتمييزاتها .

وقبل ان ابدأ البحث لا بد لي إنصافاً لجهود النحويين ان اقول ما قيل في دائرة المعارف الاسلامية من أن ملاحظاتهم النحوية والصرفية تدل على ملكة ملاحظة غاية في الدقة ولكن ينقصها الهدف او التصور العام الذي يضعه المؤلف امامه ليوجه نحوه الآراء والبراهين فهي جهود عظيمة إذن ولكنها مبعثرة بدون نظام عام يجمع لآلئها ليكون منها عقداً ثميناً .

* * *

ألفاظ العدد

استعمل العرب للعدد اثنتي عشرة لفظة رئيسية ذكرتها في المقدمة وهي : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة ، مائة ، الف وما بقي من الأعداد إنما يؤلف من اقترانها إما بالعطف او بالتركيب واما بالاشتقاق منها كما في اشتقاق أحد وإحدى من واحد وواحدة ثم تركيب المشتق مع غيره من الفاظ العقود .

ويلاحظ من هذا أن الصفر لم يعد بين الأعداد لأنه لم يكن معروفاً لدى قدماء العرب من جهة ولأنه إنما يدل على فراغ لا على عدد محسوس ولا يزال الخلاف في عده من الأعداد وعدمه قائماً الى الآن وان اتفق على انه الحد الفاصل بين الأعداد الموجبة والسالبة من جهة وبين الكسور والأعداد الصحيحة من جهة أخرى ولاحظنا سابقاً ايضاً كيف لم يعد نجاة العرب ورياضيوهم الواحد وحتى إن قسماً منهم لم يعد الاثنين ايضاً من العدد وبينا وجهات نظرهم في ذلك مما لا ضرورة لإعادته .

فلفظ الواحد مؤنثه واحدة وقد اختلف فيه فقيل أنه اسم موضوع للدلالة على الفرد الواحد من المعدود وإنه ان استعمل صفة فبتأويل مشتق كقولك مررت بقاع عرفج كله اي خشن ومررت برجال ثلاثة اي مررت برجال معدودين بثلاثة (شرح المفصل لابن يعيش اول البحث) .

وقيل إنه مشتق من وَحَدَ يَحِد بمعنى انفرد ينفرد فالواحد معناه المنفرد وعلى هذا فهو صفة مشتقة من فعل واطلق في العدد لأن الواحد العددي يدل على معنى الانفراد وقال بعضهم إنه اسم جامد موضوع لمعناه حين يستعمل عدداً وانه مشتق من الفعل حين يستعمل صفة كقوله : إنما الله إله واحد ، فدكتا دكة واحدة . والذي أراه معقولاً ان يكون موضوعاً للدلالة على العدد بادئ ذي بدء لأنه أقرب شيء الى الحسية والبساطة ثم اشتق من لفظة فعل للدلالة على الانفراد كما اشتق منه أحد والمعروف في واحد انه لا يصاحب المعدود ليدل على إحصاء الكمية وذلك لأنه يجاب عن السؤال بكم فيما يخص الواحد باسم الجنس من الشيء المعدود مفرداً فتقول عندي رجل او كتاب لمن يسألك كم كتاباً عندك او كم رجلاً وإذا عقبته بلفظ واحد فمن قبيل تأكيدك الشيء بالنعت لا اكثر من ذلك ولا اقل ويدل على ذلك مجيء لفظة الواحد في هذا المقام متأخرة عن المعدود ولا يجوز ان تقول جاءني (واحد رجل) وعلل النحويون ذلك بأن قولك

رجل بالتنكير يدل على الوحدة الى جانب دلالته على الجنسية فلا حاجة لاستعمال الواحد معه ويلاحظ في الجدول الذي قدمنه في الفاظ العدد في اللغات السامية الخمس ان الألفاظ مقاربة للفظ أحد في هذه اللغات مع بعض الإبدالات اكثر من مقاربتها للفظ واحد ونلاحظ في اللغة العربية ان واحداً لا يستعمل مركباً مع عقد العشرة فلا يقال واحد وعشرة وإنما يستعمل بدله لفظ مشتق من لفظه هو أحد ومؤنثه إحدى اما في بقية العقود من عشرين الى تسعين وما تتركب معه فيجوز استعمال واحد وأحد على السواء والأكثر استعمال أحد وإحدى وهذا ما يرجح ان تكون وَحَدْ المأخوذة منها أحد هي الأصل ويؤيده اشتراك اللفظة مع بعض التحريف في بقية اللغات السامية .

وفي المقابل نرى أن أحد وإحدى لا تستعمل في العربية منفردة بل مركبة مع العقود فلا تقول جاء أحد من الرجال او إحدى من النساء وتقصد به عدداً وإنما يجوز استعمالها مضافين للضمير وللاسم الظاهر اذا كانا متضمنين معنى الصفة .

وإحدى مؤنث أحد أنثت على غير القياس والقياس أحدَة او أحدى بالألف المقصورة ولذلك اختلف في ألفها المقصورة فزعم بعضهم انها للتأنيث وقال آخرون انها للإلحاق بفعلل لأنها جاءت على غير القياس ولتفريق العدد عن الصفة في لفظ أحد وعن أحد المنفية التي يراد بها الكثرة والعموم .

وواحد التي للعدد لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث اما واحد التي هي صفة فتثنى وتجمع فيقال واحدان وواحدون ووحدانا .

اما لفظة أحد فقد اختلف فيها وذلك لأنها تستعمل مع مؤنثها إحدى في العقود كما مر وتستعمل في الجمل المثبتة صفة او نعتاً كما في : « قل هو الله أحد » او صفة منقولة الى الاسمية لكثرة التداول في مثل : « وجاءته إحداهما تمشي على استحياء » او بمعنى لفظة واحد الاسمية مستعملة في غير العدد بتأويل مشتق كقولك انت أحد في اخلاقك وشجاعتك وتستعمل ايضاً للدلالة على معنى العموم والكثرة

في مثل قولك ما جاءني من أحد وهذا ما يعبر عنه في بعض اللغات الغربية بأنها جاءت ضميراً غير معرّف او غير معين ·

فقال بعض النحاة انها في كل حالاتها مشتقة من وَحَدَ بمعنى واحد ابدلت الواو همزة وانث اللفظ على إحدى واخذ منه أحد التي تستعمل في الإثبات الدلالة على معنى الانفراد وهذه يجوز جمعها على آحاد ووحدان كما اخذ منه أحد المستعملة في النفي ، وقال آخرون ان « أحد » المستعملة في العقود وأحد المستعملة في الإثبات مشتقة من وَحَدَ وأنه يجوز جمعها وتأنيثها واما أحد المستعملة في النفي لتدل على معنى العموم والكثرة فهي موضوعة لهذا المعنى وليس لها صلة بالأولى وقالوا إن من الأدلة على دلالتها على معنى العموم والكثرة قوله تعالى : « فما من أحد عنه حاجزين » فوصفت بالجمع كما قالوا ان لفظ المفرد قد يطلق على الجمع وقالوا إن الدليل على انها غير الأولى ايضاً أنها لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث ولا تدل على المعنى الذي وضعت من اجله مع غير النفي · والصحيح عندي انها نفسُ الأولى وإنما أكسبها الاستعمال وخصائص التعبير معاني خاصة ميزتها وليست هذه الميزات راجعة في الحقيقة الى لفظها وإنما هي راجعة الى تركيبها في صيغ خاصة ومثل هذه الحالة من انتقال لفظة من معنى الى آخر أو اكتسابها معاني اضافية جديدة موجود في كل لغات العالم ويسوق اليها واقع الحياة وحاجاتها اليومية وتطور البيئة الاجتماعية ولم يدع مدع في هذه اللغات وجود مثل هذا التغاير من حيث الوضع في نفس اللفظة كما يدعي ذلك علماء النحو والعربية ·

ولفظ واحد معرب وكذلك واحدة وتظهر عليه الحركات الثلاث وكذلك أحد وإحدى مع ملاحظة الألف المقصورة في إحدى فتقدر عليها الحركات الثلاث وقالوا إن التنوين لم يلحق إحدى في المركب العددي « إحدى عشرة » للتركيب ويلحقها في إحدى وعشرين وقال في التصريح على التوضيح ص ٢٧٤ الجزء الرابع :

« إنما استعمل أحد وإحدى في العقود بدل واحد وواحدة حتى لا يلتبسا بالصفة فإن واحداً وواحدة يكونان صفة وهذا غير صحيح لأن أحداً وإحدى يستعملان خبرين عن المبتدأ مضافين الى الضمير ، والخبر بمنزلة الصفة ، كما يستعملان صفتين صريحتين ايضاً وبقارب هذا الرأي مع بعض اختلاف رأي ابن يعيش في شرح المفصّل ص ٣٢ من الجزء السادس إذ يعتقد بأن « واحداً » اسم في الأصل قال : « والدليل على ان واحداً اسم وإن جرى إعرابه على ما قبله قولهم مررت بنسوة أربعٍ بالتنوين والصرف ولو كان صفة لم ينصرف كما لا ينصرف أوحد وواحد مثله في باب العدد وهذا الضرب لا يثنى ولا يجمع من لفظه بعكس ما يقصد به الصفة فتقول أحدان ووحدان وآحاد وكذلك لا يؤنث فلا تقول واحدة والاحتياج الى التأنيث عدل الى صيغة أحد وإحدى ولم يكن التأنيث هنا بالتاء كراهية ان تكون على حد الصفة نحو حسن وحسنة ولهذا عدل الى تغيير العلامة وغير معها البناء من واحد وواحدة الى أحد وإحدى »

وذكر ابن يعيش من جملة استعمالات أحد استخدامها لتدل على غير معين نحو « جاءني أحدهم » وتستعمل للدلالة على واحد من اثنين معلومين دون التصريح بدقة عن المقصود منهما كقوله تعالى : « فجاءته إحداهما تمشي على استحياء » .

ولفظ اثنان مؤنثه اثنتان وهو ملحق بالمثنى في اعرابه في الرفع بالألف والنون وفي النصب والجر بالياء والنون وانما كان ملحقاً بالمثنى لا مثنى لأنه لا واحد له من لفظه ويقول بعض النحاة إنه لفظ موضوع لمدلوله ويقول آخرون إنه مأخوذ من ثنيت الشيء اذا عطفته وهو محذوف اللام وصارت الهمزة في اوله كالعوض من المحذوف والمؤنث اثنتان ألحقوا به تاء التأنيث « كابنتين » ولك ان تقول ثنتين كبنتين (المفصل لابن يعيش) ومن قال « ثنتان » بدل « اثنتان » كانت التاء فيه للإلحاق كأنه تثنية ثنت ملحق بجذع فهو كبنتين وإنما كان كذلك لأنه لبس اصلها التأنيث كما كان في ثلاثة وأربعة وذلك لأنه لم يوجد فيها

من قوة التضعيف ما وجد في سائر الأعداد فيُحتاج الى علامة تدل على قوة التضعيف والمبالغة فيه (ابن يعيش ص ١٩ الجزء السادس) ٠

وما ذكره ابن يعيش هنا من اشتقاق لفظ الاثنين من ثنيت الشيء أي عطفته فيه نظر والمرجح عندي ان فعل ثنيت مشتق من الاثنين لا العكس لأن لفظة الاثنين من حيث قانون الحياة توحي بأنها اقدم استعمالاً من « ثنيت » للحاجة الطبيعية اليها و كثرة رؤية الانسان لما هو مثنى في الطبيعة التي حوله ولأني ارجح ان يكون الاسم الجامد اقدم من الفعل الذي يشاركه في اللفظ ٠ ولا يجوز إضافة لفظ اثنين واثنتين الى المعدود باعتبارهما عددين لنفس السبب في منع ذلك في واحد وواحدة وإنما يستعملان بعد المثنى كصفة او تأكيد له فلا تقول جاء اثنان رجل واذا قلت جاء اثنان رجلان لم يجز الا اذا اعتبرت « رجلان » بدلاً من « اثنان » لا على انه تمييز لهذا العدد وذلك لأن لفظة رجلين تدل على المدة والجنسية بنفس الوقت فلا حاجة لذكر العدد معها وقال ابن يعيش (ص ١٦ ج ٦ من المفصل) إنه يجوز في الشعر إضافة اثنين واثنتين الى المعدود لأن التثنية في الأصل جمع لأنه ضم الشيء الى الشيء وذلك قياساً على ثلاثة رجال واورد شاهداً على هذا قول الشاعر :

كأن خصييه من التدلدل ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

وقال إن الشاعر جاء به على اصل القياس ضرورة بخلاف ما عليه قياس الاستعمال والصحيح ان هذا البيت شاذ لا يجوز الاستشهاد به ولا يجوز للشعراء ان يأخذوا به ٠

والفاظ الثلاثة واخواتها الى التسعة مصحوبة بالتاء حين تكون مجردة من المعدودات وتحذف منها التاء اذا كان المعدود مؤنثاً وتبقى معها اذا كان المعدود مذكراً وإنما كان الأصل في هذه الألفاظ التأنيث في رأي ابن مالك (ص ٢٧٠ من التصريح على التوضيح ج ٤) لأن الثلاثة واخواتها اسماء جماعات كزمرة وأمة وفرقة فالأصل أن تكون بالتاء لتوافق نظائرها فاستصحب الأصل مع

المذكر لتقدم رتبته وحذفت مع المؤنث فرقاً لتأخر رتبته وقال بعضهم إنها تلحقها التاء ولا تنصرف لأنها أعلام خلافاً للآخرين . وقال ابن يعيش (في شرح المفصل ص ١٩ من الجزء السادس) : « وإنما كان اصل العدد التأنيث للمبالغة بالإشعار بقوة التضعيف وذلك لأنه لا شيء فيه من قوة التضعيف ما في العدد فيما يظهر للعقل فيشعر بالعلاقة أن له المنزلة هذه وجرت علامة التأنيث في العدد مجراها في مثل علامة ونسّابة للإشعار بقوة المبالغة في الصفة وتضاعفها في المعنى . »

وذكر في دائرة المعارف الاسلامية أن التعليلات التي يقدمها العرب لهذا الوضع في اللغة ليست مقنعة وقال : « لما كانت هذه الأعداد منفصلة عن معدوداتها مصحوبة بالتاء في الأصل لهذا حفظت هذه الأوضاع الأصلية للمذكر أما المؤنث الذي هو فرع عن المذكر فأعطى له الشكل الثانوي الذي هو فرع عن الأصل ، وقال : « أما علماء الأوربيين (مثلاً رايت Wright ، § ٣١٩ بحث العدد ملاحظة ٥٣) فانهم يرون في هذه الحادثة دلالة على انه كان يراد رفع الطبيعة المادية المجردة عن العدديات المحصية (Cardinaux) حتى تتميز عن الصفات المرافقة (adjecdtifs dependonts) .

ورأى بعضهم أن ألفاظ العدد بين ثلاثة وعشرة إنما كانت وهي مجردة عن المعدودات مؤنثة في الأصل لأنها مبهمة لا تدل على شيء فناسب الإبهام ان تكون كأضعف الجنسين فتلحقها علامة التأنيث واستعمل الأصل مع المذكر وحذفت التاء تمييزاً مع المؤنث .

وكل هذه الحلول في الحقيقة مجرد آراء نظرية لا أظن أنها تمت الى الواقع بصلة وكان الخير كل الخير ان لا نشغل أذهاننا بمثلها بل نأخذها على انها ألفاظ موضوعة على ذلك ارتجالاً دون تفكير منطقي في وضعها وأظن ان العامل الأول في ذلك هو موسيقى الألفاظ الطبيعية في حالة النطق بالأعداد مجردة عن معدوداتها نجد راحة في النطق أكثر اذا ألحقنا بها التاء واستعملت الأعداد

على هذه الصورة مع المذكر ومميز عنه المؤنث بحذف التاء مع الأعداد المرافقة له .

ولفظة ثمانية من بينها تمتاز حينما تحذف تاؤها في مرافقة المعدود المؤنث بأن تفتح ياؤها لأنها مفتوحة في ثمانية ويجوز إسكانها كما في معدى كرب ويقل حذفها مع بقاء كسر النون لأنها ياء زائدة فتحذف وتبقى الكسرة دليلاً عليها فأشبهت « يا عبادي فاتقون » ونقل حذفها مع فتح النون لأنها لما كانت تضم في الآخر اذا كان الآخر النون كقوله :

لها ثنايا اربع حسانُ واربع فثغرها ثمانُ

فقد جعلت فتحة بناء على التركيب .

ويجوز في عشرة تسكين الشين وفتحها ونقل عن بني تميم كسرها وذلك حينما تكون في العدد المركب وعلل ابن يعيش (ص ٢٧ ج ٦ من المفصل) دخول الكسر عليها في المؤنث بأن عشرا منفردة تدل على مؤنث فلا يصح دخول التاء عليها للتأنيث فلما أرادوا تأنيث الصيغة كسروا الشين لتكون لفظة جديدة يصح دخول التاء عليها ثم خفف اهل الحجاز ذلك فسكنوها . وانا لا أرى في هذا التعليل الا مجرد سفسطة لأن الناطق بهذه اللغة حين وضعها بالأصل لم يكن له عقل ابن يعيش المتفلسف .

وهذه الألفاظ الثمانية تضاف الى معدودها فيقال ثلاثة رجال وثلاث نسوة وتعرب بالحركات الثلاث في آخرها إلا ما ذكرنا من حال ثماني حين تحذف تاؤها مع المؤنث .

ويتكون لفظ احد عشر من تركيب لفظة أحد — التي جاءت بدل لفظة واحد كما ذكرنا سابقاً — الى عشر تركيباً لا يفصل فيه بينهما حرف عطف وفي هذا التركيب تُذكّر اللفظتان مع المذكر فيقال أحد عشر رجلاً وتؤنثان مع المؤنث فيقال إحدى عشرة امرأة وقد مرت حالات حركة الشين في عشرة حينما تكون مركبة هذا التركيب فيما سبق .

وكذلك لفظ « اثنا عشر » يتكون بنفس الطريقة من إضافة لفظة اثنين الى عشر واثنتين الى عشرة مع حذف النون حين إضافتها وذلك لأنه لا يجتمع تنوين واضافة وهنا اللفظتان أيضاً مذكرتان مع المذكر ومؤنثتان مع المؤنث ويلاحظ في احدى عشرة واثنتي عشرة أنه اجتمع في كل تركيب علامتا تأنيث وهما بحكم أنهما تركيبان كل تركيب منهما له حكم الكلمة الواحدة كان يجب ان يكتفيا بعلامة تأنيث واحدة وعلّل الصبان (ص ٤٨ من حاشيته ج ٤) ذلك بأن الألف المقصورة كأنها جزء من الكلمة وان « اثنتان » لا واحد لها من لفظها فبنيت اللفظة على التاء حين ركّبت .

والفاظ الأعداد من ثلاثة عشر الى تسعة عشر تتألف من تركيب النَّيِّف الذي هو الآحاد البسيطة بين الثلاثة والتسعة مع العقد الأول الذي هو العشرة تركيباً له قوة الكلمة الواحدة لذلك فلا يتوسط الكلمتين حرف عطف والعدد الأول منها الذي هو النيف يكون بعكس المعدود فيؤنث مع المذكر ويذكر مع المؤنث أما العقد الذي هو عشرة فيكون في هذا التركيب وفق المعدود وهذه التراكيب العددية بين أحد عشر وتسعة عشر ومؤنثاتها ليست متصرفة ما عدا اثني عشر ومؤنثه فان صدره معرب بعكس عجزه فهو مبني على الفتح والجزءان في هذه التراكيب مبنيان على الفتح وهما مرتبطان الواحد بالآخر بقوة بحيث ان الزمخشري كما قيل في دائرة المعارف الاسلامية لم يبحث عنها فقط في اسماء الأعداد بل في الأسماء المركبة أيضاً وقيل في دائرة المعارف ايضاً إن هذه الأعداد المركبة قد انصهرت في كلمة واحدة في الآرامية وفي لغات الحديث العربية الشائعة وفي الحقيقة أصبح كل من هذه التراكيب في اللهجات العامية بقوة الكلمة الواحدة ففي مصر مثلاً يقال بدل أحد عشر واثني عشر « حدَعْشَرْ » و « طْنَعْشَرْ » وفي اللهجة الشامية نرى الامتزاج أشد فيقال « إدعش » و « طنعش » وهكذا في بقية اللغات العامية في مختلف الأقطار العربية .

ولفظة ثمانية عشر من بين هذه التراكيب تمتاز بأنها إذا ركبت مع عشرة في حال المعدود المؤنث وحذفت منها التاء يكون فيها اربع لغات : فتح الياء وسكونها وحذفها مع كسر النون وفتحها ومنه قوله :

«ولقد شربت ثمانيًا وثمانيا وثمان عشرة واثنتين وأربعا»

وقال الصبان «ص ٤٩ ج ٤ من حاشيته على الأشموني» إن الأعداد المركبة إنما بنيت لتضمنها حرف العطف بين جزءيها فان ظهر العاطف منع التركيب والبناء لفقد المقتضى كقوله :

«كان بها البدر ابن عشر واربع» . واختلف في وجوب تقدم العقد على النيف في هذه الحالة وعدم وجوبه وأضاف بعضهم أن الجزء الثاني من التركيب نزل من الأول منزلة التنوين فكان منها ما هو في قوة الكلمة الواحدة فمنعا من الصرف شأن الأعلام المركبة .

وأجاز بعضهم اعراب المتضايفين — أي المركبين — فيعرب الأول بحسب العوامل والثاني يجر على أنه مضاف اليه وقال ابن مالك في التسهيل (ص ٥١ ج ٤ شرح الأشموني) :

«ولا يجوز باجماع ثماني عشرة الا في الشعر يعني بإضافة الأول الى الثاني دون اضافة المجموع كقوله :

« كلف من عنائه وشقوته بنت ثماني عشرة من حجته

وقال الأشموني : «وفي دعواه الإجماع نظر فان الكوفيين يجيزون اضافة صدر المركب الى عجزه وقال صاحب التصريح على التوضيح (ص ٢٧٤ ج ٤) في تعليل بناء التركيب العددي على الفتح إنه «إنما كان كذلك لتعادل خفة الفتح ثقل التركيب أما بناء الكلمة الأولى فلأنها نزلت منزلة صدر الكلمة من عجزها وأما بناء الكلمة الثانية فلتضمنها حرف العطف وقيل لوقوعها موقع التنوين والاسم اذا وقع موقع الحرف يبنى» .

وقد اختلف النحاة في اثنين واثنتين المركبين مع العقد فقال قوم بأنهما معربان وقال آخرون أنهما مبنيان واختلفوا كذلك في تعليل بنائهما وإعرابهما قال في التصريح ص ٢٧٤ ج ٤: «يعرب اثنان واثنتان المستعملان في العقود لوقوع ما بعدهما موقع النون وليسا مضافين للعقد وقيل مضافان اليه وعلى ذلك فالعقد مبني لتضمنه معنى حرف العطف وذهب ابن كيسان وابن درستويه الى أن اثنين واثنتين مبنيان مركبان مع العقد كسائر أخواتهما ورُدَّ بأنهما ليسا كذلك وإلا لزما الياء المقابلة للفتحة في المفرد.

والتركيب العددي لا يضاف الى معدوده كما في ثلاثة رجال وإنما يكون معدوده معه فضلة «تمييزاً».

ولفظ عشرين وبابه من العقود يستوي فيه المذكر والمؤنث فتقول رأيت عشرين رجلاً وعشرين امرأة وهو ملحق في إعرابه بجمع المذكر السالم فيرفع بالواو والنون وينصب ويجر بالياء والنون وقيل كسرت العين من عشرين للدلالة على على المؤنث وجمع بالواو والنون للدلالة على المذكر ولذلك صح استعمالها للجنسين وابن يعيش (ص ٢٧ ج ٦ من شرح المفصل) يضعف الرأي محتجاً بثلاثين ثم لا يلبث حتى يذكر قولاً يذهب نفس المذهب في ثلاثين وأخواتها محتجاً بأن لفظة ثلاث من ثلاثين مأخوذة من المؤنث وأضيف الواو والنون أو الياء والنون إليه للدلالة على المذكر ويذكر رأياً غريباً آخر هو أن ثلاثين معناها عشر مرات ثلاثة فلما اراد العرب قياساً عليها أن يعملوا مثل ذلك في عشر مرات اثنين وجدوا أن «اثن» لا يستعمل الا مثنى فاشتقوا ذلك من العشرة وكسروا أولها لأن همزة اثنين الموصولة مكسورة فاستمدوا الكسرة منها.

والفاظ العقود الباقية ذهبوا فيها مذهبهم في ثلاثين فهي مطّردة عليها ولا تضاف هذه العقود لمعدوداتها لأن النون فيها كالتنوين تمنع من الاضافة ولأنها

لا تعمل عمل الفعل الذي جعله النحاة مشتقاً من كل منها كما سنرى في باب المشتقات من أسماء العدد

ويعطف العقد على الأعداد البسيطة بين الواحد والتسعة التي نسميها النيّف وتعطفه على كل منها الواو ، وأحد واثنان بعد العشرين وأخواته يذكران مع المذكر ويؤنثان مع المؤنث أما ثلاثة وتسعة وما بينهما فتذكر مع المؤنث وتؤنث مع المذكر كما لو كانت مفردة فتقول ثلاثة وعشرون امرأة وثلاثة وعشرون رجلاً حتى تسعة وتسعين رجلاً .

ولفظتا المائة والألف يستوي فيهما المذكر والمؤنث ويضافان الى معدودهما ويعربان بالحركات حسب العوامل .

وتثنى مائة على مائتين وتعرب اعراب المثنى ويضاف مثناها الى معدوده ويتساوى فيه المذكر والمؤنث .

وتجمع على مئين وتعرب إعراب الملحق بجمع المذكر السالم كما تجمع جمع المؤنث السالم على مئات وفي هذه الحالة لا يكون مع جمعها معدوده الا مسبوقاً بمن اذا وجد وقد ورد جمع مائة على مئي في بيت شاذ لأحد العرب وافتن النحاة في تخريجه وكم كان جميلاً لو جعلوه من باب الخطأ أو الشذوذ واستراحوا منه وأراحوا وقد أورد هذا البيت ابن سيده (في مخصصه ج ١٧ ص ١٠٧) والشطر الذي فيه الشاهد :

« وحاتم الطائي وهاب المئي »

وخرجه تخريجات كثيرة منها أن المئي ج مائة والياء للإطلاق كقولك تمرة وتمر ج تمرة أو أنه أراد المئيّ وأصله المِئِي على وزن فعيل وجاء على لغة بني تميم لأنهم يكسرون الفاء من وزن فعيل اذا كانت عينه حرف حلق وأصله مئيٌ ويتكلم في الذاهب من المائة في هذا الجمع أهو الواو أم الياء وفي كلا الحالين

يؤول اللفظ الى مئي ويذكر أن بعضهم قال إنه اراد ان يقول مئين واضطره الى حذف النون نظام الشعر وعندي أن هذا هو الأرجح .

وجاءت مائة مفردة شذوذاً في العقود بين ثلاثمائة الى تسعمائة وذلك لأن من حق الأعداد بين الثلاثة والتسعة أن تؤنث مع المذكر وهذا قد حصل في هذه العقود فعلاً ثم ان يكون المعدود معها جمع قلة مضافاً اليه ولفظ مائة في لفظة ثلاثمائة مفرد ولذلك عد ذلك شذوذاً وعلل ذلك صاحب المفصل (ج ٦ ص ٢٤) بأن مائة استعملت دون مئين او مئات لأن ثلاثمائة أشبهت عشرين في أنها تنتهي الى الألف الذي ليس من لفظها كما أشبهت الثلاث في الآحاد فأخذت من الواحد الإفراد ومن الثاني الجر ويدل على صحة هذا أنهم قالوا ثلاثة آلاف درهم لأن عقدها عشرة آلاف من لفظها لأنها جرت على منهاج ثلاثة أبواب .

قال سيبويه وليس بمستنكر في كلامهم ان يكون اللفظ واحداً والمعنى جمعاً وهذا يكون عند عدم اللبس وأنشد شاهداً عليه :

كلوا في بعض بطنكم تعفوا ... فان زمانكم زمن خميص

والشاهد هنا استعماله بطنكم بدل بطونكم . وكل هذا في تعليل إفراد مائة في عدد ثلاثمائة مجرد كلام لا يستند الى واقع او منطق لغوي صحيح .

أما الألفاظ الغريبة المستعملة حديثاً في اللغة العربية فهي تعامل معاملة الألف تماماً وليس فيها شذوذ فالمليون الذي هو الف الف يجمع على ملايين ويضاف الى معدوده كالألف . ويجمع مليار على مليارات وتريليون على تريليونات وكاتوليون على كاتوليونات وهكذا . وقد شاع استعمالها ويمكن الاستغناء عنها بتكرير الألف عدداً من المرات بقدر الضرورة كما كان يفعل العرب ولكن ذلك قد يوقع في الخطأ ولا مانع من استعمال هذه الألفاظ الأجنبية .

والأصل في الأعداد حينما تكون مجردة من المعدودات أن يوقف عليها بالسكون . قال صاحب شرح المفصل ص ٢٨ «والعدد موضوع على الوقف أي تقف على الأعداد بالساكن لأن المعاني الموجبة للإعراب مفقودة وكذلك اسماء حروف التهجّي وما شاكل ذلك اذا عُدِّدت تعديداً ، فاذا قلت هذا واحد ورأيت ثلاثة فالاعراب فيها كما تقول هذه كاف ورأيت جيماً لأنها ليست على الحد الذي يستوجب الاعراب فلا تقع مواقع الأسماء فتكون فاعلة ومفعولة ومبتدأة ويؤيد ذلك ما حكاه سيبويه من قول بعضهم : «ثلاثهربعة» فالتاء عندما أخذت حركة همزة اربعة وتحركت بقيت هاء ولم تصر تاء . فان وقعت اسماء الأعداد موقع الأسماء أعربتها تقول اربعة تفضل ثلاثة بواحد» .

واذا تأملنا في الفاظ الأعداد التي مرت نجدها على أربعة أنواع : نوع مضاف الى معدوده مثل «ثلاثة رجال» وأخواتها ونوع مركب كاللفظة الواحدة ولا يضاف الى معدوده مثل أحد عشر وأربعة عشر ونوع مفرد غير مضاف ولا مركب وهو عشرون وأخواتها ونوع معطوف جزءاه أحدهما على الآخر مثل أحد وعشرون واضرابه .

وتتركب بعد المائة اعداد مثل مائة وثلاثة عشر تشمل المعطوف والمركب وهي فرع عن المعطوف إذا اعتبرنا المركب عدداً واحداً وله حكم اللفظ الواحد .

يتبع : نعيم الحمصي

مخطوطات ومطبوعات

الجزء الأول

من

احكام الأوقاف

وهو مجموعة محاضرات

ألقاها الشيخ مصطفى الزرقا : أستاذ احكام الأوقاف والحقوق المدنية السورية في معهد الحقوق العربي بدمشق .

أشار المؤلف في مقدمة كتابه الى ما طرأ على احكام الأوقاف من احكام قانونية : ادارية وقضائية منذ العهد العثماني الى عهد الانتداب الفرنسي ، تناولت بالتعديل او بالالغاء كثيراً من الأحكام الأصلية . فأصبحت هذه الأحكام مزيجاً من عناصر بعيدة الانساب والأواصر ، متفرقة المراجع والمصادر . جمعها في هذه المحاضرات تسهيلاً على طالب الحقوق . وقد : «آثر ترتيب مباحث الأوقاف في هذا الكتاب على حسب ما تتعلق به من اركان الوقف وعناصره ، ليقع كل حكم في الموقع الذي يعود اليه ، فانقسم الكتاب بذلك الى مقدمه ، وخمسه اقسام : (١) ما يتعلق بذات الوقف وعقده — ٢ — ما يتعلق بالواقف — ٣ — ما يتعلق بالموقوف — ٤ — ما يتعلق بالموقوف عليه — ٥ — ما يتعلق بالولاية على الوقف .

تناول في المقدمة : معنى الوقف ، ومنشأه ومشروعيته في الاسلام ، وحكمته ، واستمداد احكامه ، ولمحة تاريخية عنه .

وفي القسم الأول : حقيقة الوقف وتعريفه ، وركن الوقف والفاظه ، وشرائط الوقف ، وفيه فصول .

والقسم الثالث : شروط الواقفين وأغراضهم ، ثبوت شروط الواقفين ومثبتاتها ، وهو بهذا القسم وفصوله ، ينهي الجزء الأول من المحاضرات .

ومما يحمد للمؤلف ، هذه العبارة السائغة التي عبر بها عن موضوعه ، وهذا الأسلوب السهل في التبويب والترتيب ، الذي قل ان يجري عليه من يؤلف عادة في مثل هذه الأبحاث .

والأستاذ مالك لناصية موضوعه ، ماينقل تقليداً ، بل يؤلف عن نضج وعلم ومزاولة

وتعرض المؤلف في فصل : « غرض الواقف ومدى اعتباره » لما يقع من غموض وابهام في بعض شروط الواقفين

قال : « فالنظر الفقهي يقضي بأن يحكّم في ذلك غرض الواقف . ونقل عن رد المختار قوله : « فما كان منها أقرب الى غرض الواقف وجب ترجيحه والعمل به دون سواه لأنه اقرب ان يكون مراده ، وهذا كما ترى في غاية السداد ، اذ لا يعقل عندئذ ترجيح الاحتمال المخالف على الملائم المخالف لغرض الواقف »

وهذا شيء حسن حبذا لو اخذ به رجال الشرع والقانون ، فراعوا عند الغموض والابهام ، قواعد العدل وغرض الشارع لا النصوص الجوفاء .

وفي هذا الفصل : فصل « غرض الواقف ومدى اعتباره » ينقد المؤلف : « المدارس الوقفية التي وقفها الواقفون لطلب العلوم الشرعية والعربية

... ولا يزال طلب العلم فيها جارياً على الطريقة القديمة ، فيدخلها الطالب ويجاور فيها أي يسكن احدى غرفها ويحضر دروس مدرسها وهو غالباً درس واحد في اليوم ، ويستمر هكذا ان شاء مدى حياته ، فقد يصبح عالماً كبيراً ويبقى مجاوراً فيها بصفة طالب ، وقد يكون غير ذي قابلية للتعلم أو كسولاً لا يعني بالتحصيل فيستمر أيضاً مدى حياته ، واذا دخلها الطالب الصغير المبتديء يحضر مع الطلاب القدماء .. بلا تفريق بين المبتديء والقديم في منهاج التعليم والتلقي ، وليس من المعتاد فيها امتحان .. »

ويريد المؤلف لهذه المدارس ان تجري على نظام غيرها من المدارس المصرية . ولا يرى في هذا : «مخالفة محظورة لشروط الواقفين .. ولو كان الواقف وقفها للتحصيل على تلك الطريقة المألوفة في زمنه . لأن اختلاف طريقة التحصيل والتعليم الى خير وأفضل مما كان معهوداً ليس اهمالاً لشرط الواقف ، بل بالعكس هو اعمال له على أفضل وجه . ولئن افترض ان في ذلك مخالفة لشرط الواقف فقد تقدم ان مخالفته الى ما هو خير وأنفع من كل وجه ضمن حدود غرضه جائز .. وانما غرض الواقف التعليم فالطريقة الأكثر انتاجاً للعلم والعلماء هي الأكثر موافقة لشرط الواقف» .

وهو رأي راشد سديد يشكر المؤلف عليه : فلقد آن أن نتحلل بعض الشيء من «شرط الواقف كنص الشارع» ان لم نخرج عليها — كل ما قضت المصلحة العامة بهذا الخروج .

ونكرر الشكر للمؤلف والثناء عليه ، ونلفت نظر المشتغلين بالقضاء والمحاماة الى هذا الكتاب المفيد .

عارف النكدي

القانون الدبلوماسي

تأليف محمد حسني عمر بك

الوزير المفوض والسكرتير العام لوزارة الخارجية المصرية

كتاب من القطع الكبير ، يقع في ما يقرب من ثلاث مئة صفحة . تحدث فيه مؤلفه عن التمثيل السياسي ، والآداب الدولية ، وعن الملوك ورؤساء الدول وما يجب لهم ، وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، وعن وزراء الخارجية ، وما يتصل بذلك من اختيار السفراء والوزراء المفوضين ، واختصاصاتهم وحقوقهم وواجباتهم ، وكيف يستقبلون ، والأصول المتبعة في كل ذلك . وجوازات السفر ومنحها . وأكثر ذلك معزز بأمثال وكتب ووثائق ، تعين المطالع على فهم هذه القواعد ،

مما لا يستغني عنه في الزمن الحاضر من يعاني السياسة ، ولا سيما السياسة الخارجية .

والكتاب مهدي الى المغفور له الملك فؤاد ، «اول ملك من ملوك مصر عين السفراء والوزراء المفوضين» .

ولغة الكتاب صحيحة مع توسع في المصطلحات السياسية ، والاستعانة بالألفاظ الأجنبية ، مما قد لا يكون منه بد ، في موضوع لا نزال بعد في مطلع حياتنا فيه .

فنشكر للأستاذ المؤلف ما بذله من عناية في اخراج هذا الكتاب الذي يعد من اول الكتب التي وضعت في اللغة العربية . ع . ن

موجز عن أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة

وضعه الدكتور محمد حسين هيكل باشا

رئيس مجلس الشيوخ

كتيب من القطع الكبير يقع في اثنتين وثمانين صفحة يضم « طائفة من اعمال هذه الجمعية — في الشطر الثاني من دورتها الأولى المعقودة بضواحي نيويورك »

والذي يجري في هذه الجمعية : ان تبدأ دوراتها بجلسات عامة تبدي فيها الدول المشتركة اتجاهاتها السياسية . ثم تحال المسائل المطلوب بحثها الى اللجان المختصة ، ثم تنعقد الجمعية العامة بعد ذلك مرة أخرى ، لتنظر في تقارير هذه اللجان ، ثم تصدر قراراتها .

واشتركت في هذه الجمعية خمس من الدول العربية : مصر ، والمملكة العربية السعودية ، وسورية ، ولبنان ، والعراق ؛ وتكلم مندوبو مصر وسورية ولبنان والمملكة العربية السعودية وتعرض الثلاثة الأولون لمسئلة فلسطين ، وسكت عنها الأمير فيصل آل سعود مندوب المملكة السعودية .

ع . ن

جمال الدين الأفغاني

كتاب عنه

أصدره السيد قدري القلعجي في ما يزيد على مئة صفحة ، حسنة الطبع والوضع . تكلم فيها على حكيم الشرق : نشأته ، ودعوته ، ومجالسه ، وحكمه ، وكلماته المأثورة ؛ وعن مقابلاته لرؤساء الدول وأحاديثه معهم .

والكتاب مفيد من كل نواحيه ، وهو في جملته مختصر للكتاب الذي سبق ان وضعه محمد المخزومي بعنوان « خاطرات جمال الدين الأفغاني » وحبذا لو أشار السيد القلعجي الى ذلك اشارة أكثر من ان يقول ان هذه « الخاطرات » كانت في جملة « مراجع الكتاب » .

طبعت هذا الكتاب دار العلم للملايين ببيروت .

الأفغاني

محاضرة عنه

جيدة الطبع والورق ، في ثماني واربعين صفحة ، القاها السيد قدري حافظ طوقان في النادي الرياضي الأدبي بنابلس ، وفي القدس ، وغزة ، واللد ، احياء لذكرى الأفغاني المصلح الاجتماعي الخطير . ضمنها آراءه ، وكفاحه ، وأثره في نهضة الشرق . والمحاضرة ، كالكتاب السابق ، مستلة من كتاب المخزومي .

ع . ن

من الأدب

قدري العمر

مدير معارف الجزيرة

ذكر المؤلف في مقدمته ان كتابه انما هو نتاج دراسة تزيد على ثلاثين سنة . وقد اشتمل هذا الكتاب على موضوعات عامة في تعريف الأدب والأسلوب

والابتكار في البيان والعصر وعلى موضوعات خاصة في الكلام على أبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام وابن المقفع .

ولا تخلو هذه الموضوعات من نظرات صادقة مثل نظرة المؤلف الى الأدب الذي يجمع بين المتعة والفائدة فقد قال : قد يجلس الحزين الى كتاب منثور أو منظوم ويقرأ فيه صوراً واضحة في أحزانٍ تشبه أحزانه ومصائب تشبه مصائبه وآلام تشبه آلامه فما يأتي عليها قراءة حتى يصير الى متعةٍ وهو حزين ليس اللهو واللعب بأحسن منها ..

وهذا رأي أكابر أدباء الغرب مثل الأستاذ « لانسون » وغيره .

شفيق جبري

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني وقصائده الهاشميات

تأليف عبد المتعال الصعيدي

المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

أشار المؤلف في مقدمته الوجيزة الى ان الناس جروا على تقديم الفرزدق وجرير والأخطل على غيرهم من شعراء عصر بني مروان ولا يستثنون من هذا الحكم الجائر ذلك الشاعر العظيم الكميت بن زيد الأسدي ، فهو عنده أولى منهم بهذا التقديم وأحق بزعامة شعراء ذلك العصر .

وقد وضع كتابه هذا لانصاف الكميت من ذلك الحكم الجائر .

ولكني لا أعتقد ان انصاف الكميت يقوم بالحط من قدر بني أمية وتصويرهم في الصورة القبيحة التي صوّرها المؤلف وانما إنصاف الكميت يقوم بالموازنة بينه وبين الشعراء الثلاثة الذين لا يرى لهم فضلاً عليه ولم نر لهذه الموازنة أثراً في كتابه وانما كان كلامه في تقديم الكميت كلاماً عاماً ليس فيه شيء من خصائص التحليل ، فاذا أراد المؤلف ان يقدم الكميت على الفرزدق وجرير والأخطل

لزمه ان يأخذ قصيدة من قصائده وان يوازن بينها وبين قصيدة من قصائد كل واحد من الشعراء الثلاثة مشابهة لها في الموضوع حتى يبيّن للقارئ فضل الكميت في اختراع معنى لم يخترعوه أو فضله في لغة لم يسبقوه اليها فلو فعل هذا واستطاع ان يؤيد رأيه في الكميت بأدلة أدبية فيها ذوق ومنطق لكان لرأيه قيمة أما النيل من بني أمية وحده فغير كافٍ لتقديم الكميت على الفرزدق وجرير والأخطل !

ش . ج

البحتري

درس وتحليل

جرجس كنعان

يشتمل كتاب الأستاذ جرجس كنعان : البحتري ، على فصول كثيرة وهذه عناوينها : البحتري — قذارته — بخله — نخاسته — خلقه — صلته بأبي تمام — هجاؤه — ضياعه — شعره — أنواع هذا الشعر — وصفه : وصف الايوان ، وصف الذئب والقصور — الشعر المصنوع — المناقضات عند البحتري — تشيع البحتري — علوة والخيال — آراء متفرقة — رأيه في المرأة — ايمان البحتري — اباحيته — إباؤه — الجَد والجد — العتاب — ثاقب رأيه — فخره — آخر شعره .

***

قد يستطيع القارئ ان يقف في أثناء هذه الفصول على أشياء كثيرة من البحتري ذكرها المتقدمون ولكن الذي يهم القارئ الوقوف عليه قبل كل شيء انما هو طبيعة شعر البحتري فما هي محاسن هذا الشعر ما هي عيوبه ، ما هي قوته وضعفه ، يهم القارئ ان يطلع على أسرار لغة البحتري فهي جزء عظيم من أجزاء عبقريته ، فهذه الأمور التي يهم القارئ الوصول اليها في الكلام على البحتري

لا يجد لها في هذا الكتاب الاّ أثراً ضعيفاً ، واذا كان المؤلف قد دلّ في بعض المواضع على صفاء قسم من معاني شعر البحتري ورقتها وقوتها ولذتها فانه لم يسترسل في هذ الباب ، فأين محاسن شعر البحتري ، أين وصفه وتصويره ، أين لغته الفاتنة الساحرة !

ش . ج

شاعرية أبي فراس

نعمان ماهر الكنعاني

أهدى الرئيس في الجيش العراقي نعمان ماهر الكنعاني كتابه : شاعرية ابي فراس الى الجيش العراقي المجيد ، وصدّر كتابه بمقدمة للدكتور مصطفى جواد تكلم فيها على أدب القرن الرابع .

وصف الأستاذ نعمان ماهر الكنعاني في كتابه أسلوب ابي فراس الحمداني ومعانيه الشعرية والموضوعات التي عالجها كالفخر والمدح والوصف : وصف الطبيعة والمعارك ، والغزل والرثاء والحكم والأمثال والروميات وهي قصائد الأسر .

وقد كان المؤلف في خلال وصفه لهذه الموضوعات لا يغفل في بعض الأحيان عن اعطاء هذا الوصف حقه من الايضاح حتى لا يكون مجرداً فلما تكلم على فخر أبي فراس لم يغفل عن الاشارة الى ان هذا الفخر معتدل خال من الغلو ولما تكلم على مدائح ابي فراس ذكر ان ابا فراس كان في مدائحه يحترم نفسه ويظهر الاباء .

ش . ج

ذكرى الأمير شكيب ارسلان

المراثي وحفلات التأبين وأقوال الجرائد

صنّفها ووقف على طبعها

محمد علي الطاهر

تدلّ هذه المجموعة من المراثي وأقوال الجرائد في المرحوم الأمير شكيب

ارسلان على علو منزلته في العرب والمسلمين ، فليس بكثير على رجل عظيم مثل الأمير شكيب ان تنطلق أقلام كبار رجال العرب والمسلمين في الافصاح عن هذه المنزلة فقد كان تغمده الله برحمته خلاصة أدب العرب وثقافة العرب وحضارة العرب وكان صدره مستودع آثار هذا الأدب وهذه الثقافة وهذه الحضارة ولعلّ أبلغ فصل قيل فيه انما هو الفصل الذي عقده في « فتى العرب » الأستاذ معروف الأرناؤوط وقال في الأمير انه كان سيد جيله في ميراثه من الآداب العربية والثقافة الاسلامية .

ذكر الأستاذ محمد علي طاهر في مقدمة الكتاب ان هذا الكتاب لم يضم كل ما قيل وكتب عن الأمير الفقيد بل هو بعضٌ من كل لأن الأمير الذي اشتغل خمساً وستين سنة من حياته وهو يكتب ويخطب وينظم سيشغل الدنيا عليه خمسمائة سنة ، بل أكثر .

على انه ليس من المهم ان يشغل الدنيا الأمير شكيب خمسة قرون أو أكثر ، انما المهم ان يفهم عصرنا والعصور الآتية عبقرية الأمير شكيب ارسلان الذي استطاع ان ينفض لغة العرب من مدافنها في عصر انقطعت فيه الصلة بين أهله وبين روح هذه اللغة الساحرة الفتانة .

ش . ج

ديوان أبي فراس الحمداني

عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه

سامي الدهان

القسمان : الثاني والثالث

أشار ناشر هذا الديوان في توطئته الى خصائص العصر الذي ولد فيه أبو فراس ثم تكلم على مراحل حياة أبي فراس كتربيته وثقافته ونشوئه ثم ذكر أسره وما لقيه في الأسر ثم أتى على ذكر شعره الذي كان جريدة يومية

لحياته منذ شب حتى مات فهو مرآة لأيامه تكاد تحصي فيه دقائق عيشه من غير أن تعود الى الرواة والمؤرخين فقد كان شعره سجلاً للقبيلة وتاريخاً للأسرة وصورة للعصر وكان شرح ابن خالويه له متمماً لهذا السجل ، مكملاً لهذا التاريخ ، موضحاً لهذه الصورة .

واذا كان خلا هذا الديوان من دراسة حديثة او تحليل او نقد او شرح او غير ذلك فهو لم يخل من دليل على المجهود الذي بذله جامعه فقد طوّف كثيراً وراء شعر أبي فراس وتسقط أخبار نسخه البالغة خمسين نسخة فحصل منها على ما ينيف على الأربعين لجمع ما تفرق من هذا الشعر في أطراف اوروبة وآسية وافريقية وفي كل هذا من العناء والتعب أشياء غير قليلة .

ش . ج

نار ونور

محمد مجذوب

لم يبالغ بدوي الجبل لما قال في صدر مقدمة هذا الديوان : شعر يجمع الأسلوب القوي المتين والخيال المجنح الذي يشق الغيوم الى النجوم وجناحاه : قوة ومران وجزالة وبيان .

ولم يخطئ صاحب الديوان لما قال في خاتمة ديوانه : وبعد ، فهذه نفسي أضعها بين يديك ايها القارئ واني لعلى ثقة من انك لن تسيغها الا بمقدار ما يصل بينك وبينها من وشائج القربى وتشابك العواطف ثم لا اكتمك رأيي بأن هذا التجاوب بيننا سيكون أتمّ قوة حين تكون من الذين توفرت لهم الثقافة التي تمكنهم من الاحاطة بأسرار البيان العربي والتمييز بين الأسلوب الدخيل واسلوبه الأصيل !

*
* *

فالذين أحاطوا بأسرار البيان العربي يستطيعون ان يروا في هذا الديوان روح الشعر العربي الخالص ، فهم اذا كانوا يفتشون في الشعر العربي الحديث عن ذوق سليم وخيال مصقول وعاطفة صادقة ولغة صافية فليفتحوا ديوان محمد مجذوب فانهم سيجدون كل هذا في شعره وسيتحقق عندهم ان الشعر العربي اذا تجرّد من سرّ اللغة ومن روح ألفاظها كان كالجثة الهامدة لا روح فيه .

ش . ج

من وراء الأفق

محمد عبد الغني حسن

أكثر شعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن في ديوانه : من وراء الأفق ، قيل في الطبيعة وتدل على ذلك عناوين قصائده : ربيع الغرب — الى الجبل الأشم — فوق القمم — الجبل الأبيض — وحي الغابة - موجة — مطارف الربيع - شعاع الشمس — المانش الثائر الى آخر هذه الموضوعات .

أولع الأستاذ محمد عبد الغني حسن بالطبيعة ولعاً شديداً ، فقد تغنى بجبالها وبحارها وغابها وغير ذلك من مشاهدها واستطاع في كثير من شعره ان يفصح عن صور هذه الطبيعة وان يجعل هذه الصور ناطقة كأنها جسم حي فيه لحم ودم وعظم وروح ، فالأستاذ محمد عبد الغني حسن من شعراء الطبيعة الذين صقلت هذه الطبيعة روحهم وخيالهم وفكرهم ولعلّ الاستشهاد بنموذج من شعره في وحي الغابة يؤيد ما ذهبت اليه :

ذلك الجدول يا « إيلين » في الغابة حالمْ
هو كالطفل على صدر الفتاة الطهر جاثم
يسرق الخطو كما يمشي الى الريبة آثم
همسه فوق حصى الغابة بالفتنة ناغم
خافت الصوت كشيخ عازم الفتنة نادم
وشعاع الشمس فوق الغابة الخضراء باسم

ش . ج

الحكم المصري في السودان

١٨٢٠ — ١٨٨٥

دكتور محمد فؤاد شكري

أستاذ التاريخ الحديث المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

صوّر الدكتور محمد فؤاد شكري في كتابه : الحكم المصري في السودان ، النهج الذي سلكه المصريون في ادارة السودان ، ولقد استعان بكثير من الوثائق وأقوال المعاصرين فكشف عن الأسس التي استرشدت بها مصر في حكم السودان ستين عاماً وذكر في مقدمته انه اتضح : ان ما يسمى اليوم سودنة الوظائف ليس بالأمر الجديد ، بل كان اسلوباً من الأساليب الادارية المألوفة في عهد محمد علي وخلفائه وان الحكام المصريين كانوا يعتبرون مصر والسودان قطراً واحداً يعملون على اسعاده دون تفرقة بين أهل الشمال وأهل الجنوب وليس أدل على ذلك من تلك الأموال الطائلة التي كانت ترسل في كل عام من القاهرة الى الخرطوم لسدّ ما هنالك من عجز في مالية السودان .

فالحكم المصري في السودان في رأي المؤلف كان حكماً صالحاً مستنيراً ، يستهدف رفاهية السودانيين خاصة وخدمة الانسانية عامة ، شهد بذلك قناصل الدول في الخرطوم الذين زاروا السودان والراية المصرية تخفق فوق ربوعه .

هذا ما اجتهد المؤلف في اثباته في كتابه : الحكم المصري في السودان ، وقد أخذ في وضعه كتابه بأمانة العلماء فسجل مصادر الحقائق وعني بنشر طائفة من الوثائق والمصورات والمراجع استكمالاً للفائدة .

ش . ج

آراء وأنباء

المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية

بيت مري — لبنان

مجموعة القرارات التي اتخذتها اللجان الفنية ، الفرعية والعامة
ووافق عليها المؤتمر في جلسة يوم الثلاثاء (٩/٩/١٩٤٧)

قرارات المؤتمر الخاصة بالتربية الوطنية

١) يرى المؤتمر ان الغرض من التربية الوطنية بث الروح الوطني في نفوس النشء وايقاظ الوعي الاجتماعي فيهم حتى يشعروا بارتباطهم بوطنهم ويدركوا واجباتهم العامة ويتعاونوا على القيام بها ويقدموا مصلحة الوطن على مصالحهم الخاصة . ويراد ببث الروح الوطني في العبارة السابقة تنشئة الأفراد على القيام بواجباتهم نحو الوطن المحلي الذي ينتمون اليه أولاً ونحو المجتمع العربي الأكبر الذي يضم البلدان العربية كافة .

٢) يرى المؤتمر ان التربية الوطنية عملية تربوية متعددة الجوانب لا تقتصر على ما يعطى من دروس خاصة بها ، بل تتغلغل في سائر مواد الدراسة من جهة كما يستعان على تحقيقها من جهة أخرى بوسائل تدريبية وعملية مختلفة داخل المدرسة وخارجها . ولهذا يرى في تسمية الجانب الدراسي منها باسم التربية الوطنية تضييقاً لدائرتها ومخالفة لمفهومها ولهذا يقترح تسمية المادة الدراسية الخاصة بها باسم المعلومات الوطنية في المدارس الابتدائية والدراسات الاجتماعية والمدنية في المدارس الثانوية .

٣) يرى المؤتمر ان يقتصر في مرحلة التعليم الابتدائي على تدريس مادة

المعلومات الوطنية بشكل ينظم في السنة الاخرة فقط مع مراعاة مدارك التلاميذ ومستواهم العقلي في اختيار موضوعاتها وطرق تدريسها . أما في السنوات الدراسية السابقة فلا تخصص لها حصص مستقلة بل يعنى بموضوعاتها العناية الكافية ضمن مختلف المواد وبصفة خاصة دروس التاريخ والجغرافيا والمطالعة والقصص والأناشيد والمحفوظات والدروس الدينية . وهذا بالاضافة الى الوسائل التدريسية والعملية المختلفة التي سنوردها فيما بعد .

٤) يرى المؤتمر أن يخصص للدراسات الاجتماعية والمدنية في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي عدد كاف من الحصص وان تشمل هذه الدراسات من المسائل الاجتماعية والاقتصادية في الوطن المحلي وفي البلدان العربية ما يقوي الروح القومية كما تشمل دراسة الأخلاق ونظم الحكم عامة ونظم الحكم في البلاد العربية بصفة خاصة .

ويوصي المؤتمر بتدريس علم الاجتماع في المرحلة الثانية من التعليم الثانوي ضمن الدراسات الأخرى او على أنه علم مستقل بعد الطالب لتفهم الظواهر الاجتماعية وادراك حقائقها .

٥) يرى المؤتمر ان يترك تفاصيل المناهج الدراسية وطرق التدريس الى المختصين في كل دولة مكتفياً بوضع الأسس العامة التالية التي يراها ضرورية لضمان القدر المشترك الذي يحقق ما تهدف اليه التربية الوطنية في البلدان العربية .

أولاً : ابراز الاتصال الجغرافي التام بين البلدان العربية في قارتي آسية وافريقيه .

ثانياً : العناية باظهار ان هذه البلدان كانت مهداً لأقدم حضارات العالم وانها قدمت للحضارة العالمية أجل الخدمات .

ثالثاً : ابراز الاشتراك التاريخي بين هذه البلدان ففي العصور القديمة كانت تربطها أوثق الصلات وكانت بعد ذلك خلال حقبة طويلة من الزمن وحدة سياسية تضمها امبراطورية عربية عظيمة كما ظلت في العصور المتأخرة مرتبطة بروابط قوية .

رابعاً : توكيد ان العروبة لم تكن في الماضي ولا في الحاضر مقصورة على

طائفة من الطوائف أو دين من الأديان وان التعاون بين المواطنين العرب على تفاوت أديانهم كان قوياً في الماضي كما كان كذلك في النهضة العربية الحديثة . ولم يفرق اختلاف الأديان بين العرب الا في العصور التي حكمهم فيها الأجانب . ولهذا ينبغي العناية ببث روح التضامن والتعاون بين مختلف الطوائف واشعارهم بأنهم أخوة وانهم يجب ان يضعوا الأهداف القوية فوق الاعتبارات الطائفية .

خامساً : بيان ان التطور العالمي سائر نحو التكتل والاتحاد وان جامعة الدول العربية مظهر من مظاهر هذا التطور . وليس معنى التكتل فقدان شخصية الأجزاء المكونة له ، وانما المقصود منه ان تكون لهذه البلدان خطط مرسومة تنسق فيها جهودها نحو تحقيق الأهداف المشتركة .

سادساً : بيان ان الاستقلال حق طبيعي للشعوب وان الاستعمار ضرب من الرق يجب القضاء عليه وابراز مساوئ الاستعمار ، وما جره على البلدان العربية وعلى غيرها من ويلات ، وانه ينبغي في البلاد العربية جمعاء العمل على بث روح التعاون لتحرير البلدان العربية التي لا تزال واقعة تحت نيره .

سابعاً : توكيد ان النظام الديموقراطي الصحيح أكفل الانظمة لضمان الحرية والعدالة والمساواة واتاحة الفرص المتكافئة للجميع والعمل على جعل روح الديموقراطية الصحيحة عقيدة راسخة في نفوس النشء .

٦) يرى المؤتمر ضرورة العناية بالجانب العملي في التربية الوطنية ومراعاة المبادئ الاساسية التالية في ذلك :

أولاً : ان تكون الحياة المدرسية صورة مثالية مصغرة للمجتمع يعود فيها النشء (الحكم الذاتي) وممارسة ضروب النشاط الاجتماعي التي تقتضيها هذه الحياة ويدرب على تحمل المسؤوليات والقيام ببعض الخدمات العامة في المدرسة وخارجها .

ثانياً : بث روح الجماعة في النشء وتعويدهم المشاركة والتعاون والتسامح واحترام حرية الآخرين .

ثالثاً : الاتصال بالبيت وتنسيق الجهود بينه وبين المدرسة لتربية النشء تربية

وطنية صحيحة . وتحقيقاً لهذه المبادئ يرى المؤتمر الاستعانة بالوسائل العامة الآتية :

الجماعات المدرسية كالفرق الرياضية والكشفية والفنية من تمثيلية وموسيقية وغيرها والجمعيات التعاونية والثقافية والحفلات والاجتماعات والرحلات ومجالس الطلبة وأنديتهم وما الى ذلك .

كما يرى المؤتمر الاستعانة بالوسائل الآتية لتقوية الروابط بين مختلف البلدان العربية .

أ — تبادل الرحلات والنشرات والمجلات والكتب وتبادل المدرسين والطلاب .

ب — اقامة مباريات رياضية وثقافية ومؤتمرات عامة ومخيمات ومعسكرات كشفية ورياضية ومعارض يشترك فيها الطلاب من مختلف البلدان العربية للتعارف والتعاون وتبادل الرأي في الشؤون العامة من اجتماعية وثقافية .

ج — وضع أناشيد وطنية مشتركة وتنظيم اذاعات مدرسية لطلاب المدارس في مختلف البلدان العربية .

د — انشاء بيوت مشتركة للطلبة .

هـ — وضع خطة مشتركة لاعداد كتب ومصورات وافلام سينمائية ثقافية تعرف بالبلدان العربية المختلفة ومظاهر الحياة فيها ونشرها في الأقطار العربية .

و — تشجيع المراسلات الشخصية بين طلاب البلدان العربية .

٧) يرى المؤتمر ان التربية الوطنية في مختلف المدارس لا تحقق أهدافها إلا اذا كان المعلم القائم على تربية النشء مؤمناً برسالته ومتصفاً بالصفات التي تؤهله للقيادة ومزوداً بالثقافة الضرورية له في مهنته ومدرباً على طرق التربية وأساليبها .

ولذلك ينبغي العناية في انتقاء طلاب دور المعلمين باختبار استعداداتهم وميولهم وصلاحهم لمهنة التدريس ، كما يجب العناية باختيار أساتذة دور المعلمين من أقدر المعلمين وأكفئهم .

ويجب العناية في دور المعلمين الابتدائية باعداد الطلاب لمهنة التعليم اعداداً ثقافياً ومهنياً صحيحاً ، وان يعطوا المادة العلمية الكافية التي تؤهلهم لتدريس المعلومات الوطنية في المدارس الابتدائية كما ينبغي أيضاً اعدادهم اعداداً اجتماعياً

واسعاً يشمل جميع ألوان النشاط المدرسي والاجتماعي ويمكنهم من القيام بتنشئة تلاميذهم وفق أساليب التربية الوطنية التي قدمنا ذكرها .

أما في دور المعلمين العالية فيجب أن يهيأ الطلاب لتدريس الدراسات الاجتماعية والمدنية في فرع العلوم الاجتماعية وان يدربوا عملياً على الخدمة الاجتماعية وعلى أوجه النشاط المدرسي وسواها .

وعلى وزارات المعارف في الدول العربية ضمان متابعة المدرس لثقافته وأساليب التدريس والتربية الوطنية وذلك بتنظيم اجتماعات ومؤتمرات تعليمية ورحلات للمدرسين وبعوث علمية لهم وانشاء المجلات الاختصاصية والفنيه وما الى ذلك من الوسائل .

ويرى المؤتمر انه من الضروري العناية بحالة المدرسين المادية والاجتماعية وافساح المجال أمامهم للرقي والتقدم وضمان مستقبلهم حتى يتوفروا على أداء مهمتهم الكبرى مطمئنين ، وحتى يكفل بذلك اقبال الموهوبين على مهنة التعليم .

٨) يرى المؤتمر ان التربية الوطنية عملية مستمرة لا تنقطع بالخروج من المدرسة وانه من الضروري مواصلة تدريب الكبار الذين غادروا معاهد العلم وتثقيفهم ويرى الاستعانة على ذلك بالوسائل الآتية :

(١) المحاضرات العامة والاذاعة والسينما والمسرح والصحف والمجلات والنشرات والانتفاع بها في تغذية الروح الوطنية .

(٢) الانتفاع بدور الآثار والمكتبات العامة والمتنقلة والمعارض التاريخية والثقافية في بث الروح الوطنية .

(٣) تشجيع الأندية والجمعيات التعاونية والنقابات والفرق الرياضية والكشفية والمؤسسات الثقافية الشعبية وغيرها مما يهيئ الفرص للمواطنين للقيام بأوجه النشاط الاجتماعي المختلفة والخدمات العامة .

(٤) مكافحة الأمية ونشر الثقافة بشتى الوسائل .

٩) يوصي المؤتمر بأن تتخذ حكومات الدول العربية الوسائل الكفيلة بجعل هذه القرارات والتوصيات شاملة للمدارس الحرة (او الخاصة) من أهلية وأجنبية .

توصيات اللجنة الفنية الفرعية للجغرافيا

١) توصي اللجنة بضرورة العناية بدراسة جغرافية الأقطار العربية عامة الى جانب جغرافية الوطن الخاص وابراز الروابط البشرية والاقتصادية بين هذه الأقطار .

٢) تحقيقاً لهذا الغرض توزع الدراسات الجغرافية في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي على الصورة الآتية :

في مرحلة التعليم الابتدائي : تتدرج دراسة البيئة المحلية الخاصة حتى تمتد الى دراسة بيئة الأقطار العربية عامة . ويكون ذلك على شكل سياحات الى هذه البلاد ، تستخدم فيها الصور المشوقة ، ويستعان فيها بالأفلام ما أمكن .

وعند دراسة حياة السكان يعنى عناية خاصة بدراسة سكان الأقطار العربية ، بطريقة تظهر الروابط التي تجمع بينها ، مع استخدام جميع وسائل الايضاح التي تمثل هذه الأقطار ، ومظاهر الحياة فيها .

في مرحلة التعليم الثانوي تراعى الامور الآتية :

أ — تدريس جغرافية الأقطار العربية في موضعها من الأقاليم الطبيعية دراسة عامة ، ليتسنى للتلاميذ ان يدركوا العلاقات الجغرافية التي تربط بينها وبين الأقطار التي تقع في أقاليم مشابهة .

ب — يدرس العالم العربي كله بشيء كثير من التفصيل في احدى السنوات الأخيرة من التعليم الثانوي بأن تخصص جميع دروس الجغرافيا في تلك السنة لهذه الدراسة . وان تتناول جميع نواحي الجغرافيا الطبيعية والبشرية لكل قطر من الأقطار العربية .

ح — تدرس جغرافية الوطن الخاص دراسة مفصلة في أثناء المرحلة الاخيرة من التعليم الثانوي . وان يعنى فيها بالروابط التي تصل هذا الوطن بسائر الاقطار العربية .
وقد روعي في دراسة الوطن الخاص ، والأقطار العربية ان تكون في المرحلة

الأخيرة من التعليم الثانوي لكي يكون التلميذ قد وصل الى درجة من النضج العقلي تمكنه من فهم الصلات التي تربط بين هذه الأقطار فهماً صحيحاً .

٣) رغبة في اعداد المعلم الكفيل بتحقيق الاغراض العامة والقومية الهامة المقصودة من تدريس الجغرافيا ترى اللجنة :

أ — ان يكون في كل جامعة من جامعات البلاد العربية قسم خاص للجغرافيا بحيث تتاح للطالب الذي يميل الى الدراسات الجغرافية فرصة للتخصص في العلم .

ب — ان تتاح الفرصة في المعاهد العليا للمعلمين والمعلمات للتوسع في الدراسات الجغرافية لمن يميلون الى هذا العلم من الطلاب .

ج — تنظيم دراسات صيفية جغرافية للمعلمين والمعلمات ، وذلك لاتاحة الفرصة للقائمين بتدريس الجغرافيا اليوم لكي يزدادوا علماً بمادتهم وبوسائل تدريسها وفق الأساليب العلمية الصحيحة .

٤) ترى اللجنة ان من المستحسن تخصيص حجرة خاصة للجغرافيا في معاهد الدراسة تحتوي جميع وسائل الايضاح من خرائط ونماذج وأفلام وصور وتزويد مكتبات المدارس بأكبر عدد ممكن من الكتب والنماذج الجغرافية .

٥) توصي اللجنة الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بأن تتخذ ما يلزم من اجراء لاعداد اطالس وخرائط جغرافية للبلاد العربية تتناسب مع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي .

٦) وتوصي بأن تسهل كل دولة من دول الجامعة العربية لمن يشاء من الباحثين الجغرافيين زيارة الجهات التي يرغب في دراستها وان تضع تحت تصرفه ما يعينه على واجبه العلمي .

٧) ونظراً لما للرحلات من صلة وثيقة بالدراسات الجغرافية ترى اللجنة ان تشجع الدول العربية الرحلات والمؤتمرات الجغرافية للطلاب والمدرسين المتخصصين في دراسة هذه المادة وتدريسها حتى تهيأ لهم الفرصة لتبادل الافكار وزيارة الاقطار ومشاهدة الظاهرات التي قرأوا عنها .

وتحقيقاً لهذا الغرض تضع كل دولة في ميزانيتها اعتماداً خاصاً للرحلات والمؤتمرات الجغرافية .

٨) نظراً الى ان هنالك حاجة ماسة الى مؤلف مفصل يتناول جغرافية البلاد العربية جميعاً ، يكون بمثابة مرجع جغرافي يحوي آخر ما وصل اليه العلم ، وتحقيقاً لهذه الغاية توصي اللجنة بأن تتولى جامعة الدول العربية تأليف لجنة فنية لاتخاذ الوسائل اللازمة لتنفيذ هذا الاقتراح ...

قرارات المؤتمر الثقافي العربي الأول

فيما يتعلق بتدريس التاريخ

يرى المؤتمر :

أولاً : ان يكون محور دراسة التاريخ في المرحلة الابتدائية تاريخ القطر الخاص الذي يعيش فيه التلميذ مع العناية بدراسة الصلات بين هذا القطر وبين البلاد العربية قبل الاسلام وبعده .

ويتم هذا الغرض بدراسة القصص المشوقة وتراجم أبطال التاريخ القومي وتراجم أبطال العرب ممن تجاوز أثرهم حدود بلادهم .

وينبغي الاشارة في ثنايا قصص الأبطال الى الحياة الاجتماعية في مختلف العصور مع الموازنة بين الحياة الماضية والحياة الحاضرة التي تقع تحت حس التلميذ والعناية بالحياة المعيشية لطبقات الشعب .

على انه في السنة الأخيرة من المرحلة الابتدائية يجوز ان يدرس التاريخ على صورة منظمة مع مراعاة تيسيره ليلائم عقلية الأطفال ومدى خبراتهم .

ثانياً : ان يكون محور دراسة التاريخ العربي في التعليم الثانوي النواحي الاجتماعية والوصفية مع بيان أثر الشخصيات الفذة والأحداث والوقائع اللازمة لتصوير الحقائق وتبيينها في الأذهان وتقصي مظاهر التطور والنضج التام .

ثالثاً : ان يشمل القدر المشترك من التاريخ العربي الذي يدرس في المدارس الثانوية في جميع البلاد العربية ما يأتي :

أ — تاريخ العرب قبل الاسلام

ب — تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام الى الفتح العثماني

ج — النهضة العربية الحديثة

أما الجزء الواقع بين الفتح العثماني والنهضة العربية الحديثة فيدخل ضمن المنهج الخاص الذي تضعه الهيئات المشرفة على التعليم في كل دولة عربية ٠ ويترك توزيع هذا المنهج على الفرق للهيئات المشرفة على التعليم في كل دولة منها ٠

رابعاً : ان يعنى في المرحلة الثانوية بالقدر من التاريخ العالمي اللازم لمساعدة الناشئ على فهم مكانة بلاده والدول العربية بين دول العالم ومشاكل المدنية الحديثة ٠

خامساً : انه ينبغي ان يدرس التاريخ دراسة علمية ويناقش مناقشة قائمة على منطق انساني عادل ٠

سادساً : انه يستحسن ان تكون طريقة تدريس التاريخ أساساً للتدرج من القديم الى الحديث ولا مانع من التحلل من ذلك عند الاقتضاء ٠

سابعاً : ان يدرس تاريخ العرب على حسب الدول والعصور المتتابعة وفقاً للطريقة التقليدية ٠

ثامناً : ان يدرس تاريخ الشعوب العربية بعد سقوط بغداد على أساس تاريخ الدولة الخاص مع الاشارة الى تاريخ الدول العربية الأخرى وبيان ما بينها من علاقات ٠

تاسعاً : ان يدرس تاريخ الحضارة العربية متصلاً بالتاريخ العربي العام بمعنى انه بعد الانتهاء من العرض العام لكل عصر يدرس الطالب حضارة هذا العصر ٠

عاشراً : انه ينبغي للاستفادة من دراسة التاريخ العربي في تقوية الروح العربية الحقة الاهتمام بالنواحي الآتية :

١ — بيان أثر أمم الشرق الأدنى وفضلها في بناء صرح المدنية القديمة ومقدار تأثر اليونان والرومان بحضارات الشرق القديم في الشام وفلسطين ومصر وغيرها ·

٢ — تتبع الصلات السلالية والتجارية والثقافية بين أمم الشرق الأدنى تلك الصلات التي وجدت قبل الاسلام ثم جاء الاسلام فدعمها وزاد في أواصرها ·

٣ — ابراز الاحداث العظيمة والمواقف الحاسمة ونواحي البطولة في العصور العربية الزاهرة ودراسة الأسباب والنتائج في تفصيل يتضح منه أثر الحياة الشعبية والروح العربية في ارتقاء الدولة أو الدول العربية وهبوطها ·

حادي عشر : ان من الوسائل التي تساعد على تنمية الروح العربية وتحقيق الأغراض المقصودة من تدريس التاريخ بالبلاد العربية ما يأتي :

١ — تأسيس الجمعيات التاريخية لتبادل الآراء والكشوف والبحوث ·

٢ — تنظيم رحلات الأساتذة والطلبة بين البلدان العربية ·

٣ — عقد مؤتمرات دورية للدراسات التاريخية من وقت لآخر في عواصم البلاد العربية ·

٤ — الاهتمام بالحفائر الأثرية وانشاء المتاحف التاريخية والاستعانة بالفنون الجميلة لتوضيح التاريخ العربي مثل الروايات التاريخية والقصص التاريخية واللوحات الفنية والأفلام ·

٥ — العناية بالتقاليد المحلية والأزياء الخاصة والأغاني الشعبية مع تهذيبها وما يتفق مع المدنية الحديثة والروح العربية ·

٦ — العمل على تخليد ذكرى عظماء الشرق العربي واحداثه التاريخية بطرق مختلفة كاقامة التماثيل واطلاق اسمائهم على الشوارع والميادين وتسمية كراسي الاستاذية في الجامعات باسماء النابغين منهم في مجال البحث العلمي الى غير ذلك من الوسائل التي تبرز المثل العليا التي ينبغي ان يتجه نحوها شباب العرب فيعتزون بميراثهم الاجتماعي ويشعرون نحو هؤلاء العظماء بالجميل فيعملون على المحافظة على هذا التراث بل وعلى الاستزادة منها ·

(يتبع)

تصويب

وقع في الجزءين : التاسع والعاشر من المجلد الثاني والعشرين أخطاء هذا بعضها :

الصفحة الـ	٤٤٢	بالكتب الرضية	صوابها	الرصينة
« الـ	٤٤٤	من حب البلد القومي	«	من البلد القومي
« الـ	٤٤٦	من المفيد ان يوجد	«	ان يوحد
« «	«	يقضي المنازعات	«	في المنازعات
« «	٧٤٧	وللتجارب	«	وللتجارات

عارف النكدي

تصحيح بعض الأغلاط

وقع في الجزءين التاسع والعاشر من المجلد الثاني والعشرين من هذه المجلة بعض أغلاط واني ذاكرها ومبين صوابها

جاء في مقال نفائس المخطوطات العربية القيم :

ص ٤١٢ سطر ٩ الجزي وصحته الجزيني نسبة الى (جزين) البلد المعروف وأحد المصايف اللبنانية من محافظة لبنان الجنوبي

وفي هذه الصفحة سطر ١٢ اللمعة الدمشقية في أحوال الأئمة الاثني عشر وصحتها اللمعة الدمشقية في فقه الامامية وهي من الكتب الفقهية الممتعة وشرحها من أفضل الشروح ما تزال تدرس في مدارس الامامية على اختلاف لغاتها وأمصارها .

وجاء في كلمة المسائل السفرية الصفحة ٤٧٣ السطر ١٦ و١٧ و ١٩ النصب وصحته النصيب كما هو بيّن .

سليمان ظاهر

الفهرس العام لمواد المجلد الثاني والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد الثاني والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد الثاني والعشرين